الكِفايـة

في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّرايـة

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الثلاثون

[سورة الصافات، الآية: ٧٥]- [سورة غافر، الآية:٦]

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الرقم الدولي(ISBN):٥-٧١٥-٧٢-٩٩٥٣
الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
الناشر: دار القلم- بيروت – لبنان

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

Abdulla.khdhir@gmail.com
Abdulla. khdhir@hotmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥)} [الصافات : ٧٥]

التفسير:

ولقد نادانا نبينا نوح؛ لننصره على قومه، فلنعم المجيبون له نحن.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ} [الصافات : ٧٥]، أي:" ولقد نادانا نبينا نوح؛ لننصره على قومه"(١).

قال الزجاج:" أي: دعانا بأن ننقذه من الغرق"(٢).

قال يحيى:" يعني: حيث دعا على قومه"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لقد نادانا نوح بمسألته إيانا هلاك قومه، فقال: {رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا} ... إلى قوله: {رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}"(٤).

قال النحاس:" {وَلَقَدْ نادانا نُوحٌ}، من النداء الذي هو استغاثة ودعاء"(٥).

قوله تعالى:{فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ} [الصافات : ٧٥]، أي:" فلنعم المجيبون له نحن"(٦).

قال الطبري:" يقول: فلنعم المجيبون كنا له إذ دعانا، فأجبنا له دعاءه، فأهلكنا قومه"(٧).

قال الزجاج:" المعنى: فلنعم المجيبون نحن"(٨).

قال الكسائي: "فلنعم المجيبون له كنا"(٩).

قال تاج القراء:" أي: فلنعم المجيبون نحن لمن دعانا"(١٠).

قال يحيى:" أجبناه فأهلكناهم"(١١).

عن قتادة: "{وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ}، قال: أجابه الله"(١٢).

قال الزمخشري:" {فلنعم المجيبون}، على التعظيم"(١٣).

قال السمعاني:" وإنما قال: {المجيبون} على ما يقول الملوك والعظماء، ويخبرون عن أنفسهم بلفظ الجماعة"(١٤).

قال القشيري:" فلنعم المجيب كان لنا ولنعم المجيبون كنّا له!"(١٥).

القرآن

{وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)} [الصافات : ٧٦]

التفسير:

ونجيناه وأهله والمؤمنين معه مِن أذى المشركين، ومن الغرق بالطوفان العظيم.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٨.
(٢) معاني القرآن: ٣٠٧/٤.
(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٥/٢.
(٤) تفسير الطبري: ٥٨/٢١.
(٥) أعراب القرآن: ٢٨٨/٣.
(٦) التفسير الميسر: ٤٤٨.
(٧) تفسير الطبري: ٥٨/٢١.
(٨) معاني القرآن: ٣٠٧/٤.
(٩) أعراب القرآن للنحاس: ٢٨٨/٣.
(١٠) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٩٧٧/٢.
(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٥/٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٨/٢١.
(١٣) الكشاف: ١٤٧/٨.
(١٤) تفسير السمعاني: ٤٠٣/٤.
(١٥) لطائف الإشارات: ٢٣٥/٣.

قال الطبري:" {وَأَهْلَهُ}، يعني: أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة، وقوله {مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}، يقول: من الأذى والمكروه الذي كان فيه من الكافرين، ومن كرب الطُّوفان والغرق الذي هلك به قوم نوح"(١).

قال الجصاص:" فسمى جميع من ضمه منزله وسفينته من أهله"(٢).

عن السديّ :{وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}، قال: من الغرق"(٣)، وفي رواية:" من غرق الطوفان"(٤).

قال مقاتل:" { الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}، الهول الشديد وهو الغرق"(٥).

قال الزجاج:" يعني: كرب الغرق الذي هو عذاب"(٦).

قال الواحدي:" الغم العظيم الذي لحق قومه، وهو الغرق"(٧).

قال ابن كثير:" {الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}: هو التكذيب والأذى "(٨).

قال ابن عطية:" ومن الْكَرْبِ تكذيب الكفرة وركوب الماء وهوله"(٩).

قال الرماني: "الْكَرْبِ: الحر الثقيل على القلب"(١٠).

القرآن

{وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧)} [الصافات : ٧٧]

التفسير:

وجعلنا ذرية نوح هم الباقين بعد غرق قومه.

قال الطبري:" يقول: وجعلنا ذريّة نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مَهْلِك قومه، وذلك أن الناس كلهم من بعد مَهْلِك نوح إلى اليوم إنما هم ذرية نوح، فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح، والترك والصقالبة والخَزَر أولاد يافث بن نوح، والسودان أولاد حام بن نوح، وبذلك جاءت الآثار، وقالت العلماء"(١١).

قال مقاتل:يعني:" ولد نوح {هم الباقين}، وذلك أن أهل السفينة ماتوا ولم يكن لهم نسل غير ولد نوح وكان الناس من ولد نوح"(١٢).

قال يحيى:" فالناس كلهم ولد سام، وحام، ويافث"(١٣).

قال القشيري:" لأنّ الناس كلهم من أولاد نوح، فإنّ من كان معه في السفينة لم يتناسلوا"(١٤).

قال الزجاج:" لما جاء الطوفان لم يبق ألا نوح وذرئته، والخلق الباقون من ذرئة نوح"(١٥).

---

(١) تفسير الطبري: ٥٨/٢١-٥٩.
(٢) أحكام القرآن: ٣٧٧/٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٩/٢١.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٠٧):ص٣٢١٨/١٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٠/٣.
(٦) معاني القرآن: ٣٠٧/٤.
(٧) التفسير الوسيط: ٥٢٧/٣.
(٨) تفسير ابن كثير: ٢٢/٧.
(٩) المحرر الوجيز: ٤٧٧/٤.
(١٠) نقلا عن المحرر الوجيز: ٤٧٧/٤.
(١١) تفسير الطبري: ٥٩/٢١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٠/٣.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٥/٢.
(١٤) لطائف الإشارات: ٢٣٥/٣.
(١٥) معاني القرآن: ٣٠٨/٤.

عن سَمُرة، عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في قوله :"{وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ}، قال:«سام وحام ويافث»"[١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ولد نوح ثلاثة: سام، وحام، ويافث. فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم، وولد يافث يأجوج ومأجوج، والترك والصقالبة ولا خير فيهم، وأما ولد حام فالقبط، والبربر، والسودان»[٢].

عن ابن عباس، قوله: "{وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ}، يقول: لم يبق إلا ذرية نوح"[٣].

قال قتادة:" فالناس كلهم من ذرية نوح"[٤].

عن سعيد بن المسيّب في قوله جلّ وعزّ :{وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ}:" أنّ الناس كلّهم من ولد نوح صلّى الله عليه وسلّم، وأنهم كلّهم من ثلاثة أولاد لنوح سام وحام ويافث فالعرب يعني يمنيها ونزارها والروم والفرس من ولد سام، والسودان يعني أجناسهم من السند والهند والزغاوة وغيرهم والبربر والقبط من ولد حام، والصقالب والترك ويأجوج ومأجوج من ولد يافث. والخير في ولد سام"[٥].

القرآن

{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨)} [الصافات : ٧٨]

التفسير:

وأبقينا له ذِكْرًا جميلا وثناءً حسنًا فيمن جاء بعده من الناس يذكرونه به.

قال الطبري:يعني:" وأبقينا على نوح ذكرا جميلا وثناء حسنا فيمن تأخَّر بعده من الناس يذكرونه به"[٦].

قال الزجاج:" أي: تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة، وذلك الذكر قوله: {سلام على نوح في العالمين}"[٧].

قال الزمخشري:" أي: لقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الأنبياء والأمم"[٨].

والأمم"[٨].

عن ابن عباس، قوله:"{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِين}، يقول: يُذْكَر بخير"[٩].

قال السدي:" الثناء الحسن"[١٠].

قال قتادة:" أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين"[١١].

وقال مجاهد:" جعلنا لسان صدق للأنبياء كُلِّهم"[١٢].

القرآن

{سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩)} [الصافات : ٧٩]

التفسير:

أمان لنوح وسلامة له من أن يُذْكر بسوء في الآخِرين، بل تُثني عليه الأجيال من بعده.

قال الطبري:" يقول: أمنة من الله لنوح في العالمين أن يذكره أحد بسوء"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٩/٢١.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢١٠):ص٣٢١٨/١٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٩/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٩/٢١.

(٥) رواه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٨٨/٣.

(٦) تفسير الطبري: ٥٩/٢١.

(٧) معاني القرآن: ٣٠٨/٤.

(٨) الكشاف: ١٤٧/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٠/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٠/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٠/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٠/٢١.

قال الزجاج:" المعنى: تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة"[٢].

قال السمعاني:" أي: السلامة له منا في العالمين، ويقال: السلام منا عليه في العالمين"[٣].

قال القرطبي:" أي: تركنا عليه ثناء حسنا سلاما، وقيل: {في آخرين}، أي: في أمة محمد ﷺ. وقيل: في الأنبياء إذ لم يبعث بعده نبي إلا أمر بالاقتداء به"[٤].

قال ابن عطية:" هذا جزاء ما صبر طويلا على أقوال الكفرة الفجرة"[٥].

قال ابن كثير:" قوله تعالى : { سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ } مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم"[٦].

قال يحيى:" «العالمين»-هاهنا- يعني: ما كان بعد نوح، يعني: الثَّناء الحَسَن، يقال لنوح من بعده في الناس"[٧].

قال البيضاوي:" {في العالمين}: متعلق بالجار والمجرور، ومعناه: الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا"[٨].

قال الشوكاني:" قيل: المراد بـ {الْآخِرِينَ} [الصافات : ٧٨]: أمة محمد ﷺ، و {فِي الْعَالَمِين} [الصافات : ٧٩] متعلق بما تعلق به الجار والمجرور الواقع خبرا، وهو على نوح، أي: سلام ثابت أو مستمر أو مستقر على نوح في العالمين من الملائكة والجن والإنس، وهذا يدل على عدم اختصاص ذلك بأمة محمد ﷺ"[٩].

وقرأ ابن مسعود: «سلاماً»، بالنصب"[١٠].

قال سعيد بن المسيب: "وبلغني أنه من قال حين يسمي:{سلام على نوح في العالمين}، لم تلدغه عقرب"[١١].

القرآن

{إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠)} [الصافات : ٨٠]

التفسير:

مثل جزاء نوح نجزي كلَّ مَن أحسن من العباد في طاعة الله.

قال الطبري: يقول: "إنا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه في رضانا {وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ} وأبقينا عليه ثناء في الآخرين {كَذَٰلِكَ نَجْزِي} الذين يحسنون فيطيعوننا، وينتهون إلى أمرنا، ويصبرون على الأذى فينا"[١٢].

قال تاج القراء:" أي :جزاء كذلك نجزي"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٩/٢١.
(٢) معاني القرآن: ٣٠٨/٤.
(٣) تفسير السمعاني: ٤٠٣/٤.
(٤) تفسير القرطبي: ٩٠/١٥.
(٥) المحرر الوجيز: ٤٧٧/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٣/٧.
(٧) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٦٧.
(٨) تفسير البيضاوي: ١٣/٥.
(٩) فتح القدير: ٤٥٩/٤.
(١٠) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٩٧٧/٢.
(١١)ذكره أبو عمر في التمهيد، نقلا عن تفسير القرطبي: ٩٠/١٥.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٩/٢١.
(١٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٩٧٧/٢.

قال ابن عطية:" {كَذَلِكَ}: إشارة إلى إنعامه على نوح بالإجابة كما اقترح، وأثنى تعالى على نوح بالإحسان، لصبره على أذى قومه ومطاولته لهم وغير ذلك من عبادته وأفعاله صلى الله عليه وسلم"(١).

قال ابن كثير:" أي : هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله ، نجعل له لسانَ صدْق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك"(٢).

قال الشوكاني:" هذه الجملة تعليل لما قبلها من التكرمة لنوح بإجابة دعائه، وبقاء الثناء من الله عليه، وبقاء ذريته، أي: إنا كذلك نجزي من كان محسنا في أقواله وأفعاله راسخا في الإحسان معروفا به"(٣).

قال البيضاوي: قوله: {إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} "تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بأنه مجازاة له على إحسانه"(٤).

قال النسفي:" علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بأنه كان محسنا"(٥).

القرآن

{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١)} [الصافات : ٨١]

التفسير:

إن نوحًا من عبادنا المصدقين المخلصين العاملين بأوامر الله.

قال الطبري: " يقول: إن نوحا من عبادنا الذين آمنوا بنا، فوحدونا، وأخلصوا لنا العبادة، وأفردونا بالألوهة"(٦).

قال ابن كثير:" أي المصدقين الموحدين الموقنين"(٧).

قال الشوكاني:" هذا بيان لكونه من المحسنين وتعليل له بأنه كان عبدا مؤمنا مخلصا لله"(٨).

قال البيضاوي: قوله: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} "تعليل لإحسانه بالإيمان إظهارا لجلالة قدره وأصالة أمره"(٩).

قال النسفي:" ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم"(١٠).

القرآن

{ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٨٢)} [الصافات : ٨٢]

التفسير:

ثم أغرقنا الآخرين المكذبين من قومه بالطوفان، فلم تبق منهم عين تَطْرِف.

قال الطبري: يقول: " ثم أغرقنا حين نجَّينا نوحا وأهله من الكرب العظيم من بقي من قومه"(١١).

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/٤٧٧.
(٢) تفسير ابن كثير: ٧/٢٣.
(٣) فتح القدير: ٤/٤٥٩.
(٤) تفسير البيضاوي: ٥/١٣.
(٥) تفسير النسفي: ٣/١٢٧.
(٦) تفسير الطبري: ٢١/٥٩.
(٧) تفسير ابن كثير: ٧/٢٣.
(٨) فتح القدير: ٤/٤٦٠.
(٩) تفسير البيضاوي: ٥/١٣.
(١٠) تفسير النسفي: ٣/١٢٧.
(١١) تفسير الطبري: ٢١/٥٩.

قال ابن كثير:" أي : أهلكناهم ، فلم تبْق منهم عين تطرف ، ولا ذكر لهم ولا عين ولا أثر ، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة"[1].
قال البيضاوي: " يعني: كفار قومه"[2].
قال الشوكاني:" أي: الكفرة الذين لم يؤمنوا بالله ولا صدقوا نوحا"[3].
قال يحيى:" يعني: من سوى الذين كانوا معه في السفينة"[4].
قال قتادة:" أنجاه الله ومن معه في السفينة، وأغرق بقية قومه"[5].
قال ابن عطية:" قوله تعالى: {ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ}، يقتضي أنه أغرق قوم نوح وأمته ومكذبيه، وليس في ذلك نص على أن الغرق عم جميع أهل الأرض، ولكن قد قالت جماعة من العلماء وأسندت أحاديث بأن الغرق عم جميع الناس إلا من كان معه في السفينة، وعلى هذا ترتب القول بأن الناس اليوم من ذريته، وقالوا لم يكن الناس حينئذ بهذه الكثرة لأن عهد آدم كان قريبا، وكانت دعوة نوح ونبوءته قد بلغت جميعهم لطول المدة واللبث فيهم فكان الجميع كفرة عبدة أوثان لم يثنهم الحق إلى نفسه فلذلك أغرق جميعهم"[6].
فوائد الآيات:[٧٥-٨٢]:
١- بيان إكرام الله لأوليائه، وإهانته لأعدائه.
٢- إجابة دعاء الصالحين لا سيما عندما يظلمون.
٣- فضل الإحسان وحسن عاقبة أهله.
٤- فضل الإيمان وكرامة أهله عند الله في الدنيا والآخرة.
٥- قوله : {سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} [الصافات : ٧٩]، إذا قاله المؤمن حين يمسي أو يصبح يحفظه الله تعالى من لسعة العقرب. وأصح منه قول: "أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق" لصحة الحديث في ذلك[7].

القرآن

{وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧)} [الصافات : ٨٣-٨٧]

التفسير:
وإنَّ من أشياع نوح على منهاجه وملَّته نبيَّ الله إبراهيم، حين جاء ربه بقلب بريء من كل اعتقاد باطل وخُلُق ذميم، حين قال لأبيه وقومه منكرًا عليهم: ما الذي تعبدونه من دون الله؟ أتريدون آلهة مختلَقَة تعبدونها، وتتركون عبادة الله المستحق للعبادة وحده؟ فما ظنكم برب العالمين أنه فاعل بكم إذا أشركتم به وعبدتم معه غيره؟
قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ} [الصافات : ٨٣]، أي:" وإنَّ من أشياع نوح على منهاجه وملَّته نبيَّ الله إبراهيم"[8].
قال الطبري: يقول:" وإن من أشياع نوح على منهاجه وملته والله لإبراهيمَ خليل الرحمن"[1].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٣/٧.
(٢) تفسير البيضاوي: ١٣/٥.
(٣) فتح القدير: ٤٦٠/٤.
(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٥/٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٦١/٢١.
(٦) المحرر الوجيز: ٤٧٧/٤.
(٧) في الحديث:عن أبى هريرة أن رجلا قال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة، قال: «أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك».
حديث أبى هريرة: أخرجه مسلم (٢٠٨١/٤ رقم ٢٧٠٩) ، وأبو داود (١٣/٤ رقم ٣٨٩٩) ، وابن حبان (٢٩٧/٣، رقم ١٠٢٠) . وأخرجه أيضًا: مالك (٩٥١/٢، رقم ١٧٠٦) ، وأبو يعلى (٤٤/١٢، رقم ٦٦٨٨) .
حديث رجل من أسلم: أخرجه أحمد (٤٣٠/٥، رقم ٢٣٧٠٠) ، وأبو داود (١٣/٤، رقم ٣٨٩٨).
(٨) التفسير الميسر: ٤٤٩.

وفي تفسير قوله تعالى: {مِنْ شِيعَتِهِ} [الصافات : ٨٣]، وجهان:
أحدهما : معناه: من أهل دينه ، قاله ابن عباس[٢]، وقتادة[٣]، والسدي[٤].
وقال قتادة:" على دينه وملته"[٥].
الثاني : على منهاجه وسنته ، قاله مجاهد[٦].
وفي أصل «الشيعة» -في اللغة-، قولان :
أحدهما : أنهم الأتباع. ومنه قول الشاعر :
قال الخليط غداً تصدُّ عَنّا ... أو شيعَه أفلا تشيعنا
قوله: أو شيعه، أي: اليوم الي يتبع غداً ، قاله ابن بحر[٧].
الثاني : -وهو قول الأصمعي-[٨] الشيعة: الأعوان ، وهو مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذي يوضع مع الكبار حتى يستوقد لأنه يعين على الوقود .
ثم اختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ} [الصافات : ٨٣]، على قولين:
أحدهما : إن من شيعة محمد لإبراهيم عليهما السلام ، قاله الكلبي[٩]، والفراء[١٠].
قال الفراء:" يقول: إن من شيعة محمد لإبراهيم ﷺ ، يقول: على دينه ومنهاجه، فهو من شيعته، وإن كان إبراهيم سابقا له، وهذا مثل قوله : {وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُم} [يس : ٤١]، أي: ذرية من هو منهم، فجعلها ذريتهم وقد سبقتهم"[١١].
وقال ابن عباس:" كل من كان على دين رجل فهو من شيعته، كل نبي من شيعة إبراهيم صاحبه، فإبراهيم من شيعة محمد، ومحمد من شيعة إبراهيم- عليهما السلام-"[١٢].
الثاني : من شيعة نوح لإبراهيم ، قاله مجاهد[١٣]، ومقاتل[١٤].
قال ابن الجوزي:" الهاء في «شيعته» عائدة على نوح في قول الأكثرين"[١٥].
قوله تعالى: {إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الصافات : ٨٤] ، أي:" حين جاء ربه بقلب بريء من كل اعتقاد باطل وخُلُق ذميم"[١٦].
عن مجاهد، قوله:"{إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}، قال: ليس فيه شك"[١٧].
قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ} [الصافات : ٨٥]، أي:" حين قال لأبيه وقومه منكرًا عليهم: ما الذي تعبدونه من دون الله؟"[١٨].
قوله تعالى: {أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ} [الصافات : ٨٦]، أي:" أتريدون آلهة مختلَقَة تعبدونها وتتركون عبادة الله المستحق للعبادة وحده؟"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٦١/٢١.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢١.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ٦١/٢١.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢١.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٥٤/٥.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٥٤/٥.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٥٤/٥، وزاد المسير: ٥٤٤/٣.
(١٠) انظر: معاني القرآن: ٣٨٨/٢.
(١١) معاني القرآن: ٣٨٨/٢.
(١٢) نقلا عن تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١١/٣.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢١٣):ص٣٢١٩/١٠.
(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦١١/٣.
(١٥) زاد المسير: ٥٤٤/٣.
(١٦) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(١٧) اخجره ابن ابي حاتم(١٨٢١٣):ص٣٢١٩/١٠.
(١٨) التفسير الميسر: ٤٤٩.

قال ابن عطية:" {أَإِفْكاً}: استفهام بمعنى التقرير، أي: أكذبا ومحالا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُون"[٢].

قوله تعالى: {فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصافات : ٨٧]، أي:" فما ظنكم برب العالمين أنه فاعل بكم إذا أشركتم به وعبدتم معه غيره؟"[٣].

قال ابن عطية:" توبيخ وتحذير وتوعد"[٤].

القرآن

{فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠)} [الصافات : ٨٨-٩٠]

التفسير:

فنظر إبراهيم نظرة في النجوم -على عادة قومه في ذلك- متفكرًا فيما يعتذر به عن الخروج معهم إلى أعيادهم، فقال لهم: إني مريض. وهذا تعريض منه. فتركوه وراء ظهورهم.

قوله تعالى: {فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩)} [الصافات : ٨٨ - ٨٩]، أي:" فنظر إبراهيم نظرة في النجوم -على عادة قومه في ذلك- متفكرًا فيما يعتذر به عن الخروج معهم إلى أعيادهم، فقال لهم: إني مريض"[٥].

قال الطبري:" ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم، فرأى نجما قد طلع، فعصب رأسه وقال: إني مَطْعُون، وكان قومه يهربون من الطاعون، فأراد أن يتركوه في بيت آلهتهم، ويخرجوا عنه، ليخالفهم إليها فيكسرها"[٦].

وفي قوله تعالى: {فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ} [الصافات : ٨٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنها كلمة من كلام العرب إذا تفكر الرجل في أمره وتدبر ماذا يفعل، قالوا: قد نظر في النجوم ، قاله قتادة[٧]،الخليل[٨]، والمبرد[٩].

وثم في معناه وجهان:

الوجه الاول: معناه: فنظر فيما نجم من الأشياء فعلم أن لها خالقا ومدبرا، وأنه يتغير كتغيرها. حكاه القرطبي[١٠].

الوجه الثاني: معناه: أنه نظر فيما نجم من قولهم، أي: ظهر، وذلك أنهم لما كلفوه أن يخرج معهم تفكر نبي الله-عليه السلام-فيما يعمل، فعلم أن كل شيء يسقم، فقال: إني سقيم. حكاه الماوردي عن الحسن[١١].

الثاني: معناه: نظر إلى النبات، كقوله: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ} [الرحمن: ٦]، وأراد بـ«النجم»: ما لا ساق له من النبات، وبـ«الشجر»: ما له ساق. وهذا قول أبو عمرو بن العلاء[١٢].

الثالث: أنه نظر في علم النجوم أو في كتبها أو في أحكامها على ما ينظر فيه أهل النجوم[١]، وكايدهم بذلك عن دينه، وكانوا أهل نجوم، ويزعمون أن الأحكام تصدر منها، والحوادث تكون

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٢) المحرر الوجيز: ٤٧٨/٤.
(٣) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٤) المحرر الوجيز: ٤٧٨/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٦) تفسير الطبري: ٦٣/٢١.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٢١٦):ص٣٢١٩/١٠.
(٨) نقلا عن تفسير السمعاني: ٤٠٤/٤.
(٩) نقلا عن تفسير السمعاني: ٤٠٤/٤.
(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٩٢/١٥-٩٣.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٥٥/٥.
(١٢) نقلا عن تفسير التستري: ١٣١.

عنها؛ فنظر في النجوم، وقال هذه المقالة ليتركوه، ويتوصل بذلك إلى كيد أصنامهم. وهذا قول سعيد بن المسيب[٢].

عن قتادة، عن سعيد بن المسيب:"أنه رأى نجما طلع فقال: {إني سقيم}، قال: كايد[٣] نبي الله عن دينه، فقال: إني سقيم"[٤].

وحكي الماوردي عن عبيد الله بن عائشة :"أن علم النجوم كان من النبوة، فلما حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون أبطل ذلك، فنظر إبراهيم فيها كان علماً نبوياً"[٥].

وحكى جويبر عن الضحاك :"أن علم النجوم كان باقياً إلى زمن عيسى ابن مريم عليه السلام حتى دخلوا عليه في موضع لا يطلع عليه فقالت لهم مريم من أين علمتم موضعه ؟ قالوا : من النجوم ، فدعا ربه عند ذلك فقال : اللهم فوهمهم في علمها فلا يعلم علم النجوم أحد ، فصار حكمها في الشرع محظوراً وعلمها في الناس مجهولاً"[٦].

قال الكلبي:" كانوا بقرية بين البصرة والكوفة يقال لها: هرمزخرد، وكانوا ينظرون في النجوم قال: {فنظر نظرة في النجوم {٨٨} فقال إني سقيم {٨٩} } [الصافات: ٨٨-٨٩]، أي: مطعون"[٧].

قال ابن قتيبة:" كان العصر الذي بعث الله، عز وجل، فيه إبراهيم، ﷺ، عصر نجوم وكهانة، وإنما أمر نمروذ بقتل الولدان في السنة التي ولد فيها إبراهيم، ﷺ، لأن المنجمين والكهان قالوا: إنه يولد في تلك السنة من يدعو إلى غير دينه، ويرغب عن سنته، وكان القوم يعظمون النجوم، ويقضون بها على غائب الأمور، ولذلك نظر إبراهيم نظرة في النجوم فقال: {إِنِّي سَقِيم} [الصافات: ٨٩]، وكان القوم يريدون الخروج إلى مجمع لهم، فأرادوه على أن يغدو معهم، وأراد كيد أصنامهم خلاف مخرجهم، فنظر نظرة في النجوم، يريد علم النجوم، أي: في مقياس من مقاييسها، أو سبب من أسبابها، ولم ينظر إلى النجوم أنفسها، يدلك على ذلك قوله: {فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ} [الصافات: ٨٨]، ولم يقل: إلى النجوم. وهذا كما يقال: فلان ينظر في النجوم، إذا كان يعرف حسابها، وفلان ينظر في الفقه والحساب والنحو، وإنما أراد بالنظر فيها: أن يوهمهم أنه يعلم منها ما يعلمون، ويتعرف في الأمور من حيث يتعرفون، وذلك أبلغ في المحال، وألطف في المكيدة "[٨].

قال ابن عطية:" قال الجمهور نظر نجوم السماء، وروي أن علم النجوم كان عندهم منظورا فيه مستعملا فأوهمهم هو من تلك الجهة، وذلك أنهم كانوا أهل رعاية وفلاحة، وهاتان المعيشتان يحتاج فيهما إلى نظر في النجوم"[٩].

---

(١) قال أبو السعود: ١٩٧/٧:" ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام إيهامهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام الى معيدهم ليتركوه فإن القوم كانوا نجامين فأوهمهم أنه قد استدل بأمارة في النجوم على أنه سقيم أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معبدهم وتركوه في بيت الأصنام".

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/١٩. ط. هاجر.

(٣) في تفسير ابن كثير: ٢٥/٧:" كابد نبي الله عن دينه".

(٤) أخرجه الطبري: ٥٦٧/١٩. ط. هاجر، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢١٤):ص٣٢١٩/١٠، وانظر : الدر المنثور: ١٠٠/٧، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. وفي المصدرين الأخرين بلفظ:" كايديني في النجوم، قال: كلمة من كلام العرب يقول: الله عز دينه".

(٤) في تفسير ابن كثير: ٢٥/٧:" كابد نبي الله عن دينه".

(٥) انظر: النكت والعيون: ٥٥/٥، وتفسير السمعاني: ٤٠٤/٤. عبيد الله بن عبيد الله بن معمر: هو عبيد الله بن محمد بن عائشة اسم جده حفص بن عمر ابن موسى ابن عبيد الله بن معمر التيمي ويقال له: ابن عائشة نسبة إلى عائشة بنت طلحة لأنه من ذريتها، وهو ثقة، جواد من كبار العاشرة، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين.

(٦) حكاه الماوردي في النكت والعيون: ٥٦/٥.

(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٦/٢.

(٨) غريب القرآن: ٢٠١.

(٩) المحرر الوجيز: ٤٧٨/٤.

وفي قوله تعالى: {فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ} [الصافات : ٨٩]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنه استدل بها على وقت حمى كانت تأتيه، إذ أعلمه الله عز وجل أنه يمتحنه بالسقم إذا طلع نجم يعرفه، فلما رأى النجم، علم أنه سيسقم. قاله ابن الانباري[١].

قال القرطبي:" قيل: كانت الساعة التي دعوه إلى الخروج معهم فيها ساعة تغشاه فيها الحمى"[٢].

قال أبو السعود:" قيل كانت له عليه الصلاة والسلام حمى لها نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فإذا هي قد حضرت، {فقال إنى سقيم} وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم"[٣].

الثاني : معناه: سأسقم سقم الموت، لأن من كتب عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت، وهذا تورية وتعريض. قاله الضحاك[٤]، وابن قتيبة[٥]، وضعّفه الطبري[٦].

قال الضحاك:" قالوا لإبراهيم وهو في بيت آلهتهم: أخرج معنا، فقال لهم: إني مطعون، فتركوه مخافة أن يعديهم"[٧].

قال ابن قتيبة:" أي: سأسقم فلا أقدر على الغدوّ معكم. هذا الذي أوهمهم بمعاريض الكلام، ونيّته أنه سقيم غدا لا محالة، لأن من كانت غايته الموت ومصيره إلى الفناء- فسيسقم. ومثله قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر: ٣٠] ولم يكن النبي، صلّى الله عليه وسلم، ميّتا في ذلك الوقت، وإنما أراد: أنك ستموت وسيموتون"[٨].

قال السمعاني: معناه:" سأسقم، ولا بد لكل صحيح أن يسقم"[٩].

الثالث : معناه: سقيم النفس بما أرى من قبح أفعالكم في عبادة غير الله، فظهر لهم من كلامه أنه أراد سقما بالجسد حاضرا وهكذا هي المعاريض. حكاه الماوردي[١٠].

قال ابن عطية:" وهذا التأويل لا يرده الحديث وذكر الكذبات لأنه قد يقال لها كذب على الاتساع بحسب اعتقاد المخبر، والكذب الذي هو قصد قول الباطل، والإخبار بضد ما في النفس بغير منفعة شرعية، هو الذي لا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم"[١١].

الرابع: أن المعنى: إني سقيم القلب عليكم إذ تكهنتم بنجوم لا تضر ولا تنفع. قاله ابن الأنباري"[١٢].

الخامس : أنه سقم لعلة عرضت له. حكاه الماوردي[١٣].

السادس : أنه أشار لهم إلى مرض وسقم يعدي كالطاعون، وكانوا يهربون من الطاعون. قال ابن عباس[١٤]، وابن جبير[١٥]، والضحاك[١٦]، وسفيان[١٧]، وزيد بن أسلم[١٨].

---

(١) نقلا عن زاد المسير: ٥٤٥/٣.
(٢) تفسير القرطبي: ٩٢/١٥.
(٣) تفسير أبي السعود: ١٩٦/٧-١٩٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٣/٢١، ووتفسير القرطبي: ٩٣/١٥.
(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٠١.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٥/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٣/٢١.
(٨) غريب القرآن: ٢٠١.
(٩) تفسير السمعاني: ٤٠٤/٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٥٦/٥.
(١١) المحرر الوجيز: ٤٧٨/٤.
(١٢) زاد المسير: ٥٤٥/٣.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٥٦/٥.
(١٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٠٠/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وانظر: تفسير القرطبي: ٩٣/١٥.
(١٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٠٠/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وانظر: تفسير القرطبي: ٩٣/١٥.
(١٦) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ٩٣/١٥.
(١٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٠٠/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٣/٢١-٦٤.

قال زيد بن أسلم:" أرسل إليه ملكهم، فقال: إن غدا عيدنا، فاحضر معنا، قال: فنظر إلى نجم فقال: إن ذلك النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقم لي، فقال: {إِنِّي سَقِيمٌ}"(١).

قال السمعاني:قيل:" أنه كان نجم يطلع في ذلك الزمان، وكان كل من نظر إليه يزعمون أنه يصيبه الطاعون، ويقال: إنه كان زحل؛ فقوله: {فنظر نظرة في النجوم} أي: نظر إلى النجم: {فقال إني سقيم} أي: أصابني الطاعون على ما تزعمون، وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما، ويزعمون أنه يعدي"(٢).

قال الزجاج: قال لقومه -وقد رأى نجما-: إني سقيم، فأوهمهم أن الطاعون به"(٣).

قال الثعلبي:" الصحيح أنه لم يكن سقيما، لما روي عن النبي -عليه السلام- أنه قال: «لقد كذب إبراهيم ثلاث كذبات، ما منها واحدة إلا وهو بماحل وناصل بها عن دينه»(٤)"(٥).

قال الطبري:" قوله {إِنِّي سَقِيمٌ}: أي: طعين، أو لسقم كانوا يهربون منه إذا سمعوا به، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه، ليبلغ من أصنامهم الذي يريد"(٦).

وروى أبو هريرة عن النبي -ﷺ-، أنه قال :" لم يكذب إبراهيم غير ثلاث : ثنتين في ذات الله عز وجل، قوله:{إِنِّي سَقِيم}، وقوله:{بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} ، وقوله في سارة : هِي أُخْتِي"(٧).

قال الضحاك:" قالوا لإبراهيم وهو في بيت آلهتهم: أخرج معنا، فقال لهم: إني مطعون، فتركوه مخافة أن يعديهم"(٨).

عن سفيان، قوله: "{إني سقيم}، قال: طعين، وكانوا يفرون من المطعون"(٩).

قوله تعالى:{فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ} [الصافات : ٩٠]، أي:" فتركوه وراء ظهورهم"(١٠).

قال الطبري:" يقول: فتولوا عن إبراهيم مدبرين عنه، خوفا من أن يعدِيَهُمْ السقم الذي ذكر أنه به"(١١).

قال القرطبي:" أي: فارين منه خوفا من العدوى"(١٢).

عن قتادة: "{فَتَوَلَّوْا}، فنكصوا عنه، {مُدْبِرِينَ}: منطلقين"(١٣).

عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس :"{إِنِّي سَقِيمٌ}، يقول: مطعون فتولَّوا عنه مدبرين، قال سعيد: إن كان الفرار من الطاعون لقديما"(١).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١/٦٣-٦٤.
(٢) تفسير السمعاني: ٤/٤٠٤.
(٣) معاني القرآن: ٤/٣٠٨.
(٤) سوف يأتي تخريجه.
(٥) الكشف والبيان: ٨/١٤٨.
(٦) تفسير الطبري: ٢١/٦٤.
(٧) اخرجه الطبري: ٢١/٦٤، وأخرجه أحمد (٢/٤٠٣، رقم ٩٢٣٠) ، والبخارى (٥/١٩٥٥، رقم ٤٧٩٦) ، ومسلم (٤/١٨٤٠، رقم ٢٣٧١).
ونص الحديث: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن فى ذات الله قوله {إنى سقيم} [الصافات: ٨٩] وقوله {بل فعله كبيرهم هذا} [الأنبياء: ٦٣] وبينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها قال من هذه قال: أختى، فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك وإن هذا سألنى فأخبرته أنك أختى فلا تكذبينى، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخِذَ، فقال: ادعى الله لى ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها ثانية فأُخِذَ مثلها أو أشد فقال ادعى الله لى ولا أضرك فدعت فأُطلق فدعا بعض حَجَبَتِهِ فقال إنك لم تأتنى بإنسان إنما أتيتنى بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلى فأومأ بيده مهيم قالت رد الله كيد الفاجر فى نحره وأخدم هاجر».
(٨) أخرجه الطبري: ٢١/٦٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢١٨):ص١٠/٣٢١٩.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(١١) تفسير الطبري: ٢١/٦٥.
(١٢) تفسير القرطبي: ١٥/٩٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢١/٦٥.

القرآن

{فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٢)} [الصافات : ٩١-٩٢]

التفسير:

فمال مسرعًا إلى أصنام قومه فقال مستهزئًا بها: ألا تأكلون هذا الطعام الذي يقدمه لكم سدنتكم؟ ما لكم لا تنطقون ولا تجيبون مَن يسألكم؟

قوله تعالى:{فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} [الصافات : ٩١]، أي:" فمال مسرعًا إلى أصنام قومه فقال مستهزئًا بها: ألا تأكلون هذا الطعام الذي يقدمه لكم سدنتكم؟"(٢).

قال مقاتل:" إلى الصنم الكبير وهو في بيت، فقال للآلهة: لأألا تأكلون} الطعام الذي بين أيديكم"(٣).

قال ابن كثير:" أي : ذهب إليها بعد أن خرجوا في سرعة واختفاء ، { فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ } ، وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتُبرّك لهم فيه"(٤).

قال الطبري:يقول:" فمال إلى آلهتهم بعد ما خرجوا عنه وأدبروا، فقرّب إليها الطعام فلم يرها تأكل، فقال لها: {أَلا تَأْكُلُونَ} فلما لم يرها تأكل قال لها: ما لكم لا تأكلون، وأصل قوله« فَرَاغَ» من قولهم: راغ فلان عن فلان: إذا حاد عنه، فيكون معناه إذا كان كذلك: فراغ عن قومه والخروج معهم إلى آلهتهم؛ كما قال عدي بن زيد(٥):

حِينَ لا يَنْفَعُ الرَّوَاغُ وَلا يَنْ ... فَعُ إلا المُصَادِقُ النِّحْرِير

يعني بقوله: «لا ينفع الرّوَاغ»: الحِياد"(٦).

عن قتادة: "{فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ}، أي: فمال إلى آلهتهم، قال: ذهب، {قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ}، يستنطقهم "(٧).

عن السديّ، قوله: "{فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ}، قال: ذهب"(٨).

قال الزمخشري:" فذهب إلى أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة في خفية، من روغة الثعلب"(٩).

قوله تعالى:{مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ} [الصافات : ٩٢]، أي:" ما لكم لا تنطقون ولا تجيبون مَن يسألكم؟"(١٠).

قال مقاتل:" ما لكم لا تكلمون؟ ما لكم لا تردون جوابا، أتأكلون، أولا تأكلون"(١١).

قال الطبري:" فلم يرها تنطق، فقال لها: {مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ}، مستهزئا بها"(١٢).

قال الزمخشري:" قوله:{أَلا تَأْكُلُونَ ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ}، استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها "(١٣).

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٥/٢١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٢/٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٥/٧.
(٥)البيت نسبه الطبري لعدي بن زيد العبادي، ولم أجده في ترجمته في الأغاني ولا في شعره في شعراء النصرانية. ولعله من قصيدته التي مطلعها: "أرواح مودع أم بكور".
(٦) تفسير الطبري: ٦٥/٢١-٦٦.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٦/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٦/٢١.
(٩) الكشاف: ٤/ ٥٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٢/٣.
(١٢) تفسير الطبري: ٦٦/٢١.
(١٣) الكشاف: ٤/ ٥٠.

القرآن
{فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣)} [الصافات : ٩٣]
التفسير:
فأقبل على آلهتهم يضربها ويكسّرِها بيده اليمني؛ ليثبت لقومه خطأ عبادتهم لها.
قال الفراء:" أي: مال عليهم ضربا، واغتنم خلوتهم من أهل دينهم"[١].
قال أبو عبيدة:" أي: أجال عليهم ضربا للآلهة"[٢].
قال الطبري: يقول:" فمال على آلهة قومه ضربا لها باليمين بفأس في يده يكسرهن"[٣].
قال الزمخشري:" معنى «ضربا بِالْيَمِينِ»: ضربا شديدا قويا، لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّهما. وقيل: بالقوّة والمتانة: وقيل: بسبب الحلف، وهو قوله: {تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ}"[٤].
قال ابن كثير:" وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى ؛ ولهذا تركهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون"[٥].
قال ابن قتيبة:" لأن في اليمين القوة وشدّة البطش، فأخبرنا عن شدة ضربه بها.
وقال الشمّاخ [٦]:
إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقّاها عرابة باليمين
أي أخذها بقوة ونشاط"[٧].
قال يحيى:" فكسرها إلا كبيرهم"[٨].
قال ابن عباس:" لما خلا جعل يضرب آلهتهم باليمين"[٩].
قال قتادة:" فأقبل عليهم يكسرهم"[١٠]. وفي رويتة:" أي: فأقبل عليهن فكسرهن"[١١].
قال ابن إسحاق:" ثم أقبل عليهم كما قال الله ضربا باليمين، ثم جعل يكسرهنّ بفأس في يده"[١٢].
قال خالد بن عبد الله الجُشَمِي: "سمعت الحسن قرأ:«فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفْقًا بِالْيَمِينِ»، أي: ضربا باليمين"[١٣].

القرآن
{فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤)} [الصافات : ٩٤]
التفسير:

---
(١) معاني القرآن: ٣٨٨/٢.
(٢) مجاز القرآن: ١٧١/٢.
(٣) تفسير الطبري: ٦٧/٢١.
(٤) الكشاف: ٤/ ٥٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٢٦/٧.
(٦)البيت من الوافر، وهو للشماخ في ديوانه ص ٣٣٦، ولسان العرب (عرب) ، (يمن) ، وتهذيب اللغة ٨/ ٢٢١، ١٥/ ٥٢٣، وجمهرة اللغة ص ٣١٩، ٩٩٤، وتاج العروس (عرب) ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥٨، والإصابة ٤/ ٢٣٤، والشعر والشعراء ١/ ٢٧٨، وخزانة الأدب ١/ ٤٥٣، ٢/ ٢٢٣، وتفسير البحر المحيط ١/ ١٦٠، والعمدة ٢/ ١٣١، وأمالي القالي ١/ ٢٧٤، ونقد الشعر ص ٢٥، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري ٢١/ ٣١.
(٧) تأويل مشكل القرآن: ١٥٣.
(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٦/٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٧/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٧/٢١.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٢٠):ص٣٢١٩/١٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٧/٢١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٧/٢١.

فأقبلوا إليه يَعْدُون مسرعين غاضبين.

قال البغوي:" {فأقبلوا إليه} يعني: إلى إبراهيم {يزفون} يسرعون، وذلك أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه"[١].

قال ابن كثير:" فإنهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا ، فعرفوا أن إبراهيم ، عليه السلام ، هو الذي فعل ذلك"[٢].

اختلف أهل العلم في تفسير الآية على أقوال:

أحدها : معناه: فأقبل قوم إبراهيم إلى إبراهيم يَجْرُون، قاله ابن عباس[٣].

الثاني : معناه: يمشون. قاله السدي[٤].

وقال مقاتل:" يمشون إلى إبراهيم يأخذونه بأيديهم [٥].

الرابع :معناه: يسعون، قاله قتادة[٦]، والضحاك[٧].

الخامس : معناه: يبتدرونه. قاله الحسن[٨].

السادس : معناه: يسرعون إليه. قاله محمد بن يزيد[٩]،وأبو عبيدة[١٠]، وابن قتيبة[١١]،والزجاج[١٢].

قتيبة[١١]،والزجاج[١٢].

قال محمد بن يزيد: "الزفيف: الإسراع"[١٣].

قال ابن قتيبة:" أي: يسرعون إليه في المشي. يقال: زفت النعامة"[١٤].

قال أبو عبيدة:" تقول العرب للنعامة: تزفّ وهو أول عدوها وآخر مشيها، وجاءنى الرجل يزفّ زفيف النعامة، أي: من سرعته"[١٥].

قال الواحدي:" معنى يزفون في قول أهل اللغة: يسرعون"[١٦].

السابع : يتسللون ، حكاه ابن عيسى[١٧].

الثامن : يرعدون غضباً ، حكاه يحيى بن سلام[١٨].

التاسع : يختالون، وهو مشي الخيلاء، قالهه ابن مجاهد عن أبيه [١٩]، ومنه: أخذ زفاف العروس إلى زوجها، وقال الفرزدق[٢٠]:

---

(١) تفسير البغوي: ٤٥/٧.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٦/٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٩/٢١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٩/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢١.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٢٠):ص٣٢١٩/١٠.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٥٧/٥، والتفسير البسيط للواحدي: ٧٧/١٩.
(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٦/٣.
(٩) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٩٠/٣.
(١٠) انظر: مجاز القرآن: ١٧١/٢.
(١١) انظر: غريب القرآن: ٣٧.
(١٢) انظر: معاني القرآن: ٣٠٩/٤.
(١٣) نقلا عن إعراب القرآن للنحاس: ٢٩٠/٣.
(١٤) غريب القرآن: ٣٧.
(١٥) مجاز القرآن: ١٧١/٢.
(١٦) التفسير البسيط: ٧٦/١٩.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٥٧/٥.
(١٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٦/٣.
(١٩)حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٦/٣، والماوردي في النكت والعيون: ٥٧/٥، والقرطبي في التفسير: ٩٥/١٥.
(٢٠)البيت من الطويل وهو للفرزدق في "ديوانه" ٢/ ٢٧، "مقاييس اللغة" ١/ ١١٩، "لسان العرب" ٨/ ٢٦٧ (قرع).
والقريع من الإبل الذي يأخذ بذراع الناقة فينيخها، "اللسان" ٨/ ٢٦٧ (قرع). والشول جمع شائلة وهي من الإبل

وَجَاءَ قَرِيعُ الشَّوْلِ قَبْلَ إِفَالِهَا ... يَزِفُّ وَجَاءَتْ خَلْفَهُ وَهِيَ زُفَّفُ
وقرئ: «يُزِفُّونَ»، بضم الياء وتشديد الفاء، من: أزف فهو يزف(١).
قال مجاهد:" الوزيف: النَّسَلان"(٢).

القرآن
{قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)} [الصافات : ٩٥-٩٦]
التفسير:
فلقيهم إبراهيم بثبات قائلا كيف تعبدون أصنامًا تنحتونها أنتم، وتصنعونها بأيديكم، وتتركون عبادة ربكم الذي خلقكم، وخلق عملكم؟
قوله تعالى: {قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ} [الصافات : ٩٥]، أي:" أي أتبعدون أصناماً نحتموها بأيديكم، وصنعتموها بأنفسكم؟"(٣).
قال ابن كثير:" فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبهم ، فقال : أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم ؟!"(٤).
عن قتادة:"{أتعبدون ما تنحتون}: من الأصنام"(٥).
قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات : ٩٦]، أي:" وتتركون عبادة ربكم الذي خلقكم، وخلق عملكم؟"(٦).
قال قتادة:" خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم"(٧).
قال البغوي:" {والله خلقكم وما تعملون} بأيديكم من الأصنام، وفيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى"(٨).
قال السمعاني:" {والله خلقكم وما تعملون} من هذه الأصنام، فإذا كان الله خلقها فلا يصلح أن تتخذوها آلهة، وفي الآية دليل على أهل الاعتزال في أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى والدليل في ذلك واضح، وهو معلوم في الكتب"(٩).
قال ابن جزي الكلبي:" ذهب قوم إلى أن ما مصدرية والمعنى: الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد، وقيل: إنها موصولة بمعنى الذي والمعنى: الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها، وهذا أليق بسياق الكلام، وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام، وقيل: إنها نافية، وقيل: إنها استفهامية، وكلاهما باطل"(١٠).
قال ابن كثير:" يحتمل أن تكون «م» مصدرية ، فيكون تقدير الكلام : والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى "الذي" تقديره : والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازم ، والأول أظهر ؛ لما رواه البخاري في كتاب «أفعال العباد»، ..عن حذيفة مرفوعا قال : «إن الله يصنع كل صانع وصنعته»(١١)"(١).

ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخفَّ لبنها، "اللسان" ١١/ ٣٧٤ (شول).
(١) انظر: السبعة في القراءات: ٥٤٨، وتفسير الطبري: ٦٨/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٩/٢١.
(٣) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦/٧.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٢٠):ص٣٢١٩/١٠.
(٦) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٢٠):ص٣٢٢٠/١٠.
(٨) تفسير البغوي: ٤٥/٧.
(٩) تفسير السمعاني: ٤٠٥/٤.
(١٠) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٤/٢-١٩٥.
(١١)أخرجه البخاري في " خلق أفعال العباد " (١١٧)، وابن أبي عاصم (٣٥٧)، والبزار (٢١٦٠)، والحاكم ١/ ٣١ - ٣٢، والبيهقي في " الأسماء والصفات " ص ٢٦٠ و٣٨٨، وفي " الاعتقاد " ص ١٤٤، والخطيب في " تاريخه " ٢/ ٣١ من طريقين عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة. وهذا إسناد صحيح.

القرآن
{قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧)} [الصافات : ٩٧]
التفسير:
فلما قامت عليهم الحجة لجؤوا إلى القوة، وقالوا: ابنوا له بنيانًا واملؤوه حطبًا، ثم ألقوه فيه.
قال الطبري:" قال قوم إبراهيم- لما قال لهم إبراهيم: {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}-: ابنوا لإبراهيم بنيانا؛ ذكر أنهم بنوا له بنيانا يشبه التنور، ثم نقلوا إليه الحطب، وأوقدوا عليه {فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ}، والجحيم عند العرب: جمر النار بعضُه على بعض، والنار على النار"[٢].
قال القرطبي:" أي: تشاوروا في أمره لما غلبهم بالحجة : {قالوا ابنوا له بنيانا} تملئونه حطبا فتضرمونه، ثم ألقوه فيه وهو الجحيم، والألف واللام في«الجحيم» تدل على الكناية، أي في جحيمه، أي في جحيم ذلك البنيان"[٣].
قال ابن ابي زمنين:" فجمعوا الحطب زمانا، ثم جاءوا بإبراهيم، فألقوه في تلك النار"[٤].
قال ابن كثير:" فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر ، فقالوا : { ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ }"[٥].
قال يحيى بن سلام:" {ابنوا له بنيانا} : يقوله بعضهم لبعض"[٦].
قال الزجاج:" كل نار بعضها فوق بعض، وهي جحم"[٧].
قال السمعاني:" {بنيانا} أي: حظيرة، وقيل: إيوانا"[٨].
قال ابن جزي الكلبي:" البنيان في موضع النار، وقيل: بل كان للمنجنيق، الذي رمى عنه"[٩].
قال ابن عباس: بنوا حائطا من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعا، وعرضه عشرون ذراعا {فألقوه في الجحيم} في نار عظيمة"[١٠].
قال الحسن: فجمعوا الحطب زمانا حتى إن الشيخ الكبير الذي لم يخرج من بيته قبل ذلك زمانا كان يجيء بالحطب، فيلقيه يتقرب به إلى آلهتهم فيما يزعم، ثم جاءوا بإبراهيم، فألقوه في تلك النار"[١١].
قال يحيى: "بلغني أنهم رموا به في المنجنيق، فكان ذلك أول ما صنع المنجنيق"[١٢].

القرآن
{فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨)} [الصافات : ٩٨]
التفسير:
فأراد قوم إبراهيم به كيدًا لإهلاكه، فجعلناهم المقهورين المغلوبين، وردَّ الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم بردًا وسلامًا.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٦/٧.
(٢) تفسير الطبري: ٧٠/٢١.
(٣) تفسير القرطبي: ٩٧/١٥.
(٤) تفسير ابن ابي زمنين: ٦٥/٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٢٦/٧.
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٧/٢.
(٧) معاني القرآن: ٣١٠/٤.
(٨) تفسير السمعاني: ٤٠٥/٤.
(٩) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٤/٢-١٩٥.
(١٠) نقلا عن تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٣.
(١١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٧/٢.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٧/٢.

قوله تعالى:{فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا} [الصافات : ٩٨]، أي:" فأراد قوم إبراهيم به كيدًا لإهلاكه"(١).

قال ابن جزي الكلبي:" يعني: حرقه بالنار"(٢).

قال الطبري: يقول:" فأراد قوم إبراهيم كيدًا، وذلك ما كانوا أرادوا من إحراقه بالنار"(٣).

قال القرطبي:" الكيد: المكر، أي: احتالوا لإهلاكه"(٤).

قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ} [الصافات : ٩٨]، أي:" فجعلناهم المقهورين المغلوبين، وردَّ الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم بردًا وسلامًا"(٥).

قال الطبري: "أي: فجعلنا قوم إبراهيم الأذلين حجة، وغَلَّبنا إبراهيم عليهم بالحجة، وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد"(٦).

قال الزمخشري:" الأسفلين: المقهورين"(٧).

قال القرطبي:" الأسفلين: المقهورين المغلوبين إذ نفذت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها، ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم"(٨).

قال ابن كثير:" نجاه الله من النار وأظهره عليهم ، وأعلى حجته ونصرها "(٩).

قال قتادة:" فما ناظرهم الله بعد ذلك حتى أهلكهم"(١٠).

قال مقاتل:" وعلاهم إبراهيم- عليه السلام- وسلمه الله- عز وجل- وحجزهم عنه فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى أهلكهم الله- عز وجل- فما بقيت يومئذ دابة إلا جعلت تطفئ النار عن إبراهيم- عليه السلام-، غير الوزغ كانت تنفخ النار على إبراهيم، فأمر النبي- ﷺ- بقتلها"(١١).

قال القشيري:" ردّ الله كيدهم إلى نحورهم. وقد تعرّض له جبريل- عليه السلام- وهو في الهواء وقد رمى من المنجنيق فعرض عليه نفسه قائلا: هل من حاجة؟ فأجاب: أمّا إليك.. فلا!"(١٢).

فوائد الآيات:[٨٣-٩٨]:

١- أصل الدين واحد فالإسلام هو دين الله الذي تعبد به آدم فمن بعده إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- كمال إبراهيم في سلامة قلبه من الالتفات إلى غير الله تعالى حتى إن جبريل قد عرض له وهو في طريقه إلى الجحيم الذي أعده له قومه فقال: «يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أمَّا إليك فلا»(١٣).

٣- من أقبح الكذب ادعاء أن غير الله يعبد مع الله تبركا به أو طلباً لشفاعته.

٤- وجوب تغيير المنكر عند القدرة عليه.

٥- بيان ابتلاء إبراهيم وأنه ألقي في النار فصبر، ولذا أكرمه ربه بما سيأتي في السياق بيانه.

القرآن

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٤/٢-١٩٥.
(٣) تفسير الطبري: ٢١/ ٧١.
(٤) تفسير القرطبي: ٩٧/١٥.
(٥) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٦) تفسير الطبري: ٢١/ ٧١.
(٧) الكشاف: ١٤٩/٨.
(٨) تفسير القرطبي: ٩٧/١٥.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٦/٧.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٢٠):ص٣٢٢٠/١٠.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٣.
(١٢) لطائف الإشارات: ٢٣٦/٣-٢٣٧. والحديث أخرجه الطبري: ٤٦٧/١٨ بنحوه.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٦٧/١٨.

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)} [الصافات : ٩٩-١٠٠]

التفسير:

وقال إبراهيم: إني مهاجر إلى ربي من بلد قومي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي؛ فإنه سيدلني على الخير في ديني ودنياي. رب أعطني ولدًا صالحًا.

قوله تعالى:{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الصافات : ١٠٠]، أي:" وقال إبراهيم: إني مهاجر إلى ربي من بلد قومي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي؛ فإنه سيدلني على الخير في ديني ودنياي"(١).

قال الطبري:" يقول: وقال إبراهيم لما أفْلَجَه الله على قومه ونجاه من كيدهم: إني مُهَاجِرٌ من بلدة قومي إلى الله: أي إلى الأرض المقدَّسة، ومفارقهم، فمعتزلهم لعبادة الله، سيثبتني على الهدى الذي أبصرته، ويعيننى عليه"(٢).

قال قتادة:" ذاهب بعمله وقلبه ونيته"(٣).

وقال سليمان بن صُرَد: "لما أرادوا أن يُلْقوا إبراهيم في النار {قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ}، فجمع الحطب، فجاءت عجوز على ظهرها حطب، فقيل لها: أين تريدين؟ قالت: أريد أذهب إلى هذا الرجل الذي يُلْقَى في النار؛ فلما ألقي فيها، قال: حَسْبِيَ الله عليه توكلت، أو قال: حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فقال الله: {يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}، قال: فقال ابن لُوط، أو ابن أخي لوط: إن النار لم تحرقه من أجلي، وكان بينهما قرابة، فأرسل الله عليه عُنُقا من النار فأحرقته"(٤).

قوله تعالى:{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات : ١٠٠]، أي:" رب أعطني ولدًا صالحًا"(٥).

قال الطبري:" وهذا مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولدا صالحا؛ يقول: قال: يا رب هب لي منك ولدا يكون من الصالحين الذين يطيعونك، ولا يعصونك، ويصلحون في الأرض، ولا يفسدون"(٦).

عن السديّ، قوله: "{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ}، قال: ولدا صالحا"(٧).

قال ابن كثير:" يعني : أولادا مطيعين عوَضًا من قومه وعشيرته الذين فارقهم"(٨).

القرآن

{فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)} [الصافات : ١٠١]

التفسير:

فأجبنا له دعوته، وبشَّرناه بغلام حليم، أي: يكون حليمًا في كبره، وهو إسماعيل.

قال الطبري:يقول:" فبشَّرنا إبراهيم بغلام ذي حِلْم إذا هو كَبِر، فأما في طفولته في المهد، فلا يوصف بذلك"(٩).

قال عكرمة:" هو إسحاق"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٢) تفسير الطبري :٧١/٢١-٧٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٧١/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ٧١/٢١.
(٥) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٦) تفسير الطبري: ٧٢/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ٧٢/٢١.
(٨) تفسير ابن كثير: ٢٧/٧.
(٩) تفسير الطبري: ٧٢/٢١.
(١٠) أخرجه الطبره: ٧٢/٢١.

قال قتادة:" بشر بإسحاق، قال: لم يُثْن بالحلم على أحد غير إسحاق وإبراهيم"[1].

قال ابن كثير:" وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام ، فإنه أولُ ولد بشر به إبراهيم ، عليه السلام ، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، بل في نص كتابهم أن إسماعيل وُلِدَ ولإبراهيم ، عليه السلام ، ست وثمانون سنة ، وولد إسحاق وعمْر إبراهيم تسع وتسعون سنة. وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده ، وفي نسخة : بكْره ، فأقحموا هاهنا كذبا وبهتانا «إسحاق»، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم ، وإنما أقحموا «إسحاق»، لأنه أبوهم ، وإسماعيل أبو العرب ، فحسدوهم ، فزادوا ذلك وحَرّفوا وحيدك ، بمعنى الذي ليس عندك غيره ، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة وهذا تأويل وتحريف باطل ، فإنه لا يقال : «وحيد» إلا لمن ليس له غيره ، وأيضا فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد ، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار، وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق ، وحكي ذلك عن طائفة من السلف ، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضا ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك تُلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب ، وأخذ ذلك مسلما من غير حجة. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل ، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم ، وذكر أنه الذبيح ، ثم قال بعد ذلك : { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ }. ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا : { إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ } [الحجر : ٥٣]. وقال تعالى : { فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ } [هود : ٧١] ، أي : يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب ، فيكون من ذريته عقب ونسل. وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير ؛ لأن الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب ، ويكون له نسل ، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرا ، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم ؛ لأنه مناسب لهذا المقام"[2].

القرآن

{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)} [الصافات : ١٠٢]

التفسير:

فلما كَبِر إسماعيل ومشى مع أبيه قال له أبوه: إني أرى في المنام أني أذبحك، فما رأيك؟ (ورؤيا الأنبياء حق) فقال إسماعيل مُرْضيًا ربه، بارًّا بوالده، معينًا له على طاعة الله: أمض ما أمرك الله به مِن ذبحي، ستجدني -إن شاء الله- صابرًا طائعًا محتسبًا.

قوله تعالى:{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ} [الصافات : ١٠٢]، أي:" فلما ترعرع وشبَّ وبلغ السنَّ الذي يمكنه أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه"[3].

قال الطبري: "يقول: فلما بلغ الغلام الذي بشر به إبراهيم مع إبراهيم العمل، وهو السعي، وذلك حين أطاق معونته على عمله"[4].

قال ابن كثير:" أي : كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه. وقد كان إبراهيم ، عليه السلام ، يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد «فاران» وينظر في أمرهما ، وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعا إلى هناك ، فالله أعلم"[5].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ} [الصافات : ١٠٢]، وجوه:

أحدها : يمشي مع أبيه، قاله قتادة[6]، والسدي[1]، وابن قتيبة[2].

---

(١) أخرجه الطبر: ٢١/٧٢-٧٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٧/٢٧.
(٣) صفوة التفاسير: ٣/٣٦.
(٤) تفسير الطبري: ٢١/٧٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٧/٢٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٧٣-٧٤.

الثاني : أدرك معه العمل، قاله ابن عباس-في رواية-[٣]، وعكرمة[٤]، ومجاهد[٥]، والفراء[٦]، وأبو عبيدة[٧]، والزجاج[٨].

قال مجاهد:" لما شبّ حتى أدرك سعيه سَعْي إبراهيمَ في العمل"[٩].

وقال مجاهد:" لما عمل مثل عمل إبراهيم"[١٠].

قال أبو عبيدة:" أدرك ما أن يسعى على أهله أدرك وأعانه"[١١].

قال الفراء:" يقول: أطاق أن يعينه على عمله وسعيه. وكان إسماعيل يومئذ ابن ثلاث عشرة"[١٢].

الثالث : أنه سعي العمل الذي تقوم به الحجة، قاله الحسن[١٣].

الرابع : أنه السعي في العبادة ، قاله ابن زيد[١٤].

قال ابن عباس : صام وصلى، ألم تسمع الله يقول:{وسعى لها سعيها} [الإسراء : ١٩]"[١٥].

قوله تعالى:{قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات : ١٠٢]، أي:" قال له أبوه: إني أُمرت في المنام أنْ أذبحك"[١٦].

قال ابن الجوزي:" أكثر العلماء على أنه لم ير أنه ذبحه في المنام. وإنما المعنى أنه أمر في المنام بذبحه، ويدل عليه قوله تعالى: {افْعَلْ مَا تُؤْمَر} [الصافات : ١٠٢]، وذهب بعضهم إلى أنه رأى أنه يعالج ذبحه، ولم ير إراقة الدم"[١٧].

عن ابن عباس رضي الله، عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ رؤيا الأنبياء وحي»[١٨].

قوله تعالى:{فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى} [الصافات : ١٠٢]، أي:" فانظر في الأمر، ما رأيك فيه؟"[١٩].

قال ابن كثير:" وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه ، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه"[٢٠].

قوله تعالى:{قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات : ١٠٢]، أي:" فقال إسماعيل مُرْضيًا ربه، بارًّا بوالده، معينًا له على طاعة الله: أمض ما أمرك الله به مِن ذبحي، ستجدني -إن شاء الله- صابرًا طائعًا محتسبًا"[٢١].

---

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٨/٢.
(٢) انظر: تاويل مشكل القرآن: ٢٧٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٣/٢١.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٢٨):ص٣٢٢٠/١٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٣/٢١.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٣٨٩/٢.
(٧) انظر: مجاز القرآن: ١٧١/٢.
(٨) انظر: معاني القرآن: ٣١٠/٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٧٣/٢١.
(١٠) تفسير مجاهد: ٥٦٩.
(١١) مجاز القرآن: ١٧١/٢.
(١٢) معاني القرآن: ٣٨٩/٢.
(١٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٨/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٣/٢١.
(١٥) النكت والعيون: ٦٠/٥.
(١٦) صفوة التفاسير: ٣٦/٣.[بتصرف]
(١٧) زاد المسير: ٥٤٧/٣.
(١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٣١):ص٣٢٢١/١٠.
(١٩) صفوة التفاسير: ٣٦/٣.
(٢٠) تفسير ابن كثير: ٢٨/٧.
(٢١) التفسير الميسر: ٤٤٩.

قال ابن كثير:" أي : امض لما أمرك الله من ذبحي، سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل. وصدق ، صلوات الله وسلامه عليه ، فيما وعد ؛ ولهذا قال الله تعالى : { وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا } [مريم : ٥٤ ، ٥٥]"(١).

القرآن

{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣)} [الصافات : ١٠٣]

التفسير:

فلما استسلما لأمر الله وانقادا له، وألقى إبراهيم ابنه على جبينه -وهو جانب الجبهة- على الأرض؛ ليذبحه.

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَسْلَمَا} [الصافات : ١٠٣]، أي:" فلما استسلما لأمر الله وانقادا له"(٢).

قال الطبري: يقول:" فلما أسلما أمرهما لله وفوّضاه إليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه"(٣).

قال ابن كثير:" أي : فلما تشهدا وذكرا الله تعالى إبراهيم على الذبح والولد على شهادة الموت. وقيل : { أَسْلَمَا }، يعني: استسلما وانقادا ؛ إبراهيم امتثل أمْرَ الله ، وإسماعيل طاعة الله وأبيه"(٤).

قال السدي:" يقول: أسلما لأمر الله"(٥).

قال مجاهد:" أسلما ما أمرا به"(٦).

قال قتادة:" أسلم هذا نفسه لله، وأسلم هذا ابنه لله"(٧).

عن أبي صالح، قوله: "{فَلَمَّا أَسْلَمَا}، قال: اتفقا على أمر واحد"(٨).

قال ابن إسحاق:" أي سلم إبراهيم لذبحه حين أمر به وسلم ابنه للصبر عليه، حين عرف أن الله أمره بذلك فيه"(٩).

قال عكرمة:" أسلما جميعا لأمر الله ورضي الغلام بالذبح، ورضي الأب بأن يذبحه، فقال: يا أبت اقذفني للوجه كيلا تنظر إلي فترحمني، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع، ولكن أدخل الشفرة من تحتي، وامض لأمر الله، فذلك قوله: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}، فلما فعل ذلك {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}"(١٠).

قوله تعالى:{وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصافات : ١٠٣]، أي:" ألقى إبراهيم ابنه على جبينه -وهو جانب الجبهة- على الأرض؛ ليذبحه"(١١).

قال ابن كثير:" أي : صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ، ليكون أهون عليه"(١٢).

قال أبو عبيدة:" أي: صرعه وللوجه جبينان والجبهة بينهما قال ساعدة بنى جوءيّة الهذلي(١):

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٨/٧.
(٢) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٣) تفسير الطبري: ٧٦/٢١.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨/٧.
(٥) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.
(٦) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.
(١١) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٨/٧.

وطلّ تليلا للجبين"[٢].

قال الطبري:" يقول: وصَرَعَه للجَبِين، والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما"[٣].

عن ابن عباس: "{وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}، قال: أكبه على جبهته"[٤]. وفي رواية:" صرعه"[٥].

قال ابن زيد:" أخذ جبينه ليذبحه"[٦].

قال قتادة:" أي: وكبه لفيه وأخذ الشفرة"[٧].

قال مجاهد:" وضع وجهه للأرض، قال: لا تذبحني وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني، ولا تجهز عليّ، اربط يدي إلى رقبتي ثم ضع وجهي للأرض"[٨].

عن القاسم بن أبي بزة ، قال: "قال إبراهيم لإسحاق: «اعجل علي يا بني ، لا يدخل الشيطان فيما بيننا»"[٩].

قال ابن عباس:" إن إبراهيم لما أُمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه، فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حَصَيَات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوُسْطَى، فرماه بسبع حَصَيَات حتى ذهب، ثم تلّه للجَبِين، وعلى إسماعيل قَميص أبيض، فقال له: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غير هذا، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أعْيَن أبيض فذبحه، فقال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكِباش"[١٠].

عن كعب رضي الله عنه أنه قال لأبي هريرة: ألا أخبرك عن إسحاق؟ قال: بلى قال: رأى إبراهيم أن يذبح إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن، عند هذه آل إبراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا، فتمثل الشيطان رجلا يعرفونه فأقبل حتى خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة فقال: أين أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق؟ قالت: لبعض حاجته قال: لا والله قالت: فلم غدا؟ قال: ليذبحه قالت: لم يكن ليذبح ابنه! قال: بلى والله قالت سارة: فلم يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك قالت: قد أحسن أن يطيع ربه إن كان أمره بذلك. فخرج الشيطان، فأدرك إسحاق وهو يمشي على أثر أبيه قال: أين أصبح أبوك غاديا؟ قال: لبعض حاجته قال: لا والله بل غدا بك ليذبحك قال: ما كان أبي ليذبحني، قال: بلى قال: لم؟ قال: زعم أن الله أمره بذلك قال إسحاق: فو الله لئن أمره ليطيعنه. فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم، فقال: أين أصبحت غاديا بابنك؟ قال: لبعض حاجتي قال: لا والله ما غدوت به إلا لتذبحه قال: ولم أذبحه؟ قال: زعمت أن الله أمرك بذلك فقال: والله لئن كان الله أمرني لافعلن قال: فتركه، ويئس أن يطاع، فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه، وسلم إسحاق عافاه الله، وفداه بذبح عظيم قال: قم أي بني فإن الله قد عافاك، فأوحى الله إلى إسحاق متشبها بصديق له فقال له: يا إبراهيم أين تعمد؟ قال: لحاجة قال: والله ما تذهب إلا لتذبح ابنك من أجل رؤيا رأيتها، والرؤيا تخطئ، وتصيب، وليس في رؤيا رأيتها ما تذهب إسحاق، فلما رأى أنه لم يستفد من إبراهيم شيئا لقى إسحاق، فقال: أين تعمد يا إسحاق؟ قال: لحاجة إبراهيم قال: إن إبراهيم إنما يذهب بك ليذبحك فقال إسحاق: وما شأنه يذبحني، وهل

---

(١)ديوان الهذليين ١/ ٢٣٤، واللسان (تلل)، من قصيدة مفضلية لجابر بن حنى التغلبي وهى مختلف فى عزوها. انظر: الشرح ٤٢١- ٤٤٢، وهذا البيت مع آخرين فى النقائض ص ٤٥٨، ٨٨٧، والاقتضاب ص ٤٣٩، وشواهد المغني: ص ١٩١، وشواهد الكشاف: ٢٨٦.

(٢) مجاز القرآن: ١٧١/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٧٦/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١-٧٨.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٤١):ص٣٢٢٤/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٧٨/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.

(٩) اخرجه عبدالرزاق(٢٥٣٦):ص٩٨/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٧٨/٢١.

رأيت أحدا يذبح ابنه؟ قال: يذبحك لله قال: فإن يذبحني لله أصبر، والله لذلك أهل، فلما رأى أنه لم يستفد من إسحاق شيئا جاء إلى سارة فقال: أين يذهب إسحاق؟ قالت: ذهب مع إبراهيم لحاجته فقال: إنما ذهب به ليذبحه فقالت: وهل رأيت أحدا يذبح ابنه؟ قال: يذبحه لله قالت: فإن ذبحه لله، فإن إبراهيم وإسحاق لله، والله لذلك أهل، فلما رأى أنه لم يستفد منهما شيئا أتى الجمرة، فانتفخ حتى سد الوادي، ومع إبراهيم الملك فقال الملك: ارم يا إبراهيم، فرمى بسبع حصيات، يكبر في أثر كل حصاة فأفرج له عن الطريق، ثم انطلق حتى أتي الجمرة الثانية، فانتفخ حتى سد الوادي فقال له الملك: ارم يا إبراهيم، فرمى بسبع حصيات، يكبر في أثر كل حصاة، فأفرج له عن الطريق ثم انطلق حتى أتى الجمرة الثالثة، فانتفخ حتى سد الوادي عليه فقال له الملك: ارم يا إبراهيم فرمى بسبع حصيات، يكبر في أثر كل حصاة، فأفرج له عن الطريق حتى أتى المنحر"(١).

وفي الذبيح قولان :

أحدهما : أنه إسحاق-عليه السلام-. قاله العباس بن عبدالمطلب(٢)، وعلي بن ابي طالب-في رواية-(٣)، وعبدالله بن مسعود-في رواية-(٤)، وابن عباس-في رواية- (٥)، وكعب الأحبار(٦)، وسعيد بن المسيب-في رواية-(٧)، ومسروق(٨)، وعبيد بن عمير(٩)، وابن أبي الهذيل(١٠)، وابن وابن سابط(١١)، وأبو ميسرة(١٢)، وابن زيد(١٣).

قال أبو الأحوص: "افتخر رجل عند ابن مسعود، فقال: أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله"(١٤).

قال أبو ميسرة:" قال يوسف للمِلِك في وجهه: ترغب أن تأكل معي، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبيّ الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله"(١٥).

الثاني: أنه إسماعيل-عليه السلام-. قاله علي -رضي الله عنه-(١٦)، وعبد الله بن مسعود(١٧)، وأبو هريرة(١٨)، وابن عباس-في رواية-(١٩)، وابن عمر(٢٠)، والحسن(٢١)، وأبو الطفيل(٢٢)، وسعيد بن

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٣٦):ص١٠/٣٢٢٢-٣٢٢٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٣٧):ص١٠/٣٢٢٣.
(٣) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٥٣٢):ص٣/ ٩٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٠/٢١، وتفسير عبدالرزاق(٢٥٣٣):ص٣/ ٩٧.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢١-٨٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٨٠/٢١-٨٢.
(٧) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٥٤٢):ص٣/٩٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٨٠/٢١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٨٠/٢١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٨١/٢١.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٩/٢١.
(١٤) أخرجه الطبري: ٨٠/٢١.
(١٥) أخرجه الطبري: ٨٢/٢١.
(١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.
(١٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.
(١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢١-٨٣.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢١.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/٢١، ٨٥، وتفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.
(٢٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.

المسيب[1]، وسعيد بن جبير[2]، ومجاهد[3]، وعامر الشعبي[4]، ومحمد بن كعب القرظي[5]، وأبو وأبو جعفر محمد بن علي[6]، وأبو صالح[7].

قال ابن عباس:" المَفْدِيّ إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود"[8].

قال محمد بن كعب:" إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من بنيه إسماعيل، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم وما أُمر به من ذبح ابنه إسماعيل، وذلك أن الله يقول، حين فرغ من قصة المذبوح من إبراهيم، قال: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}، يقول: بشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، يقول: بابن وابن ابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل"[9].

قال أبو حاتم:" الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام"[10].

قال الشعبي:"هو إسماعيل، قال: وكان قَرْنا الكبش مَنُوطَيْن بالكعبة"[11].

قال ابن الجوزي:" لكل قوم حجة ليس هذا موضعها، وأصحابنا ينصرون القول الأول"[12].

قال الزجاج:" وحجة من قال إنه إسماعيل قوله: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات : ١١٢]، وحجة من قال إنه اسحاق، قال: كانت في إسحاق بشارتان الأولى فبشرناه بغلام حليم، فلما استسلم للذبح واستسلم إبراهيم لذبحه بشر به نبيا من الصالحين. والقول فيهما كثير والله أعلم أيهما كان الذبيح"[13].

قال الطبري:" وأولى القولين بالصواب في المَفْديّ من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} فذكر أنه فدَى الغلامَ الحليمَ الذي بُشِّر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدًا صالحًا من الصالحين، فقال: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} فإذ كان المفديّ بالذبح من ابنيه هو المبشَّر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بُشِّر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جل ثناؤه: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معنيّ به إسحاق، كان بيِّنا أن تبشيره إياه بقوله: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن.

وبعد: فإن الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشَّره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنيه إلا إمام الصالحين، وغير موهم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشَّره به وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المفديّ هو المبشَّر به. وأما الذي اعتلّ به من اعتلّ في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن، فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم؛ فإن الله إنما أمره

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/٢١، ٨٦، وتفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٨٤،٨٥/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.
(٨) أخرجه الطبري: ٨٣/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ٨٤/٢١-٨٥.
(١٠) تفسير ابن ابي حاتم: ٣٢٢٣/١٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٨٤/٢١.
(١٢) زاد المسير: ٥٤٧/٣.
(١٣)معاني القرآن: ٣١١/٤ .

بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد وُلد لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفديّ من ولد إبراهيم بقوله {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا} ولو كان المفديّ هو إسحاق لم يبشَّر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوه إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فُدِي تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبلُ عمن قال ذلك. وأما اعتلال من اعتلّ بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حُمل من الشام إلى الكعبة. وقد رُوي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه"[1].

قال ابن جريج: ذبح إبراهيم ابنه إسحاق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة وهي بنت تسعين سنة"[2].

قال ابن عباس:" الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء ابنه، هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن، له ثغاء، فذبحه، وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه، فكان مخزونا حتى فدى به إسحاق"[3].

عن العباس بن عبد المطلب قال: "قال رسول الله ﷺ قال نبي الله داود: يا رب أسمع الناس يقولون: رب إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فاجعلني رابعا قال: إن إبراهيم ألقي في النار فصبر من أجلي، وإن إسحاق جاد لي بنفسه، وإن يعقوب غاب، عنه يوسف وتلك بلية لم تنلك"[4].

عن ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله، عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي أو شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت أن تكون أعم لأمتي ولولا الذي سبقني به العبد الصالح لعجلت دعوتي إن الله لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له: يا أبا إسحاق، سل تعطه قال: أما والله لا تعجلها قبل نزغات الشيطان، اللهم من مات لا يشرك بك شيئا قد أحسن، فاغفر له"[5].

القرآن

{وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥)} [الصافات : ١٠٤-١٠٥]

التفسير:

وناديناه إبراهيم في تلك الحالة العصيبة: أن يا إبراهيم، قد فعلتَ ما أُمرت به وصَدَّقْتَ رؤياك، إنا كما جزيناك على تصديقك نجزي الذين أحسنوا مثلك، فنخلِّصهم من الشدائد في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا} [الصافات : ١٠٤-١٠٥]، أي:" وناديناه إبراهيم في تلك الحالة العصيبة: أن يا إبراهيم، قد فعلتَ ما أُمرت به وصَدَّقْتَ رؤياك"[6].

قال ابن كثير:" أي : قد حصل المقصودُ من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح"[7].

عن ابن زيد، قوله:{صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا}، قال:" ابتليتَ ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك، قال: وهذا من البلاء المكروه وهو الشرّ وليس من بلاء الاختبار"[8].

---

(١) .
(٢) انظر: النكت والعيون: ٦٢/٥.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٣٣):ص١٠/٣٢٢١.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٣٤):ص١٠/٣٢٢٢.
(٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٢٣٥):ص١٠/٣٢٢٢.
(٦) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٧) تفسير ابن كثير :٣٠/٧.
(٨) أخرجه الطبري: ٧٩/٢١.

قال ابن عباس:" لما أمر إبراهيم عليه السلام بالمناسك عرض له الشيطان، عند المسعى، فسابقه فسبقه إبراهيم عليه السلام، ثم ذهب به جبريل عليه السلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات ثم تله للجبين وعلى إسماعيل عليه السلام قميص أبيض فقال: يا أبت ليس لي ثوب تكفني فيه غيره، فأخلعه حتى تكفني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت فإذا كبش أبيض، أعين أقرن فذبحه"(١).

قوله تعالى:{إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات : ١٠٥]، أي:" إنا كما جزيناك على تصديقك نجزي الذين أحسنوا مثلك، فنخلِّصهم من الشدائد في الدنيا والآخرة"(٢).

قال ابن كثير:" أي : هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا ، كقوله تعالى:{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } [الطلاق : ٢ ، ٣]، وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل ، خلافا لطائفة من المعتزلة ، والدلالة من هذه ظاهرة ، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم ذَبْحَ ولده ، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء ، وإنما كان المقصود من شرعه أولا إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك"(٣).

القرآن

{ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦)} [الصافات : ١٠٦]

التفسير:

إن الأمر بذبح ابنك هو الابتلاء الشاق الذي أبان عن صدق إيمانك.

قال ابن كثير:" أي : الاختبار الواضح الجلي ؛ حيث أمر بذبح ولده ، فسارع إلى ذلك مستسلما لأمر الله ، منقادا لطاعته ؛ ولهذا قال تعالى:{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } [النجم : ٣٧]"(٤).

قال ابن زيد:" هذا فى البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه"(٥).

القرآن

{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)} [الصافات : ١٠٧]

التفسير:

واستنقذنا إسماعيل، فجعلنا بديلا عنه كبشًا عظيمًا.

قال الطبري:" يقول: وفدينا إسحاق بذبح عظيم، والفدية: الجزاء، يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم، وأنقذناه من الذبح"(٦).

قال الفراء:" الذبح: الكبش، وكل ما أعددته للذبح فهو ذبح"(٧).

قال أبو عبيدة:" الذبح: المذبوح، والذّبح: الفعل، تقول العرب: قد كان بين بنى فلان وبين بنى فلان ذبح عظيم قتلى كثيرة"(٨).

عن ابن عباس: "{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}، قال: كبش"(٩). وفي رواية:" ذبح كبش"(١).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٣٢):ص٣٢٢١/١٠.
(٢) التفسير الميسر: ٤٤٩.
(٣) تفسير ابن كثير :٣٠/٧.
(٤) تفسير ابن كثير :٣٠/٧.
(٥) أخرجه الطبري: ٧٩/٢١.
(٦) تفسير الطبري: ٧٩/٢١.
(٧) معاني القرآن: ٣٩٠/٢.
(٨) مجاز القرآن: ١٧٢/٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٨٧/٢١.

قال ابن عباس: "سمع صوتا ، وقد أضجعه ليذبحه ، فالتفت ، فإذا هو بكبش فأخذه فذبحه"(٢).

قال ابن عباس: "هو إسماعيل وكان ذلك بمنى"(٣).

قال عبيد بن عمير: "ذُبِح بالمَقام"(٤).

وقال مجاهد: "ذبح بمنًى في المَنْحَر"(٥).

وقال كعب: "هو إسحاق ، وكان ذلك بالشام"(٦).

قال الحسن:" كان اسم كبش إبراهيم: جرير"(٧).

اختلف أهل العلم في {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} [الصافات : ١٠٧]، على أقوال:

أحدها : أنه فدى بوعل أنزل عليه من ثبير، قاله ابن عباس(٨).

قال الزجاج:" الأوعال: التيوس الجبلية"(٩).

قال الحسن:" ما فدي إسماعيل إلا بتيس من الأرويّ أهبط عليه من ثبير"(١٠).

وقال مقاتل:" الكبش اسمه: رزين، وكان من الوعل رعي في الجنة أربعين سنة قبل أن يذبح"(١١).

الثاني : أنه فدي بكبش. قاله علي بن ابي طالب(١٢)، وابن عباس-في رواية-(١٣)، والسدي(١٤)، وحكاه النحاس عن أهل التفسير(١٥).

قال ابن كثير:" والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه فُدي بكبش"(١٦).

قال ابن عباس:" التفتَ فإذا كبش، فأخذه فذبحه"(١٧).

قال علي:" كبش أبيض أقرن أعين مربوط بسَمُرَة في ثَبِير"(١٨).

قال السدي:" التفت، يعني ابراهيم، فإذا بكبش، فأخذه وخلَّى عن ابنه"(١٩).

قال ابن إسحاق: "ويزعم أهل الكتاب الأول وكثير من العلماء أن ذبيحة إبراهيم التي فدى بها ابنه كبش أملح اقرن أعين"(٢٠).

قال ابن عباس:" خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفا، فأرسل إبراهيم ابنه واتبع الكبش، فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرمي بسبع حصيات، فأفلته عنده، فجاء الجمرة الوسطى، فأخرجه عندها، فرماه بسبع حصيات، ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات، فأخرجه عندها، ثم أخذه فأتى به المنحر من مِنَى، فذبحه؛ فوالذي نفس ابن

---

(١) أخرجه الطبري: ٨٨/٢١.
(٢) أخرجه عبدالرزاق(٢٥٣٨):ص٩٨/٣
(٣) تفسير عبدالرزاق(٢٥٤٠):ص٩٨/٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٨٧/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ٨٧/٢١.
(٦) تفسير عبدالرزاق(٢٥٤٠):ص٩٨/٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٤٤):ص٣٢٢٤/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٨٩/٢١.
(٩) معاني القرآن: ٣١٢/٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٨٩/٢١.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٥/٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٨٧/٢١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٨/٢١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٨/٢١.
(١٥) انظر: إعراب القرآن: ٢٩٢/٣.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٣١/٧.
(١٧) أخرجه الطبري: ٨٨/٢١.
(١٨) أخرجه الطبري: ٨٧/٢١.
(١٩) اخرجه الطبري: ٨٨/٢١.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٨٩/٢١.

عباس بيده، لقد كان أوّل الإسلام، وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه عند ميزاب الكعبة قد حُشّ، يعني يبس"[1].

عن صفية بنت شيبة قالت : "أخبرتني امرأة من بني سليم - وَلدت عامة أهل دارنا - أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة - وقال مرة : إنها سألت عثمان : لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قال : "إني كنتُ رأيت قرني الكبش ، حين دخلت البيت ، فنسيت أن آمرك أن تخمرهما ، فَخَمِّرْهما ، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي". قال سفيان : لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت ، فاحترقا"[2].

الثالث : أنه فدي بكبش أنزل عليه من الجنة وهو الكبش الذي قربه هابيل بن آدم فتقبل منه، وكان يرعى في الجنة حتى فدى به إسماعيل. قاله ابن عباس[3].

قال ابن عباس:" الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه"[4].

الرابع: أنه فدي بشاة: وهي الأنثى من الضأن من الغنم. وهذا قول مجاهد[5].

قال مجاهد:" الذبح العظيم: شاة"[6].

عن ابن عباس: "لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم"[7].

وفي قوله:{عَظِيمٍ} [الصافات : ١٠٧]، خمسة وجوه:

أحدها : لأنه قد رعى في الجنة، قاله ابن عباس[8].

قال سعيد بن جبير:" كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة، وكان كبشا أملح، صوفه مثل العِهْنِ الأحمر"[9].

قال علي بن ابي طالب:" كبش قد رعي في الجنة أربعين خريفا"[10].

الثاني : لأنه ذبح بحق وذلك ذبحه بدين إبراهيم، قاله الحسن[11].

عن عمرو بن عبيد، عن الحسن أنه كان يقول: "ما يقول الله: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} لذبيحته التي ذبح فقط، ولكنه الذَّبح على دينه، فتلك السُّنَّة إلى يوم القيامة، فاعلموا أن الذبيحة تدفع مِيتة السُّوء، فضحُّوا عباد الله"[12].

الثالث : لأنه ذبح متقبل ، قاله مجاهد[13].

الرابع : لأنه عظيم البركة. حكاه الماوردي[14].

الخامس: لأنه وقع فداء عن ولد إبراهيم. حكاه الزمخشري[15].

السادس : لأنه ضخم الجثة سمين، وهي السنة في الأضاحى. حكاه الزمخشري[16]. وفي الحديث:« اسْتَفْرِهُوا ضَحاياكُمْ فإنَّها مَطاياكُمْ على الصِّراطِ »[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ٨٩/٢١.

(٢)المسند (٦٨/٤)، وتفسير ابن كثير: ٣١/٧. وقال:" وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل ، عليه السلام ، فإن قريشا توارثوا قرني الكبش الذي فدي به إبراهيم (١) خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل ، إلى أن بعث الله رسوله ﷺ".

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٧/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٨٧/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٨٨/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٨٨/٢١.

(٧) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ٥٥/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٨٨/٢١.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٤٢):ص٣٢٢٤/١٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٩٠/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢١.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٦٣/٥.

(١٥) انظر: الكشاف: ٥٥/٤.

(١٦) انظر: الكشاف: ٥٥/٤.

قال الطبري:" ولا قول في ذلك أصح مما قال الله جلّ ثناؤه، وهو أن يقال: فداه الله بذِبح عظيم، وذلك أن الله عم وصفه إياه بالعظم دون تخصيصه، فهو كما عمه به"[٢].

عن عكرمة، "أن ابن عباس كان أفتى الذي جعل عليه أن ينحر نفسه، فأمره بمئة من الإبل، قال: فقال ابن عباس بعد ذلك: لو كنت أفتيته بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا، فإن الله قال في كتابه: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}"[٣].

القرآن

{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨)} [الصافات : ١٠٨]

التفسير:

وأبقينا لإبراهيم ثناءً حسنًا في الأمم بعده.

قال الطبري: يقول:" وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ثناءً حسنا"[٤].

قال السعدي:" أي: وأبقينا عليه ثناء صادقا في الآخرين، كما كان في الأولين، فكل وقت بعد إبراهيم عليه السلام، فإنه فيه محبوب معظم مثني عليه"[٥].

قال الشوكاني:{فِي الْآخِرِينَ} " أي: في الأمم الآخرة التي تأتي بعده"[٦].

قال قتادة:" أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين"[٧].

قال ابن زيد:" سأل إبراهيمُ، فقال: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ}، قال: فترك الله عليه الثناء الحسن في الآخرين، كما ترك اللسانَ السَّوْء على فرعون وأشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء"[٨].

وفي قوله تعالى:{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} [الصافات : ١٠٨]، قولان:

أحدهما : الثناء الحسن ، قاله قتادة[٩]، والسدي[١٠]، ومقاتل[١١].

قال ابن عباس:" يُذْكَر بخير"[١٢].

قال ابن قتيبة:" أي: أبقينا له ذكرا حسنا في الآخرين، كأنه قال: تركنا عليه ثناء حسنا، فحذف الثناء الحسن لعلم المخاطب بما أراد"[١٣].

الثاني : هو السلام على إبراهيم . حكاه الطبري[١٤].

القرآن

{سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩)} [الصافات : ١٠٩]

---

(١)أخرجه الديلمى (٨٥/١، رقم ٢٦٨) وذكره أيضًا: الرافعى فى التدوين (٢١٩/٣) من طريق القاضى عبد الجبار بسنده عن أبى هريرة. قال العجلونى (١٣٣/١) : رواه الديلمى بسند ضعيف جدًّا عن أبى هريرة. والحديث موضوع كما قال الحافظ أحمد الغمارى فى المغير (ص٢٠، ٢١) .
ومن غريب الحديث: "استفرهوا ضحاياكم": استكرموها، فضحوا بالكريمة الشابة المليحة الحسنة المنظر والسير.

(٢) تفسير الطبري: ٩٠/٢١.

(٣) أخرجه الطبري :٨٨/٢١.

(٤) تفسير الطبري: ٩٠/٢١.

(٥) تفسير السعدي: ٧٠٦.

(٦) فتح القدير: ٤٦٥/٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٩١/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٩١/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢١، وتفسير عبدالرزاق(٢٥٢٧):ص٩٥/٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٠/٢١.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٥/٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٠/٢١.

(١٣) تأويل مشكل القرآن: ١٤٦.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢١.

التفسير:

تحيةٌ لإبراهيم من عند الله، ودعاءٌ له بالسلامة من كل آفة.

قال الطبري: يقول:" أمَنَة من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر"(١).

قال المراغي:" أي: وقلنا له: عليك السلام في الملائكة والإنس والجن"(٢).

قال السعدي:" أي: تحيته عليه كقوله: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى}"(٣).

قال الشوكاني:" «السلام»: الثناء الجميل"(٤).

قال مقاتل:" يعني بـ«السلام»: الثناء الحسن، يقال له من بعده في أهل الأديان، في الناس كلهم"(٥).

قال أبو هلال العسكري:" أراد الثناء الحسن عليهم، ويجوز أن يكون أراد قول المسلمين عند ذكر الأنبياء عليهم السلام"(٦).

قال الألوسي:" ولعل ذكر في العالمين هناك وعدم ذكره هنا لما أن لنوح عليه السلام من الشهرة لكونه كآدم ثان للبشر ونجاة من نجا من أهل الطوفان ببركته ما ليس لإبراهيم عليه السلام"(٧).

القرآن

{كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠)} [الصافات : ١١٠]

التفسير:

كما جزينا إبراهيم على طاعته لنا وامتثاله أمرنا، نجزي المحسنين من عبادنا.

قال الطبري: " يقول: كما جزينا إبراهيم على طاعته إيانا وإحسانه في الانتهاء إلى أمرنا، كذلك نجزي المحسنين"(٨).

قال الشوكاني:" أي: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي من انقاد لأمر الله"(٩).

قال الألوسي:" «ذلك»: إشارة إلى إبقاء ذكره الجميل فيما بين الأمم"(١٠).

قال السعدي:" {الْمُحْسِنِينَ} في عبادة الله، ومعاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة، والثناء الحسن"(١١).

القرآن

{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)} [الصافات : ١١١]

التفسير:

إنه من عبادنا المؤمنين الذين أعطَوا العبودية حقها.

قال الطبري: " يقول: إن إبراهيم من عبادنا المخلصين لنا الإيمان"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري: ٩١/٢١.
(٢) تفسير المراغي: ٧٦/٢٣.
(٣) تفسير السعدي: ٧٠٦.
(٤) فتح القدير: ٤٦٥/٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٦/٣.
(٦) الزجوه والنظائر: ٢٥٧.
(٧) روح المعاني: ١٢٧/١٢.
(٨) تفسير الطبري: ٩١/٢١.
(٩) فتح القدير: ٤٦٥/٤.
(١٠) روح المعاني: ١٢٧/١٢.
(١١) تفسير السعدي: ٧٠٦.
(١٢) تفسير الطبري: ٩١/٢١.

قال مقاتل:" يعني: المصدقين بالتوحيد"[١].
قال الشوكاني:" أي: الذين أعطوا العبودية حقها، ورسخوا في الإيمان بالله وتوحيده"[٢].
وتوحيده"[٢].
قال السعدي:أي:" بما أمر الله بالإيمان به، الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}"[٣].

القرآن

{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢)} [الصافات : ١١٢]

التفسير:

وبشَّرنا إبراهيم بولده إسحاق نبيًّا من الصالحين؛ جزاء له على صبره ورضاه بأمر ربه، وطاعته له.

قال الطبري: يقول: " وبشَّرنا إبراهيم بإسحاق نبيا شكرا له على إحسانه وطاعته"[٤].
قال الشوكاني:" أي: بشرنا إبراهيم بولد يولد له ويصير نبيا بعد أن يبلغ السن التي يتأهل فيها لذلك"[٥].
قال السعدي:" هذه البشارة الثانية بإسحاق، الذي من ورائه يعقوب، فبشر بوجوده وبقائه، ووجود ذريته، وكونه نبيا من الصالحين، فهي بشارات متعددة"[٦].
قال مقاتل:" يقول: وبشرنا إبراهيم بنبوة إسحاق بعد العفو عنه"[٧].
عن السديّ: "{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}، قال: بنبوته"[٨].
قال قتادة:" بشر به بعد ذلك نبيا. بعد ما كان هذا من أمره لما جاد لله بنفسه"[٩].
قال ابن عباس:" بشر به مرتين، حين ولد، وحين نبئ"[١٠].
قال ابن عباس:" إنما بشره به نبيا حين فداه من الذبح، ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده"[١١].
قال ابن عباس:" قال بُشِّر بنبوته. قال: وقوله: {وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا}، قال: كان هارون أكبر من موسى، ولكن أراد وهب الله له نبوته"[١٢].
عن ضرار، عن شيخ من أهل المسجد، قال: "بُشِّر إبراهيم لسبع عشرة ومئة سنة"[١٣].

القرآن

{وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)} [الصافات : ١١٣]

التفسير:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٦/٣.
(٢) فتح القدير: ٤٦٦/٤.
(٣) تفسير السعدي: ٧٠٦.
(٤) تفسير الطبري: ٩١/٢١.
(٥) فتح القدير: ٤٦٦/٤.
(٦) تفسير السعدي: ٧٠٦.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٦/٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٩٢/٢١.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٤٧):ص٣٢٢٤/١٠-٣٢٢٥.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٤٦):ص٣٢٢٤/١٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٩٢/٢١.
(١٢) أخرجه الطبري: ٩٢/٢١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٩٢/٢١.

وأنزلنا عليهما البركة. ومِن ذريتهما من هو مطيع لربه، محسن لنفسه، ومَن هو ظالم لها ظلمًا بيِّنًا بكفره ومعصيته.

قوله تعالى:{وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ} [الصافات : ١١٣]، أي:" وأنزلنا على إبراهيم وإسحاق بركات الدنيا والدين"(١).

قال الطبري: يقول:" وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق"(٢).

قال السعدي:"أي : أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل، وأمة الروم من ذرية إسحاق"(٣).

قال المراغي:" أي: وأفضنا عليهما بركات الدنيا والآخرة، فكثرنا نسلهما وجعلنا منه أنبياء ورسلا، وطلبنا من المسلمين في صلواتهم أن يدعوا لهم بالبركة فيقولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين"(٤).

قوله تعالى:{وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ} [الصافات : ١١٣]، أي:" ومِن ذريتهما من هو مطيع لربه، محسن لنفسه، ومَن هو ظالم لها ظلمًا بيِّنًا بكفره ومعصيته"(٥).

قال المراغي:" أي: ومن ذريتهما من أحسن في عمله فآمن بربه وامتثل أوامره واجتنب نواهيه، ومن ظلم نفسه ودساها بالكفر والفسوق والمعاصي. وفي ذلك تنبيه إلى أن النسب لا أثر له في الهدى والضلال، وأن الظلم في الأعقاب لا يعود إلى الأصول بنقيصة، ولا عيب عليهم في شيء منه كما قال: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } [الأنعام : ،الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧١٦٤] "(٦).

قال السعدي:" أي: منهم الصالح والطالح، والعادل والظالم الذي تبين ظلمه، بكفره وشركه، ولعل هذا من باب دفع الإيهام، فإنه لما قال: {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وعلى إسحاق} اقتضى ذلك البركة في ذريتهما، وأن من تمام البركة، أن تكون الذرية كلهم محسنين، فأخبر الله تعالى أن منهم محسنا وظالما، والله أعلم"(٧).

قال السدي:" المحسن: المطيع لله، والظالم لنفسه: العاصي لله"(٨).

قال قتادة:" أي: مؤمن، وكافر"(٩).

قال الطبري: "{وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ}، يعني بالمحسن: المؤمن المطيع لله، المحسن في طاعته إياه، {وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ}، ويعني بالظالم لنفسه: الكافر بالله، الجالب على نفسه بكفره عذاب الله وأليم عقابه، {مبين}، يعني: الذي قد أبان ظلمه نفسه بكفره بالله"(١٠).

فوائد الآيات:[٩٩-١١٣]:

١- فضل الهجرة في سبيل الله وأن أول هجرة كانت في الأرض هي هجرة إبراهيم من العراق إلى الشام.

٢- بيان أن الذبيح هو إسماعيل وليس هو إسحاق كما يقول البعض وكما يدعي اليهود.

٣- وجوب بر الوالدين وطاعتهما في المعروف.

---

(١) انظر: صفوة التفاسير: ٣٧/٣.[بتصرف]

(٢) تفسير الطبري: ٩٢/٢١.

(٣) تفسير السعدي: ٧٠٦.

(٤) تفسير المراغي: ٧٦/٢٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٥٠.

(٦) تفسير المراغي: ٧٦/٢٣.

(٧) تفسير السعدي: ٧٠٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٩٣/٢١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٤٧):ص٣٢٢٤/١٠-٣٢٢٥.

(١٠) تفسير الطبري: ٩٢/٢١.

٤- فضل إبراهيم وعلو مقامه وكرامته عند ربه.
٥- فضل الإحسان وجزاء المحسنين.

القرآن

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥)} [الصافات : ١١٤-١١٥]

التفسير:

ولقد مننَّا على موسى وهارون بالنبوة والرسالة، ونجيناهما وقومهما من الغرق، وما كانوا فيه من عبودية ومَذلَّة.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ} [الصافات : ١١٤]، أي:" ولقد مننَّا على موسى وهارون بالنبوة والرسالة"(١).

قال يحيى:" بالنبوة"(٢).

قال الواحدي:" أنعمنا عليهما بالنبوة"(٣).

قال الطبري: يقول:" ولقد تفضلنا على موسى وهارون ابني عمران، فجعلناهما نبيين"(٤).

قال ابن عطية:" المنة، على موسى وهارون هي في النبوءة وسائر ما جرى معها من مكانتها عند الله تعالى"(٥).

قال السمعاني:"{مَنَنَّا}، أي: أنعمنا"(٦).

قال الراغب:" المَنُّ: ما يوزن به، يقال: مَنٌّ، ومنّان، وأَمْنَانٌ، وربّما أبدل من إحدى النّونين ألف فقيل: مَناً وأَمْنَاءٌ، ويقال لما يقدّر: ممنون كما يقال: موزون، والمِنَّةُ: النّعمة الثّقيلة، ويقال ذلك على وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان: إذا أثقله بالنّعمة، وعلى ذلك قوله: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٦٤] ، {كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} [النساء: ٩٤] ، {وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلى مُوسى وَهارُونَ} [الصافات: ١١٤] ، {يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ} [إبراهيم: ١١] ، {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا} [القصص: ٥]، وذلك على الحقيقة لا يكون إلّا لله تعالى.

والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلّا عند كفران النّعمة، ولقبح ذلك قيل: «المِنَّةُ تهدم الصّنيعة»(٧)، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النّعمة حسنت المنّة. المنّة. وقوله: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ} [الحجرات: ١٧]، فالمنّة منهم بالقول.."(٨).

قوله تعالى:{وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الصافات : ١١٥]، أي:" ونجيناهما وقومهما من الغرق، وما كانوا فيه من عبودية ومَذلَّة"(٩).

قال الطبري: يقول:" ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عُبودة آل فرعون، ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٠/٢.
(٣) التفسير الوسيط: ٥٣١/٣.
(٤) تفسير الطبري: ٩٣/٢١.
(٥) المحرر الوجيز: ٤٨٣/٤.
(٦) تفسير السمعاني: ٤١٠/٤.
(٧)انظر أمثال أبي عبيد ص ٦٦، ومجمع الأمثال ٢/ ٢٨٧، والمستقصى ١/ ٣٥٠.
(٨) المفردات في غريب القرآن: ٧٧٧-٧٧٨.
(٩) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(١٠) تفسير الطبري: ٩٣/٢١.

عن السدّيّ، قوله: "{وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}، قال: من الغرق"(١).
وقال قتادة:" أي: من آل فرعون"(٢).
قال يحيى:" من فرعون وقومه"(٣).
قال السمعاني:" أي: من الغم العظيم، وهو الغرق والهلاك"(٤).
قال الواحدي:أي:" استعباد فرعون إياهم وما كان يصيبهم من جهته من البلاء"(٥).
قال الزمخشري:أي:" من الغرق. أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم(٦)"(٧).
قال ابن عطية:" {الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}، هو تعبد القبط لهم، ثم جيش فرعون لما قالت بنو إسرائيل: {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} [الشعراء: ٦١]، ثم البحر بعد ذلك"(٨).

القرآن
{وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦)} [الصافات : ١١٦]
التفسير:
ونصرناهم، فكانت لهم العزة والنصرة والغلبة على فرعون وآله.
قال الطبري: " يقول: ونصرنا موسى وهارون وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم، {فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ} لهم"(٩).
قال البغوي:" {ونصرناهم} يعني: موسى وهارون وقومهما، {فكانوا هم الغالبين} على القبط"(١٠).
قال القاسمي:" أي: مع ضعفهم وقوة فرعون وقومه"(١١).
قال الزمخشري:" {وَنَصَرْناهُمْ}، الضمير لهما ولقومهما"(١٢).
قال ابن عطية:" الضمير في {نَصَرْناهُمْ} عائد على الجماعة المتقدم ذكرها وهم «موسى وهارون وقومهما» ، وقال قوم(١٣): أراد موسى وهارون ولكن أخرج ضميرهما مخرج الجمع تفخيما، وهذا مما تفعله العرب تكني عمن تعظم بكناية الجمع"(١٤).
قال القرطبي: الصواب: أن "الضمير لموسى وهرون وقومهما، لأن قبله:{ونجيناهما وقومهما}"(١).

---

(١) أخرجه الطبري: ٩٣/٢١.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٤٧):ص١٠/٣٢٢٤-٣٢٢٥.
(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٠/٢.
(٤) تفسير السمعاني: ٤١٠/٤.
(٥) التفسير الوسيط: ٥٣١/٣.
(٦)في الصحاح «الغشم» : الظلم.
(٧) الكشاف: ٥٩/٤.
(٨) المحرر الوجيز: ٤٨٣/٤.
(٩) تفسير الطبري: ٩٣/٢١.
(١٠) تفسير البغوي: ٥١/٧.
(١١) محاسن التأويل: ٢٢٤/٨.
(١٢) الكشاف: ٥٩/٤.
(١٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٩٠/٢-٣٩١.
قال الفراء:" فجعلهما كالجمع، ثم ذكرهما بعد ذلك اثنين وهذا من سعة العربية: أن يُذهب بالرئيس: النَّبِيّ والأمير وشبهه إلى الجمع لِجنوده وأتباعه، وإلى التوحيد لأنه واحد فِي الأصل. ومثله: {عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ}، وفى موضع آخر {وَمَلَأَهُ}، ورُبّما ذهبت العرب بالاثنين إلى الجمع كما يُذهب بالواحِدِ إلى الجمع ألا ترى أنك تُخاطب الرجل فتقول:
ما أحسنتم ولا أجملتم، وأنت تريده بعينه، ويقول الرجل لِلْفُتْيا يُفتي بِهَا: نحن نقول: كذا وكذا وهو يريد نفسه. ومثل ذلك قوله فى «سورة ص»: {وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ}، ثُمَّ أعاد ذكرهما بالتثنية إذ قَالَ: {خَصْمَانِ بغى بعضنا على بعض}".
(١٤) المحرر الوجيز: ٤٨٣/٤.

قال يحيى:" وكانا شريكين في الرسالة، وكان موسى أفضلهما "[٢].
قال القشيري:" منّ عليهما بالنبوة، وبالنجاة من فرعون وقومه، وبنصرته عليهم"[٣].

القرآن
{وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩)} [الصافات : ١١٧-١١٩]
التفسير:
وآتيناهما التوراة البينة، وهديناهما الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام دين الله الذي ابتعث به أنبياءه، وأبقينا لهما ثناءً حسنًا وذكرًا جميلا فيمن بعدهما.
قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ} [الصافات : ١١٧]، أي:" وآتيناهما التوراة البينة"[٤].
قال الطبري: يقول:" وآتينا موسى وهارون التوراة المتبيِّن هُدَى ما فيه وتفصيله وأحكامه"[٥].
عن قتادة:"قوله: { وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِين}، قال: التوراة"[٦].
قال البغوي:" {الْكِتَابَ الْمُسْتَبِين}، أي: المستنير وهو التوراة"[٧].
قال الزمخشري:أي:" البليغ في بيانه وهو التوراة" [٨].
قال القرطبي: " {الْكِتَابَ الْمُسْتَبِين}: التوراة، يقال استبان كذا أي صار بينا، واستبانه فلان مثل تبين الشيء بنفسه وتبينه فلان"[٩].
قوله تعالى:{وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الصافات : ١١٨]، أي:" وهديناهما الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام دين الله الذي ابتعث به أنبياءه"[١٠].
قال الطبري: يقول:" وهدينا موسى وهارون الطريق المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام دين الله، الذي ابتعث به أنبياءه"[١١].
قال يحيى:" الإسلام، الطريق إلى الجنة"[١٢].
عن قتادة: "{وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، الإسلام"[١٣].
قال الزمخشري:أي:" صراط أهل الإسلام، وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" [١٤].
قال القرطبي: أي:" الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الإسلام"[١٥].
قوله تعالى:{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ} [الصافات : ١١٩]، أي:" وأبقينا لهما ثناءً حسنًا وذكرًا جميلا فيمن بعدهما"[١].

---

(١) تفسيرا لقرطبي: ١١٤/١٥.
(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٠/٢.
(٣) لطائف الإشارات: ٢٤٠/٣.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٥) تفسير الطبري: ٩٤/٢١.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٤٧):ص٣٢٢٤/١٠-٣٢٢٥.
(٧) تفسير البغوي: ٥١/٧.
(٨) الكشاف: ٥٩/٤.
(٩) تفسيرا لقرطبي: ١١٤/١٥.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(١١) تفسير الطبري: ٩٤/٢١.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٠/٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٩٥/٢١.
(١٤) الكشاف: ٦٠/٤.
(١٥) تفسيرا لقرطبي: ١١٤/١٥.

قال السعدي:" أي: أبقى عليهما ثناء حسنا، وتحية في الآخرين، ومن باب أولى وأحرى في الأولين"[٢].

قال الطبري:" يقول: وتركنا عليهما في الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما"[٣].

قال أبو عبيدة:" أي: تركناهم يقال لهم فى الآخرين..{سَلامٌ عَلى مُوسى وَهارُونَ}، أي: يقال لهم هذا"[٤].

قال يحيى:" أي: وأبقينا عليهما الثناء الحسن"[٥].

قال قتادة:" أبقى الله عليهما الثناء الحسن في الآخرين"[٦].

قال ابن كثير:" أي : أبقينا لها من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا، ثم فسره بقوله:{سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ}[الصافات : ١٢٠-١٢٢]"[٧].

قال الفخر: قيل: "أن المراد وتركنا عليهما في الآخرين وهم أمة محمد ﷺ قولهم: سلام على موسى وهارون، وقيل: أن المراد وتركنا عليهما في الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم الثناء الحسن والذكر الجميل، وعلى هذا التقدير فقوله بعد ذلك: {سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ}، هو كلام الله تعالى"[٨].

القرآن

{سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢)} [الصافات : ١٢٠-١٢٢]

التفسير:

تحيةٌ لموسى وهارون من عند الله، وثناءٌ ودعاءٌ لهما بالسلامة من كل آفة، كما جزيناهما الجزاء الحسن نجزي المحسنين من عبادنا المخلصين لنا بالصدق والإيمان والعمل. إنهما من عبادنا الراسخين في الإيمان.

قوله تعالى:{سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ} [الصافات : ١٢٠]، أي:" تحيةٌ لموسى وهارون من عند الله، وثناءٌ ودعاءٌ لهما بالسلامة من كل آفة"[٩].

قال الشوكاني:" أي: أبقينا عليهما في الأمم المتأخرة الثناء الجميل"[١٠].

قال الطبري :"وذلك أن يقال: سلام على موسى وهارون"[١١].

قال مقاتل:" يعني بـ«السلام»: الثناء الحسن"[١٢].

قال المراغي:" أي: وجعلنا الملائكة والإنس والجن يسلمون عليهما أبد الدهر، ولا شيء أدعى إلى سعادة الحياة من الطمأنينة وهدوء البال كما ورد فى الحديث «من أصبح منكم آمنا فى سربه معافًى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»[١٣]"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٢) تفسير السعدي: ٧٠٦.
(٣) تفسير الطبري: ٩٥/٢١.
(٤) مجاز القرآن: ١٧٢/٢.
(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٠/٢.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٤٧):ص٣٢٢٤/١٠-٣٢٢٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٦/٧.
(٨) مفاتيح الغيب: ٣٥٢/٢٦.
(٩) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(١٠) فتح القدير: ٤٦٩/٤.
(١١) تفسير الطبري: ٩٥/٢١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٧/٣.
(١٣)أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (١١٢/١، رقم ٣٠٠) ، والترمذى (٥٧٤/٤، رقم ٢٣٤٦) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١٣٨٧/٢، رقم ٤١٤١) . وأخرجه أيضًا: القضاعى (٣٢٠/١، رقم ٥٤٠) ، والبيهقى فى

قال أبو هلال العسكري:" أراد الثناء الحسن عليهم، ويجوز أن يكون أراد قول المسلمين عند ذكر الأنبياء عليهم السلام"[٢].

قوله تعالى:{إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات : ١٢١]، أي:" كما جزيناهما الجزاء الحسن نجزي المحسنين من عبادنا المخلصين لنا بالصدق والإيمان والعمل"[٣].

قال مقاتل:" هكذا نجزي كل من أحسن"[٤].

قال الطبري :" يقول: هكذا نجزي أهل طاعتنا، والعاملين بما يرضينا عنهم"[٥].

قال ابن فورك:" الجزاء: إعطاء المضمون على العمل من خير أو شر، فجزاء الإحسان بالحمد والنفع، وجزاء الإساءة بالسوء والضر"[٦].

قوله تعالى:{إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [الصافات : ١٢٢]، أي:" إنهما من عبادنا الراسخين في الإيمان"[٧].

قال الطبري :" يقول: إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان"[٨].

قال الماتريدي:" أي: من عبادنا الذين حققوا الإيمان"[٩].

قال الطنطاوي:" أى: الذين صدقوا في إيمانهم، وفي طاعتهم لنا"[١٠].

قال الفخر:" المقصود التنبيه، على أن الفضيلة الحاصلة بسبب الإيمان أشرف وأعلى وأكمل من كل الفضائل، ولولا ذلك لما حسن ختم فضائل موسى وهارون بكونهما من المؤمنين، والله أعلم"[١١].

فوائد الآيات:[١١٤-١٢٢]:

١- بيان إكرام الله تعالى لرسوليه موسى وهرون عليهما السلام.
٢- بيان إنعام الله تعالى على بني إسرائيل بإنجائهم من آل فرعون ونصرته لهم عليهم.
٣- بيان أن الإسلام دين سائر الأنبياء وليس خاصاً بأمة الإسلام.
٤- بيان فضل الإحسان والإيمان.

القرآن

{وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦)} [الصافات : ١٢٣-١٢٦]

التفسير:

وإن عبدنا إلياس لمن الذين أكرمناهم بالنبوة والرسالة، إذ قال لقومه من بني إسرائيل: اتقوا الله وحده وخافوه، ولا تشركوا معه غيره، كيف تعبدون صنمًا، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين -المتصف بأحسن الصفات وأكملها فلا تعبدونه! -، الله ربكم الذي خلقكم، وخلق آباءكم الماضين قبلكم؟

قوله تعالى:{وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الصافات : ١٢٣]، أي:" وإن عبدنا إلياس لمن الذين أكرمناهم بالنبوة والرسالة"[١٢].

شعب الإيمان (٢٩٤/٧، رقم ١٠٣٦٢).
(١) تفسير الكراغي: ٧٩/١٢.
(٢) الوجوه والنظائر: ٢٥٧.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٧/٣.
(٥) تفسير الطبري: ٩٥/٢١.
(٦) تفسير ابن فورك: ٢٤٦/٢.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٨) تفسير الطبري: ٩٥/٢١.
(٩) تأويلات أهل السنة: ٢٢١/٨ .
(١٠) التفسير الوسيط: ١٠٧/١٢.
(١١) مفاتيح الغيب: ٣٥٢/٢٦.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٠.

قال الطبري:يقول:" وإن إلياس، لمرسل من المرسلين"[١].

قال الفراء:" ذُكِرَ أَنَّهُ نبيٌّ، وأنّ هَذَا الاسم اسم من أسماء العبرانية"[٢].

قال السمعاني:" في التفسير: أن إلياس كان من ولد هارون، وبعثه الله إلي بني إسرائيل، ويقال: بعثه الله إلى بعلبك، وهي بلدة، وقد كان أهلها يعبدون صنما يسمى: بعلا"[٣].

واختلف اهل التفسير في «إِلْيَاسَ» على اقوال:

أحدها: أنه إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران. قاله ابن إسحاق[٤].

الثاني: أنه إدريس، كما أن إسرائيل هو يعقوب. وهذا قول عبدالله بن مسعود[٥]، وقتادة[٦].

الثالث: أنه الخضر. حكاه النحاس[٧].

الرابع: أنه جدّ نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، و«أخنوخ» هو«إدريس بن يرد بن مهلائيل». وهذا قول وهب بن منبه[٨]، وبه قال أهل الأنساب[٩]، وهو اختيار الطبري[١٠].

ورويت عن ابن مسعود أنه قرأ: «وإن إدريس»، ورويت: «سلام على إدراسين»[١١].

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ} [الصافات : ١٢٤]، أي:" إذ قال لقومه من بني إسرائيل: اتقوا الله وحده وخافوه، ولا تشركوا معه غيره"[١٢].

قال الطبري:" يقول: حين قال لقومه في بني إسرائيل: ألا تتقون الله أيها القوم، فتخافونه، وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله، وإلهًا سواه"[١٣].

قال السمعاني:" معناه: ألا تخافون الله وتحذرونه"[١٤].

قوله تعالى:{أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ} [الصافات : ١٢٥]، أي:" كيف تعبدون صنمًا، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين -المتصف بأحسن الصفات وأكملها فلا تعبدونه! -"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : أتعبدون صنما ؟ {وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ}"[١٦].

قال الطبري: {وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ}، "يقول: وتَدعون عبادة أحسن مَن قيل له خالق"[١٧].

قال النحاس:" {أَتَدْعُونَ} بمعنى: أتسمّون، حكى ذلك سيبويه"[١٨].

وفي قوله تعالى:{أَتَدْعُونَ بَعْلًا} [الصافات : ١٢٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: أتدعون ربّاً ؟. قاله عكرمة[١٩]، ومجاهد[١]، وقتادة[٢]، والسدي[٣]، ويحيى بن سلام[٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٩٥/٢١.
(٢) معاني القرآن: ٣٩١/٢.
(٣) تفسير السمعاني: ٤١١/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٥/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٥١٥):ص٥٠٩/١١.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٥/٢١.
(٧) انظر: إعراب القرآن: ٢٩٤/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١١. حكاه دون ذكر السند.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١١.
(١١) معاني القرآن للزجاج: ٣١٢/٤.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(١٣) تفسير الطبري: ٩٥/٢١-٩٦.
(١٤) تفسير السمعاني: ٤١١/٤.
(١٥) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٣٧/٧.
(١٧) تفسير الطبري: ٩٥/٢١-٩٦.
(١٨) إعراب القرآن: ٢٩٤/٣.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/٢١.

قال عكرمة:" وهي لغة أهل اليمن، تقول: من بعل هذا الثور: أي: من ربُّه؟"(٥).
قال قتادة:" هذه لغة باليمانية: أتدعون ربا دون الله"(٦).
وعن قتادة:" {أتدعون بعلا}، قال: ربا، بلغة أزد شنواة"(٧).
قال القاسم بن سلام:" يعني: ربا بلغة حمير، وقيل: بلغة أزد شنوءة"(٨).

وروي عن عبد الله بن أبي يزيد، قال: كنت عند ابن عباس فسألوه عن هذه الآية: {أَتَدْعُونَ بَعْلاً}، قال: فسكت ابن عباس، فقال رجل: أنا بعلها، فقال ابن عباس: كفاني هذا الجواب"(٩).

وقال مقاتل:" بلغة اليمن «الإله» يسمى: بعلا، وكان صنما من ذهب ببعلبك بأرض الشام فكسره إلياس، ثم هرب منهم"(١٠).

قال ابو عبيدة:" يقال: أنا بعل هذه الدابة أي ربّها، والبعل الزوج ويقال: لما استبعل واستغنى بماء السماء من النخل ولم يكن سقيا فهو بعل والبعل هو العذىّ أيضا ما لم يسق"(١١).

قال ابن قتيبة:" يقال: أنا بعل هذه الناقة، أي ربها. وبعل الدار، أي: مالكها"(١٢).

قال الضحاك:" مر رجل يقول: من يعرف البقرة؟ فقال رجل: أنا بعلها فقال له ابن عباس -رضي الله عنهما-: تزعم أنك زوج البقرة؟ قال الرجل: أما سمعت قول الله: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ} [الصافات : ١٢٥]، قال: تدعون بعلا، وأنا ربكم. فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: صدقت"(١٣).

عن عكرمة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-:" أنه أبصر رجلا يسوق بقرة، فقال: من بعل هذه؟ فدعاه فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل اليمن، فقال: هي لغة: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا}، أي: ربا"(١٤).

الثاني : أن «بعل» اسم صنمهم، وهذا قول الحسن(١٥)، وابن زيد(١٦).

وقال ابن زيد:" كانوا يعبدونه في بعلبك، وهي وراء دمشق، فكان بها البعل الذي يعبدونه"(١٧).

وروي عن ابن عباس، قوله: "{أتدعون بعلا}، قال: صنما"(١٨).

قال النحاس:" روى الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا}، قال: صنما. وروى عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس {أَتَدْعُونَ بَعْلًا}، قال: ربّا. قال النحاس: القولان صحيحان، أي: تدعون صنما عملتموه ربّا"(١٩).

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/٢١.
(٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٥٤٦):ص١٠٠/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/٢١.
(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٠/٢.
(٥) أخرجه الطبري ٩٦/٢١.
(٦) أخرجه الطبري ٩٦/٢١.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٥١):ص٣٢٢٥/١٠.
(٨)لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٠.
(٩) أخرجه الطبري ٩٦/٢١.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٧/٣.
(١١) مجاز القرآن: ١٧٢/٢.
(١٢) غريب القرآن: ٣٢١.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٥٠):ص٣٢٢٥/١٠.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٤٩):ص٣٢٢٥/١٠.
(١٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٤٠/٢.
(١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٥٢):ص٣٢٢٥/١٠.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٥٢):ص٣٢٢٥/١٠.
(١٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٤٨):ص٣٢٢٥/١٠.
(١٩) إعراب القرآن: ٢٩٤/٣.

الثالث : أنه اسم امرأة كانوا يعبدونها ، قاله ابن شجرة(١)، وحكاه ابن إسحاق(٢).

قوله تعالى:{اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} [الصافات : ١٢٦]، أي:" ربكم الذي خلقكم، وخلق آباءكم الماضين قبلكم"(٣).

قال ابن كثير:" أي : هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له"(٤).

عن محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه، قال: "إن الله قبض حِزْقيل، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث، ونُسوا ما كان من عهد الله إليهم، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبيا. وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يُبعثون إليهم بتجديد ما نُسوا من التوراة، فكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل، يقال له: أحاب، كان اسم امرأته: أربل، وكان يسمع منه ويصدّقه، وكان إلياس يقيم له أمره، وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله يقال له بعل.

ثم قال ابن إسحاق: "وقد سمعت بعض أهل العلم يقول: ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله؛ يقول الله لمحمد: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأوَّلِينَ}، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله، وجعلوا لا يسمعون منه شيئا إلا ما كان من ذلك الملك، والملوك متفرّقة بالشام، كل ملك له ناحية منها يأكلها، فقال ذلك الملك الذي كان إلياس معه يقوم له أمره، ويراه على هدى من بين أصحابه يوما: يا إلياس، والله ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا، يعدّد ملوكًا من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله- إلا على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون وينعمون مملكين، ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل، وما نرى لنا عليهم من فضل؛ فيزعمون- والله أعلم- أن إلياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده، ثم رفضه وخرج عنه، ففعل ذلك الملك فعل أصحابه: عبد الأوثان، وصنع ما يصنعون، فقال إلياس: اللهمّ إن بني إسرائيل قد أبَوْا إلا أن يكفروا بك والعبادة لغيرك، فغير ما بهم من نعمتك أو كما قال.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: فذكر لي أنه أوحي إليه: إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك حتى تكون أنت الذي تأذن في ذلك، فقال إلياس: اللهم فأمسك عليهم المطر؛ فحبس عنهم ثلاث سنين، حتى هلكت الماشية والهوامّ والدوابّ والشجر، وجهد الناس جهدا شديدا. وكان إلياس فيما يذكرون حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى، شفقا على نفسه منهم، وكان حيثما كان وضع له رزق، وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت، قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان فطلبوه، ولقي منهم أهل ذلك المنزل شرا. ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له اليسع ابن أخطوب به ضرّ، فآوته وأخفت أمره، فدعا إلياس لابنها، فعُوفِيَ من الضرّ الذي كان به، واتبع اليسع غلاما شابا، فيزعمون- والله أعلم- أن أوحى إلى إلياس: إنك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص سوى بني إسرائيل من البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر، بحبس المطر عن بني إسرائيل، فيزعمون والله أعلم أن إلياس قال: أي ربّ دعني أنا الذي أدعو لهم وأكون أنا الذي آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم، لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك، قيل له: نعم؛ فجاء إلياس إلى بني إسرائيل فقال لهم: إنكم قد هلكتم جهدا، وهلكت البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر بخطاياكم، وإنكم على باطل وغرور، أو كما قال لهم، فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك، وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه، وأن الذي أدعوكم إليه الحقّ، فاخرجوا بأصنامكم هذه التي تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه، فإن استجابت لكم، فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فنزعتم، ودعوت الله ففرّج عنكم ما أنتم فيه من البلاء، قالوا:

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٦٤/٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢١-٩٩.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٧/٧.

أنصفت؛ فخرجوا بأوثانهم، وما يتقربون به إلى الله من إحداثهم الذي لا يرضى، فدعوها فلم تستجب لهم، ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل، ثم قالوا لإلياس: يا إلياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا، فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه، وأن يسقوا، فخرجت سحابة مثل التُّرس بإذن الله على ظهر البحر وهم ينظرون، ثم ترامى إليه السحاب، ثم أدحَسَتْ ثم أرسل المطر، فأغاثهم، فحيت بلادهم، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، فلم ينزعوا ولم يرجعوا، وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه؛ فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم، دعا ربه أن يقبضه إليه، فيريحه منهم، فقيل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا، فماذا جاءوك من شيء فاركبه ولا تهبه؛ فخرج إلياس وخرج معه اليسع بن أخطوب، حتى إذا كان في البلد الذي ذُكر له في المكان الذي أُمر به، أقبل إليه فرس من نار حتى وقف بين يديه، فوثب عليه، فانطلق به، فناداه اليسع: يا إلياس، يا إلياس ما تأمرني؟ فكان آخر عهدهم به، فكساه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب، وطار في الملائكة، فكان إنسيا ملكيا أرضيا سَماويا"[1].

القرآن

{فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨)} [الصافات : ١٢٧-١٢٨]

التفسير:

فكذب قوم إلياس نبيهم، فليجمعنهم الله يوم القيامة للحساب والعقاب، إلا عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله، فإنهم ناجون من عذابه.

قوله تعالى:{فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} [الصافات : ١٢٧]، أي:" فكذب قوم إلياس نبيهم، فليجمعنهم الله يوم القيامة للحساب والعقاب"[2].

قال الطبري:" يقول: فكذّب إلياس قَومُهُ، فإنهم لمحضرون: يقول: فإنهم لمحضرون في عذاب الله فيشهدونه"[3].

قال أبو عبيدة: معناه:" لمهلكون"[4].

قال يحيى:" في النار"[5].

عن قتادة: "{فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ}، في عذاب الله"[6].

وقال ابن ابي زمنين:" يريد أنهم لمبعوثون"[7].

قوله تعالى:{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات : ١٢٨]، أي:" إلا عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله، فإنهم ناجون من عذابه"[8].

قال أبو عبيدة:" {إِلَّا عِبادَ اللَّهِ}: استثناء"[9].

قال يحيى:" استثنى الله من آمن منهم"[10].

قال الطبري:" يقول: فإنهم يحضرون في عذاب الله، إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب"[11].

قال ابن ابي زمنين:" يريد: الذين صدقوا وأخلصوا لله بالتوحيد"[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١/٩٧-٩٩.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٣) تفسير الطبري: ٢١/٩٩.
(٤) مجاز القرآن: ٢/١٧٢.
(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٨٤١.
(٦) أخرجه الطبري: ٢١/٩٩.
(٧) تفسير ابن ابي زمنين: ٤/٦٩.
(٨) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٩) مجاز القرآن: ٢/١٧٢.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٨٤١.
(١١) تفسير الطبري: ٢١/٩٩.

قال مقاتل:" يعني: المصدقين لا يحضرون النار"[٢].

القرآن

{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)} [الصافات : ١٢٩-١٣٢]

التفسير:

وجعلنا لإلياس ثناءً جميلا في الأمم بعده. تحية من الله، وثناءٌ على إلياس. وكما جزينا إلياس الجزاء الحسن على طاعته، نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين. إنه من عباد الله المؤمنين المخلصين له العاملين بأوامره.

قوله تعالى:{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} [الصافات : ١٢٩]، أي:" وجعلنا لإلياس ثناءً جميلا في الأمم بعده"[٣].

قال الطبري:" يقول: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين من الأمم بعده"[٤].

قال يحيى:" أي: وأبقينا على آل ياسين في الآخرين الثناء الحسن"[٥].

قوله تعالى:{سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ} [الصافات : ١٣٠]، أي:" تحية من الله، وثناءٌ على إلياس"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أمنة من الله لآل ياسين"[٧].

قال مقاتل:" يعنى بالسلام الثناء الحسن والخير الذي ترك عليه في الآخرين"[٨].

عن السديّ: "{سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ}، قال: إلياس"[٩].

قال الالوسي:" المقصود هنا؛ أن هذا السلام- المأمور به خصوصا، والمشروع في الصلاة وغيرها عموما، على كل عبد صالح كقول المصلي السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فإن هذا -ثابت في التشهدات المروية عن النبي ﷺ"[١٠].

قرأ نافع وابن عامر : «سلامٌ على آل ياسين»، بفتح الهمزة ومدها وكسر اللام، وقرأ الباقون بكسر الهمزة وتسكين اللام، وقرأ الحسن : «سلام على ياسين»، بإسقاط الألف واللام، وقرأ ابن مسعود :« سَلامٌ عَلى إِدْرَاسِينَ»، لأنه قرأ: «وإن إدريس لمن المرسلين»[١١].

فمن قرأ :«الياس»، ففيه وجهان[١٢]:

أحدهما : أنه جمع يدخل فيه جميع آل إلياس بمعنى أن كل واحد من أهله يسمى الياس.

قال الزجاج:" وكذلك يجمع ما ينسب إلى الشيء بلفظ الشيء، تقول: رأيت المسامعة والمهالبة، تريد: بني المهلب وبني مسمع، وكذلك: رأيت المهلبين والمسمعين"[١٣].

قال أبو عبيدة:" أي: سلام على الياسين وأهله وأهل دينه جمعهم بغير إضافة الياء على العدد، فقال سلام على الياسين قال الشاعر[١]:

---

(١) تفسير ابن ابي زمنين: ٦٩/٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٧/٣.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٤) تفسير الطبري: ٩٩/٢١.
(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤١/٢.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٧) تفسير الطبري: ٩٩/٢١.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٧/٣-٦١٨.
(٩) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢١.
(١٠)غاية الأماني: ٢١٩/١ .
(١١) انظر: السبعة في القراءات: ٥٤٩، وتفسير الطبري: ١٠٣/٢١.
(١٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣١٢/٤، والنكت والعيون: ٦٥/٥.
(١٣) معاني القرآن: ٣١٢/٤.

قدنى من نصر الخبيبين قدمى ... ليس أميرى بالشّحيح الملحد

فجعل عبد الله بن الزّبير أبا خبيب ومن كان على رأيه عددا ولم يضفهم بالياء فيقول الخبيبيّون قال أبو عبيدة يعنى بالخبيبين أبا خبيب ومصعبا أخاه وقال أبو عمرو بن العلاء: نادى مناد يوم الكلاب: هلك اليزيدون يعنى يزيد ابن عبد المدار ويزيد بن هو بر ويزيد بن مخرّم: الحارثيون ويقال جاءتك الحارثون والأشعرون وكذلك يقال فى الاثنين وأسمائهما شتى قال قيس بن زهير[٢]:

جزانى الزّهدمان جزاء سوء ... وكنت المرء يجزى بالكرامه

وإنما هما زهدم وكردم، العبسيّان أخوان. وقيل لعلى بن أبى طالب: نسلك فينا سنة العمرين، يعنون أبا بكر وعمر فإن قيل: كيف بدىء بعمر قبل أبى بكر وأبو بكر أفضل منه وهو قبله؟ فإن العرب تفعل هذا تقول: ربيعة ومضر وسليم يبدءون بالأخسّ وقيس وخندق، ولم يترك قليلا ولا كثيرا"[٣].

الثاني : أنه «إلياس» فغير بالزيادة لأن العرب تغير الأسماء الأعجمية بالزيادة كما يقولون ميكال وميكاييل وميكائين . قال الشاعر[٤]:

يقول أهلُ السوق لَمَّا جينا ... هَذَا وَربِّ البيت إسرائينا

ومن قرأ: «آل ياسين»، ففي قراءته وجهان :

أحدهما : أنهم آل محمد-ﷺ-، قاله ابن عباس[٥].

قال ابن عباس:" نحن آل محمد إل ياسين"[٦].

قال أبو عبيدة:" وقالت الشيعة آل محمد أهل بيته واحتجّوا بأنك تصغر «آل» فتجعله «أهيل»"[٧].

الثاني : أنهم آل إلياس. قال الثعلبي:" وهو أليق بسياق الآية"[٨].

وروي عن الضحاك:" أنه قرأ:«سلام على آل يسين»، وقال: هو مثل إلياس مثل عيسى والمسيح، ومحمد، وأحمد، وإسرائيل، ويعقوب"[٩].

فعلى هذا في دخول الزيادة في: «ياسين» وجهان[١٠]:

---

(١)لحميد بن الأرقط فى الكتاب ١/ ٣٣٩ والكامل ص ٨٣، ٦٢٣ ر إصلاح المنطق ص ٣٧٧، ٤٤٤ والسمط ٦٤٩، والشنتمرى ١/ ٣٨٧ والقرطبي ١٥/ ١١٨ وابن يعيش ١/ ٤٤٢ والخزانة ٢/ ٤٤٩ وشواهد الكشاف ٩٢ وقال بعضهم إنه لأبى بجدلة له خبر طويل فى الخزانة ومنه فى الكامل، وقال البغدادي: ومنهم أبو عبيدة نقله عنه أبو الحسن الأخفش فيما كتبه على نوادر أبى زيد ومنهم أبو جعفر النحاس فى تفسير القرآن قال إنما يريد أبا خبيب عبد الله بن الزبير فجمعه على أنه من كان معه على مذهبه داخل معه.

وقال القرطبي: أبو عبيدة يذهب إلى أنه جمع جمع التسليم على أنه وأهل بيته سلم عليه وأنشد الشطر. يقال قدمى وقدى لغتان بمعنى حسب وإنما يريد عبد الله بن الزبير فجمعه على من كان على مذهبه داخل معه وغير أبى عبيدة الخبيبين على التثنية يريد عبد الله ومصعبا.

(٢)فى تفسير الطبري: ٢٣/ ٥٤، واللسان (زهدم).

(٣) مجاز القرآن: ١٧٢/٢-١٧٣.

(٤)يروى الشطر الثاني من الرجز:

هذا لعمر الله إسرائينا وهو في تفسير الطبري ٢١/ ١٠١، والرجز لأعرابي في المقاصد النحوية ٢/ ٤٤٥، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ٤٥٦، والدرر ٢/ ٢٧٢، وسمط اللئالي ص ٦٨١، وشرح الأشموني ١/ ١٥٦، وشرح التصريح ١/ ٢٦٤، وشرح ابن عقيل ص ٢٢٩، ولسان العرب (فطن) (يمن) ، والمعاني الكبير ص ٦٤٦، وهمع الهوامع ١/ ١٥٧، وجمهرة اللغة ص ٢٩٣، وتاج العروس (فطن) ، (يمن) ، (سرو) .

والمخصص ١٣/ ٢٨٢.

(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٥٤):ص٣٢٢٥/١٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٥٤):ص٣٢٢٥/١٠.

(٧) مجاز القرآن: ١٧٤/٢.

(٨) الكشف ووالبيان: ١٦٩/٨.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٥٣):ص٣٢٢٥/١٠.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٦٥/٥.

أحدهما : أنها زيدت لتساوي الآي ، كما قال في موضع طور سيناء ، وفي موضع آخر طور سينين ، فعلى هذا يكون السلام على أهله دونه وتكون الإضافة إليه تشريفاً له .
الثاني : أنها دخلت للجمع فيكون داخلاً في جملتهم ويكون السلام عليه وعليهم .
قوله تعالى:{إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصافات : ١٣١]، أي:" وكما جزينا إلياس الجزاء الحسن على طاعته، نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين"[١].
قال مقاتل:" هكذا نجزي كل محسن"[٢].
قال الطبري: يقول:" إنا هكذا نجزي أهل طاعتنا والمحسنين أعمالا"[٣].
قوله تعالى:{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [الصافات : ١٣٢]، أي:" إنه من عباد الله المؤمنين المخلصين له العاملين بأوامره"[٤].
قال الطبري:" يقول: إن إلياس عبد من عبادنا الذين آمنوا، فوحَّدونا، وأطاعونا، ولم يشركوا بنا شيئا"[٥].
قال مقاتل:" المصدقين بالتوحيد"[٦].
فوائد الآيات:[١٢٣-١٣٢]:
١- تقرير التوحيد، والتنديد بالشرك.
٢- هلاك المشركين ونجاة الموحدين يوم القيامة.
٣- فضل الإحسان ومجازاة أهله بحسن الجزاء.
٤- فضل الإيمان وأنه سبب كل خير وكمال.
القرآن
{وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥)} [الصافات : ١٣٣-١٣٥]
التفسير:
وإن عبدنا لوطًا اصطفيناه، فجعلناه من المرسلين، إذ نجيناه وأهله أجمعين من العذاب، إلا عجوزًا هَرِمة، هي زوجته، هلكت مع الذين هلكوا من قومها لكفرها.
قوله تعالى:{وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الصافات : ١٣٥]، أي:" وإن عبدنا لوطًا اصطفيناه، فجعلناه من المرسلين"[٧].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإن لوطا المرسل من المرسلين"[٨].
قال السمعاني:" أي: من جملة المرسلين، وهم الأنبياء"[٩].
قال ابن كثير:" ولوط هو ابن هاران بن آزر ، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل ، عليهما السلام ، وكان قد آمن مع إبراهيم ، عليه السلام ، وهاجر معه إلى أرض الشام ، فبعثه الله تعالى إلى أهل "سَدُوم" وما حولها من القرى ، يدعوهم إلى الله ، عز وجل ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها ، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم ، وهو إتيان الذكور. وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه ، ولا يخطر ببالهم ، حتى صنع ذلك أهل "سَدُوم" عليهم لعائن الله"[١٠].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٨/٣.
(٣) تفسير الطبري: ١٠٤/٢١ .
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٠.
(٥) تفسير الطبري: ١٠٤/٢١ .
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٨/٣.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥١.
(٨) تفسير الطبري: ١٠٤/٢١.
(٩) تفسير السمعاني: ٤١٢/٤.
(١٠) تفسير ابن كثير:٤٤٤/٣-٤٤٥.

قال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي ، باني جامع دمشق : "لولا أن الله ، عز وجل ، قص علينا خبر لوط ، ما ظننت أن ذكرًا يعلو ذكرًا"[١].

قوله تعالى:{إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ} [الصافات : ١٣٥]، أي:" إذ نجيناه وأهله أجمعين من العذاب"[٢].

قال الطبري:" يقول: إذ نجَّينا لوطا وأهله أجمَعينَ من العذاب الذي أحللناه بقومه، فأهلكناهم به"[٣].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط ، عليه السلام أنه بعثه إلى قومه. فكذبوه ، فنجاه الله من بين أظهرهم هو وأهله"[٤].

قوله تعالى:{إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ} [الصافات : ١٣٥]، أي:" إلا عجوزًا هَرِمة، هي زوجته، هلكت مع الذين هلكوا من قومها لكفرها"[٥].

قال الطبري:" يقول: إلا عجوزا في الباقين، وهي امرأة لوط"[٦].

قال الزجاج:" أي: من الباقين في الموضع الذي عذبوا فيه"[٧].

قال النسفي:" {فى الغابرين}: في الباقين"[٨].

قال السمعاني:" أي: الباقين في العذاب والهلاك، ومعنى الآية: أنها لم تنج وبقيت في العذاب مع قوم لوط"[٩].

عن قتادة قوله: "{إلا عجوزا في الغابرين}، قال: هي امرأته"[١٠].

وفي قوله تعالى:{إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ} [الصافات : ١٣٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : الهالكين ، قاله السّدي[١١].

الثاني : في الباقين في عذاب الله تعالى ، قاله قتادة[١٢].

قال مقاتل:" يعني: من الباقين في العذاب، فهلك قوم لوط، ثم أهلكت بعد، بحجر أصابها فقتلها"[١٣].

قال ابن جريج:"هي امرأته كانت في الغابرين في العذاب"[١٤].

قال الفراء:" والغابرون الباقون. ومن ذَلِكَ قول الشاعر: وهو الحارث بن حِلِّزَة[١٥]:

لا تكْسَعِ الشَّوْلَ بأغبارهَا ... إنّك لا تدرى من الناتج

الأغبار:-ها هنا- بقايا اللبن فِي ضروع الإبل وغيرها، واحدها غُبْر. وأنشدني بعض بني أسد وهو أَبُو الْقَمْقام[١٦]:

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٤٥/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٥١.

(٣) تفسير الطبري: ١٠٤/٢١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٨/٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤٥١.

(٦) تفسير الطبري: ١٠٤/٢١.

(٧) معاني القرآن:٣٥٣/٢.

(٨) تفسير النسفي: ١٣٦/٣.

(٩) تفسير السمعاني: ٤١٢/٤-٤١٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٩٠):ص٢٨٠٩/٩.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٥/٢١.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٧٠٣):ص١٥١٩/٥.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٢/٣.

(١٤) أخرجه الطبري(١٨١٧٢):ص٣٢٤/١٥.

(١٥) والبيت منسوب إلى العجاج في معاني القرآن للزجاج: ١٠٠/٤

الشول جمع شائلة وهى الناقة أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها والناتج الذي يتولى ولادة الحيوان. ويقال: كسع الناقة بغبرها إذا ترك فى خلفها بقية من اللبن يريد بذلك أن يغزر لبنها. وأن يقوى نسلها يقول: احلب شولك للأضياف، ولا تكسعها، فقد يغير عليها عدو فيكون نتاجها لك دونه. وانظر اللسان فى كسع.

(١٦)«يذب» فى اللسان «يذهب» : (حزبن) والحيزبون الناقة الشهمة الحديدة. وفسرت هنا بالسيئة الخلق.

تَذُبُّ منها كُلَّ حَيزَبُونِ ... مَانِعَةٍ لغبرها زبون"[١].

الثالث : أي: امرأة لوط المغبرة الشقية، في الباقين الذين غبروا وأبقوا، قاله ابن زيد[٢].

الرابع : في الماضين في العذاب، حكاه الماوردي[٣].

الخامس: فيمن غبر فلم تذهب معهم. قاله قتادة[٤].

وحكي الزجاج: أن المعنى: من الغابرين في النجاة، من قولهم: قد غبر عنا فلان زماناً إذا غاب[٥]، قال الشاعر[٦]:

أَفَبَعْدَنَا أو بَعْدَهُمْ يُرْجَى لِغَابِرِنَا الْفَلاَحُ

وقال أبو عبيدة:" أي: كانت قد غبرت من كبرها فى الغابرين، فى الباقين حتى هرموا وهرمت، وهى قد أهلكت مع قومها فلم تغبر بعدهم فتبقى، ولكنها كانت قبل ذلك من الغابرين"[٧].

قال الضحاك:" يقول: إلا امرأته تخلَّفت فمسخت حجرا، وكانت تسمى هيشفع"[٨].

قال ابن عباس:" لما ولج رسل الله على لوط ظن أنهم ضيفان، قال: فأخرج بناته بالطريق وجعل ضيفانه بينه وبين بناته، قال: {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ}[٩]، فقال: {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُم}[١٠] إلى قوله: {أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيد}[١١]، قال: فالتفت إليه جبريل، فقال: لا تخف {إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ}[١٢]، قال: فلما دنوا طمس أعينهم فانطلقوا عميا يركب بعضهم بعضا، حتى خرجوا إلى الذين بالباب، فقالوا: جئناكم من عند أسحر الناس طمست أبصارنا، قال: فانطلقوا يركب بعضكم بعضا حتى دخلوا المدينة. فكان في جوف الليل، فرفعت حتى إنهم ليسمعون صوت الطير في جو السماء، ثم قلبت عليهم فمن أصابته الائتفاكة أهلكته، قال: ومن خرج منها اتبعه حجر حيث كان فقتله. قال: وخرج لوط منها ببناته وهن ثلاث، فلما بلغ مكانا من الشام ماتت الكبرى فدفنها، فخرج عندها عين يقال لها عين «الربة»، قال: سمعت ابن عباس يقول: «ربثا»، قال: ثم انطلق حتى إذا بلغ مكانا آخر ماتت الصغرى، فدفنها، فخرج عندها عين يقال لها «الزغرية»، قال: سمعت ابن عباس يقول: «رغرثا»، قال: ولم يبق غير الوسطى"[١٣].

القرآن

{ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٣٦)} [الصافات : ١٣٦]

التفسير:

ثم أهلكنا الباقين المكذبين من قومه.

قال الطبري:" يقول: ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم، فأهلكناهم بذلك"[١٤].

والزبون: التي تضرب برجلها عند الحلب.

(١) معاني القرآن: ٢٨٢/٢-٢٨٣.

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٨٩٢):ص٢٨٠٩/٩.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٦٦/٥.

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٥٤٨):ص١٠٠/٣.

(٥) انظر: معاني القرآن:٢٥٣/٢.

(٦) البيت منسوب لطرفة في الكت والعيون:٤٤/٤.

(٧) مجاز القرآن:٢١٨/١.

(٨) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢١. وفي عرائس المجالس للثعالبي، طبعة الحلبي ١٠٦: "وكانت تسمى هلسفع".

(٩)[هود : ٧٨].

(١٠)[هود : ٧٨].

(١١)[هود : ٨٠].

(١٢)[هود : ٨١].

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٢):ص١٥١٨/٥-١٥١٩.

(١٤) تفسير الطبري: ١٠٥/٢١.

قال مقاتل:" {ثم أهلكنا} بقيتهم بالخسف والحصب"(١).
قال القرطبي:" أي: بالعقوبة"(٢).
قال السمعاني:" التدمير: هو الإهلاك بوصف التنكيل"(٣).
قال وهب بن منبه:" فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرض، ثم حمل قراهم فقلبها عليهم، ونزلت حجارة من السماء فتبعث من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا، فأهلكهم الله عز وجل ونجا لوط وأهله إلا امرأته"(٤).

القرآن
{وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨)} [الصافات : ١٣٧-١٣٨]
التفسير:
وإنكم -يا أهل «مكة» - لتمرون فى أسفاركم على منازل قوم لوط وآثارهم وقت الصباح، وتمرون عليها ليلا. أفلا تعقلون، فتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم؟
قوله تعالى:{وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨)} [الصافات : ١٣٧-١٣٨]، أي:" وإنكم -يا أهل «مكة» - لتمرون فى أسفاركم على منازل قوم لوط وآثارهم وقت الصباح، وتمرون عليها ليلا"(٥).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: وإنكم لتمرون على قوم لوط الذين دمرناهم عند إصباحكم نهارا وبالليل"(٦).
قال السمعاني:" أي: تمرون عليهم بالليل والنهار إذا ذهبتم إلى أسفاركم ورجعتم"(٧).
قال الواحدي: "أي: تمرون في ذهابكم ومجيئكم إلى الشام على قراهم ومنازلهم وآثارهم، مصبحين أي: نهارا، وبالليل وعشيا"(٨).
قال ابن كثير:" فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات ، وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح ، وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلا ونهارا"(٩).
عن السديّ، قوله: "{لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ}، قال: في أسفاركم"(١٠).
قال قتادة:" نعم والله صباحا ومساء يطئونها وطْئًا، من أخذ من المدينة إلى الشام، أخذ على سدوم قرية قوم لوط"(١١).
قال الفخر الرازي:" وذلك لأن القوم كانوا يسافرون إلى الشام والمسافر في أكثر الأمر إنما يمشي في الليل وفي أول النهار، فلهذا السبب عين تعالى هذين الوقتين"(١٢).
قال البيضاوي:" ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء"(١٣).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٢/٣.
(٢) تفسير القرطبي: ١٢٠/١٥.
(٣) تفسير السمعاني: ٤١٣/٤.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٤):ص١٥١٩/٥.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥١.
(٦) تفسير الطبري: ١٠٥/٢١.
(٧) تفسير السمعاني: ٤١٣/٤.
(٨) التفسير الوسيط: ٥٣٢/٣.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٨/٧.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢١.
(١٢) مفاتيح الغيب: ٣٥٥/٢٦.
(١٣) تفسير البيضاوي: ١٨/٥.

قوله تعالى:{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الصافات : ١٣٨]، أي:" . أفلا تعقلون، فتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم؟"[١].

قال الواحدي: أي: "أفلا تعقلون فتعتبرون بهم"[٢].

قال الزمخشري: أي:" فما فيكم عقول تعتبرون بها"[٣].

قال ابن كثير:" أي : أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها ؟"[٤].

قال الطبري:" يقول: أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكَّرون، فتعلمون أن من سلك من عباد الله في الكفر به، وتكذيب رسله، مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط، نازل بهم من عقوبة الله، مثل الذي نزل بهم على كفرهم بالله، وتكذيب رسوله، فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله، وتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام"[٥].

قال ابن زيد:" أفلا تتفكَّرون ما أصابهم في معاصي الله أن يصيبكم ما أصابهم، قال: وذلك المرور أن يمر عليهم"[٦].

فوائد الآيات:[١٣٣-١٣٨]:

١- تقرير نبوة لوط ورسالته.

٢- بيان العبرة في إنجاء لوط والمؤمنين معه وإهلاك الكافرين المكذبين به.

٣- بيان أن لا شفاعة تنفع ولو كان الشافع أقرب قريب إلا بعد أن يأذن الله للشافع وبعد رضائه عن المشفوع له.

٤- وجوب التفكر والتعقل في الأحداث الكونية للاهتداء بذلك إلى معرفة سنن الله تعالى في الكون والحياة.

القرآن

{وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠)} [الصافات : ١٣٩-١٤٠]

التفسير:

وإن عبدنا يونس اصطفيناه وجعلناه من المرسلين، إذ هرب من بلده غاضبًا على قومه، وركب سفينة مملوءة ركابًا وأمتعة.

قوله تعالى:{وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الصافات : ١٣٩]، أي:" وإن عبدنا يونس اصطفيناه وجعلناه من المرسلين"[٧].

قال الطبري:يقول:" وإن يونس لمرسل من المرسلين إلى أقوامهم"[٨].

عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لا ينبغي لأحد أن يقول إني خير من يونس بن متى نسبه إلى أمه ، أصاب ذنبا ثم اجتباه ربه»[٩].

قوله تعالى:{إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ} [الصافات : ١٤٠]، أي:" إذ هرب من بلده غاضبًا على قومه، وركب سفينة مملوءة ركابًا وأمتعة"[١٠].

قال الطبري:" يقول: حين فرّ إلى السفينة المملوء من الحمولة المُوقَر"[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥١.
(٢) التفسير الوسيط: ٥٣٢/٣.
(٣) الكشاف: ٦١/٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٨/٧.
(٥) تفسير الطبري: ١٠٥/٢١.
(٦) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢١.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥١.
(٨) تفسير الطبري: ١٠٦/٢١.
(٩) اخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٥٤):ص١٠٣/٣.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٥١.
(١١) تفسير الطبري: ١٠٦/٢١.

عن السدي:"{الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}، قال: الموقر"[١].
قال قتادة:" كنّا نحدّث أنه الموقر من الفُلك"[٢].

القرآن

{فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١)} [الصافات : ١٤١]

التفسير:

وأحاطت بها الأمواج العظيمة، فاقترع ركاب السفينة لتخفيف الحمولة خوف الغرق، فكان يونس من المغلوبين.

قوله تعالى:{فَسَاهَمَ} [الصافات : ١٤١]، أي:" فقارع أهل السفينة"[٣].

قال الطبري:" يقول: فَقَارَعَ"[٤].

عن ابن عباس، قوله: "{فَسَاهَمَ}، يقول: أقْرَعَ"[٥].

عن السديّ، قوله: "{فَسَاهَمَ}، قال: قارع"[٦].

قال قتادة:" فاحتبست السفينة، فعلم القوم أنما احتبست من حدث أحدثوه، فتساهموا، فقُرِعَ يونس، فرمى بنفسه، فالتقمه الحوت"[٧].

قوله تعالى:{فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ} [الصافات : ١٤١]، أي:" فكان من المغلوبين بالقرعة"[٨].

قال الطبري:" يعني: فكان من المسهومين المغلوبين، يقال منه: أدحض الله حجة فلان فدحضت: أي أبطلها فبطلت، والدَّحْض: أصله الزلق في الماء والطين، وقد ذُكر عنهم: دَحَض الله حجته، وهي قليلة"[٩].

عن ابن عباس والسدي، قوله: "{فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ}، يقول: من المقروعين"[١٠].

قال مجاهد:" من المسهومين"[١١].

قال ابن كثير:" وذلك أن السفينة تَلَعَّبَت بها الأمواج من كل جانب ، وأشرفوا على الغرق ، فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى في البحر ، لتخف بهم السفينة ، فوقعت القرعة على نبي الله يونس ، عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات ، وهم يضنون به أن يلقى من بينهم ، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك، وأمر الله تعالى حوتا من البحر الأخضر أن يشق البحار ، وأن يلتقم ، يونس عليه السلام ، فلا يَهْشِمُ له لحما ، ولا يكسر له عظما، فجاء ذلك الحوت وألقى يونس ، عليه السلام ، نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها. ولما استقر يونس في بطن الحوت ، حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي، فقام يصلي في بطن الحوت ، وكان من جملة دعائه : «يا رب ، اتخذتُ لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس»"[١٢].

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢١.
(٣) صفوة التفاسير: ٤٠/٣.
(٤) تفسير الطبري: ١٠٦/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢١.
(٦) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢١.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٠/٣.
(٩) تفسير الطبري: ١٠٧/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢١.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٨/٧.

{فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)} [الصافات : ١٤٢]

التفسير:

فأُلقي في البحر، فابتلعه الحوت، ويونس عليه السلام آتٍ بما يُلام عليه.

قال الطبري:" يقول: فابتلعه الحوت؛ وهو مكتسب اللوم"(١).

قال الفراء:" وهو الَّذِي قد اكتسبَ اللَّوْمَ وإن لَمْ يلم"(٢).

قال أبو عبيدة:" تقول العرب: ألام فلان فى أمره وذلك إذا أتى أمرا يلام عليه قال لبيد بن ربيعة(٣):

سَفَها عَذَلْتَ ولُمْتَ غيرَ مُلِيمِ ... وَهَداكَ قَبلَ الْيومِ غيرُ حَكيمِ"(٤).

قال ابن قتيبة:" أي مذنب. يقال: ألام الرجل؛ إذا أذنب ذنبا يلام عليه"(٥).

قال الزجاج:" أي: اللائمة لازمة له، أي ليس ذلك الذي فعل به بكفارة له. و«المليم» - في اللغة-: الذي يأتي بما يجب أن يلام عليه، ومعنى {نبذناهم}: ألقيناهم، وكل شيء ألقيته تقول فيه قد نبذته، ومن ذلك نبذت النبيذ، ومن ذلك تقول للملقوط منبوذ لأنه قد رمي به"(٦).

عن ابن عباس، قوله:"{وَهُوَ مُلِيمٌ}، مسيئ"(٧).

عن قتادة: "{وَهُوَ مُلِيمٌ}، أي: في صنعه"(٨).

وفي رواية عن معمر: قال:" قتادة: أي: مسيء"(٩).

وقال قتادة:" مليم في عباد الله"(١٠).

عن مجاهد، قوله: "{وَهُوَ مُلِيمٌ}، قال: مذنب"(١١).

قال ابن زيد:" وهو مذنب، والمليم: المذنب"(١٢).

القرآن

{فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤)} [الصافات : ١٤٣ - ١٤٤]

التفسير:

فلولا ما تقدَّم له من كثرة العبادة والعمل الصالح قبل وقوعه في بطن الحوت، وتسبيحه، وهو في بطن الحوت بقوله: {لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} ؛ لمكث في بطن الحوت، وصار له قبرًا إلى يوم القيامة.

قوله تعالى:{فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} [الصافات : ١٤٣]، أي:" فلولا ما تقدَّم له من كثرة العبادة والعمل الصالح قبل وقوعه في بطن الحوت، وتسبيحه، وهو في بطن الحوت بقوله:{لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}"(١٣).

قال الطبري: يقول:" {فَلَوْلا أَنَّهُ} يعني: يونس {كَانَ مِنَ} المُصَلِّينَ لله قبل البلاء الذي ابتُلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت"(١).

---

(١) تفسير الطبري: ١٠٧/٢١.

(٢) معاني القرآن: ٣٩٣/٢.

(٣)ديوانه ١/ ٨١ والطبري: ٢١/ ١٠٧، واللسان (لوم).

(٤) مجاز القرآن: ١٧٤/٢.

(٥) غريب القرآن: ٣٧٤.

(٦) معاني القرآن: ٥٦/٥.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٨٤):ص٣٢٢٩/١٠.

(٨)أخرجه الطبري: ١٠٨/٢١ .

(٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٥٠):ص١٠١/٣.

(١٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٩٩٠):ص٢٤٠/٣.

(١١)أخرجه الطبري: ١٠٧/٢١ .

(١٢)أخرجه الطبري: ١٠٨/٢١ .

(١٣) التفسير الميسر: ٤٥١.

قال ميمون بن مهران:" سمعت الضحاك بن قيس يقول على منبره: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إن يونس كان عبدا لله ذاكرا، فلما أصابته الشدة دعا الله فقال الله: {لَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}، فذكره الله بما كان منه، وكان فرعون طاغيا باغيا فلما:{أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِين} قال الضحاك: فاذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة"[2].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} [الصافات : ١٤٣]، على وجوه:

أحدها : من القائلين: «لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»، قاله الحسن[3]، وسعيد بن جبير[4].

عن الحسن، قوله: "{فلولا أنه كان من المسبحين}، قال: ما كان إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت، فذكر ذلك لقتادة رضي الله، عنه فقال: لا. إنما كان يعمل في الرخاء"[5].

وقال الحسن:" كان يكثر الصلاة في الرخاء، فلما حصل في بطن الحوت، ظن أنه الموت، فحرك رجليه، فإذا هي تتحرك، فسجد وقال: يا رب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يسجد فيه أحد"[6].

عن سعيد بن جُبَير: "{فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ}، قال: قال: {لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}، فلما قالها، قذفه الحوت، وهو مغرب"[7].

الثاني : من المصلين قاله ابن عباس[8]، وسعيد بن جبير[9]، وقتادة[10]، والسدي[11].

قال مقاتل:" يعني: من المصلين قبل المعصية وكان في زمانه كثير الصلاة والذكر لله- جل وعز- فلولا ذلك للبث في بطنه عقوبة فيه {إلى يوم يبعثون} الناس من قبورهم"[12].

قال قتادة:" كان كثير الصَّلاةِ في الرّخاء، فنجَّاه الله بذلك؛ قال: وقد كان يقال في الحكمة: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عَثَر، فإذا صُرِع وجد متكئا"[13].

وقال قتادة:" كان طويل الصلاة في الرّخاء؛ قال: وإنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، إذا صرع وجد متكئا"[14].

الثالث : من العابدين، قاله وهب بن منبه[15].

قال وهب:" "من العابدين، قال: فركن لعبادته"[16].

وقال أبو العلية:" كان له عمل صالح فيما خلا"[17].

---

(١) تفسير الطبري: ١٠٨/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ١١٠/٢١.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٨٦):ص٣٢٢٩/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢١.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٨٦):ص٣٢٢٩/١٠.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٨٨):ص٣٢٢٩/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ١١٠/٢١.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٠٩/٢١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٠٩/٢١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٠٨/٢١-١٠٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٩/٢١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٠/٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢١.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢١-١٠٩.
(١٥) انظر: تفسير عبدالرزاق في التفسير(٢٥٥٧):ص١٠٣/٣.
(١٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٥٧):ص١٠٣/٣.
(١٧) أخرجه الطبري: ١٠٩/٢١.

وفي الحديث:« تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة»[١].

قال قتادة:" وبلغني أنه يقال: "إن في الحكمة: «العمل الصالح يرفع صاحبه ، كلما عثر وجد متكئا»"[٢].

الرابع : من التائبين ، قاله قطرب[٣].

قال الماوردي: "وقيل: تاب في الرخاء فنجاه الله من البلاء"[٤].

الخامس: انه كان من المسبحين في جوف أبويه. حاه ابن كثير[٥].

وفي مدة لبثه في بطن الحوت أربعة أقوال:

أحدها : بعض يوم، قال الشعبي : " التقمه الحوت ضحى، ولفظه عشية، ما بات في بطنه"[٦].

الثاني : فالتقمه الحوت يقال له: نجم، وإنه لبث ثلاثة أيام في جوفه. قاله قتادة-في رواية-[٧].

الثالث : أنه –عليه السلام- لبث في بطن الحوت سبعة أيام، فطاف به البحار كلها، ثم نبذه على شاطئ دجلة ، قاله سعيد بن جبير[٨].

الرابع : أربعون يوماً، قاله أبو مالك[٩]، وقتادة-في رواية أخرى-[١٠]، وابن جريج[١١].

قال قتادة:" مكث في بطنه أربعين يوما يتردد به في دجلة"[١٢].

قال ابن جريج:"بلغني أن يونس مكث في بطن الحوت أربعين صباحا"[١٣].

قال ابن كثير:" والله أعلم بمقدار ذلك. وفي شعر أمية بن أبي الصلت[١٤]:

وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيتَ يُونُسًا... وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَاف حُوتٍ لَيَالِيا"[١٥].

قوله تعالى:{لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصافات : ١٤٤]، أي:" لمكث في بطن الحوت، وصار له قبرًا إلى يوم القيامة"[١٦].

قال الطبري:"يقول: لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة، يوم يبعث الله فيه خلقه محبوسا، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء، فذكره الله في حال البلاء، فأنقذه ونجَّاه"[١٧].

قال قتادة: لصار له بطن الحوت قبرًا إلى يوم القيامة"[١٨].

---

(١)أخرجه الطبرانى (١٢٣/١١، رقم ١١٢٤٣) . وأخرجه أيضًا: أحمد (٣٠٧/١، رقم ٢٨٠٤) ، والضياء (٢٣/١٠، رقم ١٣). والحديث بتمامه:« يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يرد الله أن يعطيكه لم يقدروا على ذلك وأن يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يعطيكه لم يقدروا على ذلك وأن قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فإذا سألت فسل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وإذا اعتصمت فاعتصم بالله واعمل لله بالشكر فى اليقين واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير فإن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا».

(٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٥٥):ص١٠٣/٣.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٦٨/٥.

(٤) النكت والعيون: ٦٨/٥.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩/٧.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٨٩):ص٣٢٢٩/١٠.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٢):ص٣٢٣٠/١٠.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩١):ص٣٢٣٠/١٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٠):ص٣٢٣٠/١٠.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٢):ص٣٢٣٠/١٠.

(١١) انظر: تفسير عبدالرزاق في التفسير(٢٥٥٥):ص١٠٣/٣.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٩٢):ص٣٢٣٠/١٠.

(١٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٥٥):ص١٠٣/٣.

(١٤)البيت في السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٨/١).

(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٩/٧.

(١٦) التفسير الميسر: ٤٥١.

(١٧) تفسير الطبري: ١٠٨/٢١.

(١٨) أخرجه الطبري: ١١٠/٢١، وابن ابي حاتم(١٨٢٩٢):ص٣٢٣٠/١٠.

القرآن

{فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥)} [الصافات : ١٤٥]

التفسير:

فطرحناه من بطن الحوت، وألقيناه في أرض خالية عارية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن.

قال الطبري:" يقول: فقذفناه بالفضاء من الأرض، حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره، وهو كالصبي المنفوس: لحم نِيء"[١].

وفي قوله تعالى:{فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ} [الصافات : ١٤٥]، وجوه من التفسير:

أحدها :معناه: ألقيناه بالساحل، قاله ابن عباس[٢].

الثاني : بالأرض، قاله السدي[٣].

الثالث : موضع بأرض اليمن. حكاه الماوردي[٤].

الرابع : نينوى على شط دجلة. قاله قتادة[٥].

الخامس : بأرض ليس فيها شيء ولا نبات. قاله قتادة أيضا[٦]، وأبو عبيدة[٧]، والطبري[٨].

قال الشاعر[٩]:

ورَفَعْتُ رِجْلا لا أخافُ عِثارَها ... وَنَبَذْتُ بالبَلَدِ العَرَاءِ ثِيابِي

يعني بالبلد: الفضاء.

قال أبو عبيدة:" تقول العرب: نبذته بالعراء أي الأرض الفضاء"[١٠].

وقال الزجاج:" يعني: بالمكان الخالي"[١١].

وفي قوله تعالى:{وَهُوَ سَقِيمٌ} [الصافات : ١٤٥]، وجوه:

أحدها : كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش، قاله ابن مسعود[١٢].

قال الماوردي:"لأنه ضعف بعد القوة ، ورق جلده بعد الشدة"[١٣].

الثاني: يعني: مستقام وجيع. قاله مقاتل[١٤].

الثالث: كهيئة الصبي، قاله السدي[١٥].

قال ابن كثير:" أي : ضعيف البدن"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري: ١١١/٢١.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢١.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢١.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٦٨/٥.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٢):ص٣٢٣٠/١٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢١.
(٧) انظر: مجاز القرآن: ١٧٥/٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢١.
(٩)البيت من الكامل، وهو لرجل من خزاعة يقال له قيس بن جعدة في "مجاز القرآن" ٢/ ١٧٥، "القرطبي" ١٥/ ١٢٩، "البحر المحيط" ٧/ ٣٦٨. وبلا نسبة في "تهذيب اللغة" ٣/ ١٥٨، "الطبري" ٢٣/ ١٠١.
(١٠) مجاز القرآن: ١٧٥/٢.
(١١) معاني القرآن: ٣١٣/٤.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٨٠):ص٣٢٢٧/١٠.
(١٣) النكت والعيون: ٦٨/٥.
(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢١/٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢١.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٤٠/٧.

قال يحيى:" وهو ضعيف مثل الصبي، فأصابته حرارة الشمس، فأنبت الله عليه {شجرة من يقطين} وهي القرع، فأظلته فنام فاستيقظ وقد يبست فحزن عليها، فأوحى الله إليه: أحزنت على هذه الشجرة وأردت أن أهلك مائة ألف من خلقي أو يزيدون؟ أي: بل يزيدون"(١).

قال ابن عباس:" خرج به، -يعني الحوت-، حتى لفظه في ساحل البحر، فطرحه مثل الصبيّ المنفوس، لم ينقص من خلقه شيء"(٢).

قال ابن زيد:" ما لَفَظَه الحوت حتى صار مثل الصبيّ المنفوس، قد نشر اللحم والعظم، فصار مثل الصبيّ المنفوس، فألقاه في موضع، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين"(٣).

القرآن

{وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦)} [الصافات : ١٤٦]

التفسير:

وأنبتنا عليه شجرة من القَرْع تظلُّه، وينتفع بها.

قال الطبري: يقول:" وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التي لا تقوم على ساق، وكل شجرة لا تقوم على ساق كالدُّباء والبِطِّيخ والحَنْظَل ونحو ذلك، فهي عند العرب يَقْطِين، وقال ابن أبي الصلت قبل الإسلام في ذلك بيتا من شعر(٤):

فَأَنْبَتَ يَقْطِينا عَلَيْه بِرَحْمَةٍ ... مِنَ الله لَوْلا الله أُلْفِيَ ضَاحِيا"(٥).

قال ابن كثير:" وغير واحد قالوا كلهم : اليقطين هو القرع.. وذكر بعضهم في القرع فوائد ، منها : سرعة نباته ، وتظليلُ ورقه لكبره ، ونعومته ، وأنه لا يقربها الذباب ، وجودة أغذية ثمره ، وأنه يؤكل نيئا ومطبوخا بلبه وقشره أيضا. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يُحِبّ الدُّبَّاء ، ويتتبعه من حَوَاشي الصَّحْفة(٦)"(٧).

واختلف اهل التفسير في قوله تعالى:{شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ} [الصافات : ١٤٦]، على أقوال:

أحدها : أنه القرع ، قاله ابن مسعود(٨)، وابن عباس(٩)، وسعيد بن جبير-في رواية-(١٠)، ومجاهد-في رواية-(١١)، وقتادة(١٢)، والضحاك(١٣)، وابن زيد(١٤)، والسدي(١٥)، وعمرو بن ميمون الأودي(١٦)، ومغيرة(١٧).

قال قتادة:" كنَّا نحدَّث أنها الدُّبَّاء، هذا القرع الذي رأيتم أنبتها الله عليه يأكل منها"(١٨).

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٣/٢.

(٢) أخرجه الطبري: ١١٢/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ١١٢/٢١.

(٤)البيت لأمية بن أبي الصلت كما في تفسير الطبري: ١١٣/٢١، ولم أجده في شعراء النصرانية ولا في ترجمته في الأغاني.

(٥) تفسير الطبري: ١١٢/٢١.

(٦)رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٤٣٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٠/٧.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٤):ص٣٢٣٠/١٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٣):ص٣٢٣٠/١٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢١ .

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢١ .

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢١.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢١.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢١ .

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢١.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢١.

(١٨) أخرجه الطبري: ١١٣/٢١.

عن ابن قسيط، أنه سمع أبا هُرَيرة يقول: طرح بالعراء، فأنبت الله عليه يقطينة، فقلنا: يا أبا هريرة وما اليقطينة؟ قال: الشجرة الدُّبَّاء، هيأ الله له أروية وحشية تأكل من خَشاش الأرض -أو هَشاش- فتفشح عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت"[١].

قال ابن زيد:" أنبت الله عليه شجرة من يقطين؛ قال: فكان لا يتناول منها ورقة فيأخذها إلا أروته لبنا، أو قال: شرب منها ما شاء حتى نبت"[٢]..

قال السدي:"هو القرع، والعرب تسميه: الدُّبَّاء"[٣].

الثاني : أنه كل شجرة ليس فيها ساق يبقى من الشتاء إلى الصيف، قاله سعيد بن جبير[٤].

قال سعيد بن جبير:" كل شجرة لا ساق لها فهي من اليقطين، والذي يكون على وجه الأرض من البطيخ والقثاء"[٥].

وقال سعيد بن جبير:" كلّ شيء ينبت ثم يموت من عامه"[٦].

وقال مجاهد:" غير ذات أصل من الدُّبَّاء، أو غيره من نحوه"[٧].

قال أبو عبيدة:" كل شجرة لا تقوم على ساق فهى يقطين، نحو: الدبّا والحنظل والبطّيخ"[٨].

قال الزجاج:" كل شجرة لا تنبت على ساق، وإنما تمتد على وجه الأرض – نحو القرع والبطيخ والحنظل - فهو يقطين، وأحسب اشتقاقها من: قطن بالمكان إذا أقام به، فهذا الشجر كله على وجه الأرض، فلذلك قيل يقطين"[٩].

عن ابن عباس، قال: "{شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ}، فقالوا عنده: القرع؛ قال: وما يجعله أحقّ من البطيخ"[١٠].

الثالث : أنها كل شجرة لها ورق عريض ، حكاه الماوردي عن ابن عباس[١١].

الرابع : أنه كل ما ينبسط على وجه الأرض من البطيخ والقثاء، رواه القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير[١٢].

الخامس : أنها شجرة سماها الله تعالى يقطيناً أظلته رواه هلال بن خباب عن سعيد بن جبير[١٣].

قال سعيد بن جبير:" فيما ذُكر أرسل الله عليه دابة الأرض، فجعلت تقرض عروقها، وجعل ورقها يتساقط حتى أفضت إليه الشمس وشكاها، فقال: يا يونس جزعت من حرّ الشمس، ولم تجزع لمئة ألف أو يزيدون تابوا إليّ، فتبت عليهم؟"[١٤].

قال الكرماني:" الجمهور: على أن اليقطين من الشجر، ما له ورق عريض منبسط على وجه الأرض، والأكثرون على أن المراد بها في السورة القرْع.

الغريب: خص بالقرع، لأنه لما خرج من بطن الحوت كان كالفرخ الممعَّط وكان يؤذيه وقوع الذباب عليه، وورق الدبا لا يحوم حوله الذباب ولا يقع عليه.

العجيب: كانت تختلف إليه، وعلة يشرب من لبنها "[١].

---

(١) اخرجه الطبري: ١١٣/٢١.
(٢)أخرجه الطبري: ١١٤/٢١ .
(٣)أخرجه الطبري: ١١٤/٢١ .
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١١٢/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٤):ص٣٢٣٠/١٠.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٩٤):ص٣٢٣٠/١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ١١٢/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ١١٢/٢١-١١٣.
(٨) مجاز القرآن: ١٧٥/٢.
(٩) معاني القرآن: ٣١٤/٤.
(١٠) اخرجه الطبري: ١١٢/٢١.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٦٨/٥.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٤):ص٣٢٣٠/١٠.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٥):ص٣٢٣٠/١٠.
(١٤) أخرجه الطبري: ١١٥/٢١.

القرآن

{وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨)} [الصافات : ١٤٧-١٤٨]

التفسير:

وأرسلناه إلى مائة ألف من قومه بل يزيدون، فصدَّقوا وعملوا بما جاء به، فمتعناهم بحياتهم إلى وقت بلوغ آجالهم.

قوله تعالى:{وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} [الصافات : ١٤٧]، أي:" وأرسلناه إلى مائة ألف من قومه بل يزيدون"[٢].

قال الطبري: يقول:" فأرسلنا يونس إلى مئة ألف من الناس، أو يزيدون على مئة ألف"[٣].

قال قتادة:" أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل"[٤].

واختلف اهل العلم في رسالته-عليه السلام-، هل كانت قبل التقام الحوت إياه، أم بعد ذلك؟ على قولين:

أحدهما : أنه أرسل إليهم بعدما نبذه الحوت بالعراء، قاله ابن عباس[٥]، شهر بن حوشب[٦].

قال شهر بن حوشب:" أتاه جبرائيل، يعني يونس، وقال: انطلق إلى أهل نِينَوَى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم؛ قال: ألتمس دابة؛ قال: الأمر أعجل من ذلك، قال: ألتمس حذاء، قال: الأمر أعجل من ذلك، قال: فغضب فانطلق إلى السفينة فركب؛ فلما ركب احتبست السفينة لا تُقدم ولا تُؤخر؛ قال: فتساهموا، قال: فسُهم، فجاء الحوت يبصبص بذنبه، فنودي الحوت: أيا حوت إنا لم نجعل يونس لك رزقا، إنما جعلناك له حوزا ومسجدا؛ قال: فالتقمه الحوت، فانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الأيْلة، ثم انطلق به حتى مر به على دجلة، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى"[٧].

الثاني: أنها كانت قبل التقام الحوت له. قاله الحسن[٨]، ومجاهد[٩]، وحكاه ابن الجوزي عن الاكثرين[١٠].

قال الحسن وقتادة:" بعثه الله تعالى قبل أن يصيبه ما أصابه، أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل"[١١].

وحكي عن الحسن، قال: "أنه تعالى أعاد الله له الرسالة، فآمنوا عن آخرهم، لم يشذ منهم أحد"[١٢].

قال السمعاني:" الأصح أنه كان نبيا من قبل، وقد دل على هذا قوله تعالى: {وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق}"[١٣].

قال ابن الجوزي: القول الثاني هو "الأصح، والمعنى: وكنا أرسلناه إلى مائة ألف، فلما خرج من بطن الحوت، أمر أن يرجع إلى قومه الذين أرسل إليهم"[١].

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٩٨٥/٢.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥١.
(٣) تفسير الطبري: ١١٥/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ١١٦/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١١٧/٢١.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١١٦/٢١-١١٧.
(٧) أخرجه الطبري: ١١٦/٢١-١١٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١١٦/٢١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٦/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٧١.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٥٥٣/٣.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٩٦):ص٣٢٣٠/١٠.
(١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٤٤/٢.
(١٣) تفسير السمعاني: ٤١٧/٤.

قال الطبري:المعنى:" أنه أرسله إلى قومه الذين وعدهم العذاب، فلما أظلهم تابوا، فكشف الله عنهم. وقيل: إنهم أهل نينَوَى"[٢].

وفي قوله تعالى:{أَوْ يَزِيدُونَ} [الصافات : ١٤٧]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أن معناه : بل يزيدون ، قاله ابن عباس، يحي بن سلام[٣]، ومقاتل[٤]، وعدد من أهل التفسير منهم الفراء[٥]، مثله قوله : {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم : ٩]، يعنى: «بل أدنى»، قال جرير[٦]:

اثعلبة الفوارس أو رياحا ... عدلت بهم طهيّة والخشابا

والمعنى: أثعلبة بل رباحاً.

الثاني: أن «أو» -هاهنا- بمعنى: «الواو»، فكأنه قال: إلى مائة ألف ويزيدون. قاله ابن قتيبة[٧]. مثله قوله تعالى: {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَب} [النحل : ٧٧]، أي:" وهو أقرب، ومنه قول الشاعر[٨]:

قرى عنكما شهرين أو نصف ثالث ... إلى ذاكما قد غيّبتني غيابيا

أراد: قرى شهرين ونصفا، ولا يجوز أن يكون أراد قرى شهرين بل نصف شهر ثالث[٩].

وقال أبو عبيدة:" {أو} –هاهنا- ليس بشكّ، وهى فى موضع آخر «بل يزيدون» وفى القرآن {قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} [الذاريات : ٥٢]، ليس بشكّ وقد قالوهما جميعا فهى فى موضع «الواو» التي للموالاة"[١٠].

قال الكرماني:" ويحتمل أن التقدير: ويزيدون على مرور الزمان، فيكون استئناف كلام"[١١].

الثالث : أن «أو» -ها هنا- على بابها، وأنه على شك المخاطبين، إذ كان الله تعالى لا يجوز عليك الشك، ومعناه: أو يزيدون في تقديركم وظنكم أنتم إذا رآهم الرائي، قال: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة، فيكون الشك راجع إلى من رآهم لا إلى الله تعالى. وهذا قول محمد بن يزيد[١٢]، وحكاه الزجاج[١٣].

قال الباقلاني:" وهذا أيضا وجه حسن"[١٤].

قال النحاس:قيل:" أنّ المعنى: وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم هم مائة ألف أو أكثر، وإنّما خوطب العباد على ما تعرفون"[١].

---

(١) زاد المسير: ٥٥٣/٣.

(٢) تفسير الطبري: ١١٦/٢١.

(٣) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٥٨.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢١/٣.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٧٢/١، و٣٩٣/٢.

وضعّفه النحاس في معاني القرآن: ٦٠/٦، وقال:" هذا خطأ عند أكثر النحويين الحذاق، ولو كان كما قالا لكان :وارسلناه إلى أكثر من مائة ألف واستغنى عن أو ".

(٦)البيت فى ديوان جرير ص ٦٦ والكتاب ١/ ٤١، ٤٣٧ والشنتمرى ١/ ٥٢، ٥٨٩ والعيني ٢/ ٥٣٢ واللسان والتاج (خشب) والقرطبي ١٤/ ٧٢٩.

(٧) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٩٠-٢٩١. وضعّفه النحاس في معاني القرآن: ٦١/٦، وقال:" وهذا ايضا خطا لأن فيه بطلان المعاني".

(٨)يروى صدر البيت بلفظ:

ألا فالبثا شهرين أو نصف ثالث والبيت من الطويل، وهو لابن أحمر في ديوانه ص ١٧١، والأزهية ص ١١٥، وخزانة الأدب ٥/ ٩، وبلا نسبة في الإنصاف ٢/ ٤٨٣، والخصائص ٢/ ٤٦٠، والمحتسب ٢/ ٢٢٧.

(٩) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٩٠-٢٩١.

(١٠) مجاز القرآن: ١٧٥/٢.

(١١) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٩٨٥/٢.

(١٢) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٦١/٦-٦٢.

(١٣) انظر: معاني القرآن: ٣١٤/٤، وأحكام القرآن للجصاص: ٤٩٧/٣، والنكت والعيون: ٦٩/٥.

(١٤) الإنتصار للقرآن: ٥٩١/٢.

الرابع : أنه للإبهام، كأنه قال: أرسلناه إلى أحد العددين(٢).

قال النحاس: " أنه كما تقول: جاءني زيد أو عمرو، وأنت تعرف من جاءك منهما إلّا أنك أبهمت على المخاطب"(٣).

وقال النحاس:" وقول الفراء أنها بمعنى «بل» ، وقول غيره أنها بمعنى: «الواو». وأنه لا يصحّ هذان القولان، لأن «بل» ليس هذا من مواضعها، لأنها للإضراب عن الأول والإيجاب لما بعده. وتعالى الله عز وجل عن ذلك أو الخروج من شيء إلى شيء، وليس هذا موضع ذلك. والواو معناها خلاف معنى «أو» فلو كانت إحداهما بمعنى الأخرى لبطلت المعاني، ولو جاز ذلك لكان وأرسلناه إلى أكثر من مائة ألف أخصر، وفي الآية قولان سوى"(٤).

واختلف من قال بهذا في قدر زيادتهم على مائة ألف على خمسة أقوال:

أحدها : يزيدون عشرين ألفاً ، رواه أبي بن كعب مرفوعاً(٥)، وبه قال مقاتل(٦).

الثاني : يزيدون ثلاثين ألفاً ، قاله ابن عباس(٧).

الثالث : يزيدون بضعة وثلاثين ألفاً ، قاله ابن عباس ايضا(٨).

الرابع : بضعة وأربعين ألفاً .وهذا مروي عن ابن عباس أيضا(٩).

الخامس : سبعين ألفاً ، قاله سعيد بن جبير(١٠).

وقال سعيد بن جبير:" وقد كان العذاب أرسل عليهم، فلما فرقوا بين النساء وأولادها، والبهائم وأولادها، وعجُّوا إلى الله، كشف عنهم العذاب، وأمطرت السماء دما"(١١).

قوله تعالى:{فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} [الصافات : ١٤٨]، أي:" فصدَّقوا وعملوا بما جاء به، فمتعناهم بحياتهم إلى وقت بلوغ آجالهم"(١٢).

قال الطبري:" يقول: فوحدوا الله الذي أرسل إليهم يونس، وصدقوا بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله، فأخرنا عنهم العذاب، ومتعناهم إلى حين بحياتهم إلى بلوغ آجالهم من الموت"(١٣).

قال ابن كثير:" أي : فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس، عليه السلام ، جميعهم. { فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ}، أي : إلى وقت آجالهم ، كقوله : { فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } [يونس : ٩٨]"(١٤).

عن قتادة والسدي: "{فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ}: الموت"(١٥).

فوائد الآيات:[١٣٩-١٤٨]:

١- تقرير نبوة يونس ورسالته وضمن ذلك تقرير رسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- مشروعية الركوب في السفن البحرية.

---

(١) إعراب القرآن: ٢٩٨/٣.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنجاس: ٢٩٨/٣، وأحكام القرآن للجصاص: ٤٩٧/٣، والنكت والعيون: ٦٩/٥.

(٣) إعراب القرآن: ٢٩٨/٣.

(٤) إعراب القرآن: ٢٩٨/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١١٥/٢١-١١٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٧):ص٣٢٣٠/١٠.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢١/٣.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٨):ص٣٢٣١/١٠.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٩):ص٣٢٣١/١٠.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٠٠):ص٣٢٣١/١٠.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٠١):ص٣٢٣١/١٠.

(١١) أخرجه الطبري: ١١٥/٢١.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٥١.

(١٣) تفسير الطبري: ١١٧/٢١.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٤١/٧.

(١٥) أخرجه الطبري: ١١٧/٢١.

٣- مشروعية الاقتراع لفض النزاع في قسمة الأشياء ونحوها.
٤- فضل الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح وعظيم نفعها عند الوقوع في البلاء.
٥- تقرير مبدأ :«تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة».
٦- بركة أكل اليقطين أي الدباء القرع إذ كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكلها ويلتقطها من حافة القصعة.
٧- فضل قوم يونس إذ آمنوا كلهم ولم تؤمن أمة بكاملها إلا هم.

القرآن

{فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩)} [الصافات : ١٤٩]

التفسير:

فاسأل -أيها الرسول- قومك: كيف جعلوا لله البنات اللاتي يكرهونهنَّ، ولأنفسهم البنين الذين يريدونهم؟

قال الطبري:" يقول: يا محمد سلهم، وقل لهم: ألربي البنات ولكم البنون؟"(١).

قال الزجاج:" أي: سلهم مسألة توبيخ وتقرير، لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك"(٢).

قال قتادة:" لأنهم قالوا-يعني مشركي قريش-: لله البنات، ولهم البنون"(٣).

قال السدي:" كانوا يعبدون الملائكة"(٤).

قال الزمخشري:" {فَاسْتَفْتِهِمْ} معطوف على مثله في أوّل السورة، وإن تباعدت بينهما المسافة: أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أوّلا، ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض، ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها، حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم: الملائكة بنات الله، مع كراهتهم الشديدة لهنّ، ووأدهم، واستنكافهم من ذكرهنّ.

ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر:

أحدها: التجسيم، لأن الولادة مختصة بالأجسام.

والثاني: تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم، كما قال: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ(١٧) وَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف : ١٧-١٨].

والثالث: أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه، حيث أنثوهم ولو قيل لأقلهم وأدناهم: فيك أنوثة. أو شكلك شكل النساء، للبس لقائله جلد النمر، ولانقلبت حماليقه(٥)، وذلك في أهاجيهم أهاجيهم بين مكشوف، فكرّر الله سبحانه الأنواع كلها في كتابه مرّات، ودل على فظاعتها في آيات: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ(٩٠)} [مريم : ٨٨ - ٩٠]، {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ} [الأنبياء : ٢٦]، {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [البقرة : ١١٦]، {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ} [الأنعام : ١٠١]"(٦).

القرآن

{أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠)} [الصافات : ١٥٠]

التفسير:

---

(١) تفسير الطبري: ١١٨/٢١.
(٢) معاني القرآن: ٣١٤/٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١١٨/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ١١٨/٢١.
(٥)في الصحاح «حملاق العين» : باطن أجفانها الذي يسوده الكحل.
(٦) الكشاف: ٦٣/٤.

واسألهم أخَلَقْنا الملائكة إناثًا، وهم حاضرون؟

قال الطبري: يقول:" أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين: الملائكة بنات الله خلقي الملائكة وأنا أخلقهم إناثا، فشهدوا هذه الشهادة، ووصفوا الملائكة بأنها إناث"[1].

قال يحيى:" أي: لم نفعل ولم يشهدوا خلقهم"[2].

قال السمعاني:" معناه: أخلقنا الملائكة إناثا {وهم شاهدون} خلقنا إناثا، وقد كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله"[3].

قال أهل التفسير: "ولم يكن يزعم هذا جميع قريش، وإنما قال هذا بعض قريش، وقوم من بني كنانة، وهم بنو مدلج"[4].

قال البيضاوي:" وإنما خص علم المشاهدة لأن أمثال ذلك لا تعلم إلا بها، فإن الأنوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء، والإشعار بأنهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم"[5].

قال أبو حيان:" فإن قلت: لم قال: وهم شاهدون، فخص علمهم بالمشاهدة؟ قلت: ما هو إلا استهزاء وتجهيل كقوله: {أَشَهِدُوا خَلْقَهُم} [الزخرف : ١٩]، وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة، لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا بإخبار صادق، لا بطريق استدلال ولا نظر. ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك، كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لإفراط جهلهم، كأنهم قد شاهدوا خلقه"[6].

القرآن

{أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢)} [الصافات : ١٥١-١٥٢]

التفسير:

وإنَّ مِن كذبهم قولهم: ولَد الله، وإنهم لكاذبون؛ لأنهم يقولون ما لا يعلمون.

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ} [الصافات : ١٥١-١٥٢]، أي:" وإنَّ مِن كذبهم قولهم: ولَد الله"[7].

قال الطبري: يقول:" ألا إن هؤلاء المشركين من كذبهم: {لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ}"[8].

قال أبو حيان:" ثم أخبر عنهم ثالثا بأعظم الكفر، وهو ادعاؤهم أنه تعالى قد ولد، فبلغ إفكهم إلى نسبة الولد"[9].

قال ابن كثير:" فذكر الله عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب ، فأولا جعلوهم بنات الله ، فجعلوا لله ولدًا. وجعلوا ذلك الولد أنثى ، ثم عبدوهم من دون الله. وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم"[10].

قوله تعالى:{وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الصافات : ١٥٢]، أي:" وهم كاذبون قطعاً في قولهم الملائكة بناتُ الله"[11].

قال الطبري:أي:" في قيلهم ذلك"[1].

---

(١) تفسير الطبري: ١١٨/٢١.
(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٥/٢.
(٣) تفسير السمعاني: ٤١٨/٤.
(٤) نقلا عن تفسير السمعاني: ٤١٨/٤.
(٥) تفسير البيضاوي: ١٩/٥.
(٦) البحر المحيط: ١٢٦/٩.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥١.
(٨) تفسير الطبري: ١١٨/٢١.
(٩) البحر المحيط: ١٢٦/٩.
(١٠) تفسير ابن كطثير: ٤٢/٦.
(١١) التفسير الميسر: ٤١/٣.

عن قتادة: "{أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ}، يقول: من كذبهم"(٢).
قال أبو حيان:" ولما كان هذا فاحشا، قال: {وإنهم لكاذبون}"(٣).

القرآن
{أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣)} [الصافات : ١٥٣]
التفسير:
لأي شيء يختار الله البنات دون البنين؟
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره موَبّخا هؤلاء القائلين لله البنات من مشركي قريش: {أَصْطَفَى} الله أيها القوم {الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ}؟"(٤).
قال السمعاني:" معناه: أصطفى البنات على البنين، وهو استفهام بمعنى الزجر والتوبيخ"(٥).
قال ابن كثير:" أي : أيّ شيء يحمله عن أن يختار البنات دون البنين ؟ كقوله :{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا } [الإسراء : ٤٠]"(٦).
قال القرطبي:" «أصطفى»، على معنى التقريع والتوبيخ، كأنه قال: ويحكم {أصطفى البنات}، أي: اختار البنات وترك البنين"(٧).
قال قتادة:" يقول: كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات"(٨).
قال يحيى:" أي: لم يفعل"(٩).
قال أبو السعود: قوله: {أَصْطَفَى البنات على البنين}"إثبات لإفكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لأمر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على النبين والاصطفاء أخذ صفوة الشئ لنفسه"(١٠).
وقرئ: «إصطفى»، بكسر الألف على الخبر، ومعناه: إصطفى البنات على البنين في زعمكم وقولكم(١١).

القرآن
{مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤)} [الصافات : ١٥٤]
التفسير:
بئس الحكم ما تحكمونه -أيها القوم- أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم.
قال الطبري:" يقول: بئس الحكم تحكمون أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم، فتجعلون له ما لا ترضونه لأنفسكم؟"(١٢).
قال السمعاني:" أي: كيف تقولون أن الله تعالى اختار البنات على البنين، وأنتم لا تختارون إلا البنين"(١).

---

(١) تفسير الطبري: ١١٨/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ١١٨/٢١.
(٣) البحر المحيط: ١٢٦/٩.
(٤) تفسير الطبري: ١١٩/٢١.
(٥) تفسير السمعاني: ٤١٨/٤.
(٦) تفسير ابن كطثير: ٤٢/٦.
(٧) تفسير القرطبي: ١٣٣/١٥.
(٨) أخرجه الطبري: ١١٩/٢١.
(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٦/٢.
(١٠) تفسير أبي السعود: ٢٠٧/٧.
(١١) انظر: تفسير السمعاني: ٤١٨/٤.
(١٢) تفسير الطبري: ١١٩/٢١.

قال ابن كثير:" أي : ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون ؟"(٢).
قال أبو السعود: " بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقل"(٣).

القرآن
{أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥)} [الصافات : ١٥٥]
التفسير:
أفلا تذكرون أنه لا يجوز ولا ينبغي أن يكون له ولد؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.
قال السمعاني:" أي: أفلا تتعظون"(٤).
قال الطبري:" يقول: أفلا تتدبرون ما تقولون؟ فتعرفوا خطأه فتنتهوا عن قيله"(٥).
قال القرطبي:" {أفلا تذكرون} في أنه لا يجوز أن يكون له ولد"(٦).
قال أبو السعود: " أي: ألا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فإنه مركوز في عقل كل ذكي وغبي"(٧).

القرآن
{أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٦)} [الصافات : ١٥٦]
التفسير:
بل ألكم حجة بيّنة على قولكم وافترائكم؟
قال الطبري:" يقول: ألكم حجة تبين صحتها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون؟"(٨).
قال السمعاني:" أي: حجة بينة"(٩).
قال ابن كثير:" أي : حجة على ما تقولونه "(١٠).
عن قتادة: "{أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ}، أي: عذر مبين"(١١).
عن السديّ، قوله: "{سُلْطَانٌ مُبِينٌ}، قال: حجة"(١٢).
قال أبو السعود: " إضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر إلي تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلا أي بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من سند حسي أو عقلي"(١٣).

القرآن
{فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧)} [الصافات : ١٥٧]
التفسير:
إن كانت لكم حجة في كتاب من عند الله فأتوا بها، إن كنتم صادقين في قولكم؟

---

(١) تفسير السمعاني: ٤١٨/٤.
(٢) تفسير ابن كطثير: ٤٢/٦.
(٣) تفسير أبي السعود: ٢٠٨/٧.
(٤) تفسير السمعاني: ٤١٨/٤.
(٥) تفسير الطبري: ١١٩/٢١-١٢٠.
(٦) تفسير القرطبي: ١٣٣/١٥.
(٧) تفسير أبي السعود: ٢٠٨/٧.
(٨) تفسير الطبري: ١٢٠/٢١.
(٩) تفسير السمعاني: ٤١٨/٤.
(١٠) تفسير ابن كطثير: ٤٢/٦.
(١١) تفسير الطبري: ١٢٠/٢١.
(١٢) تفسير الطبري: ١٢٠/٢١.
(١٣) تفسير أبي السعود: ٢٠٨/٧.

قوله تعالى: {فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الصافات : ١٥٧]، أي:" إن كانت لكم حجة في كتاب من عند الله فأتوا بها"(١).

قال الطبري:" يقول: فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذي تقولون من أن له البنات ولكم البنين كما تقولون"(٢).

قال يحيى:" {فأتوا بكتابكم} الذي فيه حجتكم"(٣).

قال السمعاني:" أي: بكتاب من عندكم يدل على ما قلتموه"(٤).

قال ابن كثير:" أي : هاتوا برهانا على ذلك يكون مستندًا إلى كتاب مُنزل من السماء عن الله : أنه اتخذ ما تقولونه ، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل ، بل لا يُجَوّزُه العقل بالكلية "(٥).

قال أبو السعود: " وحيث انتفى كلاهما[أي: السند الحسي و العقلي] فلا بد من سند نقلي: {فأتوا بكتابكم} الناطق بصحة دعواكم "(٦).

عن قتادة: "{فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ}، أي: بعذركم"(٧).

عن السديّ: "{فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ}، أن هذا كذا بأن له البنات ولكم البنون"(٨).

قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الصافات : ١٥٧]، أي:" إن كنتم صادقين في قولكم"(٩).

قال الطبري:" يقول: إن كنتم صادقين أن لكم بذلك حُجَّة"(١٠).

قال يحيى:" {إن كنتم صادقين} أن الملائكة بنات الله، أي: ليس لهم بذلك حجة"(١١).

قال أبو السعود: " وفي هذه الآيات من الإنباء عن السخط العظيم والإنكار الفظيع لأقاويلهم والاستبعاد الشديد لأباطيلهم وتسفيه أحلامهم وتركيك عقولهم وأفهامهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها"(١٢).

القرآن

{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨)} [الصافات : ١٥٨]

التفسير:

وجعل المشركون بين الله والملائكة قرابة ونسبًا، ولقد علمت الملائكة أن المشركين محضرون للعذاب يوم القيامة.

قوله تعالى:{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا} [الصافات : ١٥٨]، أي:" وجعل المشركون بين الله والملائكة قرابة ونسبًا"(١٣).

قال الطبري: يقول: " وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسبا"(١٤).

قال ابن زيد:" بين الله وبين الجنة نسبا افتروا"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(٢) تفسير الطبري: ١٢٠/٢١.
(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٦/٢.
(٤) تفسير السمعاني: ٤١٨/٤.
(٥) تفسير ابن كطثير: ٤٢/٦.
(٦) تفسير أبي السعود: ٢٠٨/٧.
(٧) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢١.
(٩) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(١٠) تفسير الطبري: ١٢٠/٢١.
(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٦/٢.
(١٢) تفسير أبي السعود: ٢٠٨/٧.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(١٤) تفسير الطبري: ١٢٠/٢١.

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا} [الصافات : ١٥٨]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان، فجعلوهم شركاء لله، فهو النسب الذي جعلوه. قاله الحسن(٢).
الثاني : أن اليهود قالت: إن الله تعالى تزوج إلى الجن فخرجت من بينهم الملائكة. قاله قتادة(٣).
قال عطية:" قالوا: صاهر إلى كرام الجن"(٤).
قال الماوردي: وهو قول يهود أصبهان"(٥).
الثالث : إن الله تعالى وإبليس أخوان. قاله ابن عباس(٦)، والكلبي(٧).
قال الماوردي:" وهو قول الزنادقة والذين يقولون: أن النور والخير النافع من خلق الله، والظلمة والشر والحيوان الضار من خلق إبليس"(٨).
قال ابن عباس:" زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى وإبليس أخوان"(٩).
الرابع : أن كفار قريش قالوا: الملائكة بنات الله، والجنة صنف من الملائكة يقال لهم: الجنة. قاله مجاهد(١٠).
قال السدي:" الجنة: الملائكة، قالوا: هنّ بنات الله"(١١).
وفي تسمية«الملائكة»، على هذا الوجه :«جنة»، ثلاثة وجوه:
أحدها : أنهم بطن من بطون الملائكة يقال لهم: الجنة ، قاله مجاهد(١٢).
الثاني : لأنهم كانوا على الجنان، قاله أبو مالك(١٣).
وقال أبو مالك:" والملائكة كلهم أجنة"(١٤).
الثالث : لاستتارهم عن العيون كالجن المستخفين(١٥).
قوله تعالى:{وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} [الصافات : ١٥٨]، أي:" ولقد علمت الملائكة أن المشركين محضرون للعذاب يوم القيامة"(١٦).
قال ابن كثير:" أي : إن الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك وافترائهم ، وقولهم الباطل بلا علم "(١٧).
وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} [الصافات : ١٥٨]، وجهان:
أحدهما: معناه: ولقد علمت الجنة إنهم لمشهدون الحساب. قاله مجاهد(١٨).
الثاني: أنهم علموا أن قائل هذا القول سيُحضرون العذاب في النار. وهذا قول قتادة(١٩)، والسدي(١).

---

(١) أخرجه الطبري: ١٢١/٢١.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٧٠/٥، وزاد المسير: ٦١/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢١.
(٤)أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٠٤) :١٠/ ٣٢٣١.
(٥) النكت والعيون: ٧٠/٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢١.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٧٠/٥.
(٨) النكت والعيون: ٧٠/٥.
(٩) أخرجه الطبري: ١٢١/٢١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ١٢١/٢١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢١.
(١٣)أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٠٥) :١٠/ ٣٢٣١.
(١٤)أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٠٥) :١٠/ ٣٢٣١.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٧١/٥.
(١٦) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(١٧) تفسير ابن كطثير: ٤٢/٦.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢١-١٢٢.
(١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٠٦):ص١٠/٣٢٣٢.

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عُنِيَ به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع"(٢).

القرآن

{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩)} [الصافات : ١٥٩]

التفسير:

تنزَّه الله عن كل ما لا يليق به ممَّا يصفه به الكافرون.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره تنزيهًا لله، وتبرئة له مما يضيف إليه هؤلاء المشركون به، ويفترون عليه، ويصفونه، من أن له بنات، وأن له صاحبة"(٣).

قال ابن كثير:" أي : تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد ، وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوا كبيرا "(٤).

قال الزجاج:": تنزيه الله من السوء عن وصفهم"(٥).

عن قتادة:" { سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}، قال: عما يكذبون"(٦).

قال قتادة: "سبح نفسه"(٧).

القرآن

{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠)} [الصافات : ١٦٠]

التفسير:

لكن عباد الله المخلصين له في عبادته لا يصفونه إلا بما يليق بجلاله سبحانه.

قال الطبري:" يقول: ولقد علمت الجنَّةُ أن الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله لمحضرون العذاب، إلا عباد الله الذين أخلصَهُمْ لرحمته، وخلقهم لجنته"(٨).

قال ابن كثير:" استثناء منقطع ، وهو من مثبت، إلا أن يكون الضمير في قوله : { عَمَّا يَصِفُونَ} عائدا إلى جميع الناس ثم استثنى منهم المخلصين، وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي ومرسل. وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله :{ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. إلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ } ، وفي هذا الذي قاله نظر"(٩).

عن قتادة:" {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}، قال: هذه ثنيا الله من الجن والإنس"(١٠).

فوائد الآيات:[١٤٩-١٦٠]:

١- إبطال فرية بَني ملحان من العرب الذين زيّن لهم الشيطان فكرة الملائكة بنات الله، ووجود نسب بين الله تعالى وبين الجن.

٢- مشروعية دحض الباطل بأقوى الحجج وأصح البراهين.

٣- الحجة الأقوى ما كانت من وحي الله في كتاب من كتبه التي أوحى بها إلى رسله.

القرآن

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢١-١٢٢.

(٢)تفسير الطبري: ١٢٢/٢١ .

(٣) تفسير الطبري: ١٢٢/٢١.

(٤) تفسير ابن كطثير: ٤٢/٦.

(٥) معاني القرآن: ٣١٥/٤.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٠٦):ص١٠/٣٢٣٢.

(٧) أخرجه الطبري: ١٢١/٢١.

(٨) تفسير الطبري: ١٢٢/٢١.

(٩) تفسير ابن كطثير: ٤٢/٦.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٠٦):ص١٠/٣٢٣٢.

{فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣)} [الصافات : ١٦١-١٦٣]

التفسير:

فإنكم -أيها المشركون بالله- وما تعبدون من دون الله من آلهة، ما أنتم بمضلِّين أحدًا إلا مَن قدَّر الله عز وجل عليه أن يَصْلَى الجحيم؛ لكفره وظلمه.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {فَإِنَّكُمْ} أيها المشركون بالله {وَمَا تَعْبُدُونَ} من الآلهة والأوثان، ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بمضِلِّينَ أحدًا إلا أحدًا سبق في علمي أنه صال الجحيم"[(١)].

قال الزجاج:" أي: ما أنتم بمضلين عليه ألا من أضل الله، {إلا من هو صال الجحيم}، أي: لستم تضلون إلا أهل النار"[(٢)].

قال السمعني:" {فإنكم وما تعبدون} أي: من الأصنام، ما أنتم على الله بمضلين إلا من أضله الله"[(٣)].

قال ابن كثير:" أي : ما ينقاد لمقالكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذُري للنار. {لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [الأعراف : ١٧٩]. فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة ، كما قال تعالى : { إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ } [الذاريات : ٨ ، ٩] أي : إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل"[(٤)].

قال الزمخشري:" معناه: فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها. فإن قلت: كيف يفتنونهم على الله؟ قلت. يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهزائهم، من قولك يفتن فلان على فلان امرأته، كما تقول: أفسدها عليه وخيبها عليه"[(٥)].

قال السعدي:" أي: إنكم أيها المشركون ومن عبدتموه مع الله، لا تقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحدا إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم، فينفذ فيه القضاء الإلهي، والمقصود من هذا، بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبيان كمال قدرة الله تعالى، أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين"[(٦)].

قال أبو البقاء العكبري:" {وما تعبدون}: الواو عاطفة، ويضعف أن يكون بمعنى :«مع»، إذ لا فعل هنا، و{ما أنتم}: نفي"[(٧)].

عن خالد، قال: "قلت للحسن، قوله: {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ}، إلا من أوجب الله عليه أن يَصْلَى الجحيم"[(٨)].

عن حميد، قال: "سألت الحسن، عن قول الله: {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ}، قال: ما أنتم عليه بمضلين إلا من كان في علم الله أنه سيصْلَى الجحيم"[(٩)].

عن إبراهيم:" {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ}: إلا من قدر عليه أنه يَصْلَى الجحيم"[(١٠)]. وفي رواية:" ما أنتم بمضلين إلا من كتب عليه إنه يصلى الجحيم"[(١١)].

---

(١) تفسير الطبري: ١٢٣/٢١.
(٢) معاني القرآن: ٣١٥/٤.
(٣) تفسير السمعاني: ٤١٩/٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٣/٧.
(٥) الكشاف: ٦٥/٤.
(٦) تفسير السعدي: ٧٩٨.
(٧) التبيان في إعراب القرآن: ١٠٩٤/٢.
(٨) أخرجه الطبري ١٢٣/٢١.
(٩) أخرجه الطبري ١٢٣/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري ١٢٣/٢١.
(١١) أخرجه الطبري ١٢٤/٢١.

وذكر أهل العلم في قوله تعالى: {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ}[الصافات :١٦٢]، وجوها من التفسير:
أحدها:معناه: يا بني إبليس إنه ليس عليكم سلطان {إِلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ}. قاله الحسن(١).
الثاني: ما أنتم بمضلي أحد على إبليس{إِلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ}. حكاه يحيى بن سلام(٢).
الثالث: أن الخطاب للمشركين، والمعنى: فإنكم ومعبوديكم ما أنتم على ما تعبدونه بمضلين أحدا {إِلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ}. وهذا قول ابن عباس(٣)، وقتادة(٤)، والضحاك(٥)، والسدي(٦).
قال قتادة:" يقول: ما أنتم بمضلين أحدا من عبادي بباطلكم هذا، إلا من تولاكُم بعمل النار"(٧).
عن ابن عباس: "{فَإِنَّكُمْ} يا معشر المشركين { وَمَا تَعْبُدُونَ}، يعني: الآلهة، { مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ}: بمضلين، {إِلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ}، يقول: إلا من سبق في علمي أنه سيصلى الجحيم"(٨).
قال يحيى:" الفتنة، يعني: الضلالة، يعني: ما أنتم عليه بمضلّين"(٩).
قال الماوردي:" {ما أنتم عليه بفاتنين}، أي: بمضلين، قال الشاعر(١٠):
فرد بنعمته كيده ... عليه وكان لها فاتنا"(١١).
وفي قوله تعالى: {إِلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ}[الصافات :١٦٣]، وجهان من التفسير:
أحدهما : إلا من سبق في علم الله تعالى أنه يصلى الجحيم، قاله ابن عباس(١٢).
قال ابن زيد:" يقول: لا تفتنون به أحدا، ولا تضلونه، إلا من قضى الله أنه صال الجحيم، إلا من قد قضى أنه من أهل النار"(١٣).
الثاني: إلا من تولاكُم بعمل النار. قاله قتادة(١٤).
قال النحاس:" أهل التفسير مجمعون فيما علمته على أن المعنى: ما أنتم بمضلّين أحدا إلّا من قدّر الله جلّ وعزّ عليه أن يضل"(١٥).
عن جعفر، "عن العشرة الذين دخلوا على عمر بن عبد العزيز، وكانوا متكلمين كلهم، فتكلموا، ثم إن عمر بن عبد العزيز تكلم بشيء، فظننا أنه تكلم بشيء رد به ما كان في أيدينا، فقال لنا: هل تعرفون تفسير هذه الآية: {فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ} قال: إنكم والآلهة التي تعبدونها لستم بالذي تفتنون عليها إلا من قَضَيْتُ عليه أنه يَصْلَى الجحيم"(١٦).
عن عمر بن ذر ، أنه سمع عمر بن عبد العزيز ، يقرأ هذه الآية {ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم} [الصافات: ١٦٣] ثم قال: " لو شاء الله أن لا يعصى لم يخلق إبليس ،

---

(١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٤٧/٢.
(٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٧/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري ١٢٣/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٠٧):ص٣٢٣٢/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري ١٢٤/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري ١٢٤/٢١.
(٦) انظر: تفسير الطبري ١٢٤/٢١، وتفسير يحيى بن سلام: ٨٤٧/٢.
(٧) أخرجه الطبري ١٢٤/٢١.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٠٧):ص٣٢٣٢/١٠.
(٩)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٨١.
(١٠) البيت غير منسوب في النكت والعيون: ٧٢/٥، وتفسير السمعاني: ٤١٩/٤، وتفسير القرطبي: ١٣٥/١٥.
(١١) النكت والعيون: ٧٢/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري ١٢٣/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٠٧):ص٣٢٣٢/١٠.
(١٣) أخرجه الطبري ١٢٤/٢١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري ١٢٤/٢١.
(١٥) إعراب القرآن: ٢٩٩/٣.
(١٦) أخرجه الطبري ١٢٤/٢١.

وقد بين الله ذلك في آية من كتابه عقلها من عقلها وجهلها من جهلها ، ثم قال: {إنكم وما تعبدون} [الصافات: ١٦١] الآية"[١].

عن الحسن أنه قرأ:«إلا مَنْ هُوَ صَالُ الجَحِيمِ» برفع اللام[٢].

القرآن

{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)} [الصافات : ١٦٤-١٦٦]

التفسير:

قالت الملائكة: وما منا أحدٌ إلا له مقام في السماء معلوم، وإنا لنحن الواقفون صفوفًا في عبادة الله وطاعته، وإنا لنحن المنزِّهون الله عن كل ما لا يليق به.

سبب النزول:

عن زيد بن مالك، قال: "كان الناس يصلون متبددين فأنزل الله: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ}، فأمرهم أن يصفوا"[٣].

قوله تعالى:{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} [الصافات : ١٦٤]، أي:" قالت الملائكة: وما منا أحدٌ إلا له مقام في السماء معلوم"[٤].

قال الطبري:" هذا خبر من الله عن قيل الملائكة أنهم قالوا: وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم"[٥].

قال الزجاج:" هذا قول الملائكة، وههنا مضمر، المعنى: ما منا ملك إلا له مقام معلوم"[٦].

قال ابن كثير:" قال تعالى مُنزها للملائكة مما نَسَبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله : { وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ } أي : له موضع مخصوص في السماوات ومقامات العبادة لا يتجاوزه ولا يتعداه"[٧].

عن السديّ، قوله: "{وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ}، قال: الملائكة"[٨].

قال ابن زيد:" هؤلاء الملائكة"[٩].

وفي قوله تعالى: قوله تعالى:{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} [الصافات : ١٦٤]، وجوه:

أحدها : معناه: ما منا ملك إلا له مكان معلوم يعبد الله فيه. قاله السدي[١٠].

وفي الحديث:«أطَّت السماء وحُقّ لها أن تَئِطّ ، ليس فيها موضع قَدَم إلا عليه ملك راكع أو ساجد". ثم قرأ : { وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ }»[١١].

الثاني : ما حكاه قتادة قال : "كان يصلي الرجال والنساء جميعاً حتى نزلت:{ وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُوم}، قال: فتقدم الرجال وتأخر النساء"[١٢].

الثالث : وما منا يوم القيامة إلا من له فيها مقام معلوم بين يدي الله عز وجل. أفاده الماوردي[١]. الماوردي[١].

---

(١) تفسير عبدالرزاق(٢٥٦٢):ص١٠٦/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢١-١٢٥.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣١١):ص٣٢٣٢/١٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(٥) تفسير الطبري: ١٢٥/٢١.
(٦) معاني القرآن: ٣١٦/٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٣/٧.
(٨) أخرجه الطبري: ١٢٦/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ١٢٦/٢١.
(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٤٧/٢.
(١١)تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧٧/١٥).
(١٢) اورده السيوطي في الدر المنثور: ١٣٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

وفي قراءة عبد الله: «وإنْ كُلّنا لَمّا لَهُ مقامٌ معلوم»[٢].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ} [الصافات : ١٦٥]، أي:" وإنا لنحن الواقفون صفوفًا في عبادة الله وطاعته"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل ملائكته: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ} لله لعبادته"[٤].

قال ابن كثير:" أي : نقف صفوفًا في الطاعة"[٥].

عن ابن عباس، قوله:" {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ}، قال: يعني الملائكة"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ} [الصافات : ١٦٥]، وجهان:

أحدهما : يعني: صفوف الملائكة في السموات، قيل: حول العرش ينتظرون ما يؤمرون به ، وقيل: في الصلاة مصطفين.

عن قتادة، قوله:" :{وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ}، قال: صفوف في السماء"[٧].

قال مقاتل:" يعني: صفوف الملائكة في السموات في الصلاة"[٨].

قال الزجاج:" أي: نحن المصلون"[٩].

وفي الحديث:« "فُضِّلنا على الناس بثلاث : جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجدًا ، وتربتها طهورا»[١٠].

عن جابر بن سَمُرَة قال : قال رسول الله ﷺ: "ألا تَصُفّون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟" قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ قال ﷺ : "يُتِمون الصفوف المتقدمة ويَتَراصون في الصف"[١١].

عن أبي نضرة، قال: "كان عمر إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه، فقال: يا أيها الناس استَوُوا، إن الله إنما يريد بكم هدى الملائكة {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} استَوُوا، تقدّم أنت يا فلان، تأخر أنت أي هذا، فإذا استَوُوا تقدّم فكبر"[١٢].

الثاني : ما حكاه زيد بن مالك، قال: كان الناس يصلون متبددين فأنزل الله: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ}، فأمرهم أن يصفوا" [١٣].

عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث، قال: "كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ}"[١٤].

عن ابن جريج، قال:" أنهم كانوا لا يصفون حتى نزلت {وإنا لنحن الصافون}"[١٥].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} [الصافات : ١٦٦]، أي:" وإنا لنحن المنزِّهون الله عن كل ما لا يليق به"[١].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٧٢/٥.
(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٩٥/٢.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(٤) تفسير الطبري: ١٢٧/٢١.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٤/٧.
(٦) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢١.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣١٤):ص٣٢٣٣/١٠.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٣/٣.
(٩) معاني القرآن: ٣١٦/٤.
(١٠)صحيح مسلم برقم (٥٢٢).
(١١)صحيح مسلم برقم (٤٣٠) وسنن أبي داود برقم (٦٦١) وسنن النسائي (٩٢/٢) وسنن ابن ماجه برقم (٩٢٢).
(١٢) أخرجه الطبري: ١٢٧/٢١-١٢٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣١١):ص٣٢٣٢/١٠.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣١٢):ص٣٢٣٢/١٠.
(١٥) اورده السيوطي في الدر المنثور: ١٣٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

قال الطبري: "يعني بذلك: المصلون له"(٢).
قال ابن كثير:" أي : نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص، فنحن عبيد له ، فقراء إليه ، خاضعون لديه"(٣).
وفي قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} [الصافات : ١٦٦]، وجهان:
أحدهما : المصلّون، قاله قتادة(٤)، والسدي(٥)، ومقاتل(٦)، والفراء(٧)، وابن قتيبة(٨).
وقال قتادة:" هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة"(٩). وفي رواية: "يبينون مكانهم من العباد"(١٠).
قال الضحاك:" كان مسروق بن الأجدع يروي عن عائشة أنها قالت: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم:"ما في سماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم". فذلك قول الملائكة:{وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُون}"(١١).
قال عبد الله: "إن من السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدمه قائما؛ قال: ثم قرأ: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}"(١٢).
الثاني : الملائكة صافون تسَبّح لله عز وجل. قاله ابن عباس(١٣).
قال الزجاج:" الممجدون لله، الذين ينزهونه عن السوء"(١٤).
قال الماوردي :أي:"المنزِّهون الله عما أضافه إليه المشركون، أي: فكيف لا تعبدونه ونحن نعبده(١٥).

القرآن
{وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٩)} [الصافات : ١٦٧-١٦٩]
التفسير:
وإن كفار «مكة» ليقولون قبل بعثتك -أيها الرسول-: لو جاءنا من الكتب والأنبياء ما جاء الأولين قبلنا، لكنا عباد الله الصادقين في الإيمان، المخلَصين في العبادة.
قال الطبري: يقول:" وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون قبل أن يبعث إليهم محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم نبيا، {لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا} كتابا أنزل من السماء كالتوراة والإنجيل، أو نبي أتانا مثل الذي أتى اليهود والنصارى {لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ} الذين أخلصهم لعبادته، واصطفاهم لجنته"(١٦).
قال الزجاج:" كان كفار قريش يقولون لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين لأخلصنا العبادة لله عز وجل، فلما جاءهم كفروا به"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(٢) تفسير الطبري: ١٢٧/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٤/٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٢٨/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٨/٢١.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٣/٣.
(٧) انظر: معاني القرآن: ٣٩٥/٢.
(٨) انظر: غريب القرآن: ٣٧٥.
(٩) اخجره الطبري: ١٢٨/٢١.
(١٠) أخره ابن ابي حاتم(١٨٣١٤):ص٣٢٣٣/١٠.
(١١) أخرجه الطبري: ١٢٦/٢١، ١٢٧.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٢٧/٢١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢٨/٢١.
(١٤) معاني القرآن: ٣١٦/٤.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٧٣/٥.
(١٦) تفسير الطبري: ١٢٩/٢١.

قال الزمخشري:" هم مشركو قريش كانوا يقولون: {لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً}، أى: كتابا، {مِنَ} كتب {الْأَوَّلِينَ} الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل، لأخلصنا العبادة لله، ولما كذبنا كما كذبوا، ولما خالفنا كما خالفوا "(٢).

قال ابن كثير:" أي : قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله ، وما كان من أمر القرون الأولى ، ويأتيهم بكتاب الله ، كما قال تعالى : { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا } [فاطر : ٤٢] ، وقال : { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ } [الأنعام : ١٥٦ ، ١٥٧]"(٣).

عن السدي:" {لو أن عندنا ذكرا من الأولين}، يعني: خبرا من الأولين"(٤).

قال السمعاني:" أي: كتابا ككتاب الأولين"(٥).

قال يحيى: "مثل: كتاب موسى وعيسى"(٦).

قال ابن زيد: "رجع الحديث إلى الأولين أهل الشرك: {وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الأَوَّلِينَ}"(٧).

قال الضحاك:" هذا قول مشركي أهل مكة، فلما جاءهم ذكر الأولين وعلم الآخرين، كفروا به فسوف يعلمون"(٨).

قال قتادة:" قالت هذه الأمة ذاك قبل أن يبعث محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: لو كان عندنا ذكر من الأولين، لكنا عباد الله المخلصين؛ فلما جاءهم محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كفروا به، فسوف يعلمون"(٩).

قال السدي:" هؤلاء ناس من مشركي العرب قالوا: لو أن عندنا كتابا من كتب الأولين، أو جاءنا علم من علم الأولين قال: قد جاءكم محمد بذلك"(١٠).

القرآن

{فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠)} [الصافات : ١٧٠]

التفسير:

فلما جاءهم ذكر الأولين، وعلم الآخرين، وأكمل الكتب، وأفضل الرسل، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، كفروا به، فسوف يعلمون ما لهم من العذاب في الآخرة.

قوله تعالى:{فَكَفَرُوا بِهِ} [الصافات : ١٧٠]، أي:" فلما جاءهم ذكر الأولين، وعلم الآخرين، وأكمل الكتب، وأفضل الرسل، وهو محمد ﷺ، كفروا به"(١١).

قال الفراء:" المعنى: وقد أرسل إليهم مُحَمَّد بالقرآن، فكفروا بِه"(١٢).

قال يحيى: " {فكفروا به}: بالقرآن"(١).

---

(١) معاني القرآن: ٣١٦/٤.
(٢) الكشاف: ٦٧/٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٤/٧.
(٤) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٤٧/٢.
(٥) تفسير السمعاني: ٤٢٠/٤.
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٨/٢.
(٧) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢١.
(١١) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(١٢) معاني القرآن: ٣٩٥/٢.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به، وذلك كفرهم بمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب"[٢].

قال الزمخشري:"فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار، والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب، فكفروا به. ونحوه: {فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً}"[٣].

قال ابن عباس:" لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر الأولين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب"[٤].

قوله تعالى:{فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الصافات : ١٧٠]، أي:" فسوف يعلمون ما لهم من العذاب في الآخرة"[٥].

قال الطبري:" يقول الله: فسوف يعلمون إذا وردوا عليّ ماذا لهم من العذاب بكفرهم بذلك"[٦].

قال الزجاج:" أي: سوف يعلمون مغبة كفرهم، وما ينزل بهم من العذاب والانتقام منهم في الدنيا والآخرة"[٧].

قال الزمخشري:" فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام. وإن: هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة. وفي ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادّين فيه، فكم بين أوّل أمرهم وآخره"[٨].

قال السمعاني:قوله: {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}" تهديد من الله لهم"[٩].

قال ابن كثير:" { فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } ، وعيد أكيد وتهديد شديد ، على كفرهم بربهم - سبحانه وتعالى - وتكذيبهم - رسوله ﷺ"[١٠].

وعن ابن عباس، قوله:" {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}، لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر الأولين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب"[١١].

قال ابن عباس:" يقول: قد جاءكم محمد بذلك، فكفروا بالقرآن وبما جاء به محمد"[١٢].

فوائد الآيات:[١٦١-١٧٠]:

١- تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ من كتب الله عليه النار فسوف يصلاها.

٢- تقرير عبودية الملائكة وطاعتهم لله وأنهم لا يتجاوزون ما حد الله تعالى لهم.

٣- فضل الصفوف في الصلاة وفضل تسويتها.

٤- بيان كذب المشركين إذ كانوا يدعون أنهم لو أنزل عليهم كتابٌ كما أنزل على من قبلهم لكانوا عباد الله المخلصين أي الذين يعبدونه ويخلصون له العبادة.

٥- تهديد الله تعالى للمشركين على كذبهم بقوله فسوف يعلمون.

القرآن

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)} [الصافات : ١٧١-١٧٣]

التفسير:

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٤٨/٢.
(٢) تفسير الطبري: ١٣٠/٢١.
(٣) الكشاف: ٦٧/٤.
(٤) اخرجه الطبري: ١٣٠/٢١.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(٦) تفسير الطبري: ١٣٠/٢١.
(٧) معاني القرآن: ٣١٦/٤.
(٨) الكشاف: ٦٧/٤.
(٩) تفسير السمعاني: ٤٢٠/٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٤/٧.
(١١) اخرجه الطبري: ١٣٠/٢١.
(١٢) اخرجه الطبري: ١٣٠/٢١.

ولقد سبقت كلمتنا -التي لا مردَّ لها- لعبادنا المرسلين، أن لهم النصرة على أعدائهم بالحجة والقوة، وأن جندنا المجاهدين في سبيلنا لهم الغالبون لأعدائهم في كل مقام باعتبار العاقبة والمآل.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} [الصافات : ١٧١]، أي:" ولقد سبقت كلمتنا -التي لا مردَّ لها- لعبادنا المرسلين"(١).

قال الطبري:يقول:" ولقد سبق منا القول لرسلنا إنهم لهم المنصورون: أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أمّ الكتاب، وهو أنهم لهم النُّصرة والغَلبة بالحجج"(٢).

قال ابن كثير:" أي : تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : { كَتَبَ اللَّهُ لأغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [المجادلة : ٢١] ، وقال تعالى : { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأشْهَادُ } [غافر : ٥١]"(٣).

عن قتادة :"{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ}، حتى بلغ: {لَهُمُ الْغَالِبُونَ}، قال: سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم"(٤).

قال الزمخشري:" الكلمة: قوله: {إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}، وإنما سماها كلمة وهي كلمات عدّة، لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة"(٥).

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} [الصافات : ١٧١]، قولان:

أحدهما : سبقت بالحجج ، قاله السدي(٦).

الثاني : أنهم سينصرون ، قال الحسن : لم يقتل من الرسل أصحاب الشرائع أحد قط.

في قراءة عبد الله:«ولقد سبقت كلمتنا على عبادنا المرسلين»(٧).

وقرأ الضحاك: «كلماتنا»، بألف على الجمع(٨).

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ} [الصافات : ١٧٢]، أي:" إنهم هم المنصورون على أعدائهم بالحجة والقوة"(٩).

قال ابن كثير:" أي : في الدنيا والآخرة. كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم ، وكيف أهلك الله الكافرين ، ونجى عباده المؤمنين"(١٠).

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ} [الصافات : ١٧٢]، قولان:

أحدهما : أنهم المنصورون بالحجج في الدنيا والعذاب في الآخرة ، قاله السدي(١١)، والكلبي(١٢).

الثاني : بالظفر إما بالإيمان أو بالانتقام ، وهو معنى قول قتادة(١٣).

قال قتادة:" كانت الأنبياء تقتل وهم منصورون، والمؤمنون يقتلون وهم منصورون نصروا بالحجج في الدنيا والآخرة، ولم يقتل نبي قط، ولا قوم يدعون إلى الحق من المؤمنين، فتذهب تلك الأمة والقرن، حتى يبعث الله قرنا ينتصر بهم منهم"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر :٤٥٢.
(٢) تفسير الطبري: ١٣٠/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٥/٧.
(٤) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢١-١٣١.
(٥) الكشاف: ٦٧/٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٣١/٢١.
(٧) انظزر: تفسير الطبري: ١٣١/٢١.
(٨) انظر: المحرر الوجيز: ٤٩٠/٤.
(٩) انظر: التفسير الميسر: ٤٥٢، وصفوة التفاسير: ٤٢/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٥/٧.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٣١/٢١.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٧٣/٥.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣١٥):ص٣٢٣٣/١٠.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣١٥):ص٣٢٣٣/١٠.

قال ابن عطية:" ثم أنس تعالى نبيه وأولياءه بأن القضاء قد سبق، والكلمة قد حقت في الأزل بأن رسل الله تعالى إلى أرضه {هم الْمَنْصُورُونَ} على من ناوأهم المظفرون بإرادتهم المستوجبون الفلاح في الدارين"[١].

قوله تعالى:{وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات : ١٧٣]، أي:" وأن جندنا المجاهدين في سبيلنا لهم الغالبون لأعدائهم في كل مقام باعتبار العاقبة والمآل"[٢].

قال الطبري:" يقول: وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون، يقول: لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا، والخلاف علينا"[٣].

قال ابن كثير:" أي : تكون لهم العاقبة"[٤].

قال ابن عطية:" وجند الله هم الغزاة لتكون كلمات الله هي العليا"[٥].

القرآن

{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥)} [الصافات : ١٧٤-١٧٥]

التفسير:

فأعرض -أيها الرسول- عَمَّن عاند، ولم يقبل الحق حتى تنقضي المدة التي أمهلهم فيها، ويأتي أمر الله بعذابهم، وأنظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب بمخالفتك؟ فسوف يرون ما يحل بهم من عذاب الله.

قوله تعالى:{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ} [الصافات : ١٧٥]، أي:" فأعرض -أيها الرسول- عَمَّن عاند، ولم يقبل الحق حتى تنقضي المدة التي أمهلهم فيها، ويأتي أمر الله بعذابهم"[٦].

قال الطبري:يعني:" فأعرض عنهم إلى حين"[٧].

قال ابن الجوزي:" أي: أعرض عن كفار مكة حتى تنقضي مدة إمهالهم"[٨].

قال مجاهد:" قيل له أعرض، عنهم"[٩].

قال ابن كثير:" أي : اصبر على أذاهم لك ، وانتظر إلى وقت مؤجل ، فإنا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر؛ ولهذا قال بعضهم : غيَّى ذلك إلى يوم بدر. وما بعدها أيضا في معناها"[١٠].

وفي بيان هذا «الحين»، أقوال:

أحدها : أنه يوم بدر ، قاله السدي[١١].

الثاني : فتح مكة ، حكاه النقاش[١٢].

الثالث : الموت ، قاله قتادة[١٣].

الرابع : يوم القيامة ، وهو قول زيد بن أسلم[١٤]، وهو مروي عن السدي في رواية[١٥].

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/٤٩٠.
(٢) التفسير الميسر :٤٥٢.
(٣) تفسير الطبري: ٢١/١٣١.
(٤) تفسير ابن كثير: ٧/٤٥.
(٥) المحرر الوجيز: ٤/٤٩٠.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(٧) تفسير الطبري: ٢١/١٣١.
(٨) زاد المسير: ٣/٥٥٥.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٢٠):١٠/٣٢٣٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٧/٤٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢١/١٣١-١٣٢، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٣١٨):ص١٠/٣٢٣٣.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٥/٧٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١/١٣١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢١/١٣٢.
(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣١٧):ص١٠/٣٢٣٣.

قال الطبري: "وقول السدي أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذي كانوا يستعجلونه، فقال: {أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ}، وأمر نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يُعْرِض عليهم إلى مجيء حينه. فتأويل الكلام: فتول عنهم يا محمد إلى حين مجيء عذابنا، ونزوله بهم"(١).

قوله تعالى:{وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} [الصافات : ١٧٥]، أي:" وأنظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب بمخالفتك؟ فسوف يرون ما يحل بهم من عذاب الله"(٢).

قال الطبري: يقول:" وأنظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا"(٣).

قال ابن الجوزي:" أي: انظر إليهم إذا نزل بهم العذاب، وقيل: أبصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون ما انكروا"(٤).

قال ابن كثير:" أي : أنظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال على مخالفتك وتكذيبك؛ ولهذا قال على وجه التهديد والوعيد : { فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}"(٥).

قال ابن عطية:" وعد للنبي ﷺ ووعيد لهم، أي: سوف يرون عقبى طريقتهم"(٦).

عن قتادة: "{وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}، حين لا ينفعهم البصر"(٧).

قال ابن زيد:" يقول: أنظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم، قال: يقول: يبصرون يوم القيامة ما ضيعوا من أمر الله، وكفرهم بالله ورسوله وكتابه، قال: فأبصرهم وأبصر، واحد"(٨).

وفي نسخ هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها منسوخة، قاله قتادة(٩)، وزيد بن أسلم(١٠)، والسدي-في رواية-(١١)، ومقاتل(١٢).

الثاني : أنها ثابتة. حكاه الماوردي(١٣).

قال ابن عطية:" قوله تعالى، {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ}، وعد للنبي ﷺ وأمر بالموادعة، وهذا مما نسخته آية السيف"(١٤).

قال المقري: في سورة «الصافات»" أربع آيات منسوخات منها آيتان متصلتان أوليان هما قوله تعالى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ(١٧٤) {وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} [الصافات : ١٧٤-١٧٥]، والآيتان المتصلتان الآخرتان قوله تعالى: {وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ(١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} [الصافات : ١٧٨-١٧٩]، وبين الحينين فرق كبير، فالحين الأول: انتظار امر الله تعالى بقتالهم، والحين الثاني: كناية عن يوم بدر، والمشهور نسخت الآربع بآية السيف"(١٥).

القرآن

---

(١) تفسير الطبري: ١٣٢/٢١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(٣) تفسير الطبري: ١٣٢/٢١.
(٤) زاد المسير: ٥٥٥/٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٥/٧.
(٦) المحرر الوجيز: ٤٩٠/٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٣١/٢١. وذلك على تفسير «الحين» بالموت.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٣٢/٢١. وذلك على تفسير «الحين» بيوم القيامة.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣١٧):ص٣٢٣٣/١٠. وذلك على تفسير «الحين» بيوم القيامة.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٣/٣.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٧٣/٥.
(١٤) المحرر الوجيز: ٤٩٠/٤.
(١٥) الناسخ والمنسوخ: ١٤٧.

{أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٧)} [الصافات : ١٧٦-١٧٧]

التفسير:

أفبنزول عذابنا بهم يستعجلونك أيها الرسول؟ فإذا نزل عذابنا بهم، فبئس الصباح صباحهم.

سبب النزول:

قال مقاتل:" فقالوا للنبي- ﷺ-: متى هذا الوعد؟ تكذيبا به فأنزل الله- عز وجل-{أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ...}"(١).

قال الثعلبي:" وذلك أن رسول الله -عليه السلام- لما أوعدهم العذاب، قالوا: متى هذا الوعد؟ فأنزل الله سبحانه هذه الآية"(٢).

قوله تعالى:{أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ} [الصافات : ١٧٦]، أي: أفبنزول عذابنا بهم يستعجلونك أيها الرسول؟"(٣).

قال الطبري: " يقول: فبنزول عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد، وذلك قولهم للنبي: {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}"(٤).

قال ابن كثير:" أي : هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم ، فإن الله يغضب عليهم بذلك ، ويعجل لهم العقوبة ، ومع هذا أيضا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة"(٥).

قوله تعالى:{فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ} [الصافات : ١٧٧]، أي:" فإذا نزل عذابنا بهم، فبئس الصباح صباحهم"(٦).

قال الطبري: " يقول: فإذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب، فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم فلم يصدقوا به"(٧).

قال ابن كثير:" أي : فإذا نزل العذاب بمحلتهم ، فبئس ذلك اليوم يومهم ، بإهلاكهم ودمارهم"(٨).

قال الثعلبي:" بساحتهم: بناحيتهم وفنائهم، فبئس {صباح} الكافرين"(٩).

قال النحاس:" {بساحتهم}، أي: بدارهم، و«الساحة» -في اللغة-: فناء الدار الواسع"(١٠).

عن السديّ، قوله: "{فَإِذَا نزلَ بِسَاحَتِهِمْ}، قال: بدارهم، {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}، قال: بئس ما يصبحون"(١١).

قال الزمخشري:" مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره، ولا أخذوا أهبتهم، ولا دبروا أمرهم تدبيرا ينجيهم، حتى أناخ بفنائهم بغتة، فشنّ عليهم الغارة وقطع دابرهم، وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا، فسميت الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر، وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٣/٣-٦٢٤.
(٢) الكشف والبيان: ١٧٣/٨.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(٤) تفسير الطبري: ١٣٢/٢١.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٥/٧.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(٧) تفسير الطبري: ١٣٢/٢١-١٣٣.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٥/٧.
(٩) الكشف والبيان: ١٧٣/٨.
(١٠) معاني القرآن: ٦٩/٦-٧٠.
(١١) اخرجه الطبري: ١٣٣/٢١.

الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك، إلا لمجيئها على طريقة التمثيل"[١].
التمثيل"[١].

عن أنس رضي الله، عنه قال: "صبح رسول الله ﷺ خيبر وقد خرجوا بالمساحي، فلما نظروا إليه قالوا: محمد والخميس. فقال: الله أكبر خربت خيبر، إنا أنزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فأصبنا حمرا خارجة من القرية فطبخناها فيقال رسول الله ﷺ؟ إن الله ورسوله ينهاكم عن الحمر الأهلية، فإنها رجس من عمل الشيطان"[٢].

وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران، والجحدري، وابن يعمر: «فإذا نزل»، برفع النون وكسر الزاي وتشديدها[٣].

وقرأ ابن مسعود: «فبئس صباح»[٤].

القرآن

{وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩)} [الصافات : ١٧٨-١٧٩]

التفسير:

وأعرض عنهم حتى يأذن الله بعذابهم، وأنظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من العذاب والنكال.

قوله تعالى:{وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ} [الصافات : ١٧٩]، أي:" وأعرض عنهم حتى يأذن الله بعذابهم"[٥].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين، وخلهم وفريتهم على ربهم إلى حين يأذن الله بهلاكهم"[٦].

قال مقاتل:" أعرض عنهم إلى تلك المدة: القتل ببدر"[٧].

قوله تعالى:{وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} [الصافات : ١٧٩]، أي:" وأنظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من العذاب والنكال"[٨].

قال الطبري: " يقول: وانظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا في حين لا تنفعهم التوبة، وذلك عند نزول بأس الله بهم"[٩].

قال ابن كثير:" قوله : { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ. وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك"[١٠].

القرآن

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)} [الصافات : ١٨٠]

التفسير:

تنزَّه الله وتعالى رب العزة عما يصفه هؤلاء المفترون عليه.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره تنزيها لربك يا محمد وتبرئة له. ربّ القوّة والبطش عمَّا يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركي قريش، من قولهم ولد الله، وقولهم: الملائكة بنات الله، وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم"[١١].

---

(١) الكشاف: ٦٨/٤.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣١٩):ص١٠/٣٢٣٣-٣٢٣٤.
(٣) انظر: زاد المسير: ٥٥٦/٣.
(٤) انظر: الكشاف: ٦٨/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(٦) تفسير الطبري: ١٣٢/٢١-١٣٣.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٤/٣.
(٨) التفسير الميسر: ٤٥٢.
(٩) تفسير الطبري: ١٣٢/٢١-١٣٣.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٦/٧.
(١١) تفسير الطبري: ١٣٢/٢١-١٣٣.

قال مقاتل:" ثم نزه نفسه عن قولهم فقال- جل وعز-: {سبحان ربك رب العزة}، يعني: عزة من يتعزز من ملوك الدنيا، {عما يصفون}: عما يقولون من الكذب إن الملائكة بنات الله- عز وجل- "[١].

قال ابن كثير:" ينزه تعالى نفسه الكريمة ويقدسها ويبرئها عما يقوله الظالمون المكذبون المعتدون - تعالى وتقدس عن قولهم علوا كبيرا - ولهذا قال : { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ } ، أي : ذي العزة التي لا ترام ، { عَمَّا يَصِفُونَ } أي : عن قول هؤلاء المعتدين المفترين"[٢].

عن قتادة: "{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ}، أي: عما يكذبون، يسبح نفسه إذا قيل عليه البهتان"[٣].

قال الزمخشري:" أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل: ذو العزة، كما تقول: صاحب صدق، لاختصاصه بالصدق. ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها ومالكها، كقوله تعالى :{تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ}"[٤].

قال الفخر:" قوله: {رب العزة} يدل على أنه القادر على جميع الحوادث، لأن الألف واللام في قوله: {العزة} تفيد الاستغراق، وإذا كان الكل ملكا له وملكا له لم يبق لغيره شيء، فثبت أن قوله: {سبحان ربك رب العزة عما يصفون}، كلمة محتوية على أقصى الدرجات وأكمل النهايات في معرفة إله العالم"[٥].

القرآن

{وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١)} [الصافات : ١٨١]

التفسير:

وتحية الله الدائمة وثناؤه وأمانه لجميع المرسلين.

قال مقاتل:" الذين بلغوا عن الله التوحيد "[٦].

قال البغوي:" الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع"[٧].

قال الطبري:" يقول: وأمة من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أممهم الذي ذكرهم في هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر، وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قبل الله تبارك وتعالى"[٨].

قال ابن كثير:" أي : سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة ؛ لسلامة ما قالوه في ربهم ، وصحته وحقيته "[٩].

قال السمعاني:" {المرسلين}، أي: الأنبياء الذين أرسلوا إلى الخلق"[١٠].

قال القرطبي:" أي: الذين بلغوا عن الله تعالى التوحيد والرسالة"[١١].

قال البيضاوي:" {وسلام على المرسلين}، تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم"[١٢].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٤/٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٦/٧.
(٣) أخرجه الطبري: ١٣٣/٢١-١٣٤.
(٤) الكشاف: ٦٩/٤.
(٥) مفاتيح الغيب: ٣٦٤/٢٦.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٤/٣.
(٧) تفسير البغوي: ٦٥/٧.
(٨) تفسير الطبري: ١٣٤/٢١.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٦/٧.
(١٠) تفسير السمعاني: ٤٢٢/٤.
(١١) تفسير القرطبي: ١٤٢/١٥.
(١٢) تفسير البيضاوي: ٢١/٥.

عن قتادة: "{سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}، قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم:«إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين فإنما أنا رسول من المرسلين»[(١)]"[(٢)].

قال الفخر:" واعلم أن أكثر الخلق ناقصون ولا بد لهم من مكمل يكملهم، ومرشد يرشدهم، وهاد يهديهم، وما ذاك إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبديهة الفطرة شاهدة بأنه يجب على الناقص الاقتداء بالكامل، فنبه على هذا الحرف بقوله: {وسلام على المرسلين}، لأن هذا اللفظ يدل على أنهم في الكمال اللائق بالبشر فاقوا غيرهم، ولا جرم يجب على كل من سواهم الاقتداء بهم"[(٣)].

القرآن

{وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)} [الصافات : ١٨٢]

التفسير:

والحمد لله رب العالمين في الأولى والآخرة، فهو المستحق لذلك وحده لا شريك له.

قال مقاتل:" على هلاك الآخرين الذين لم يوحدوا ربهم"[(٤)].

قال البغوي:" على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء عليهم السلام"[(٥)].

قال البيضاوي:" على ما أفاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك أخره عن التسليم، والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله"[(٦)].

قال القرطبي:" أي: على إرسال المرسلين مبشرين ومنذرين. وقيل: أي على جميع ما أنعم الله به على الخلق أجمعين. وقيل: أي على هلاك المشركين، دليله:{فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين}، [الأنعام: ٤٥]. قلت: والكل مراد والحمد يعم"[(٧)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والحمد لله رب الثقلين الجن والإنس، خالصا دون ما سواه، لأن كلّ نعمة لعباده فمنه، فالحمد له خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمه عندهم، بل كلها من قبله، ومن عنده"[(٨)].

قال ابن كثير:" أي : له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال. ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ، ويستلزم إثبات الكمال ، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ، ويستلزم التنزيه من النقص - قرن بينهما في هذا الموضع ، وفي مواضع كثيرة من القرآن ؛ ولهذا قال:{ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } "[(٩)].

---

(١)أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين (٢/ ١٠)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ١١٣، ٢/ ٣٣٥).
من طريق أبي العوام، عن قتادة، عن أنس، به.
وقال الحافظ في نتائج الأفكار كما في الفتوحات الربانية (٣/ ٣٣٨): سنده حسن، لكن أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن قتادة مرسلا، وهو قوي.
والحديث سنده ضعيف؛ لوجود أبي العوام، وهو عمران بن داور، قال الحافظ: صدوق يهم، ورمي برأي الخوارج (التقريب ص ٤٢٩)، وفيه عنعنة قتادة، وهو مدلس. (انظر طبقات المدلسين ص ٤٣).
ورواية قتادة التي أشار إليها الحافظ رحمه الله قبل قليل، ذكرها السخاوي في القود البديع (ص ٧٩) بلفظ: إذا صليتم على المرسلين، فصلوا علي معهم، فإني رسول من المرسلين".
قال السخاوي: رواه ابن أبي عاصم، وإسناده حسن جيد، لكنه مرسل.

(٢) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢١.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣٦٤/٢٦.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٤/٣.

(٥) تفسير البغوي: ٦٥/٧.

(٦) تفسير البيضاوي: ٢١/٥-٢٢.

(٧) تفسير القرطبي: ١٤٢/١٥.

(٨) تفسير الطبري: ١٣٤/٢١.

(٩) تفسير ابن كثير: ٤٦/٧.

قال الزمخشري:" اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا إليه مما هو منزه عنه، وما عاناه المرسلون من جهتهم، وما خوّلوه في العاقبة من النصرة عليهم، فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون، والتسليم على المرسلين {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ} على ما قيض لهم من حسن العواقب، والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد"[١].

عن أبى سعيد قال: سمعت النبى - ﷺ - غير مرة يقول فى آخر صلاته: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»"[٢].

وفي الحديث:" إذا حضرتم الميتَ فقولوا: سبحان ربِّك ربِّ العزةِ عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمدُ للهِ ربِّ العالمين"[٣].

وفي الحديث:«من قال دبر كل صلاة: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، ثلاث مرات فقد اكتال بالجريب الأوفى من الأجر"[٤].

عن علي-رضي الله عنه، قال: "من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل حين يفرغ من صلاته سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين"[٥].

فوائد الآيات:[١٧١-١٨٢]:

١- تقرير النبوة المحمدية.

٢- وعد الله تعالى لرسوله بالنصر وقد أنجزه ما وعده والحمد لله.

٣- استحباب ختم الدعاء أو الكلام بقراءة جملة: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، لورود ذلك في السنة.

«آخر تفسير سورة (الصافات)، والحمد لله وحده»

---

(١) الكشاف: ٦٩/٤.

(٢)أخرجه ابن أبى شيبة (٢٦٩/١، رقم ٣٠٩٧)، في إسناده عمارة بن جوين - أبو هارون العبدي - متروك الحديث ، ورواه أبو يعلى في مسنده (٣٦٣/٢) فقال : حدثنا إسحاق ، حدثنا حماد ، عن أبي هارون بنحوه.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، والمروزى عن أم سلمة، [جامع الاحاديث(١٨٠٣):ص٧١/٣]، الاحاديث(١٨٠٣):ص٧١/٣]، وأخرجه الديلمى (٢٦٨/١، رقم ١٠٤١).

(٤)أخرجه الطبرانى (٢١١/٥، رقم ٥١٢٤) قال الهيثمى (١٠٣/١٠) : فيه عبد المنعم بن بشير وهو ضعيف جدا.

(٥)أخرجه عبد الرزاق (٢٣٦/٢، رقم ٣١٩٦).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة « ص»

سورة «ص»: هي السورة «الثامنة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، نزلت بعد سورة: «القمر»[1]، وآياتها ثمان وثمانون فى عد الكوفة، وست فى عد الحجاز، والشأم، والبصر، وخمس فى عد أيوب بن المتوكل وحده. وكلماتها سبعمائة واثنتان وثلاثون. وحروفها ثلاثة آلاف وسبع وستون. المختلف فيها ثلاث: {الذِّكْرِ} [ص : ١]، {وَغَوَّاصٍ} [ص : ٣٧]، {وَالْحَقَّ أَقُولُ} [ص : ٨٤]، مجموع فواصل آياتها: «صد قطرب من لج»[2].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة صاد»:**

سميت في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة والآثار عن السلف سورة (صاد) كما ينطق باسم حرف (الصاد) تسمية لها بأول كلمة منها هي (صاد) (بصادٍ، فألفٍ، فدالٍ ساكنة سكون وقف) شأن حروف التهجي عند التهجي بها أن تكون موقوفة.

قال الفيروزآبادي:" سميّت «سورة صاد»؛ لافتتاحها بها"[3].

ثانيا:- اسمها الإجتهادي: «سورة داود»:

قال الفيروزآبادي:" سميّت «سورة داود»؛ لاشتمالها على مقصد قصته فى قوله: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ} [ص : ١٧]"[4].

ونقل السيوطي في "الإتقان" عن كتاب "جمال القراء" لـ السخاوي :أن سورة (ص) تسمى أيضاً سورة داود، قال: "وذلك يحتاج إلى مُسْتَنَد من الأثر"[5].

وكتب اسمها في المصاحف بصورة حرف (الصاد) مثل سائر الحروف المقطعة في أوائل السور؛ اتباعاً لما كتب في المصحف.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

قال ابن عباس:" نزلت سورة (ص) بمكة"[6].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع من المفسرين"[7].

قال ابن الجوزي:" هي مكية كلها بإجماعهم"[8].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية إجماعا"[9].

وقد روي عن ابن عباس، قال: "مرض أبو طالب، فأتته قريش، وأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده، وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فقعد فيه، فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا، وقال: ما شأن قومك يشكونك؟ قال: " يا عم أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي العجم إليهم الجزية "، قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله»، فقاموا: فقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا؟ قال: ونزل: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص: ١] ، فقرأ حتى بلغ: {إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: ٥]"[10].

---

(١) انظر: الكشاف:٧٠/٤.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٩.
(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٩.
(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٩.
(٥) الإتقان: ١٩٩/١.
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٤٢/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٧) المحرر الوجيز: ٤٩١/٤.
(٨) زاد المسير: ٥٥٧/٣.
(٩)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٩/١.
(١٠)حديث حسن بطرقه وشواهده. أخرجه أحمد(٢٠٠٨):ص٤٥٨/٣، وأبو يعلى ٢٥٨٣ والترمذي ٣٢٣٢ والنسائي في «التفسير» ٤٥٦ والحاكم ٢/ ٤٣٢ والبيهقي ٩/ ١٨٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٢٢ عن ابن عباس به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، مع أن فيه يحيى بن عمارة، وهو مقبول. وتوبع في رواية ثانية

فهذا نص في أن نزوله هذه السورة في آخر حياة أبي طالب وفي مرض موته -كما ذكر ابن عطية -[1]فتكون هذه السورة قد نزلت في سنة ثلاث قبل الهجرة.

مناسبة سورة«صاد» مع سورة «الصافات»:

إن مناسبة «سورة ص» لما قبلها أنها جاءت كالمتممة لها من وجهين:

١- إنه ذكر فيها من قصص الأنبياء ما لم يذكر في تلك كداود وسليمان.

٢- إنه بعد أن حكى فيما قبلها عن الكفار أنهم قالوا: {لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ(١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات : ١٦٨-١٦٩]، وأنهم كفروا بالذكر لما جاءهم- بدأ عز اسمه هذه السورة بالقرآن ذى الذكر، فقال: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص : ١]، ثم فصل ما أجمله هناك من كفرهم[2].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تناولت السورة -كغيرها من السور المكية- ثلاث قضايا رئيسة: قضية التوحيد، وقضية الوحي إلى النبي محمد ﷺ، وقضية الحساب في الآخرة، وتعريض هذه القضايا الثلاث في مطلعها، فجاءت فاتحتها مناسبة لجميع أغراضها؛ إذ ابتدأت بالقَسَم بالقرآن الذي كذب به المشركون، وجاء المقْسَم عليه أن الذين كفروا في عزة وشقاق، وكل ما ذكر فيها من أحوال المكذبين سببه اعتزازهم وشقاقهم، ومن أحوال المؤمنين سببه ضد ذلك. هذه مقاصد السورة من حيث العموم.

أما من حيث التفصيل، فجاءت أهدافها وفق التالي:

١- توبيخ المشركين على تكذيبهم الرسول ﷺ وتكبرهم عن قبول ما أُرسل به، وتهديدهم بمثل ما حل بالأمم المكذبة قبلهم، وأنهم إنما كذبوه؛ لأنه جاء بتوحيد الله تعالى؛ ولأنه اختص بالرسالة من دونهم.

٢- تسلية الرسول ﷺ عن تكذيب المشركين له، وأن يقتدي بالرسل من قبله، داود وأيوب وغيرهما وما جوزوا عن صبرهم.

٣- الدعوة إلى الحكم بين الناس بالعدل، والنهي عن اتباع الهوى، والوعيد الشديد لمن لم يهتدِ بهدي القرآن.

٤- توجيه النبي ﷺ -والمؤمنين معه- إلى الصبر على ما يلقاه من المكذبين، والتطلع إلى فضل الله ورعايته، كما تمثلهما قصة داود وقصة سليمان عليهما السلام.

٥- تضمنت السورة قصة أيوب، التي تصور ابتلاء الله للمخلصين من عباده بالضراء، وصبر أيوب مثل في الصبر الذي ينبغي أن يُقتدى به.

٦- تأسية الرسول ﷺ والمؤمنين، عما كانوا يلقونه من الضر والبأساء في مكة، وتوجيه إلى ما وراء الابتلاء من رحمة، تفيض من خزائن الله عندما يشاء.

٧- تعرض السورة صورة مصارع الغابرين، الذين طغوا في البلاد، وتجبروا على العباد، واستعلوا على الرسل والأنبياء، ثم انتهوا إلى الهزيمة والدمار والخذلان...الهزيمة والدمار والهلاك للطغاة المكذبين. ثم تعرض بإزائها صفحة العز والتمكين والرحمة والرعاية لعباد الله المختارين، في قصص داود، وسليمان، وأيوب عليهم السلام.

٨- عرضت السورة مشهداً من مشاهد القيامة، يصور النعيم الذي ينتظر المتقين، والجحيم التي تنتظر المكذبين، وتكشف عن استقرار القيم الحقيقية في الآخرة بين هؤلاء وهؤلاء، حين يرى المتكبرون مصيرهم ومصير الفقراء الضعاف، الذين كانوا يهزؤون بهم في الأرض، ويسخرون منهم، ويستكثرون عليهم أن تنالهم رحمة الله، وهم ليسوا من

للنسائي ٤٥٧ وأحمد ٢/ ٣٦٢. وفيه أيضا عباد بن جعفر، وهو مجهول. وورد من وجه ثالث، أخرجه الحاكم ٢/ ٤٣٢ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو حسن لأجل ابن إسحاق، وقد صرح بالتحديث.

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٤٩٣/٤.

(٢) انظر: تفسير المراغي:٩٤/٢٣.

العظماء ولا الكبراء، ويُختم المشهد ببيان أن للمتقين لحُسْنُ مآب، وأن للطاغين لشر مآب.

٩- إثبات البعث بقصد جزاء العالمين بأعمالهم من خير أو شر، وأنه ليس للبشر شيء من ملك السماوات والأرض، وإنما يفتح الله من رزقه ورحمته على من يشاء.

١٠- أن الله سبحانه يختار من عباده من يعلم استحقاقهم للخير، ويُنعم عليهم بشتى النِّعَم، بلا قيد، ولا حد، ولا حساب.

١١- تصور السورة جزاء المؤمنين المتقين، ومقابله من جزاء الطاغين، الذين أضلوهم، وقبحوا لهم الإسلام والمسلمين.

١٢- تعرض السورة بشكل موجز لقصة البشرية الأولى، وقصة الحسد والغواية من العدو الأول إبليس، الذي يقود خطى الضالين عن عمد وعن سابق إصرار، وهم غافلون.

١٣- أن الذي أردى إبليس، وذهب به إلى الطرد واللعنة، كان هو حسده لآدم عليه السلام، واستكثاره أن يؤثره الله عليه ويصطفيه، كما أن المشركين يستكثرون على محمد ﷺ أن يصطفيه الله من بينهم بتنزيل الذكر، ففي موقفهم شَبَه واضح من موقف إبليس المطرود اللعين.

١٤- ترد في ثنايا القصص في هذه السورة لفتة تلمس القلب البشري، وتوقظه إلى الحق الكامن في بناء السماء والأرض، وأنه الحق الذي يريد الله بإرسال الرسل أن يقره بين الناس في الأرض.

١٥- تختم السورة مقاصدها ببيان أن ما يدعو إليه الرسول ﷺ لا يتكلفه من عنده، ولا يطلب عليه أجراً، وأن له شأناً عظيماً سوف يتجلى في حينه المقرر عنده سبحانه(١).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعد عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين»(٢).
- عن عائشة-رضي الله عنها :"أن النبي ﷺ إذا تضور –أي: تقلب من الليل- قال: «لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»"(٣). وذلك اخذا من قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦)} [ص : ٦٥ - ٦٦].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٧٥/٨، والواحدي في الوسيط(٧٩٠):ص٥٣٧/٣، وذكره المستغفري في الفضائل(١٢٠٥):ص٧٨٣/٢ [ضعيف].

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧٦٤١):١٣٥/٧، وابن السني (٧٦٢)، والحاكم ٥٤٠/١، والبيهقي في " الأسماء والصفات " ٤٢/١، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي!

القرآن

{ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)} [ص : ١-٢]

التفسير:

{ص} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

يقسم الله سبحانه بالقرآن المشتمل على تذكير الناس بما هم عنه غافلون. ولكن الكافرين متكبرون على الحق مخالفون له.

سبب نزول الآيات:[١-٧]:

قال ابن عباس:" مرض أبو طالب فجاءته قريش، وجاءه النبي ﷺ وعند أبي طالب مجلس رجل، فقام أبو جهل كي يمنعه قال: وشكوه إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: إني أريد منهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية. قال: كلمة واحدة؟ قال: كلمة واحدة قال: يا عم يقولوا: لا إله إلا الله فقالوا: إلها واحدا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق. قال: فنزل فيهم القرآن: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)} [ص : ١ - ٢]، إلى قوله: {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص : ٧]"[١].

وذكر أهل التفسير في قوله تعالى:{ص} [ص : ٢]، وجوها:

أحدها : أنه فواتح الله تعالى بها القرآن ، قاله مجاهد[٢].

الثاني : أنه اسم من أسماء القرآن، أقسم الله به. قاله قتادة[٣].

الثالث : أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم به ، قاله ابن عباس[٤].

الرابع : أنه حرف هجاء من أسماء الله تعالى ، قاله السدي[٥].

الخامس : أنه بمعنى صدق الله ، قاله الضحاك[٦].

السادس : أنه من المصادة، وهي المعارضة، ومعناه: عارض القرآن لعلمك ، قاله الحسن[٧].

ومن قال بهذا التفسير، فإنه يقرؤه بكسر الدال، لأنه أمر[٨].

أخرج الطبري بسنده عن الحسن:" أنه كان يقرأ: "«ص والقرآن» بخفض الدال، وكان يجعلها من المصاداة، يقول: عارض القرآن"[٩].

عن الحسن، في قوله :"{ص والقرآن}، قال: عارض القرآن، قال عبد الوهاب: يقول اعرضه على عملك، فانظر أين عملك من القرآن"[١٠].

السابع : أنه من المصادة، وهي الاتباع ومعناه: اتبع القرآن بعلمك ، قاله سفيان[١١].

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير(٣٢٣٢):ص٢١٩/٥، وقال حديث حسن صحيح، وتحقيق الألباني: ضعيف الإسناد، وأخرجه النسائي في التفسير (٤٥٦) .
والطبري في تفسيره (١٤٩/٢١-١٥٠)، وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٢٧) .
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٢) وصححه ووافقه الذهبي، قلت: في تصحيحه نظر حيث إن في إسناده عند الحاكم يحيى بن عمارة قال الحافظ في التقريب: مقبول، وقال في التهذيب: ذكره ابن حبان في الثقات أ. هـ.
وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥/ ٢٩٥) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن حاتم وابن مردويه.

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٨):ص١٩٢١/٦، و(١٠٦٣٤):ص١٩٩٤/٦، و(١٧١٢٦):ص٣٠٣٠/٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٢١.

(٨)انظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٢١.

(٩) تفسير الطبري: ١٣٧/٢١-١٣٨.

(١٠) اخرجه الطبري: ١٣٧/٢١.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٧٥/٥.

قوله تعالى:{وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص : ٢]، أي:" والقرآن المشتمل على تذكير الناس بما هم عنه غافلون"[١].

قال ابن كثير:" أي : والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص : ٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : ذي الشرف ، قاله ابن عباس[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، والسدي[٥]، واختاره ابن قتيبة[٦]. قتيبة[٦].

الثاني : ذي البيان، قاله قتادة[٧]، يحيى بن سلام[٨]، ومقاتل[٩].

قال يحيى:" الذكر، يعني: البيان من الله"[١٠].

الثالث : ذي التذكير، ذكَّركمُ الله به، ومثله قوله تعالى: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ} [الأنبياء : ١٠]. وهذا قول الضحاك[١١].

قال الطبري:" معناه: ذي التذكير لكم، لأن الله أتبع ذلك قوله: {بل الذين كفروا في عزة وشقاق}، فكان معلوما بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكرًا لعباده ذكرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عزّة وشقاق"[١٢].

الرابع : ذكرت فيه أقاصيص الأولين والآخرين وما يحتاج إليه في الحلال والحرام. حكاه الزجاج[١٣].

الخامس: فيه ذكر ما قبله من الكتب. حكاه ابن قتيبة[١٤].

قال قتادة : "ها هنا وقع القسم"[١٥].

واختلف أهل التفسير في جوابه على قولين [١٦]:

أحدهما : أن جواب القسم محذوف وحذفه أفخم له، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب. ومن قال بحذفه اختلفوا فيه على قولين :

أحدهما : أن تقدير المحذوف منه: لقد جاء الحق .

الثاني : تقديره ما الأمر كما قلتم، بل أنتم في عزة وشقاق. اختاره الطبري[١٧].

والقول الثاني : من الأصل أن جواب القسم مظهر ، ومن قال بإظهاره اختلفوا فيه على قولين:

أحدهما : قوله تعالى : {كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ} [ص : ٣]، ومعناه: لكم أهلكنا قبلهم من قرن. فلما طال الكلام بينهما حذفت اللام. قاله الفراء[١٨].

الثاني : من قوله تعالى: {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ} [ص : ٦٤]. قاله الزجاج[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٨/٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢١.
(٦) انظر: غريب القرآن: ٣٧٦.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٧٥/٥، وزاد المسير: ٥٥٨/٣.
(٨) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٦٢.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٥/٣.
(١٠)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٦٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢١.
(١٢) تفسير الطبري: ١٤٠/٢١.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٣١٩/٤.
(١٤) انظر: غريب القرآن: ٣٧٦.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢١.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢١-١٤١، والنكت والعيون: ٧٦/٥.
(١٧)انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢١ .
(١٨) انظر: معاني القرآن: ٣٩٧/٢.

قوله تعالى:{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} [ص : ٢]، أي:" ولكن الكافرين متكبرون على الحق مخالفون له"(٢).

قال الطبري: يقول:" بل الذين كفروا بالله من مشركي قريش في حمية ومشاقة، وفراق لمحمد وعداوة، وما بهم أن لا يكونوا أهل علم، بأنه ليس بساحر ولا كذاب"(٣).

قال ابن كثير:" أي : إن في هذا القرآن لذكراً لمن يتذكر ، وعبرة لمن يعتبر. وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم {فِي} استكبار عنه وحمية ومخالفة له ومعاندة ومفارقة"(٤).

عن مجاهد، قوله: "{فِي عزة وشقاق}، قال: مُعَازِّين"(٥).

وفي قوله تعالى:{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} [ص : ٢]، وجوه:

أحدها : يعني: في حمية وفراق ، قاله قتادة، ومقاتل(٦)، وسهل بن عبدالله(٧).

الثاني : في تعزز واختلاف ، قاله السدي(٨).

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ}، قال: يعادون أمر الله ورسله وكتابه، ويشاقون، ذلك عزّة وشِقاق، فقلت له: الشقاق: الخلاف، فقال: نعم"(٩).

الثالث : في أنفة وعداوة. حكاه الماوردي(١٠).

وقال ابن قتيبة:" {وشقاق} عداوة ومباعدة"(١١).

الرابع : في امتناع ومباعدة. أفاده الماوردي(١٢).

قال ابن الجوزي:" العزة: الحمية والتكبر عن الحق، والشقاق: الخلاف والعداوة لرسول الله ﷺ"(١٣).

القرآن

{كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣)} [ص : ٣]

التفسير:

كثيرًا من الأمم أهلكناها قبل هؤلاء المشركين، فاستغاثوا حين جاءهم العذاب ونادوا بالتوبة، وليس الوقت وقت قَبول توبة، ولا وقت فرار وخلاص مما أصابهم.

قوله تعالى:{كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ} [ص : ٣]، أي:" كثيرًا من الأمم أهلكناها قبل هؤلاء المشركين"(١٤).

قال ابن كثير:" ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء فقال : { كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ } أي : من أمة مكذبة"(١٥).

---

(١) انظر: معاني القرآن: ٣١٩/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٣) تفسير الطبري: ١٤١/٢١.
(٤) تفسير ابن كثير: ٥١/٧.
(٥) أخرجه الطبري: ١٤١/٢١.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٥/٣.
(٧) انظر: تفسير التستري: ٤٥.
(٨)انظر: النكت والعيون: ٧٦/٥ .
(٩) أخرجه الطبري: ١٤٢/٢١.
(١٠) انزر: النكت والعيون: ٧٦/٥.
(١١) غريب القرآن: ٣٧٦.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٧٦/٥.
(١٣) زاد المسير: ٥٥٨/٣.
(١٤) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٥١/٧-٥٢.

وللمفسرين في المراد بـ«القرن»، أقوال:

أحدها: أنه أربعون سنة، حكاه ابن سيرين والزهراوي[١] عن النبي -ﷺ-[٢].

الثاني: ثمانون سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٣]، واختاره الفراء[٤].

الثالث: مائة سنة، قاله عبد الله بن بسر المازني[٥]، وأبو سلمة بن عبد الرحمن[٦]، وهو قول الجمهور[٧].

الرابع: مائة وعشرون سنة، قاله زرارة بن أوفى[٨]، وإياس بن معاوية[٩].

الخامس: عشرون سنة، حكاه الحسن البصري[١٠].

السادس: سبعون سنة، ذكره الفراء عن بعضهم[١١].

السابع: أن القرن: أهل كل مدة كان فيها نبي، أو طبقة من العلماء، قلّت السنون، أو كثرت بدليل قوله -ﷺ-:«خيركم قرني»[١٢] يعني: أصحابي «ثم الذين يلونهم» يعني: التابعين «ثم الذين يلونهم» يعني: الذين أخذوا عن التابعين. وهذا قول الزجاج[١٣].

فالقرن: "مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان فهو في كل قوم على مقدار أعمالهم"[١٤].

الثامن: أن القرن: أمد. قاله أبو مالك[١٥].

والراجح-والله أعلم-من هذه الأقوال هوالقول الثالث بأن القرن مئة سنة، إذ ورد فيه الحديث مرفوعا وهو حديث قوي.

واشتقاق القرن: من الاقتران[١٦]. وفي معنى ذلك «الاقتران» قولان:

---

(١) عزاه السمين الحلبي الى الزهراوي يرفعه الى النبي-ﷺ- وهذا مرسل.

(٢) انظر: زاد المسير:٩/٢، عزاه ابن الجوزي لابن سيرين عن النبي-ﷺ-، وكذلك السمين الحلبي في الدر المصون:٥٤١/٤، وهذامرسلفهوواه،ولمأقفعلىإسناده،وهومنكر.

(٣) انظر: زاد المسير:١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(٤) انظر: معاني القرآن:٣٢٨/١.

(٥)ورد ذلك مرفوعا وهو حديث قوي. علقه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ٣٢٣ و «الصغير» ١/ ٢١٦ قال: قال داود بن رشيد حدثنا أبو حياة شريح بن يزيد الحضرمي عن إبراهيم بن محمد بن زياد عن أبيه عن عبد الله بن بسر أن النبي ﷺ قال: «يعيش هذا الغلام قرنا» ، فعاش مائة سنة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٦١١٩ بأتم منه وقال رواه الطبراني والبزار باختصار إلا أنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليدركن قرنا» ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي، وهو ثقة اهـ.

وورد بنحوه عن الحسن بن أيوب الحضرمي قال: أراني عبد الله بن بسر شامة في قرنه فوضعت إصبعي عليها فقال: وضع رسول الله ﷺ إصبعه عليها وقال: «لتبلغن قرنا» أخرجه أحمد ٤/ ١٨٩ والطبراني كما في «المجمع» ١٦١٢٠. قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب، وهو ثقة، ورجال الطبراني ثقات اهـ. وانظر «الإصابة» ٢/ ٢٨١- ٢٨٢ (٤٥٦٥) .

الخلاصة هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده..

(٦) انظر: زاد المسير:١٠/٢.

(٧) انظر: الدر المصون:٥٤١/٤.

(٨) انظر: زاد المسير:١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(٩) انظر: زاد المسير:١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(١٠) انظر: زاد المسير:١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(١١) انظر: معاني القرآن:٣٢٨/١.

(١٢)حديث صحيح. لكن لفظ «يعني ... » ليس من الحديث. أخرجه البخاري ٢٦٥١ و ٣٦٥٠ و ٦٤٢٨ و ٦٦٩٥ ومسلم ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٥٣٥ وأبو داود ٤٦٥٧، والترمذي ٢٢٢٢ والنسائي ٧/ ١٧ و ١٨، والطيالسي ٨٥٢ وأحمد ٤/ ٤٢٧ و ٤٣٦ و ٤٤٠ وابن حبان ٦٧٢٩. والبيهقي ١٠/ ١٢٣ و ١٦٠ وفي «الدلائل» ٦/ ٥٥٢. من حديث عمران بن حصين. وله شواهد.

(١٣) انظر: معاني القرآن:٢٢٩/٢.

(١٤)زاد المسير:١٠/٢.

(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧١٠٩):ص١٢٦٣/٤.

(١٦) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٢٩/٢، وزاد المسير:١٠/٢.

أحدهما: أنه سمي قرنا، لأنه المقدار الذي هو أكثر ما يقترن فيه أهل ذلك الزمان في بقائهم. هذا اختيار الزجاج[1].

والثاني: أنه سمي قرنا، لأنه يقرن زمانا بزمان، وأمة بأمة، قاله ابن الأنباري[2].

وقال أبو عبيدة:" يرون أن أقل ما بين القرنين: ثلاثون سنة"[3].

قوله تعالى:{فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} [ص : ٣]، أي:" فاستغاثوا حين جاءهم العذاب ونادوا بالتوبة، وليس الوقت وقت قَبول توبة، ولا وقت فرار وخلاص مما أصابهم"[4].

قال ابن قتيبة:" أي: نادوا حين لا مهرب"[5].

قال الطبري: يقول:" كثيرا أهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذّبوا رسولنا محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فيما جاءهم به من عندنا من الحقّ من الأمم الذين كانوا قبلهم، فسلكوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من عند الله، فعجوا إلى ربهم وضجوا واستغاثوا بالتوبة إليه، حين نزل بهم بأس الله وعاينوا به عذابه فرارا من عقابه، وهربا من أليم عذابه، وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة، وقد حَقَّت كلمة العذاب عليهم، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة، واستقالوا في غير وقت الإقالة"[6].

قال ابن كثير:" ، { فَنَادَوْا } أي : حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله. وليس ذلك بمجد عنهم شيئا. كما قال تعالى : { فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ }]الأنبياء : ١٢[أي : يهربون ، { لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ }]الأنبياء : ١٣["[7].

وقوله تعالى:{فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} [ص : ٣]، يحتمل وجهين[8]:

أحدهما : استغاثوا.

الثاني : دعوا .

قال ابن عباس:" نادوا والنداء حين لا ينفعهم"[9].

عن التميمي عن ابن عباس، قوله:"{حين مناص}، قال: نادوا وليس بحين نزو ولا فرار"[10].

قال الزجاج:" في التفسير: {لات حين نداء}، معناه: لات حين نداء ينجي"[11].

والتاء من «لات» مفصولة من «الحاء»، وهي كذلك في المصحف، ومن وصلها بـ«الحاء»[12]، وفيها وجهان:

أحدها : أنها بمعنى:«لا»، وهو قول أبي عبيدة[13].

الثاني : أنها بمعنى: ليس، ولا تعمل إلا في الحين خاصة. ذكره الأخفش[14]، والفراء[15]. ومنه قول الشاعر[1]:

---

(١) انظر: معاني القرآن:٢/٢٢٩.
(٢) انظر: زاد المسير:٢/١٠.
(٣) مجاز القرآن:١/١٨٥.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٥) غريب القرآن: ١٩٨.
(٦) تفسير الطبري: ٢١/١٤٢.
(٧) تفسير ابن كثير: ٧/٥١-٥٢.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٥/٧٧.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٢٧):ص١٠/٣٢٣٥.
(١٠) تفسير سفيان الثوري(٨١٩: ٢: ٦):ص٢٥٦.
(١١) إعراب القرآن: ٤/٣٢٠.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٥/٧٧.
(١٣) انظر: مجاز القرآن: ٢/١٧٦.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢/٤٩٢.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٢/٣٩٧.

تذكّرَ حبّ ليلى لاتَ حينا ... وأضحى الشيب قد قطعَ القرينَا

قال الفراء:" قَالَ الفراء: أقف عَلَى (لاتَ) بالتاء، وَالْكِسَائي يقف بالهاء"[٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} وجوه:

أحدها : وليس حين منجى، قاله زيد بن أسلم[٣].

وقال قتادة:" فنادوا في غير نداء"[٤]. وفي رواية:" نادوا حين لاحين نداء"[٥]. قال النحاس: أي:"في غير نداء ينجي"[٦].

قال أبو عبيدة:" المناص: مصدر ناص ينوص، وهو المنجاة والفوت. قال عمرو بن شأى الأسديّ[٧]:

تذكّرت ليلى لات حين تذكر

وقال أبو النّجم[٨]:

آساد غيل حين لا مناص

أي: لا تحرك"[٩].

قال الزجاج:" قال أهل اللغة: ولات حين منجى ولا فوت"[١٠].

الثاني: أنهم نادوا بالتوبة وليس حين توبة ولا ينفع العمل. قاله الحسن[١١].

الثالث: ليس حين انقلاب. قاله عكرمة[١٢].

الرابع : وليس حين مَغاث ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[١٣]، ومنه قول علي رضي الله عنه في رجز له[١٤]:

لأصبحنّ العاصي بن العاصي ... سبعين ألفاً عاقِدي النواصي

قد جنبوا الخيل على الدلاصِ ... آساد غيل حين لا مناص

الخامس : وليس حين زوال، وراه أبو قابوس عن ابن عباس[١٥]، ومنه قول الشاعر[١٦]:

فهم خشوع لدية لا مناص لهم ... يضمهم مجلس يشفي من الصيد

السادس : ليس حين نزو ولا فرار، قاله ابن عباس-في رواية التميمي[١] والعوفي-[٢].

---

(١) البيت لعمر بن شأس في "ديوانه" ص ٧٣، "تذكرة النحاة" ص ٧٣٤. وبلا نسبة في "خزانة الأدب" ٤/ ١٦٩، ١٧٨، "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٣٩٧، وتفسير الطبري: ١٤٦/٢١، و"الدر المصون" ٥/ ٥٢٢، والقرين: هو المصاحب. انظر: "اللسان" ١٣/ ٣٣٧ (قرن).

(٢) معاني القرآن: ٣٩٨/٢.

(٣) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٤٦):ص١٦٤/٢.

(٤) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٣٠٣/٣.

(٥) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٧٨/٦.

(٦)إعراب القرآن: ٣٠٣/٣.

(٧)البيت لعمرو بن شأس انظر: النوادر ٢٢٥ (ط الفاتح) واللسان (ضلل) وذكر أن هذه العبارة «ضلا بتضلال» تقال للباطل. ورواية البيت فيهما:" تذكّرت ليلى لات حين ادّكارها ... وقد حني الأصلاب ضلّا بتضلال".

انظر: ترجمته وأخباره فى الجمهرة ص ٤٤ والأغانى ١٠/ ٦٠.

والبيت للأعشى في محلق ديوانه- عن الإتقان: ٢٤٠-، وعجزه : وقد نئت منها والمناص بعيد.

(٨)من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن: ١٧٦/٢. والبيت لعلي بن ابي طالب كما في النكت والعيون:٧٧/٥، وصدره: قد جنبوا الخيل على الدلاص.

(٩) مجاز القرآن: ١٧٦/٢.

(١٠) معاني القرآن: ٣٢٠/٤.

(١١) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٣٠٣/٣.

(١٢) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٧٨/٦.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٣٢٩):ص٣٢٣٦/١٠.

(١٤) الشعر لعلي بن أبي طالب كما في النكت والعيون: ٧٧/٥.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٧٧/٥.

(١٦) البيت غير منسوب في النكت والعيون: ٧٧/٥.

وروي من طريق أبي ظبيان، عن ابن عباس: "{ولات حين مناص}، قال: لا حين فرار"[٣].

قال الفراء : "يقول: لَيْسَ بحين فِرار. والنَوْص: التأخّر فِي كلام العرب، والبَوْص: التقدم وقد بُصْته."[٤]، وأنشد قول امريء القيس[٥]:

أمِن ذكر ليلى إذ نَأَتكَ تَنُوص ... وتَقْصُر عنها خُطوةً وتَبُوص

فجمع في هذا البيت بين البوص والنوص فهو بالنون التأخر وبالباء التقدم.

السابع : ليس بحين فرار ولا إجابة. قاله ابو جعفر الترمذي[٦].

الثامن: أن النوص بالنون التقدم ، والبوص بالباء التأخر ، وهو من الأضداد ، وكانوا إذا أحسوا في الحرب بفشل قال بعضهم لبعض : مناص : أي: حملة واحدة ، فينجو فيها من نجا ويهلك فيها من هلك ، حكاه الكلبي[٧].

قال الماوردي:" فصار تأويله على هذا الوجه ما قاله السدي: أنهم حين عاينوا الموت لم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة"[٨].

قال النحاس-بعد ان ذكر بعض الاقوال السابقة-:"هذه الأقوال متقاربة، أي: ليس حين نداء منجي، والمعنى: ليس حين فوت"[٩].

القرآن

{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)} [ص : ٤-٥]

التفسير:

وعجِب هؤلاء الكفار مِن بعث الله إليهم بشرا منهم؛ ليدعوهم إلى الله ويخوِّفهم عذابه، وقالوا: إنه ليس رسولا بل هو كاذب في قوله، ساحر لقومه، كيف يصيِّر الآلهة الكثيرة إلهًا واحدًا؟ إنَّ هذا الذي جاء به ودعا إليه لَشيء عجيب.

قوله تعالى:{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ} [ص : ٤]، أي:" وعجِب هؤلاء الكفار مِن بعث الله إليهم بشرا منهم؛ ليدعوهم إلى الله ويخوِّفهم عذابه"[١٠].

قال الطبري: يقول:" وعجب هؤلاء المشركون من قريش أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم، ولم يأتهم ملك من السماء بذلك"[١١].

عن قتادة: "{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ}، يعني: محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[١٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢١/١٤٣-١٤٤، والتميمي: هو"أربدة" بسكون الراء وكسر الباء الموحدة. ويقال"أربد" بدون هاء. وهو تابعي ثقة، مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري ٦٤/٢/١، وابن أبي حاتم ٣٤٥/١/١، وقد عرف بأني راوي التفسير عن ابن عباس.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤٤/٢١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٣٢٨):ص١٠/٣٢٣٦.

(٤) معاني القرآن: ٣٩٧/٢.

(٥)البيت له في ديوانه ... ، واللسان ٢٧٤/٨ و٣٧٢، وتفسير الطبري ٧٦/٢٣، وغيرب القرآن لاب قتيبة: ٣٧٦، وصدره: في تفسير القرطبي ١٤٦/١٥، والبحر ٣٨١/٧. وانظر اللسان ٢٧٣، وتأويل المشكل ٢٥٥لابن قتيبة: ٣٧٦.

(٦) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي: (٩٠):ص٩٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٧٨/٥.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٧٨/٥.

(٩) معاني القرآن: ٧٨/٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(١١) تفسير الطبري: ١٤٨/٢١.

(١٢) اخرجه الطبري: ١٤٩/٢١.

قوله تعالى:{وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} [ص : ٤]، أي:" وقالوا: إنه ليس رسولا بل هو كاذب في قوله، ساحر لقومه"[١].

قال الطبري: " يقول: وقال المنكرون وحدانية الله: هذا، يعنون محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ساحر كذّاب"[٢].

قال ابن كثير:" أي : أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو ؟! أنكر المشركون ذلك - قبحهم الله تعالى - وتعجبوا من ترك الشرك بالله ، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الله (١) بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا : { أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ } وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين : { [أن] امْشُوا } (٢) أي : استمروا على دينكم { وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ } ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد"[٣].

عن السديّ، قوله :"{سَاحِرٌ كَذَّابٌ}، يعني: محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٤].

قوله تعالى:{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا} [ص : ٥]، أي:" كيف يصيِّر الآلهة الكثيرة إلهًا واحدًا؟"[٥].

قال الطبري:" يقول: وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا: محمد ساحر كذاب: أجعل محمد المعبودات كلها واحدا، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبدَه منا"[٦].

قال مقاتل:" يعني: وصف محمد الآلهة إلها واحدا"[٧].

قال ابن كثير:" أي : أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو ؟! أنكر المشركون ذلك - قبحهم الله تعالى - وتعجبوا من ترك الشرك بالله ، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا"[٨].

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص : ٥]، أي:" إنَّ هذا الذي جاء به ودعا إليه لَشيء عجيب"[٩].

قال الطبري:" أي: إن هذا لشيء عجيب، وكان سبب قيل هؤلاء المشركين ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه، من ذلك، أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال لهم: «أسألكم أن تجيبوني إلى واحدة تدين لكم بها العرب، وتعطيكم بها الخراج العجم»، فقالوا: وما هي؟ فقال: «تقولون لا إله إلا الله»، فعند ذلك قالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا} تعجبا منهم من ذلك "[١٠].

قال مقاتل:" إن هذا الذي يقول {لشيء عجاب}، يعنى: لأمر عجب، بلغة أزد شنوءة، أن تكون الآلهة واحدا"[١١].

قال قتادة :" عجب المشركون أن دُعوا إلى الله وحده، وقالوا: يسمع لحاجاتنا جميعا إله واحد! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة"[١٢].

قال ابن عباس:" لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته؛ فبعث

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٢) تفسير الكبري: ١٤٨/٢١-١٤٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٣/٧.
(٤) اخرجه الطبري: ١٤٩/٢١.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٦) تفسير الطبري: ١٤٩/٢١.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٦/٣.
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٣/٧.
(٩) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(١٠) تفسير الطبري: ١٤٩/٢١.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٦/٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢١.

إليه، فجاء النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فدخل البيت، وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل، قال: فخشي أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم مجلسا قرب عمه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي، ما بال قومك يشكونك؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول؛ قال: فأكثروا عليه القول، وتكلم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال:"يا عَمّ إنّي أُرِيدهُمْ عَلى كَلِمَةٍ وَاحِدةٍ يَقُولُونَهَا، تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ، وتُؤَدِّي إلَيْهِم بِها العَجَمُ الجِزْيَةَ"، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عَشْرًا؛ فقالوا: وما هي؟ فقال أبو طالب: وأيّ كلمة هي يا ابن أخي؟ قال:"لا إلَهَ إلا الله"؛ قال: فقاموا فزِعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}، قال: ونزلت من هذا الموضع إلى قوله {لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ}. -اللفظ لأبي كريب-"[١].

القرآن

{وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧)} [ص : ٦-٧]

التفسير:

وانطلق رؤساء القوم وكبراؤهم يحرّضون قومهم على الاستمرار على الشرك والصبر على تعدد الآلهة، ويقولون إن ما جاء به هذا الرسول شيء مدبَّر يقصد منه الرئاسة والسيادة، ما سمعنا بما يدعو إليه في دين آبائنا من قريش، ولا في النصرانية، ما هذا إلا كذب وافتراء.

سبب النزول:

ذكر أهل التفسير في نزول هذه الآية قولان:

أحدهما: أنه لما جاء وجوه قريش إلى أبي طالب، وهم أبو جهل، والوليد بن المغيرة، وعتبة وشيبة وطعيمة بن عدي، وعقبة بن أبي معيط، وأبي وأمية ابنا خلف، وزمعة بن الأسود، وغيرهم، وشكوا إليه محمدا، وقالوا: إنه يسب آلهتنا ويسفه أحلامنا، ويذكر أن آباءنا في النار؛ فدعا أبو طالب النبي وقال: يا بن أخ، هؤلاء قومك جاءوا يشكونك، ويذكرون كذا وكذا، فماذا تطلب منهم؟ قال: أطلب منهم كلمة واحدة إن قالوها دانت لهم العرب، وأدت إليهم العجم الجزية، فقال القوم: نحن نقول عشر كلمات، فماذا تريد؟ فقال: قولوا لا إله إلا الله، فنفروا وقاموا، وقالوا: لا نقولها أبدا، وجعل بعضهم يقول لبعض: {أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ}، أي: الزموها، وأقيموا على عبادتها. وهذا قول ابن عباس[٢]، والسدي[٣].

روي عن السديّ:" أن أناسا من قُرَيش اجتمعوا، فيهم أبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فلنكلمه فيه، فلينصفنا منه، فيأمره فليكفّ عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه الذي يَعبُد، فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ، فيكون منا شيء، فتعيرنا العرب فيقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه، قال: فبعثوا رجلا منهم يُدعى المطَّلب، فاستأذن لهم على أبي طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك وسَرَواتهم يستأذنون عليك، قال: أدخلهم؛ فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمُره فليكفّ عن شتم آلهتنا، ونَدَعَه وإلهه؛ قال: فبعث إليه أبو طالب؛ فلما دخل عليه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسَرَواتهم، وقد سألوك النَّصَف أن تكفّ عن شتم آلهتهم، ويدعوك وإلهك؛ قال: فقال:"أي عم أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟" : وإلامَ تَدْعُوهُمْ؟

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١/١٤٩-١٥٠. وسبق الحديث برواية الترمذي في سبب نزول الآيات:[١-٧].

(٢) الخبر رواه الترمذي في التفسير(٣٢٣٢):ص٥/٢١٩، وقال حديث حسن صحيح، وانظر: تفاصيل التخريج التخريج في سبب نزول الآيات:[١-٧].

(٣) أخرجه الطبري: ٢١/١٥٣-١٥٤.

قال:"أدعوهم إلى أن يَتَكَلَّمُوا بِكَلِمَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ وَيَمْلِكُونَ بِهَا العَجَمَ"؛ قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، قال:"تَقُولُونَ لا إِلَهَ إلا الله". قال: فنفروا وقالوا: سلنا غير هذه، قال:"لَوْ جِئْتُمُونِي بِالشَّمْسِ حتى تَضَعُوها في يَدِي ما سأَلْتُكُمْ غيرَها"؛ قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا: والله لنشتمنك والذي يأمرك بهذا {وَانْطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} .. إلى قوله {إِلا اخْتِلاقٌ} وأقبل على عمه، فقال له عمه: يا ابن أخي ما شططت عليهم، فأقبل على عمه فدعاه، فقال:"قُلْ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، تَقُولُ: لا إِلَهَ إلا الله"، فقال: لولا أن تعيبكم بها العرب يقولون جزع من الموت لأعطيتكها، ولكن على مِلَّة الأشياخ؛ قال: فنزلت هذه الآية: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءِ}"[١].

الثاني: أنها نزلت في إسلام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وما حصل للمسلمين من القوة بمكانه. قاله مقاتل[٢].

قال السمعاني: فقال الكفار لما أسلم عمر: إن هذا لشيء يراد، أي: إن أمر محمد لشيء يراد، حيث قوي بإسلام عمر[٣].

قال مقاتل:" وذلك حين أسلم عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فشق على قريش إسلام عمر، وفرح به المؤمنون وانطلق الملأ منهم وهم سبعة وعشرون رجلا، والملأ في كلام العرب الأشراف منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وأمية وأبي ابنا خلف، ... وغيرهم، فقال الوليد بن المغيرة: {أن امشوا} إلى أبي طالب {واصبروا} واثبتوا {على} عبادة {آلهتكم}، نظيرها في الفرقان: {لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا} [الفرقان : ٤٢]، يعني: ثبتنا، فقال الله- عز وجل- في الجواب: {فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُم} [فصلت : ٢٤]"[٤].

قوله تعالى:{وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ} [ص : ٦]، أي:" وانطلق رؤساء القوم وكبراؤهم يحرِّضون قومهم على الاستمرار على الشرك والصبر على تعدد الآلهة"[٥].

قال الطبري: يقول:" وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش، القائلين: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا} بأن امضُوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم، وذُكر أن قائل ذلك كان عُقْبَة بن أبي مُعيط "[٦].

قال ابن كثير:" {وَانْطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ}، وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين : { أن امْشُوا }، أي : استمروا على دينكم { وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ } ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد"[٧].

عن مجاهد: "{وَانْطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ}، قال: عقبة بن أبى معيط"[٨].

عن ابن عباس: قوله:"{ وَانْطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ}، قال: نزلت حين انطلق أشراف قريش إلى أبي طالب فكلموه في النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٩].

وفي قراءة عبد الله:«وَانْطَلَقَ المَلأ مِنْهُمْ يَمْشُونَ أنِ اصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ»"[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢١-١٥٤.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٥/٣-٦٣٦.
(٣) تفسير السمعاني: ٤٢٥/٤-٤٢٦.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٥/٣-٦٣٦.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٦) تفسير الطبري: ١٥١/٢١.
(٧) تفسير ابن كثير: ٥٣/٧.
(٨) أخرجه الطبري: ١٥١/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢١.
(١٠) تفسير الطبري: ١٥١/٢١.

قوله تعالى:{مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ} [ص : ٦]، أي:" ما سمعنا بما يدعو إليه في دين آبائنا من قريش، ولا في النصرانية"(١).

قال ابن كثير:" أي : ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة"(٢).

وفي قوله تعالى:{مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ} [ص : ٧]، وجوه:

أحدها : معناه: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من البراءة من جميع الآلهة إلا من الله تعالى ذكره، وبهذا الكتاب الذي جاء به في الملة النصرانية، لأنها كانت آخر الملل، قاله ابن عباس(٣)، عباس(٣)، ومجاهد-في رواية-(٤)، والسدي(٥)، ومحمد بن كعب(٦).

قال ابن عباس:" فقالوا: لو كان هذا القرآن حقا أخبرتنا به النصارى"(٧).

قال مقاتل:" لأن النصارى يزعمون أن مع الله عيسى بن مريم"(٨).

قال ابن زيد:" الملة الآخرة: الدين الآخر. والملة: الدين"(٩).

الثاني : فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، قاله الحكم(١٠).

الثالث : في ملة قريش ، قاله مجاهد(١١).

الرابع : في ديننا هذا، ولا في زماننا قَطّ. قاله قتادة(١٢).

الخامس : معناه: أننا ما سمعنا أنه يخرج ذلك في زماننا ، قاله الحسن(١٣).

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص : ٦]، أي:" ويقولون إن ما جاء به هذا الرسول شيء مدبَّر يقصد منه الرئاسة والسيادة"(١٤).

قال الطبري:" أي: إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعا ولسنا مجيبيه إلى ذلك"(١٥).

قال السمعاني:" أي: أمر محمد شيء، يراد بالناس فيه الشر والهلاك"(١٦).

قوله تعالى:{إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص : ٧]، أي:" ما هذا إلا كذب وافتراء"(١٧).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين في القرآن: ما هذا القرآن إلا اختلاق: أي كذب اختلقه محمد وتخرَّصه"(١٨).

عن ابن عباس، قوله: "{إِنْ هَذَا إلا اخْتِلاقٌ}، يقول: تخريص"(١٩).

عن مجاهد، قوله:" {إِنْ هَذَا إلا اخْتِلاقٌ}، قال: كذب"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٥/٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٢/٢١.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٣٣):ص٣٢٣٦/١٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٢/٢١.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٣٢):ص٣٢٣٦/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢١.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٦/٣-٦٣٧.
(٩) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢١.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٧٩/٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٢/٢١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢١.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٧٩/٥.
(١٤) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(١٥) تفسير الطبري: ١٥٢/٢١.
(١٦) تفسير السمعاني: ٤٢٥/٤-٤٢٦.
(١٧) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(١٨) تفسير الطبري: ١٥٤/٢١.
(١٩) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢١.

قال ابن زيد:" قالوا: إن هذا إلا كذب"[٢].
قال قتادة:" إلا شيء تخْلُقه"[٣].
قال السدي:" اختلقه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٤].

القرآن
{أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨)} [ص : ٨]
التفسير:
أخُص محمد بنزول القرآن عليه من دوننا؟ بل هم في ريب من وحيي إليك -أيها الرسول- وإرسالي لك، بل قالوا ذلك؛ لأنهم لم يذوقوا عذاب الله، فلو ذاقوا عذابه لما تجرؤوا على ما قالوا.
قوله تعالى:{أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا} [ص : ٨]، أي:" أخُص محمد بنزول القرآن عليه من دوننا؟"[٥].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين من قريش: أأنزل على محمد الذكر من بيننا فخصّ به، وليس بأشرف منا حسبا"[٦].
قال مقاتل:" قال الوليد: {أأنزل عليه الذكر}، يعني: النبي- ﷺ- {من بيننا}، ونحن أكبر سنا وأعظم شرفا"[٧].
قال السمعاني:" معناه: أن أهل مكة قالوا: أأنزل على محمد القرآن من بيننا، وليس بأفضلنا ولا أشرفنا؟"[٨].
قال ابن كثير:" يعني : أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قالوا في الآية الأخرى : { لَوْلا نزلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } [الزخرف : ٣١] قال الله تعالى : { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ } [الزخرف : ٣٢]"[٩].
قوله تعالى:{بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي} [ص : ٨]، أي:" بل هم في ريب من وحيي إليك -أيها الرسول- وإرسالي لك"[١٠].
قال السمعاني:" أي: مما أنزلت"[١١].
قال الطبري: يقول:" ما بهؤلاء المشركين أن لا يكونوا أهل علم بأن محمدا صادق، ولكنهم في شك من وحينا إليه، وفي هذا القرآن الذي أنزلناه إليه أنه من عندنا"[١٢].
قوله تعالى:{بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص : ٨]، أي:" بل قالوا ذلك؛ لأنهم لم يذوقوا عذاب الله، فلو ذاقوا عذابه لما تجرؤوا على ما قالوا"[١٣].
قال السمعاني:" أي: لم يذوقوا عذابي وسيذقونه"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١/١٥٤-١٥٥.
(٢) أخرجه الطبري: ٢١/١٥٥.
(٣) أخرجه الطبري: ٢١/١٥٥.
(٤) أخرجه الطبري: ٢١/١٥٥.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٦) تفسير الطبري: ٢١/١٥٥.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٦٣٧.
(٨)تفسير السمعاني: ٤/٤٢٦ .
(٩) تفسير ابن كثير: ٧/٥٥.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(١١)تفسير السمعاني: ٤/٤٢٦ .
(١٢) تفسير الطبري: ٢١/١٥٥.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(١٤)تفسير السمعاني: ٤/٤٢٦ .

قال الطبري:" يقول: بل لم ينزل بهم بأسنا، فيذوقوا وبال تكذيبهم محمدا، وشكهم في تنزيلنا هذا القرآن عليه، ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ما هم به مكذِّبون، حين لا ينفعهم علمهم"(١).

قال ابن كثير:" أي : إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله ونقمته سيعلمون غب ما قالوا ، وما كذبوا به يوم يُدَعّون إلى نار جهنم دَعّا"(٢).

القرآن

{أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩)} [ص : ٩]

التفسير:

أم هم يملكون خزائن فضل ربك العزيز في سلطانه، الوهاب ما يشاء من رزقه وفضله لمن يشاء من خلقه؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمد خزائن رحمة ربك، يعني مفاتيح رحمة ربك يا محمد، العزيز في سلطانه، الوهاب لمن يشاء من خلقه، ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة، فيمنعوك يا محمد، ما من الله به عليك من الكرامة، وفضَّلك به من الرسالة"(٣).

قال السمعاني:" معناه: أعندهم خزائن رحمة ربك؟ و«الخزائن»: هي البيوت التي تعد فيها الأشياء النفيسة. وحقيقة المعنى: أنه ليس عندهم خزائن الرحمة والنبوة، فيعطونها من شاءوا، ويمنعونها من شاءوا، وقوله: {العزيز الوهاب} العزيز: هو المنيع في ملكه، الغالب على خلقه، الوهاب: المعطي لخلقه"(٤).

قال الزمخشري:" يعنى: ما هم بما لكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا، ويتخيروا للنبوّة بعض صناديدهم، ويترفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام. وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها: العزيز القاهر على خلقه، الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها، الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله، كما قال: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا} [الزخرف : ٣٢]"(٥).

قال ابن كثير:" ثم قال مبينا أنه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء الذي يعطي من يشاء ما يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء ، فلا يهديه أحد من بعد الله وإن العباد لا يملكون شيئا من الأمر وليس إليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير ؛ ولهذا قال تعالى منكرا عليهم : { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ } أي : العزيز الذي لا يرام جنابه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد. وهذه الآية شبيهة بقوله : { أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا } [النساء : ٥٣ : ٥٥] وقوله { قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنْفَاقِ وَكَانَ الإنْسَانُ قَتُورًا } [الإسراء : ١٠] وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشري وكما أخبر تعالى عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا : { أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الأشِرُ } [القمر : ٢٥ : ٢٦]"(٦).

---

(١) تفسير الطبري: ١٥٥/٢١.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٥/٧.
(٣) تفسير الطبري: ١٥٥/٢١-١٥٦.
(٤)تفسير السمعاني: ٤٢٦/٤ -٤٢٧.
(٥) الكشاف: ٧٤/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥٥/٧.

القرآن

{أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (١٠)} [ص : ١٠]

التفسير:

أم لهؤلاء المشركين مُلْك السموات والأرض وما بينهما، فيُعْطوا ويَمْنعوا؟ فليأخذوا بالأسباب الموصلة لهم إلى السماء، حتى يحكموا بما يريدون من عطاء ومنع.

قوله تعالى:{أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [ص : ١٠]، أي:" أم لهؤلاء المشركين مُلْك السموات والأرض وما بينهما، فيُعْطوا ويَمْنعوا؟"[١].

قال الطبري: يقول:" أم لهؤلاء المشركين الذين هم في عزّة وشقاق {مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} فإنه لا يُعازّني ويُشاقُّني من كان في مُلكي وسلطاني"[٢].

قال الزمخشري:يقول:" {أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ} حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء"[٣].

قال السمعاني:" أي: ليس لهم ذلك"[٤].

قوله تعالى:{فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ} [ص : ١٠]، أي:" فليأخذوا بالأسباب الموصلة لهم إلى السماء، حتى يحكموا بما يريدون من عطاء ومنع"[٥].

قال الطبري:" يقول: وإن كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما، فليصعدوّا في أبواب السماء وطرقها، فإن كان له مُلك شيء لم يتعذر عليه الإشراف عليه، وتفقُّده وتعهُّده"[٦].

قال الزجاج:" أي: إن ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء"[٧].

قال ابن كثير:" أي : إن كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب"[٨].

قال السمعاني:" أي: فليعلوا في أسباب القوة والمنعة إن كان لهم ذلك على ما زعموا، والمراد من الآية إثبات عجزهم، وإبطال زعمهم فيما ادعوه من المنعة والقوة"[٩].

قال الزمخشري:" ثم تهكم بهم غاية التهكم، فقال: وإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة، وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوّة دون من لا تحق له فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش، حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله، وينزلوا الوحى إلى من يختارون ويستصوبون"[١٠].

واختلف أهل التفسير في معنى «الأسباب» التي ذكرها الله في هذا الموضع، على أقوال:

أحدها : في السماء ، قاله ابن عباس[١١].

قال الفراء:"يريد: فليصعدوا فِي السموات، وليسوا بقادرين عَلَى ذلك، أي: لم يصدقوك وليسوا بقادرين عَلَى الصعود إلى السموات فما هم! فأين يذهبون"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٢) تفسير الطبري: ١٥٦/٢١.
(٣) الكشاف: ٧٤/٤.
(٤)تفسير السمعاني: ٤٢٧/٤ .
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٦) تفسير الطبري: ١٥٦/٢١.
(٧) معاني القرآن: ٣٢٢/٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٦/٧.
(٩)تفسير السمعاني: ٤٢٧/٤ .
(١٠) الكشاف: ٧٤/٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢١.
(١٢) معاني القرآن: ٣٩٩/٢.

قال ابن قتيبة:" أي: في الحبال إلى السماء، كما سألوك أن ترقى في السماء وتأتيهم بكتاب. ويقال للرجل إذا تقدم في العلم وغيره وبرع: قد ارتقى في الأسباب، كما يقال: قد بلغ السماء، ونحو هذا قوله في موضع آخر: {أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [الطور: ٣٨] . وهذا كله توبيخ، وتقرير بالعجز"(١).

الثاني : في الفضل والدين ، قاله السدي(٢).

قال أبو عبيدة:" تقول العرب للرجل الفاضل فى الدين: قد ارتقى فلان فى الأسباب"(٣).

الثالث : في طرق السماء وأبوابها ، قاله مجاهد(٤).

وقال قتادة:" في أبواب السماء"(٥).

وروي عن السديّ، قوله :"{فِي الأَسْبَابِ}، قال: أسباب السموات"(٦).

وقال ابن زيد:" طرق السموات"(٧).

وقال مقاتل:" يعني: الأبواب، إن كانوا صادقين بأن محمدا- ﷺ- تخلقه من تلقاء نفسه"(٨).

قال ابن قتيبة:" أي: في أبواب السماء، إن كانوا صادقين. قال زهير(٩):

ولو نال أسباب السماء بسلم"(١٠).

الرابع : معناه: فليرتقوا إلى السماء السابعة. قاله الضحاك(١١).

الخامس: معناه: فليعلوا في أسباب القوة إن ظنوا أنها مانعة، حكاه الماوردي، وقال:" وهو معنى قول أبي عبيدة"(١٢).

السادس: أن «الأسباب»: أدقّ من الشعر، وأشدّ من الحديد، وهو بكل مكان، غير أنه لا يرى. قاله الربيع بن أنس(١٣).

قال الطبري:" أصل «السبب» -عند العرب-: كل ما تسبب به إلي الوصول إلى المطلوب من حبل أو وسيلة، أو رحم، أو قرابة أو طريق، أو محجة وغير ذلك"(١٤).

قال أبو عبيدة:" و«السبب»: الحبل –أيضا-، و«السبب» -أيضا-: ما تسببت به من رحم أو يد أو دين وقال النبي ﷺ: «كل سبب ونسب يوم القيامة منقطع إلّا سببى ونسبى»(١٥).

والمسلم إذا تقرّب إلى رجل ليس بينهما نسب قال: إن الإسلام أقوى سبب وأقرب نسب"(١٦).

فوائد الآيات:[١-١١]:

---

(١) تأويل مشكل القرآن: ٢٠٩.

(٢) حكاه عنه ابن قتيبة في غريب القرآن: ٣٧٧، والماوردي في النكت والعيون: ٧٩/٥.

(٣) مجاز القرآن: ١٧٧/٢-١٧٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٦/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٧٢.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٧٧):ص١١٠/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢١-١٥٧.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٧/٣.

(٩) صدره:« ومن هاب أسباب المنايا ينلنه»، والبيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٠، والخصائص ٣/ ٣/ ٣٢٤، ٣٢٥، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٦٧، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٨٦، ولسان العرب (سبب).

(١٠)غريب القرآن: ٣٧٦-٣٧٧ .

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢١.

(١٢) انظر النكت والعيون: ٧٩/٥.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢١.

(١٤) تفسير الطبري: ١٥٧/٢١.

(١٥)حديث ابن عباس: أخرجه الطبرانى (٢٤٣/١١، رقم ١١٦٢١)، حديث عمر: أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٣٧٦/٥، رقم ٥٦٠٦) ، والبيهقى (٦٤/٧، رقم ١٣١٧٢) ، والضياء (١٩٧/١، رقم ١٠١) ، وقال: إسناده حسن. وأخرجه أيضًا: الطبرانى (٤٥/٣، رقم ٢٦٣٤) ، وأبو نعيم (٣١٤/٧) ، وقال: غريب. والديلمى (٢٥٥/٣، رقم ٤٧٥٥) .
حديث المسور: أخرجه الطبرانى (٢٧/٢٠، رقم ٣٣).

(١٦) مجاز القرآن: ١٧٨/٢.

١- لله تعالى أن يقسم بما شاء بخلاف العبد لا يقسم إلا بربّه تعالى.
٢- بيان ما كان عليه المشركون من كبرياء وعداء للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٣- بيان جهل المشركين في استنكارهم للا إله إلا الله محمد رسول الله.
٤- تحدي الرب تعالى للمشركين إظهاراً لعجزهم ودعوته لهم إلى النزول إلى الحق وقبوله.
٥- إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك.

القرآن

{جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤)} [ص : ١١-١٤]

التفسير:

هؤلاء الجند المكذِّبون جند مهزومون، كما هُزم غيرهم من الأحزاب قبلهم، كذَّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون صاحب القوة العظيمة، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأشجار والبساتين وهم قوم شعيب. أولئك الأمم الذين تحزَّبوا على الكفر والتكذيب واجتمعوا عليه. إنْ كلٌّ مِن هؤلاء إلا كذَّب الرسل، فاستحقوا عذاب الله، وحلَّ بهم عقابه.

قوله تعالى: {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ} [ص : ١١]، أي:" هؤلاء الجند المكذِّبون جند مهزومون، كما هُزم غيرهم من الأحزاب قبلهم"[(١)].

قال مقاتل:" أخبر الله- تعالى- بهزيمتهم ببدر، مثل قوله: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ} [القمر : ٤٥] ببدر"[(٢)].

قال الماوردي:" معنى قوله: {جند}، أي: أتباع مقلّدون ليس فيهم عالم مرشد"[(٣)].

قال ابن قتيبة:" {جند} بمعنى: حزب لهذه الآلهة. و {ما} زائدة. و{مهزوم}: مقموع ذليل. وأصل «الهزم»: الكسر، ومنه قيل للنّقرة في الأرض: هزمة، أي كسرة، وهزمت الجيش: أي كسرتهم، وتهزّمت القربة: أي انكسرت. يقول: هم حزب عند ذلك مقموع ذليل من الأحزاب، أي عند هذه المحن، وعند هذا القول، لأنهم لا يقدرون أن يدّعوا لآلهتهم شيئا من هذا، ولا لأنفسهم. و«الأحزاب»: سائر من تقدّمهم من الكفار، سمّوا أحزابا لأنهم تحزّبوا على أنبيائهم"[(٤)].

وفي قوله تعالى: {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ} [ص : ١١]، وجهان من التفسير:
أحدهما:أنهم الاصنام. حكاه السمعاني[(٥)].
الثاني: أنهم مشركو قريش، وهم الذين قتلوا وأسروا ببدر، وقوله:«هنالك»، إشارة إلى مصارعهم من بدر. قاله مجاهد[(٦)]، وقتادة[(٧)]، وبه قال الطبري[(٨)].

عن مجاهد: "{جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأحْزَابِ}، قال: قُريش من الأحزاب، قال: القرون الماضية"[(٩)].

قال قتادة:" وعده الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جندا من المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر"[(١٠)].

وقال قتادة:"هو يوم بدر أخبرهم الله به قبل أن يكون"[(١١)].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٨/٣.
(٣) النكت والعيون: ٨٠/٥.
(٤) تأويل مشكل القرآن: ٢٠٩.
(٥) انظر: تفسير رالسمعاني: ٤٢٧/٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢١.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢١.
(٨) انظر: تفسير تفسير الطبري: ١٥٧/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ١٥٧/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٥٨/٢١.
(١١) تفسير عبدالرزاق(٢٥٧٩):ص١١١/٣.

قال الطبري:يقول:" هم {جُنْد}، يعني: الذين في عزّة وشقاق، {هنالك}، يعني: ببدر مهزوم. وقوله {هُنَالِكَ} من صلة «مهزوم»، وقوله: {مِنَ الأحْزَابِ}، يعني: من أحزاب إبليس وأتباعه الذين مضوا قبلهم، فأهلكهم الله بذنوبهم. و{مِنْ} من قوله: {مِنَ الأحْزَابِ} من صلة قوله «جند»، ومعنى الكلام: هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك، و{ما} في قوله: {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ} صلة"[1].

الثالث:معناه: {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ} مغلوب عن أن يصعد إلى السماء. وهذا قول الفراء[2].

قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ} [ص : ١٢]، أي:" كذَّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون صاحب القوة العظيمة"[3].

قال الطبري:يقول:" كذّبت قبل هؤلاء المشركين من قريش، القائلين: أجعل الآلهة إلها واحدا، رسلها، قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد"[4].

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيل لفرعون«ذو الأوتاد»، على أقوال:

أحدها: لأنه كانت له ملاعب من أوتاد، يُلْعَب له عليها. قاله ابن عباس[5]، وقتادة[6].

الثاني: لتعذيبه الناس بالأوتاد. قاله الربيع بن انس[7]، والسدي[8].

قال السدي:" كان يعذِّب الناسَ بالأوتاد، يعذّبهم بأربعة أوتاد، ثم يرفع صخرة تُمَدّ بالحبال، ثم تُلْقى عليه فتشدخه"[9].

الثالث: أن «الاوتاد»: البنيان، والمعنى: ذو البنيان. قاله الضحاك[10].

قال الطبري:" وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما للعب، كان يُلْعَب له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد"[11].

قوله تعالى: {وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ} [ص : ١٣]، أي:"وكذبت ثمود وقوم لوط وأصحاب الأشجار والبساتين وهم قوم شعيب"[12].

وفي معنى: «الْأَيْكَةِ»، أقوال:

أحدها : أنها الغيْضَة[13]، قاله ابن عباس[14]، وسعيد بن جبير[15]، ومجاهد[16]، والضحاك[17]، وقتادة[18]، والسدي[19]، وسهل بن عبدالله[20]، ومقاتل[1]، والفراء[2]، ويحيى بن سلام[3]، وابن وابن قتيبة[4]، والطبري[5].

---

(١) تفسير الطبري: ١٥٧/٢١.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٣٩٩/٢، وتفسير الطبري: ١٥٨/٢١.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٤) تفسير الطبري: ١٥٨/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢١.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢١.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٥٩/٢١.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢١-١٥٩.
(٩) أخرجه الطبري: ١٥٨/٢١-١٥٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٥٩/٢١.
(١١) تفسير الطبري: ١٥٩/٢١.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(١٣)أي الأجَمَة: وهي مجتمع الشجر في مغيض ماء. انظر: "جمهرة اللغة" ٢/ ٩٥٧، "الصحاح" (غيض) ٣/ ١٠٩٧.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٤٣١):ص٢٢٧١/٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٢٤/١٧.
(١٦) انظر: النكت والعيون:١٦٨/٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:١٢٥/١٧.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:١٢٤/١٧.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢١، وتفسير ابن أبي حاتم(٨٧٠٥):ص١٥١٩/٥.
(٢٠) انظر: تفسير التستري:١٥١.

قال قتادة:" ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة. وكان عامَّة شجرهم هذا الدَّوْم"(٦).
قال مقاتل:" وكان أكثر الشجر: الدوم -وهو المقل-"(٧).
قال خصيف:" وكانوا يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة، وفي الشتاء اليابسة"(٨).
الثاني : أن «الأيكة»: االشجر الملتف المجتمع، وهذا قول قتادة-في رواية أخرى-(٩)، ومنه قول أمية(١٠):
كَبُكا الحَمامِ عَلى فُرُو ... عِ الأَيْكِ في الغُصُنِ الجَوَانِحْ
وقول النابغة الذبياني(١١):
تَجْلُو بِقادمَتَيْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ ... بَرَدًا أُسِفّ لِثاتُهُ بالإِثْمِد
الثالث : أن «الأيكة» اسم البلد، وليكة اسم المدينة بمنزلة «بكة» من «مكة»، حكاه ابن شجرة(١٢).
قال الزجاج:{ الأيكة}، " أي: أصحاب الشجر، و«الأيك» الشجر، وهؤلاء أهل موضع كان ذا شجر، فانتقم الله منهم بكفرهم، قيل إنه أخذهم الحر أياما ثم اضطرم عليهم المكان نارا فهلكوا عن آخرهم"(١٣).
قوله تعالى: {أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ} [ص : ١٣]، أي:" أولئك الأمم الذين تحزَّبوا على الكفر والتكذيب واجتمعوا عليه"(١٤).
قال الطبري: يقول:" هؤلاء الجماعات المجتمعة، والأحزاب المتحزّبة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك، وهم مسلوك بهم سبيلهم"(١٥).
قال ابن كثير:" أي : كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالا وأولادا فما دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك"(١٦).
قال ابن قتيبة:" يريد الذين تحزنوا على أنبيائهم"(١).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٣٤/٢.
(٢) انظر: معاني القرآن:٩١/٢.
(٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٥٢١/٢.
(٤) انظر: غريب القرآن:٣٢٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٩/٢١.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٢٤/١٧، وانظر: قول قتادة في التفسير نفسه صفحة: ١٦٠/٢١. باختلاف يسير في الألفاظ.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٣٤/٢.
(٨)أخرجه الطبري: ١٢٤/٢١ .
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٢٥/١٧.
(١٠)البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي، ولم أجده في ديوانه، ووجدته في سيرة ابن هشام (٣: ٣١ طبعة الحلبي) من قصيدة له يرثي بها قتلى بدر وأولها ألا بكيت على الكرا ... م بني الكرام أولي الممادح
كبكا الحمام ... البيت. والأيك: الشجر الملتف، واحدته أيكة، والجوانح: الموائل. يقول: جنح: إذا مال. وفي (اللسان أيك) : الأيكة: الشجر الكثير الملتف. وقيل: هي الغيضة تنبت السد والأراك ونحوهما من ناعم الشجر، وخص بعضهم به منت الأثل ومجتمعه.
(١١)البيت للنابغة الذبياني زياد بن معاوية (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١٨٥) قال شارحه: تجلو: تكشف. والقوادم: الريش المقدم في جناح الطائر. ويكون شديد السواد. شبه سواد شفتيها بالقوادم؛ وشبه بياض ثغرها ببياض البرد. واللثاث: مغارز الأسنان، ومن عاداتهم أن يذروا عليها الإثمد، ليبين بياض الأسنان. اهـ. والأيكة: الشجر الكثير الملتف. وقيل: هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر. وخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه. وقال أبو حنيفة الدينوري: قد تكون الأيكة: الجماعة من الشجر، حتى من النخل. قال: والأول أعرف. والجمع أيك.
(١٢) انظر: النكت والعيون:١٦٨/٣.
(١٣) معاني القرآن:١٥٨/٣.
(١٤) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(١٥) تفسير الطبري: ١٦٠/٢١.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٥٦/٧.

قال ابن الجوزي:" الأحزاب: جميع من تقدمهم من الكفار الذي تحزبوا على الأنبياء"[٢].
قال مقاتل:" الأحزاب : بنى المغيرة وبني أمية، وآل أبي طلحة"[٣].
قال ابن قتيبة:" فأعلمنا أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب"[٤].
قوله تعالى: {إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ} [ص : ١٤]، أي:" كلٌّ مِن هؤلاء إلا كذَّب الرسل، فاستحقوا عذاب الله، وحلَّ بهم عقابه"[٥].
قال الطبري: " يقول: ما كلّ هؤلاء الأمم إلا كذّب رسل الله؛ وهي في قراءة عبد الله كما ذكر لي:"إنْ كُلٌّ لَمَّا كَذَّبَ الرُّسُل فَحَقَّ عِقَابِ" يقول: فوجب عليهم عقاب الله إياهم"[٦].
قال قتادة:" هؤلاء كلهم قد كذبوا الرسل، فحقّ عليهم العذاب"[٧].
قال ابن كثير:" فجعل علة هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر"[٨].

القرآن
{وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (١٥)} [ص : ١٥]
التفسير:
وما ينتظر هؤلاء المشركون لحلول العذاب عليهم إن بقوا على شركهم، إلا نفخة واحدة ما لها من رجوع.
قوله تعالى:{وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً} [ص : ١٥]، أي:" وما ينتظر هؤلاء المشركون لحلول العذاب عليهم إن بقوا على شركهم، إلا نفخة واحدة"[٩].
قال الطبري: يقول:" {وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ} المشركون بالله من قُريش إلا النفخة الأولى في الصور"[١٠].
قال ابن كثير:" وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله إسرافيل أن يطولها ، فلا يبقى أحد من أهل السماوات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله عز وجل"[١١].
عن قتادة، قوله:"{وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً}، يعني: أمة محمد"[١٢].
قوله تعالى:{مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} [ص : ١٥]، أي:" ما لتلك الصيحة من رجوع"[١٣].
قرأ حمزة والكسائي:«فُوَاقٍ» بضم الفاء، والباقون بفتحها[١٤]، واختلف في الضم والفتح على قولين[١٥]:
أحدهما : أنه بالفتح من: الإفاضة، وبالضم: فُواق الناقة، وهو قدر ما بين الحلبتين تقديراً للمدة. قاله أبو عبيدة[١٦].

---

(١) غريب القرآن: ٣٢٥.
(٢) زاد المسير: ٥٦١/٣.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٧/٣-٦٣٨.
(٤) تأويل مشكل القرآن: ٢٠٩.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(٦) تفسير الطبري: ١٦٠/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢١.
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٦/٧.
(٩) التفسير الميسر: ٤٥٣.
(١٠) تفسير الطبري: ١٦٠/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ٥٦/٧.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٦١/٢١.
(١٣) انظر: التفسير الميسر: ٤٥٣. [بتصرف]
(١٤) انظر: السبعة في القراءات: ٥٥٢.
(١٥) انظر: انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٧٩/٢، وتفسير الطبري: ١٦٢/٢١، والنكت والعيون: ٨٢/٥.
(١٦) انظر: مجاز القرآن: ١٧٩/٢.

الثاني : أنهما لغتان ومعناهما واحد، أنهما لغتان بمعنى واحد، وهو معنى قول الفراء[١]، وابن قتيبة[٢]، والزجاج[٣]، وحكاه الطبري عن بعض الكوفيين، واختاره[٤].

قال الفراء:" أهل الحجاز يقولون: ما لهذا الأمر من فواق، و«فَواق الناقة»، بنصب الفاء، وبنو أسد وتميم وقيس: «فُواق»، بضم الفاء"[٥].

قال الفراء:" قرأها الحسن وأهل المدينة وعاصم بن أبى النجود «فَواق» بالفتح، وهي لغة جيدة عالية، وضم حمزة ويحيى والأعمش والكسائي"[٦].

ومن ثم اختلف أهل العلم في تفسير قوله تعالى:{مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} [ص : ١٥]، على أقوال:

أحدها : معناه: ما لها من ترداد ، قاله ابن عباس[٧].

قال ابن الجوزي:" المعنى: أن تلك الصيحة لا تكرر"[٨].

الثاني : من رجوع. قاله ابن عباس-في رواية العوفي[٩]، ومجاهد[١٠]، وقتادة[١١]، وسفيان[١٢].

قال ابن الجوزي:" المعنى: أنهم لا يعودون بعدها إلى الدنيا"[١٣].

قال قتادة:" يعني: الساعة، ما لها من رجوع ولا ارتداد"[١٤].

وقال قتادة: "ما لها من مثنوية"[١٥].

قال مقاتل:" ما لها من مرد ولا رجعة"[١٦].

قال الزجاج:" «فواق»- بضم الفاء وفتحها-، أي: ما لها من رجوع، والفواق ما بين حلبتي الناقة، وهو مشتق من «الرجوع» -أيضا-، لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين، وأفاق من مرضه من هذا، أي: رجع إلى الصحة، فـ«الفواق» هو من هذا أيضا"[١٧].

الثالث : ما لها من حبس، قاله حمزة بن إسماعيل[١٨].

الرابع : من رحمة. حكاه الماوردي[١٩].

الخامس : ما لها من راحة ، حكاه أبان بن تغلب[٢٠]، وحكاه ابن الجوزي عن جماعة من المفسرين[٢١].

قال النحاس:يقال:" أفاق من مرضه: رجع إلى الصحة والراحة"[٢٢].

---

(١) انظر: معاني القرآن: ٤٠٠/٢، وكتاب فيه لغات القرآن: ١٢٣.
(٢) انظر: زاد المسير: ٥٦٢/٣، وتأويل مشكل القرآن: ٩٧.
(٣) انظر: معاني القرآن: ٣٢٣/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢١.
(٥) كتاب فيه لغات القرآن: ١٢٣.
(٦) معاني القرآن: ٤٠٠/٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢١.
(٨) زاد المسير: ٥٦٢/٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢١.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢١.
(١٢) انظر: تفسير سفيان الثوري(٨٢٢: ٥: ١٣):ص٢٥٦-٢٥٧.
(١٣) زاد المسير: ٥٦٢/٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٦١/٢١.
(١٥) نقلا عن غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٢٥.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٨/٣.
(١٧) معاني القرآن: ٣٢٣/٤.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٨٢/٥.
(١٩) انظر: النكت والعيون: ٨٢/٥.
(٢٠) انظر: النكت والعيون: ٨٢/٥.
(٢١) انظر: زاد المسير: ٥٦٢/٣.
(٢٢) معاني القرآن: ٨٦/٦.

السادس : مالها من راحة ولا إفاقة. قاله الفراء[(١)].

قال الفراء:"وأصله من الإفاقة في الرضاع إذا ارتضعت البهمة أمها ثم تركتها حتى تنزل شيئا من اللبن، فتلك الإفاقة، و«الفواق» بغير همز. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «العيادة قدر فواق ناقة»[(٢)]"[(٣)].

السابع: ما لها من تنظّر وتمكّث إذا بدأت. قاله ابن قتيبة[(٤)].

قال ابن قتيبة:"وأصل «الفواق»: أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن ثم تحلب فما بين الحلبتين فواق، فاستعير الفواق في موضع الانتظار"[(٥)].

الثامن: ما لها من تأخير لسرعتها قال الكلبي[(٦)]، ومنه قول أبي ذؤيب[(٧)]:

إذا ماتت عن الدنيا حياتي ... فيا ليت القيامة عن فواق

التاسع : ما لهؤلاء المشركين بعد ذلك إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا. قاله السدي[(٨)].

العاشر: ما لهم منها من إفاقة، بل تهلكهم. وهذا قول ابن زيد[(٩)].

قال ابن زيد:" ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ما لها من فواق، يا لها من صيحة لا يفيقون فيها كما يفيق الذي يغشي عليها وكما يفيق المريض تهلكهم، ليس لهم فيها إفاقة"[(١٠)].

الحادي عشر: ما لتلك الصيحة من فتور ولا انقطاع. وهذا قول الطبري[(١١)].

قال السمعاني:" الفواق -في اللغة-: ما بين الحلبتين، والمعنى: أن العذاب لا يمهلهم، ولا يلبثهم بذلك القدر"[(١٢)].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:"إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر". قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الصور؟ قال:"قرن"، قال: كيف هو؟ قال:"قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: نفخة الفزع الأولى، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره الله فيديمها ويطولها، فلا يفتر وهي التي يقول الله:{مَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاق}"[(١٣)].

---

(١) انظر: معاني القرآن: ٤٠٠/٢.

(٢) الحديث:« العيادة فواق ناقة ».
أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٥٤٣/٦، رقم ٩٢٢٢) . وأخرجه أيضًا: الديلمى (٨٠/٣، رقم ٤٢٢٤).
والحديث فيه أمر بعدم الإطالة فى زيارة المريض.
ومنه قوله-ﷺ-:« « من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة».
أخرجه الترمذى (١٨١/٤، رقم ١٦٥٠) وقال: حسن. والحاكم (٧٨/٢، رقم ٢٣٨٢) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقى (١٦٠/٩، رقم ١٨٢٨٤) . وأخرجه أيضًا: أحمد (٥٢٤/٢، رقم ١٠٧٩٦) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٥/٤، رقم ٤٢٣٠) . وفى الحديث أن أبا هريرة قال مر رجل من أصحاب رسول الله - ﷺ - بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله - ﷺ - فذكر ذلك لرسول الله - ﷺ - ... فذكره.

(٣)معاني القرآن: ٤٠٠/٢.

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٩٧.

(٥) تأويل مشكل القرآن: ٩٧.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٨٢/٥.

(٧) البيت له في النكت والعيون: ٨٢/٥، و اهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، لبيان الحق: ١٢٣٢/٢-١٢٣٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢١.

(١٢) تفسير السمعاني: ٤٢٨/٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ١٦١/٢١.

القرآن

{وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦)} [ص : ١٦]

التفسير:

وقالوا: ربنا عجِّل لنا نصيبنا من العذاب في الدنيا قبل يوم القيامة، وكان هذا استهزاءً منهم.

وفي {وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا} [ص : ١٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : معنى ذلك: عجل لنا حظنا من الجنة التي وعدتنا ، قاله سعيد بن جبير(١).

الثاني : عجل لنا نصيبنا من العذاب الذي وعدتنا استهزاء منهم بذلك ، قاله ابن عباس(٢)، ومجاهد(٣)، وقتادة(٤).

قال ابن عباس:" سألوا الله أن يعجل لهم العذاب قبل يوم القيامة"(٥).

قال قتادة:" أي: نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة، قال: قد قال ذلك أبو جهل: اللهمّ إن كان ما يقول محمد حقا {فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ} ... الآية"(٦).

الثالث : عجل لنا رزقنا ، قاله إسماعيل بن أبي خالد(٧).

الرابع : أرنا منازلنا في الجنة حتى نتابعك، قاله السدي(٨).

الخامس: عجل لنا في الدنيا كتابنا في الآخرة وهو قوله: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ... وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ} [الحاقة : ١٩ - ٢٥] لينظروا بأيمانهم يعطونها أم بشمائلهم؟ وذلك استهزاء منهم بذلك. قاله الفراء(٩).

قال الفراء:" «القط»: الصحيفة المكتوبة. وإنما قالوا ذلك حين نزل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} [الحاقة : ١٩، الإنشقاق: ٧]، فاستهزءوا بذلك، وقالوا: عجل لنا هذا الكتاب قبل يوم الحساب. والقط في كلام العرب. الصك وهو الخط والكتاب"(١٠).

قال ابن قتيبة:" «القط»: الصحيفة المكتوبة؛ وهي الصك"(١١).

قال أبو عبيدة:" القطّ: الكتاب، قال الأعشى(١٢):

وَلا المَلِكُ النُّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيتُهُ... بأمّته يُعْطِي القُطُوطَ وَيأْفِقُ

القطوط: الكتب بالجوائز، ويأفق: يفضل ويعلو، يقال: ناقة أفقة وفرس أفق إذا فضله على غيره"(١٣).

قال الزجاج: «القط»: النصيب، وأصله: الصحيفة يكتب للإنسان فيها شيء يصل إليه.. واشتقاق «القط» من: قططت، أي: قطعت. وكذلك النصيب إنما هو القطعة من الشيء"(١٤).

قال الماوردي:" وأصل «القط»: القطع ، ومنه قط القلم وقولهم ما رأيته قط أي قطع الدهر بيني وبينه وأطلق على النصيب"(١).

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢١.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢١.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢١.
(٦) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢١.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢١.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢١.
(٩) انظر: معاني القرآن: ٤٠٠/٢.
(١٠) انظر: معاني القرآن: ٤٠٠/٢.
(١١) غريب القرآن: ٣٧٨.
(١٢)ديوانه ص ١٤٦ والطبري:١٦٣/٢١، وفيه«بِنِعْمَتِهِ» بدلا من « بأمّته»، والجمهرة ١/ ١٠٨ وقد روى دريد احتجاجه بهذا البيت. واللسان (قطط، أفق).
(١٣) مجاز القرآن: ١٧٩/٢.
(١٤) معاني القرآن: ٣٢٣/٤.

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهم تعجيل صِكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاء بوعيد الله. وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن القطّ هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه: {اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} فكان معلوما بذلك أن مسألتهم ما سألوا النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاء، وكان فيه لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أذى، أمره الله بالصبر عليه حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله {عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا} بيان أيّ القطوط إرادتهم، لم يكن لنا توجيه ذلك إلى أنه معني به القطوط ببعض معاني الخير أو الشرّ، فلذلك قلنا إن مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر"(٢).

قال ابن كثير:" وهذا الذي قاله جيد ، وعليه يدور كلام الضحاك وإسماعيل بن أبي خالد والله أعلم "(٣).

القرآن

{اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧)} [ص : ١٧]

التفسير:

اصبر -أيها الرسول- على ما يقولونه مما تكره، واذكر عبدنا داود صاحب القوة على أعداء الله والصبر على طاعته، إنه توَّاب كثير الرجوع إلى ما يرضي الله.

قوله تعالى:{اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} [ص : ١٧]، أي:" اصبر -أيها الرسول- على ما يقولونه مما تكره"(٤).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قيلهم لك، فإنا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك، ثم جاعلو العلوّ والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقك سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك"(٥).

قال ابن كثير:" ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله ﷺ آمرا له بالصبر على أذاهم ومبشرا له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر "(٦).

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ} [ص : ١٧]، أي:" واذكر عبدنا داود صاحب القوة على أعداء الله والصبر على طاعته"(٧).

قال الطبري:" يعني بقوله {ذَا الأيْدِ}: ذا القوّة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته"(٨).

قال الماوردي:" أي: فإنا نحسن إليك كما أحسنا إلى داود قبلك بالصبر"(٩).

قال ابن كثير:" يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه السلام : أنه كان ذا أيد والأيد : القوة في العلم والعمل"(١٠).

---

(١) النكت والعيون: ٨٢/٥.
(٢) تفسير الطبري: ١٦٥/٢١-١٦٦.
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٧/٧.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٥) تفسير الطبري: ١٦٦/٢١.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥٧/٧.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٨) تفسير الطبري: ١٦٦/٢١.
(٩) النكت والعيون: ٨٣/٥.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٧/٧.

قال الزجاج: " ذا القوة، وكانت قوته على العبادة أتم قوة، كان يصوم يوما ويفطر يوما، وذلك أشد الصوم، وكان يصلي نصف الليل"[١].

وفي قوله تعالى:{ذَا الْأَيْدِ} [ص : ١٧]، قولان:

أحدهما : ذا النعم التي أنعم الله بها عليه، لأنها جمع يد حذفت منه الياء، و«اليد»: النعمة. حكاه الماوردي[٢].

الثاني : ذا القوة ، قاله ابن عباس[٣]، والفراء[٤]، وأبو عبيدة[٥]. ومنه قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات : ٤٧]، أي: بقوة، وبعض العرب تقول آد[٦]، ومنه قول العجاج[٧]:

من أن تبدّلت بآدى آدا

يعني: بشبابي قوة المشيب، ومنه قول الآخر [٨]:

إن القداح إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو جَلَد وبطش أيّد

يعني بالأيد: القوي[٩].

فـ«الأيد» و«الآد»: القوة، ويقال: أَيَّدَه وآيده: إذا قواه، وآدَ يَئِيدُ أَيْدًا: إذا قوي، قال امرؤ القيس [١٠]:

فَأَثَّتْ أَعَاليه وآدَتْ أُصولُه ... ومال بقُنْيَانٍ من البُسْرِ أحمرا

أي: قويت وإياد كل شيء: ما يَقْوَى به، يقال منه: أيدك الله، أي قواك، وهو رجل ذو أَيْد، وذو آد، يراد: ذو قوة[١١].

وفيما نسب داود إليه من القوة، ثلاثة أقوال:

أحدها : ذا القوة في طاعة الله، قاله مجاهد[١٢]، والسدي[١٣]، و ابن زيد[١٤]، ومقاتل[١٥].

قال ابن زيد:" ذا القوّة في عبادة الله، الأيد: القوّة، وقرأ: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، قال: بقوة"[١٦].

وفي الحديث:«إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وأحب القيام إلى الله قيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه وينام سُدسَه ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، ولا يَفر إذا لاقى»[١٧].

الثاني: ذا القوة في طاعة الله والبصر في الحق. قاله مجاهد ايضا[١٨].

الثالث : ذا القوة في العبادة والفقه في الدين. قاله قتادة[١].

---

(١) معاني القرآن: ٣٢٣/٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٨٣/٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٦/٢١.
(٤) انظر: معاني القرآن: ٤٠١/٢.
(٥) انظر: مجاز القرآن: ١٧٩/٢.
(٦) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٧٩/٢.
(٧)ديوانه ٧٦، وتفسير الطبري:٣١٩/٣، واللسان والتاج (أيد).
(٨)ينسب البيت - من أبيات - لعبد الملك بن مروان، والصواب أنه لعبد الله بن عبد الأعلى ابن أبي عمرة الشيباني. مولى بني شيبان (تاريخ الطبري ٤: ٢٢ / وسمط اللآلئ: ٩٦٣ ترجمته).
(٩)انظر: تفسير الطبري: ٢/ ٣١٩ - ٣٢٠.
(١٠)انظر "ديوانه" ص ٦٠، "لسان العرب" ١/ ١٨٩ (مادة أيد). "المعجم المفصل" ٣/ ١٤٠.
(١١) انظر: تهذيب اللغة" ١/ ٩٦، و"اللسان" ١/ ١٨٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦٦/٢١-١٦٧.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٧/٢١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٩/٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٦٨/٢١.
(١٧)صحيح البخاري برقم (١١٣١) وصحيح مسلم برقم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(١٨) انظر: تفسير مجاهد: ٥٧٣.

قال الطبري:" وقد ذُكر لنا أن داود صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر"[٢].

قوله تعالى:{إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ١٧]، أي:" إنه توَّاب كثير الرجوع إلى ما يرضي الله"[٣].

قال الطبري:" يقول: إن داود رَجَّاع لما يكرهه الله إلى ما يرضيه أواب، وهو من قولهم: آب الرجل إلى أهله: إذا رجع"[٤].

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ١٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه رجّاع عن الذنوب. قاله مجاهد[٥].

وروي عن سعيد بن المسيب، قال:" الذي يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب الذنب ثم يتوب"[٦].

قال ابو عبيدة:" الأوّاب: الرّجّاع وهو التواب، مخرجها، من: آب إلى أهله، أي: رجع، قال يزيد بن ضبّة الثقفيّ: والبيت لعبيد بن الأبرص[٧]:

وكل ذى غيبة يؤوب ... وغائب الموت لا يؤوب

أي: لا يرجع"[٨].

الثاني : أنه الذي يؤوب إلى طاعة الله ويرجع إليها، والأوّاب: المطيع. قاله ابن زيد[٩].

قال الزجاج: "رجّاع إلى الله كثيرا، «الآيب»: الراجع، و«الأواب» الكثير الرجوع"[١٠].

الثالث : أي: كان مطيعا لله كثير الصلاة. قاله قتادة[١١].

الرابع: أنه المحسن. قاله سعيد بن جبير[١٢]، وقتادة[١٣].

الخامس: أنه المطيع المحسن. قاله ابن عباس[١٤].

وقال مقاتل:" يعني: مطيع"[١٥].

السادس: أنه التوّاب. قاله ابن عباس أيضا[١٦].

السابع: أنه المسبح ، قاله السدي[١٧]، وعمرو بن شرحبيل[١٨]، والكلبي[١٩].

الثامن : أنه الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وهذا قول مجاهد[٢٠]، وعبيد بن عمير[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٧/٢١.
(٢) تفسير الطبري: ١٦٧/٢١.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٤) تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.
(٦) أخرجه الطبري:٤٢٣/١٧-٤٢٤.
(٧)البيت من القصيدة الأولى فى ديوان عبيد بن الأبرص وهو فى اللسان (أوب)، وتفسير القرطبي: ١٥/ ١٥٩.
(٨) مجاز القرآن: ١٧٩/٢-١٨٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.
(١٠) معاني القرآن: ٣٢٤/٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٤٢٢/١٧.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٢٣٨/٣.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٢٤٣):ص٢٣٢٥/٧.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٩/٣.
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٢٤٤):ص٢٣٢٥/٧.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٤٢٢/١٧.
(١٩) انظر: النكت والعيون: ٨٤/٥.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري:٤٢٤/١٧.

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: «الأواب»: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن «الأواب» إنما هو فعال، من قول القائل: آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال، كما قال عبيد بن الأبرص[٢]:

وكل ذي غيبة يئوب ... وغائب الموت لا يئوب

فهو يئوب أوبا، وهو رجل آئب من سفره، وأواب من ذنوبه"[٣].

القرآن

{إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩)} [ص : ١٨-١٩]

التفسير:

إنا سخَّرنا الجبال مع داود يسبِّحن بتسبيحه أول النهار وآخره، وسخرنا الطير معه مجموعة تسبِّح، وتطيع تبعًا له.

قوله تعالى:{إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ} [ص : ١٨]، أي:" إنا سخَّرنا الجبال مع داود يسبِّحن بتسبيحه أول النهار وآخره"[٤].

قال الطبري: يقول:" إنا سخرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشيّ، وذلك من وقت العصر إلى الليل، والإشراق، وذلك بالغداة وقت الضحى"[٥].

قال ابن كثير:" أي : إنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار ، كما قال تعالى : { يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ } [سبأ : ١٠]، وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا تستطيع الذهاب بل تقف في الهواء وتسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعا له"[٦].

قال قتادة:" يسبحن مع داود إذا سبح بالعشيّ والإشراق"[٧].

عن ابن زيد، قوله: "{بِالْعَشِيِّ وَالإشْرَاقِ}، قال: حين تُشرق الشمس وتضحى"[٨].

عن ابن عباس:" أنه بلغه أن أم هانئ ذكرت أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يوم فتح مكة، صلى الضحى ثمان ركعات، فقال ابن عباس: قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة، يقول الله: {يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإشْرَاقِ}"[٩].

عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى، قال: فأدخلته على أم هانئ، فقلت: اخبري هذا بما أخبرتني به، فقالت أم هانئ: دخل عليّ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يوم الفتح في بيتي، فأمر بماء فصب في قصعة، ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه،

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٤٢٤/١٧.

(٢)البيت لعبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي (ديوانه ص ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٣) من قصيدته التي مطلعها: "أقفر من أهله ملحوب". يقول: كل غائب تنتظر أوبته، إلا من مات فلا أوبة له إلى الدنيا. والبيت شاهد على أن الأواب الرجاع، الذي يرجع إلى التوبة والطاعة، من آب يئوب إذا رجع (انظر اللسان: أوب) . وفيه أيضا: قال أبو بكر في قولهم: رجل أواب، سبعة أقوال: الراحم، والتائب، والمسبح، والذي يرجع إلى التوبة ثم يذنب ثم يتوب، والمطيع، والذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منه. أهـ. وكل هذه المعاني راجعة إلى المعنى اللغوي، وهو الرجوع عن الشيء إلى غيره.

(٣) تفسير الطبري:٤٢٥/١٧-٤٢٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٥) تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٧/٧.

(٧) أخرجه الطبري: ١٦٨/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ١٦٨/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ١٦٨/٢١.

فاغتسل، ثم رشّ ناحية البيت فصلى ثمان ركعات، وذلك من الضحى قيامهنّ وركوعهنّ وسجودهنّ وجلوسهنّ سواء، قريب بعضهن من بعض، فخرج ابن عباس، وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين، ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن {يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ} وكنت أقول: أين صلاة الإشراق، ثم قال: بعد هنّ صلاة الإشراق"(١).

قال الزجاج: " الإشراق: طلوع الشمس وإضاءتها، يقال شرقت الشمس إذا طلعت. وأشرقت إذا أضاءت، وقد قيل شرقت وأشرقت إذا طلعت في معنى واحد. والأول أكثر"(٢).

قوله تعالى:{وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً} [ص : ١٩]، أي:" وذلّلنا لداود الطير وسخَّرناها مجموعة من كل صنف ومكان"(٣).

قال ابن كثير:" أي : محبوسة في الهواء"(٤).

قال الطبري: يقول:" وسخرنا الطير يسبحن معه مجموعة له؛ ذكر أنه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كان إذا سبح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطير، فسبحت معه واجتماعها إليه كان حشرها"(٥).

عن قتادة: "{وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً}: مسخَّرة"(٦).

قوله تعالى:{كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ} [ص : ١٩]، أي:" كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجّاع إلى التسبيح"(٧).

قال ابن كثير: أي :"{ كُلٌّ لَهُ} مطيع يسبح تبعا له"(٨).

قال الطبري:" يقول: كل ذلك له مطيع رجَّاع إلى طاعته وأمره. ويعني بالكلّ: كلّ الطير"(٩).

وفي قوله تعالى:{كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ} [ص : ١٩]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدهما: : كل له مطيع، يعني داود والجبال والطير. قاله قتادة(١٠)، وابن زيد(١١).

قال مقاتل:" يقول: كل الطير لداود مطيع"(١٢).

الثاني: معناه: كل مسبح لله. قاله السدي(١٣).

الثالث: كل يرجعن التسبيح مع داود، أي: الجبال والطير. ذكره الزجاج(١٤)، والنحاس(١٥).

قال الزجاج: " كانت الجبال ترجع التسبيح، وكانت الطير كذلك، فيجوز أن تكون «الهاء» لله - جل وعز – أي: كل لله مسبح، الطير والجبال وداود يسبحون لله عز وجل، ويرجعون التسبيح.

ويجوز - والله أعلم - أن يكون {كل له أواب}: كل يرجعن التسبيح مع داود، يجبنه، كلما سبح سبحت الجبال والطير معه"(١٦).

---

(١) أخرجه الطبري: ١٦٨/٢١-١٦٩.
(٢) معاني القرآن: ٣٢٤/٤.
(٣) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٤٨٧/٨.
(٤) تفسير ابن كثير: ٥٧/٧.
(٥) تفسير الطبري: ١٦٩/٢١.
(٦) أخرجه الطبري: ١٦٩/٢١.
(٧) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٤٨٧/٨.
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٧/٧.
(٩) تفسير الطبري: ١٦٩/٢١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٦٩/٢١.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٩/٢١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٩/٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢١.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٣٢٤/٤.
(١٥) انظر: معاني القرآن: ٩٠/٦.
(١٦) معاني القرآن: ٣٢٤/٤.

قال السمعاني:" «الأواب» -ها هنا-: هو المسبح، والتسبيح هو عبادة أهل السموات والأرض"(١).

القرآن

{وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠)} [ص : ٢٠]

التفسير:

وقوَّينا له ملكه بالهيبة والقوة والنصر، وآتيناه النبوة، والفصل في الكلام والحكم.

قوله تعالى:{وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ} [ص : ٢٠]، أي:" وقوَّينا له ملكه بالهيبة والقوة والنصر"(٢).

والنصر"(٢).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ} [ص : ٢٠]، ثلاثة وجوه:

أحدها : بالتأييد والنصر. حكاه الماوردي(٣).

الثاني : بالجنود والرجال. قاله السدي(٤).

قال الفراء:" معنى «التشديد»: أن محرابه كان يحرسه ثلاثة وثلاثون ألفا"(٥).

قال السدي:" كان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف، أربعة آلاف"(٦).

قال مقاتل:" كان يحرسه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفا من بني إسرائيل"(٧).

الثالث: كان الذي شدد به ملكه، أن أعطي هيبة من الناس له لقضية كان قضاها. وهذا قولابن عباس(٨).

قال الزجاج:" معناه: قوينا ملكه، فكان من تقوية ماكه أنه كان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفا من الرجال. وقيل أيضا إن رجلا استعدى إليه على رجل، فادعى عليه أنه أخذ منه بقرا، فأنكر المدعى عليه فسأل داود المدعي البينة فلم يقمها، فرأى داود في منامه أن الله يأمره أن يقتل المدعى عليه، فتثبت داود، وقال هو منام، فأتاه الوحي بعد ذلك أن يقتله فأحضره ثم أعلمه أن الله أمره بقتله، فقال المدعى عليه: إن الله - جل وعز - ما أخذني بهذا الذنب، وإني قتلت أبا هذا غيلة فقتله داود، فذلك مما كان عظم الله، وشدد ملكه به"(٩).

قال ابن كثير:"قال بعض السلف : بلغني أنه كان حَرَسُه في كل ليلة ثلاثة وثلاثين ألفا لا تدور عليهم النوبة إلى مثلها من العام القابل"(١٠).

عن ابن عباس:" أن رجلا من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم، فاجتمعا عند داود النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال المستعدي: إن هذا اغتصبني بقرًا لي، فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، فسأل الآخر البيِّنة، فلم يكن له بيِّنة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما؛ فقاما من عنده، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي استعدي عليه، فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت، فأوحى الله إلى داود في منامه مرة أخرى أن يقتل الرجل، وأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة من الله، فأرسل داود إلى الرجل: إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك، فقال الرجل: تقتلني بغير بينة ولا تثبت؟! فقال له داود: نعم، والله لأنفذنّ أمر الله فيك؛ فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال: لا تعجل عليّ حتى أخبرك، إني والله ما أُخِذت بهذا

---

(١) تفسير السمعاني: ٤/٤٣٠.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٥/٨٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢١/١٧٠.
(٥) معاني القرآن: ٢/٤٠١.
(٦) أخرجه الطبري: ٢١/١٧٠.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٦٣٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢١/١٧٠-١٧١.
(٩) معاني القرآن: ٤/٣٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٧/٥٨.

الذنب، ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فبذلك قُتلت، فأمر به داود فقُتل، فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود، وشدد به مُلْكه، فهو قول الله: {وَشَدَدْنَا مُلْكَه}"(١).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك تعالى أخبر أنه شَدَّد ملك داود، ولم يحضر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود. وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائز أن يكون كان بجميعها، ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله، إذ لم يحر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له"(٢).

قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} [ص : ٢٠]، أي:" وآتيناه النبوة، والفصل في الكلام والحكم"(٣).

وفي قوله تعالى:{وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ} [ص : ٢٠]، وجوه:

أحدها : النبوة ، قاله السدي(٤).

الثاني : السنّة، قاله قتادة(٥)،والحسن(٦)، ومقاتل بن حيان(٧)، وأبو مالك(٨)، والشافعي(٩)، ويحيى ويحيى بن كثير(١٠).

الثالث : العدل، قاله ابن نجيح(١١).

الرابع : أعطي الفهم. قاله ابن عباس(١٢).

الخامس: العلم والفهم، قاله شريح، ومقاتل(١٣).

قال ابن وهب: "قلت لمالك: ما الحكمة؟ قال: المعرفة بالدين، والفقه في الدين، والاتباع له"(١٤).

وقال ابن زيد:" «الحكمة»: الدين الذي لا يعرفونه إلا به ﷺ، يعلمهم إياها. قال: و"الحكمة"، العقل في الدين، وقرأ: {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} [البقرة: ٢٦٩] ، وقال لعيسى:{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإنْجِيلَ} [آل عمران: ٤٨] قال، وقرأ ابن زيد: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا} [الأعراف: ١٧٥] قال، لم ينتفع بالآيات، حيث لم تكن معها حكمة. قال:«والحكمة»: شيء يجعله الله في القلب، ينور له به"(١٥).

الخامس : الفضل والفطنة. حكاه الماوردي(١٦).

قال الطبري:" والصواب من القول عندنا في«الحكمة»، أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ، والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من"الحكم" الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل، بمنزلة "الجِلسة والقِعدة" من "الجلوس

---

(١) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢١-١٧١.
(٢) تفسير الطبري: ١٧١/٢١.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧١/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧١/٢١.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٩٣):ص١٢٤٠/٤.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٩٣):ص١٢٤٠/٤.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٩٣):ص١٢٤٠/٤.
(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٤/١.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٩٣):ص١٢٤٠/٤.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٨٤/٥.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٣٤١):ص٣٢٣٨/١٠.
(١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٩/٣.
(١٤) أخرجه الطبري(٢٠٧٩):ص٨٧/٣.
(١٥) أخرجه الطبري(٢٠٨٠):ص٨٧/٣، وابن ابي حاتم(٦٩٩٥):ص١٢٤٠/٤. [باختصار]
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٨٤/٥.

والقعود"، يقال منه:"إن فلانا لحكيم بين الحكمة"، يعني به: إنه لبين الإصابة في القول والفعل"[١].

وفي قوله تعالى:{وَفَصْلَ الْخِطَابِ} [ص : ٢٠]، وجوه:

أحدها : أنه علم القضاء والفهم به. قاله ابن عباس[٢]، والحسن[٣]، ومجاهد[٤]، والسدي[٥].

قال ابن عباس:" أعطي الفهم"[٦].

وقال مجاهد:" إصابة القضاء وفهمه"[٧].

وقال ابن زيد:" الخصومات التي يخاصم الناس إليه فصل ذلك الخطاب، الكلام الفهم، وإصابة القضاء والبيّنات"[٨].

الثاني : تكليف المدعي البينة والمدعَى عليه اليمين ، قاله شريح[٩]، وقتادة[١٠]، ومقاتل[١١].

الثالث : قوله: «أما بعد»، وهو أول من تكلم بها، قاله أبو موسى الأشعري[١٢]، والشعبي[١٣]، والتستري[١٤].

قال سهل:" إنما أعطاه الله ذلك حين سأله أن يرفع منزلته على منزلة إسماعيل وإسحاق، فقال: لست هناك يا داود، ولكني أجعل لك مقاماً من الحكمة، وفاصلة، وهي: «أما بعد» . وهو أول من قال ذلك، وبعده قس بن ساعدة[١٥]"[١٦].

الرابع : أنه البيان الكافي في كل غرض مقصود. حكاه الماوردي[١٧].

الخامس : أنه الفصل بين الكلام الأول والكلام الثاني. حكاه الماوردي-أيضا-[١٨].

قال الزجاج:" قي:ل في فصل الخطاب، أن يفصل بين الحق والباطل"[١٩].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب هو المخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم، ومن قطع مخاطبته أيضا صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعيا، فإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه. ومن قطع الخطاب أيضا الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد. فإذ كان ذلك كله محتملا ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على

---

(١) تفسير الطبري: ١٨٧/٢١.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢١.
(٣) راه الأشعث عن الحسن كما في احكام القرآن للجصاص: ٥٠١/٣، وانظر: النكت والعيون: ٨٤/٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢١.
(٦) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢١-١٧٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٢١.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٩/٣.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٣٤٢):ص٣٢٣٨/١٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٢١.
(١٤) انظر: تفسير التستري: ١٣٢.
(١٥)قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي الإيادي (... - نحو ٢٣ ق. هـ) : أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية. كان أسقف نجران. أدركه النبي صلى الله عليه وسلّم قبل النبوة. (الأعلام ٥/ ١٩٦).
(١٦) تفسير التستري: ١٣٢.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٨٤/٥.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٨٤/٥.
(١٩) معاني القرآن: ٣٢٤/٤.

أي ذلك المراد، ولا ورد به خبر عن الرسول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ثابت، فالصواب أن يعم الخبر، كما عمه الله، فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب"(١).

فوائد الآيات:[١٢-٢٠]:

١- ذم كلمة الأحزاب ومدلولها إذ لا تأتي الأحزاب بخير.

٢- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحمله على الصبر على أذى قريش وتكذيبها وعنادها.

٣- تهديد قريش إذا أصرت على التكذيب بأشد أنواع العقوبات.

٤- بيان استهزاء المشركين واستخفافهم بأخبار الله تعالى وشرائعه.

٥- مشروعية الأسوة والاقتداء بالصالحين.

٦- بيان آية تسخير الله تعالى الجبال والطير لداود تسبح الله تعالى معه.

٧- حسن صوت داود في قراءته وتسبيحه.

٨- مشروعية صلاة الإشراق والضحى.

القرآن

{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢)} [ص : ٢١-٢٢]

التفسير:

وهل جاءك -أيها الرسول- خبر المتخاصِمَين اللذَين تسوَّرا على داود في مكان عبادته، فارتاع من دخولهما عليه؟ قالوا له: لا تَخَفْ، فنحن خصمان ظلم أحدنا الآخر، فاقض بيننا بالعدل، ولا تَجُرْ علينا في الحكم، وأرشدنا إلى سواء السبيل.

قوله تعالى:{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} [ص : ٢٢]، أي:" وهل جاءك -أيها الرسول- خبر المتخاصِمَين اللذَين تسوَّرا على داود في مكان عبادته"(٢).

قال الزمخشري:" ظاهره الاستفهام. ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد، والتشويق إلى استماعه"(٣).

قال البيضاوي:" استفهام معناه التعجيب والتشويق إلى استماعه، {إذ تسوروا المحراب}: إذ تصعدوا سور الغرفة"(٤).

قال ابن كثير:" أي : احتاطا به يسألانه عن شأنهما"(٥).

قوله تعالى:{إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ} [ص : ٢٢]، أي:" حين دخلوا عليه من أعلى السور فخاف وارتعد منهم"(٦).

قال البيضاوي:" {ففزع منهم}، لأنهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه، فإنه عليه الصلاة والسلام كان جزأ زمانه: يوما للعبادة، ويوما للقضاء، ويوما للوعظ، ويوما للاشتغال بخاصته، فتسور عليه ملائكة على صورة الإنسان في يوم الخلوة"(٧).

قال ابن كثير:" إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه ، وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر ألا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تَسَوَّرا عليه المحراب"(٨).

---

(١) تفسير الطبري: ١٧٣/٢١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٣) الكشاف: ٨١/٤-٨٢.
(٤) تفسير البيضاوي: ٢٧/٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٦٠/٧.
(٦) صفوة التفاسير: ٤٩/٣.
(٧) تفسير البيضاوي: ٢٧/٥.
(٨) تفسير ابن كثير: ٦٠/٧.

قوله تعالى:{قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ} [ص : ٢٢]، أي:" قالوا له: لا تَخَفْ، فنحن خصمان ظلم أحدنا الآخر"(١).

قال البيضاوي:أي:" نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما. {بغى بعضنا على بعض}، وهو على الفرض وقصد التعريض إن كانوا ملائكة وهو المشهور"(٢).

قال الزمخشري:" جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكان، معناه: أن التحاكم كان بين ملكين، ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون، وسماهم جميعا خصما في قوله: {نَبَأُ الْخَصْمِ} و{خَصْمانِ}، لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به، وجاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح، لكونها أبلغ في التوبيخ، من قبل أن التأمل إذا أدّاه إلى الشعور بالمعرض به، كان أوقع في نفسه، أشد تمكنا من قلبه، وأعظم أثرا فيه، وأجلب لاحتشامه وحيائه، وأدعى إلى التنبه على الخطإ فيه من أن يبادره به صريحا، مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة. ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة أن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح. وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه، وذلك أزجر له لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه، فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة، مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة"(٣).

قوله تعالى:{فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ} [ص : ٢٢]، أي:" فاقض بيننا بالعدل"(٤).

قال الزمخشري:" كان ذلك على وجه التحاكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله: {لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ}، حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه"(٥).

قوله تعالى:{وَلَا تُشْطِطْ} [ص : ٢٢]، أي:" ولا تَجُرْ علينا في الحكم"(٦).

قال البيضاوي:أي:" ولا تجر في الحكومة"(٧).

قال الحسن:" {ولا تشطط}، أي: لا تجر"(٨).

قال قتادة:" أي: لا تمل"(٩).

قال السدي:" يقول: لا تحف"(١٠).

وقرئ: «ولا تشطط»، أى: ولا تبعد عن الحق. وقرئ: ولا تشطط. ولا تشاطط، وكلها من معنى«الشطط»: وهو مجاوزة الحدّ وتخطى الحق(١١).

قوله تعالى:{وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ} [ص : ٢٢]، أي:" وأرشِدنا إلى سواء السبيل"(١٢).

قال قتادة:" أي: أعدله وخيره"(١٣).

قال السدي:" إلى عدل القضاء"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٢) تفسير البيضاوي: ٢٧/٥.
(٣) الكشاف: ٨١/٤-٨٢.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٥) الكشاف: ٨١/٤-٨٢.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٧) تفسير البيضاوي: ٢٧/٥.
(٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٨٥):ص١١٤/٣.
(٩) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢١.
(١٠) اخرجه الطبري: ١٨٢/٢١-١٨٤.
(١١) انظر: الكشاف: ٨٣/٤، وتفسير البيضاوي: ٢٧/٥.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢١.
(١٤) اخرجه الطبري: ١٨٢/٢١-١٨٤.

قال الزمخشري:" {سَواءِ الصِّراطِ}: وسطه ومحجته، ضربه مثلا لعين الحق ومحضه"[١].

قال الزمخشري:" كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته، فيتزوّجها إذا أعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها. وقد روينا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك، فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا، فأحبها، فسأله النزول له عنها، فاستحيا أن يردّه، ففعل، فتزوّجها وهي أمّ سليمان، فقيل له: إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك: لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به. وقيل: خطبها أوريا ثم خطبها داود، فآثره أهلها، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن، مع كثرة نسائه وأمّا ما يذكر أنّ داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال: يا رب إنّ آبائي قد ذهبوا بالخير كله، فأوحى إليه: إنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها: قد ابتلى ابراهيم بنمروذ وذبح ولده، وإسحاق بذبحه وذهاب بصره، ويعقوب بالحزن على يوسف. فسأل الابتلاء فأوحى الله إليه: إنك لمبتلى في يوم كذا وكذا، فاحترس، فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور، فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب، فمدّ يده ليأخذها لابن له صغير، فطارت، فامتدّ إليها، فطارت فوقعت في كوّة، فتبعها، فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها، وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء، «١» فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء. أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت، وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد، ففتح الله على يده وسلم، فأمر بردّه مرة أخرى، وثالثة، حتى قتل، فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء، وتزوج امرأته. فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين، «٢» فضلا عن بعض أعلام الأنبياء"[٢].

وعن سعيد ابن المسيب والحرث الأعور: "أنّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء"[٣].

وروى :"أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث به وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها، وأعظم بأن يقال غير ذلك، وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه. فقال عمر: لسماعى هذا الكلام أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس"[٤].

والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب"[٥].

عن ابن عباس -رضي الله عنهما-:" إن داود عليه السلام حدث نفسه أنه ابتلي أن يعتصم فقيل له: إنك ستبتلى، وستعلم اليوم الذي تبتلى فيه، فخذ حذرك فقيل له: هذا اليوم الذي تبتلى فيه فأخذ الزبور، ودخل المحراب، وأغلق باب المحراب وأدخل الزبور في حجره، وأقعد منصفا على الباب وقال: لا تأذن لأحد علي اليوم. فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر مذهب «٤» كأحسن ما يكون الطير، فيه من كل لون فجعل يدرج بين يديه فدنا منه فأمكن أن يأخذه، فتناوله بيده ليأخذه فطار فوقه على كوة المحراب، فدنا منه ليأخذه فطار فأشرف عليه لينظر أين

---

(١) الكشاف: ٨٣/٤.

(٢) الكشاف: ٨٠/٤-٨١.

(٣) نقلا عن الكشاف: ٨١/٤.

وفي النكت والعيون: ٨٩/٥، حكى السدي عن علي كرم الله وجهه قال : "لو سمعت رجلاً يذكر أن داود قارف من تلك المرأة محرَّماً لجلدته ستين ومائة لأن حد الناس ثمانون وحد الأنبياء ستون ومائة ، حَدّان".

(٤) نقلا عن: الكشاف: ٨١/٤.

(٥) الكشاف: ٨١/٤.

وقع فإذا هو بامرأة، عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله حركت رأسها فغطت جسدها أجمع بشعرها، وكان زوجها غازيا في سبيل الله، فكتب داود عليه السلام إلى رأس الغزاة انظر فاجعله في حملة التابوت، إما أن يفتح عليهم وإما أن يقتلوا فقدمه في حملة التابوت، فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود عليه السلام فاشترطت عليه إن ولدت غلاما أن يكون الخليفة من بعده وأشهدت عليه خمسا من بني إسرائيل وكتبت عليه بذلك كتابا فأشعر بنفسه أنه كتب حتى ولدت سليمان عليه الصلاة والسلام، وشب فتسور عليه الملكان المحراب فكان شأنهما ما قص الله تعالى في كتابه وخر داود عليه السلام ساجدا، فغفر الله له وتاب عليه"(١).

قال الحسن:" جزأ داود الزمن أربعة أجزاء: فيوم لنسائه ، ويوم لقضائه ، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ، ويوم لبني إسرائيل يسألونه ، فقال يوما لبني إسرائيل: أيكم يستطيع أن يتفرغ لربه ولا يستطيع الشيطان منه شيئا؟ قالوا: لا أينا والله ، فحدث نفسه أنه يستطيع ذلك ، فدخل محرابه وأغلق أبوابه ، فقام فصلى فجاء طائر في أحسن صورة مزين كأحسن ما يكون ، فوقع قريبا منه فنظر إليه وأعجبه فوقع في نفسه منه شيء وأعجبه ، فدنا منه ليأخذه فضرب يده عليه فأخطأه فوقع قريبا منه وأطمعه أنه سيأخذه ، ففعل ذلك ثلاث مرات حتى إذا كان في الرابعة ضرب يده عليه فأخطأه فوقع على سور المحراب ، قال: وحول المحراب حوض يغتسل فيه النساء ، نساء بني إسرائيل أحسبه قال - الحيض - قال: فضرب يده عليه وهو على سور المحراب فأخطأه ، وهبط الطائر فأشرف فإذا هو بامرأة تغتسل فنفضت شعرها فغطى جسدها فوقع في نفسه منها ما شغله ، عن صلاته فنزل من محرابه ولبست المرأة ثيابها وخرجت إلى بيتها ، فخرج حتى عرف بيتها فسألها: من أنت؟ فأخبرته ، فقال: هل لك زوج؟ قالت: نعم ، قال: أين هو؟ قالت: في بعث كذا وكذا ، وجند كذا وكذا ، فرجع وكتب إلى عامله إذا جاءك كتابي هذا فاجعل فلانا في أول الخيل التي تلي العدو ، قال فقدم في فوارس في عادية الخيل فقاتل حتى قتل ، [ص:١١٤] قال: فبينا داود في المحراب تسور عليه ملكان فأفزعاه وراعاه ، فقالا: {لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض} [ص: ٢٢] حتى بلغ {ولا تشطط} [ص: ٢٢] أي: لا تجر {واهدنا إلى سواء الصراط} [ص: ٢٢] حتى بلغ {فقال أكفلنيها} [ص: ٢٣] يقول: أعطنيها {وعزني في الخطاب} [ص: ٢٣] يقول: قهرني في الخصومة ، قال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى بلغ {وظن داود أنما فتناه} قال: " علم داود أنه هو المعني بذلك {وخر راكعا وأناب} [ص: ٢٤] "(٢).

عن أنس -رضي الله عنه- قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطع على بني إسرائيل وأوصى صاحب الجيش فقال: إذا حضر العدو تضرب فلانا بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل، أو ينهزم منه الجيش فقتل وتزوج المرأة، ونزل الملكان على داود عليه السلام فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده: رب زل داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب. رب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثا في المخلوق من بعده. فجاء جبريل عليه السلام من بعد أربعين ليلة فقال: يا داود إن الله قد غفر لك وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة؟ فقال: يا رب دمي الذي، عند داود؟ قال جبريل: ما سألت ربك، عن ذلك، فإن شئت لافعلن فقال: نعم ففرح جبريل. وسجد داود عليه السلام فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال: قد سألت الله يا داود، عن الذي أرسلتني فيه فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول: «هب لي دمك الذي، عند داود، فيقول: هو لك، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت ما اشتهيت عوضا»"(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٣٤٣):ص١٠/٣٢٣٨-٣٢٣٩.
(٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٨٥):ص٣/١١٤.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٣٤٤):ص١٠/٣٢٣٩.

قال ابن كثير:" قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده ؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس - ويزيد وإن كان من الصالحين - لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا"[١].

القرآن

{إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣)} [ص : ٢٣]

التفسير:

قال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون من النعاج، وليس عندي إلا نعجة واحدة، فطمع فيها، وقال: أعطنيها، وغلبني بحجته.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ} [ص : ٢٣]، أي:" قال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون من النعاج، وليس عندي إلا نعجة واحدة"[٢].

قال الطبري:" وهذا مثل ضربه الخصم المتسوّرون على داود محرابه له، وذلك أن داود كانت له فيما قيل: تسع وتسعون امرأة، وكانت للرجل الذي أغزاه حتى قُتل امرأة واحدة؛ فلما قتل نكح فيما ذكر داود امرأته، فقال له أحدهما: {إِنَّ هَذَا أَخِي}، يقول: أخي على ديني"[٣].

عن قتادة:" {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً}، وكان لداود تسع وتسعون امرأة، {وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ}، قال: وإنما كان للرجل امرأة واحدة"[٤].

عن وهب بن منبه: "{إِنَّ هَذَا أَخِي}، أي: على ديني"[٥].

وفي قراءة عبدالله: «وَإِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى»[٦].

عن الضحاك" {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى». يعني: بتأنيثها. حسنها"[٧].

قال ابن عباس:" يريد أن يتمم بها مئة، ويتركني ليس لي شيء"[٨].

قال السدي:" فهو يريد أن يأخذ نعجتي، فيكمل بها نعاجه مئة"[٩].

قوله تعالى:{فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا} [ص : ٢٣]، أي:" فطمع فيها، وقال: أعطنيها"[١٠].

قال الطبري:" يقول: فقال لي: انزل عنها لي وضمها إليّ"[١١].

قال ابن عباس:" يريد أن يتمم بها مئة، ويتركني ليس لي شيء"[١٢].

قال الحسن:" يقول: أعطنيها"[١٣].

قال وهب بن منبه:" أي: احملني عليها"[١٤].

قال ابن زيد:" أعطنيها، طلِّقها لي، أنكحها، وخلّ سبيلها"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦٠/٧.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٣) تفسير الطبري: ١٧٧/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢١.
(٦) تفسير الطبري: ١٧٧/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢١.
(٨) اخرجه الطبري: ١٨١/٢١-١٨٢.
(٩) اخرجه الطبري: ١٨٢/٢١-١٨٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(١١) تفسير الطبري: ١٧٨/٢١.
(١٢) اخرجه الطبري: ١٨١/٢١-١٨٢.
(١٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٨٥):ص١١٤/٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢١.

قوله تعالى:{وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ} [ص : ٢٣]، أي:" وغلبني بحجته"[٢].

قال الطبري:" يقول: وصار أعز مني في مخاطبته إياي، لأنه إن تكلم فهو أبين مني، وإن بطش كان أشدّ مني فقهرني"[٣].

قال ابن كثير:" أي : غلبني يقال : عز يعز : إذا قهر وغلب"[٤].

قال الصابوني:" أي: غلبني في الخصومة، وشدَّد عليَّ في القول وأغلظ"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ} [ص : ٢٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: قهرني في الخصومة، قاله الحسن[٦]، وقتادة[٧]، وابن زيد[٨]، ووهب بن منبه[٩].

وقال قتادة:" أي: ظلمني وقهرني"[١٠].

قال ابن زيد:" قهرني، وذلك العزّ؛ قال: والخطاب: الكلام"[١١].

قال وهب:" أي قهرني في الخطاب، وكان أقوى مني، فحاز نعجتي إلى نعاجه، وتركني لا شيء لي"[١٢].

الثاني : غلبني على حقي ، من قولهم من عزيز أي من غلب سلب ، قاله ابن عيسى[١٣].

الثالث: معناه: إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بطشت وبطش كان أشدّ مني. قاله ابن عباس[١٤].

الرابع : معناه: إن تكلم كان أبين، وإن بطش كان أشد مني ، وإن دعا كان أكثر مني ، قاله الضحاك[١٥].

عن عبدالله في قوله:{وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}، قال:" ما زاد داود على أن قال: انزل لي عنها"[١٦]. وفي رواية أخرى قال عبدالله:" ما زاد داود على أن قال: {أكفلنيها}"[١٧].

قال ابن عباس:" ما زاد على أن قال: انزل لي عنها"[١٨].

قال السدي:" فقال للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعا وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن آخذها منه، فأكمل بها نعاجي مئة، قال: وهو كاره؟ قال: وهو كاره، قال: وهو كاره؟ قال: إذن لا ندعك وذاك، قال: ما أنت على ذلك بقادر، قال: فإن ذهبت تروم ذلك أو تريد، ضربنا منك هذا هذا وهذا، وفسر أسباط طرف الأنف، وأصل الأنف والجبهة؛ قال: يا داود أنت أحق أن يُضرب منك هذا وهذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة، ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته، وتزوجت امرأته. قال: فنظر فلم ير شيئا، فعرف ما قد وقع فيه، وما قد ابتُلي به"[١٩].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٣) تفسير الطبري: ١٧٨/٢١.
(٤) تفسير ابن كثير: ٦٠/٧.
(٥) صفوة التفاسير: ٥٠/٣.
(٦) رواه عنه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٨٥):ص١١٤/٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢١.
(٨) انظر تفسير الطبري: ١٧٩/٢١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢١.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢١.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٨٧/٥.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢١.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢١.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢١.
(١٧) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢١.
(١٨) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢١.
(١٩) اخرجه الطبري: ١٨٢/٢١-١٨٤.

القرآن

{قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)} [ص : ٢٤]

التفسير:

قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيرًا من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض، ويظلمه بأخذ حقه وعدم إنصافه مِن نفسه إلا المؤمنين الصالحين، فلا يبغي بعضهم على بعض، وهم قليل. وأيقن داود أننا فتنَّاه بهذه الخصومة، فاستغفر ربه، وسجد تقربًا لله، ورجع إليه وتاب.

قوله تعالى:{قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ} [ص : ٢٤]، أي:" قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه"(١).

قال الطبري: يقول:" قال داود للخصم المتظلم من صاحبه: لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك إلى نعاجه؛ وإنما كنى بالنعجة -ها هنا- :عن المرأة، والعرب تفعل ذلك؛ ومنه قول الأعشى(٢):

قَدْ كُنْتُ رَائِدَهَا وَشاةِ مُحَاذِرٍ ... حَذرًا يُقِلُّ بعَيْنِهِ إغْفَالَهَا

يعني بالشاة: امرأة رجل يحذر الناس عليها؛ وإنما يعني: لقد ظلمت بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نسائه"(٣).

قوله تعالى:{وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [ص : ٢٤]، أي:" وإن كثيرًا من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض، ويظلمه بأخذ حقه وعدم إنصافه مِن نفسه"(٤).

قال الطبري: يقول:" يقول: وإن كثيرا من الشركاء ليتعدَّى بعضهم على بعض"(٥).

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ} [ص : ٢٤]، أي:" إلا المؤمنين الصالحين، فلا يبغي بعضهم على بعض، وهم قليل"(٦).

قال الطبري: يقول:" {إلا الَّذِينَ آمَنُوا} بالله وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، ولم يتجاوزوه {وَقَلِيلٌ مَا هُمْ}"(٧).

وفي نوع {ما} التي في قوله: {وَقَلِيلٌ مَا هُمْ}، وجهان (٨):

أحدهما: أن تكون صلة بمعنى: وقليل هم، فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يفسد معنى الكلام.

الثاني: أن تكون اسما، و«هم» صلة لها، بمعنى: وقليل ما تجدهم، كما يقال: قد كنت أحسبك أعقل مما أنت، فتكون أنت صلة لما، والمعنى: كنت أحسب عقلك أكثر مما هو.

عن ابن عباس، في قوله: "{وَقَلِيلٌ مَا هُمْ}، يقول: وقليل الذين هم"(٩).

قال ابن زيد:" قليل من لا يبغي"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٢)البيت في ديوان الأعشى ميمون بن قيس (طبعة القاهرة ص ٢٧) من لاميته التي مطلعها:" رحلت سمية غدوة أجمالها ... " البيت وفيه:" بت" في مكان" كنت".

(٣) تفسير الطبري: ٢١/١٧٩-١٨٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٥) تفسير الطبري: ٢١/١٨٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٧) تفسير الطبري: ٢١/١٨٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢١/١٨٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٢١/١٨٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢١/١٨٠.

قوله تعالى:{وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ} [ص : ٢٤]، أي:" وأيقن داود أننا فتنَّاه بهذه الخصومة"(١).

قال الطبري:" يقول: وعلم داود أنما ابتُليناه"(٢).

عن ابن عباس:"{ فَتَنَّاهُ}: اختبرناه"(٣).

عن قتادة: "{وَظَنَّ دَاوُدُ}: علم داود"(٤).

قال ابن عباس والحسن:" ظن أنما ابتُلي بذاك"(٥).

قال الحسن:" علم داود أنه هو المعني بذلك {وخر راكعا وأناب}"(٦).

واختلف في سبب البلاء الذي ابتُلي به نبي الله داود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، على قولين:

أحدها: كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس، فتمنّى مثله، فقيل له: إنهم امتُحنوا فصبروا، فسأل أن يُبتلى كالذي ابتلوا، ويُعطى كالذي أعطوا إن هو صبر. قاله ابن عباس(٧)، والسدي(٨).

الثاني: أن ذلك كان لعارض كان عرض في نفسه من ظن أنه يطيق أن يتم يوما لا يصيب فيه حوبة، فابتُلي بالفتنة التي ابتُلي بها في اليوم الذي طمع في نفسه بإتمامه بغير إصابة ذنب. قاله الحسن(٩).

قوله تعالى:{فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [ص : ٢٤]، أي:" فاستغفر ربه، وسجد تقربًا لله، ورجع إليه وتاب"(١٠).

قال الطبري: "يقول: فسأل داود ربه غفران ذنبه وخر ساجدا لله ورجع إلى رضا ربه، وتاب من خطيئته"(١١).

قال ابن كثير:" {وَخَرَّ رَاكِعًا}، أي : ساجدا {وَأَنَابَ}، ويحتمل أنه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك وقد ذكر أنه استمر ساجدا أربعين صباحا"(١٢).

عن قتادة: "{وأناب}، أي: تاب"(١٣).

قال ابن عباس:" قال له داود: أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه {لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ} .. إلى قوله {وَقَلِيلٌ مَا هُمْ} ونسي نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك، فتبسم أحدهما إلى الآخر، فرآه داود وظن أنما فتن {فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} أربعين ليلة، حتى نبتت الخُضرة من دموع عينيه، ثم شدّد الله له ملكه"(١٤).

قال السدي:" فمكث يبكي ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لحاجة منها، ثم يقع ساجدا يبكي، ثم يدعو.."(١٥).

قال عطاء الخراساني:" نقش داود خطيئته في كفه لكيلا ينساها، قال: فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٢) تفسيرا لطبري: ١٨١/٢١.
(٣) أخرجه الطبري: ١٨١/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ١٨١/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ١٨١/٢١.
(٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٨٥):ص١١٤/٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٨١/٢١-١٨٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨٢/٢١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٨٤/٢١-١٨٥.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(١١) تفسير الطبري: ١٨١/٢١.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٦٠/٧.
(١٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٨٦):ص١١٤/٣.
(١٤) اخرجه الطبري: ١٨١/٢١-١٨٢.
(١٥) اخرجه الطبري: ١٨٢/٢١-١٨٤.

القرآن

{فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥)} [ص : ٢٥]

التفسير:

فغفرنا له ذلك، وجعلناه من المقرَّبين عندنا، وأعددنا له حسن المصير في الآخرة.

قوله تعالى:{فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ} [ص : ٢٥]، أي:" فغفرنا لداوود ما كان منه"(٢).

قال مقاتل:" يعني: ذنبه"(٣).

قال ابن كثير:" أي : ما كان منه مما يقال فيه: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين"(٤).

واختلف في قوله تعالى:{فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ} [ص : ٢٥]، على أقوال:

أحدها: هو أن وقعت عينه على امرأة أوريا بن حنان واسمها اليشع وهي تغتسل فأشبع نظره منها حتى علقت بقلبه(٥).

الثاني : هو ما نواه إن قتل زوجها تزوج بها وأحسن الخلافة عليها، قاله الحسن(٦).

الثالث : أنه سمع من أحد الخصمين وحكم له قبل سماعه من الآخر(٧).

الرابع : أنه ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنقاذ من الله له أن يغتالوه، فلم يقع ما كان ظنه، فاستغفر من ذلك الظن. قاله أبو حيان(٨).

قال أبو حيان:" والذي يذهب إليه ما دل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس، دخلوا عليه من غير المدخل، وفي غير وقت جلوسه للحكم، وأنه فزع منهم ظانا أنهم يغتالونه، إذ كان منفردا في محرابه لعبادة ربه. فلما اتضح له أنهم جاءوا في حكومة، وبرز منهم اثنان للتحاكم، كما قص الله تعالى، وأن داود عليه السلام ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنقاذ من الله له أن يغتالوه، فلم يقع ما كان ظنه، فاستغفر من ذلك الظن، حيث أخلف ولم يكن يقع مظنونه، وخر ساجدا، أو رجع إلى الله تعالى فغفر له ذلك الظن ولذلك أشار بقوله: فغفرنا له ذلك، ولم يتقدم سوى قوله: وظن داود أنما فتناه، ويعلم قطعا أن الأنبياء، عليهم السلام، معصومون من الخطايا، لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيئا من ذلك، بطلت الشرائع، ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم، فما حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما أراده تعالى، وما حكى القصاص مما فيه غض عن منصب النبوة طرحناه، ونحن كما قال الشاعر:

ونؤثر حكم العقل في كل شبهة ... إذا آثر الأخبار جلاس قصاص(٩).

قوله تعالى:{وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى} [ص : ٢٥]، أي:" وإنه لمن المقر بين لدينا"(١٠).

قوله تعالى:{وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص : ٢٥]، أي:" وله حسن المرجع، وهو النعيم في الجنة"(١١).

قال الحسن: "علم أنه هو المعني بذلك؛ فسجد أربعين ليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة ، قال: ولم يذق طعاما ولا شرابا حتى أوحى الله أن ارفع رأسك فقد غفرت لك ، قال: يا رب إني قد علمت أنك لست بتاركي حتى تأخذ لعبدك مني ، قال: إني أستوهبك من عبدي فيهبك

---

(١) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢١.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٦٠/٧.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٢/٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٦٠/٧.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٨٩/٥.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٨٩/٥.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٨٩/٥.
(٨) البحر المحيط في التفسير: ١٥١/٩.
(٩) البحر المحيط في التفسير: ١٥١/٩.
(١٠) تفسير المراغي: ١١٠/٢٣.
(١١) تفسير المراغي: ١١٠/٢٣.

لي ، وأجزيه على ذلك أفضل الجزاء ، قال: " الآن علمت يا رب أنك قد غفرت لي ، قال الله تعالى: {فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب}"(١).

فوائد الآيات:[٢١-٢٥]:

١- فائدة عرض مثل هذا القصص تقوية قلب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتثبيت فؤاده وحمله على الصبر.

٢- تقرير نبوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ مثل هذا القصص لا يتأتى له قصه إلا بوحي إلهي.

٣- تقرير جواز تشكل الملائكة في صورة بني آدم.

٤- حرمة إصدار القاضي أو الحاكم الحكم قبل أن يسمع الدعوى من الخصمين معاً إذ هذا محل الفتنة التي كانت لداود عليه السلام.

٥- وجوب التوبة عند الوقوع في الذنب.

٦- مشروعية السجود عند قراءة هذه الآية {وخرّ راكعاً وأناب}

القرآن

{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)} [ص :]

التفسير:

يا داود إنا استخلفناك في الأرض وملَّكناك فيها، فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى في الأحكام، فيُضلك ذلك عن دين الله وشرعه، إن الذين يَضِلُّون عن سبيل الله لهم عذاب أليم في النار؛ بغفلتهم عن يوم الجزاء والحساب.

قوله تعالى:{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} [ص : ٢٦]، أي:" يا داود إنا استخلفناك في الأرض وملَّكناك فيها"(٢).

قال الطبري:يقول:" وقلنا لداود: يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها"(٣).

عن السديّ: "{إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً}، ملّكه في الأرض"(٤).

قال الزجاج:" بهذا جاز أن يقال للخلفاء خلفاء الله في الأرض"(٥).

قوله تعالى:{فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} [ص : ٢٦]، أي:" فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف"(٦).

قال الطبري:" {بِالْحَقِّ}، يعني: بالعدل والإنصاف"(٧).

قال الزجاج:" أي: بحكم الله إذ كنت خليفته"(٨).

قال الشافعي -رحمه الله-: "فأعلم الله نبيه - ﷺ - أن فرضا عليه، وعلى من قبله، والناس، إذا حكموا أن يحكموا بالعدل، والعدل: اتباع حكمه المنزل.. وليس يؤمر أحد أن يحكم بحق، إلا وقد علم الحق، ولا يكون الحق معلوما إلا عن الله نصا أو دلالة، فقد جعل الله الحق في كتابه، ثم سنة نبيه - ﷺ"(٩).

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٨٧):ص١١٤/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٣) تفسير الطبري: ١٨٩/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٨٩!/٢١.

(٥) معاني القرآن: ٣٢٩/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٧) تفسير الطبري: ١٨٩/٢١.

(٨) معاني القرآن: ٣٢٩/٤.

(٩) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٢٨/٣.

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص : ٢٦]، أي:" ولا تتبع الهوى في الأحكام، فيُضلك ذلك عن دين الله وشرعه"(١).

قال الطبري:" يقول: ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحقّ، فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحقّ عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله"(٢).

قال سهل بن عبدالله:" أي: ظلمة الهوى تستر أنوار ذهن النفس والروح وفهم العقل وفطنة القلب، كما قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «إن الهوى والشهوة يغلبان العقل والعلم»(٣)، والبيان لسابق القدرة من الله تعالى"(٤).

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص : ٢٦]، أي:" إن الذين يَضِلُّون عن سبيل الله لهم عذاب أليم في النار؛ بغفلتهم عن يوم الجزاء والحساب"(٥).

قال الطبري:يقول:" إن الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحقّ الذي شرعه لعباده، وأمرهم بالعمل به، فيجورون عنه في الدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما تركوا القضاء بالعدل، والعمل بطاعة الله"(٦).

عن عكرمة، قوله: "{عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}، قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا"(٧).

عن السديّ، قوله: "{بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}، قال: نُسوا: تركوا"(٨).

قال الزجاج:" أي: بتركهم العمل لهذا اليوم صاروا بمنزلة الناسين، وإن كانوا ينذرون ويذكرون"(٩).

قال ابن كثير في الآية:" هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله وقد توعد الله تعالى من ضل عن سبيله ، وتناسى يوم الحساب ، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد"(١٠).

عن أبي زرعة - وكان قد قرأ الكتاب – أن الوليد بن عبد الملك قال له:"أيحاسب الخليفة فإنك قد قرأت الكتاب الأول ، وقرأت القرآن وفقهت ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين أقول ؟ قال : قل في أمان. قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود ؟ إن الله - عز وجل - جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال : { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ} الآية"(١١).

القرآن

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ(٢٧)} [ص : ٢٧]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٢) تفسير الطبري: ١٨٩/٢١.
(٣)هذا ليس حديثا، بل قول للحارث بن أسد في حلية الأولياء ١٠/ ٨٨.
(٤) تفسير التستري: ١٣٢.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٤.
(٦) تفسير الطبري: ١٨٩/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢١.
(٩) معاني القرآن: ٣٢٩/٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٦٢/٧-٦٣.
(١١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٦٣/٧.

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثًا ولهوًا، ذلك ظنُّ الذين كفروا، فويل لهم من النار يوم القيامة؛ لظنهم الباطل، وكفرهم بالله.

قوله تعالى:{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا} [ص : ٢٧]، أي:" وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثًا ولهوًا"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا} عبثا ولهوا، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا، وينتهى إلى أمرنا ونهينا"(٢).

قوله تعالى:{ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} [ص : ٢٧]، أي:" خلق ما ذكر لا لحكمة هو ظنُّ الكفار الفجار الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور"(٣).

قال الطبري:" يقول: أي ظنّ أنَّا خلقنا ذلك باطلا ولعبا، ظنّ الذين كفروا بالله فلم يُوَحِّدُوه، ولم يعرفوا عظمته، وأنه لا ينبغي أن يَعْبَث، فيتيقنوا بذلك أنه لا يخلق شيئا باطلا"(٤).

قال ابن كثير:" أي : الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط"(٥).

قال السمعاني:" وهذا دليل على أن الله تعالى يعذب الكفار بالظن الباطل"(٦).

قال الزجاج:" أعلمهم الله أنه يعذبهم علي الظن، وكذلك: {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ} [القصص : ٣٩]، وإنما قيل لهم هذا لأنهم جحدوا البعث، ودليل هذا قوله: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون : ١١٥]، إذا لم يكن رجعة لم يكن فصل بين الفاجر والبر"(٧).

قوله تعالى:{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص : ٢٧]، أي:" فويل للكفار من عذاب النار يوم القيامة"(٨).

قال الطبري:" يعني: من نار جهنم"(٩).

قال ابن كثير:" أي : ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم"(١٠).

القرآن

{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨)} [ص : ٢٨]

التفسير:

أنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل أهل التقوى المؤمنين كأصحاب الفجور الكافرين؟ هذه التسوية غير لائقة بحكمة الله وحُكْمه، فلا يستوون عند الله، بل يثيب الله المؤمنين الأتقياء، ويعاقب المفسدين الأشقياء.

قوله تعالى:{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ} [ص : ٢٨] أي:" أنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض"(١١).

قال الطبري:" يقول: أنجعل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه كالذين يشركون بالله ويعصونه ويخالفون أمره ونهيه"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(٢) تفسير الطبري: ١٩٠/٢١.
(٣) صفوة التفاسير: ٥٢/٣.
(٤) تفسير الطبري: ١٩٠/٢١.
(٥) تفسير ابن كثير: ٦٣/٧.
(٦) تفسير السمعاني: ٤٣٨/٤.
(٧) معاني القرآن: ٣٢٩/٤.
(٨) انظر: التفسير الميسر: ٤٥٥.[بتصرف]
(٩) تفسير الطبري: ١٩٠/٢١.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٦٣/٧.
(١١) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(١٢) تفسير الطبري: ١٩٠/٢١.

قال السمعاني:" أي: لا نجعل"[١].

قوله تعالى:{أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص : ٢٨] أي:" أم نجعل أهل التقوى المؤمنين كأصحاب الفجور الكافرين؟"[٢].

قال الطبري:يقول: "{أَمْ نَجْعَلُ} الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه، فحذروا معاصيه كالكفار المنتهكين حرمات الله"[٣].

قال السمعاني:" أي: المؤمنين كالكفار، ويقال: المراد بالمتقين ها هنا أصحاب رسول الله، وقيل: بنو هاشم وبنو المطلب، والفجار هم وجوه المشركين وسادتهم"[٤].

قال الصابوني:" الغرض: أنه لا يتساوى في حكمته تعالى المحسن مع المسيء، ولا البرُّ مع الفاجر، ففي الآية استدلال على الحشر والجزاء، وفيها أيضاً وعدٌ ووعيد"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر، وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا. وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة"[٦].

القرآن

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)} [ص : ٢٩]

التفسير:

هذا الموحى به إليك -أيها الرسول- كتاب أنزلناه إليك مبارك؛ ليتفكروا في آياته، ويعملوا بهداياته ودلالاته، وليتذكر أصحاب العقول السليمة ما كلفهم الله به.

قوله تعالى:{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ} [ص : ٢٩]، أي:" هذا الموحى به إليك -أيها الرسول- كتاب أنزلناه إليك مبارك"[٧].

قال الطبري:"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: وهذا القرآن {كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ إِلَيْكَ} يا محمد {مُبَارَكٌ}"[٨].

قال السمعاني:" أي: هذا كتاب أنزلناه إليك مبارك"[٩].

قال الحارث المحاسبي:" فسماه بالبركة ليعلموا بذلك أنه يدلهم على النجاة وينالون باتباعه الزلفى والكرامة"[١٠].

قوله تعالى:{لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [ص : ٢٩]، أي:" ليتفكروا في آياته، ويعملوا بهداياته ودلالاته"[١١].

قال الطبري:" يقول: ليتدبَّروا حُجَج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به"[١٢].

---

(١) تفسير السمعاني: ٤٣٨/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(٣) تفسير الطبري: ١٩٠/٢١.
(٤) تفسير السمعاني: ٤٣٨/٤.
(٥) صفوة التفاسير: ٥٢/٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٦٣/٧.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(٨) تفسير الطبري: ١٩٠/٢١.
(٩) تفسير السمعاني: ٤٣٨/٤.
(١٠) فهم القرآن: ٢٧٥.
(١١) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(١٢) تفسير الطبري: ١٩٠/٢١.

قال الزجاج:" المعنى: هذا كتاب ليفكروا في آياته، وفي أدبار أمورهم، أي: عواقبها"(١).
عواقبها"(١).

قال السمعاني:" أي: ليتدبروا ويتفكروا في آياته"(٢).

قال الزمخشري:" تدبر الآيات:
التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدى إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة، لأن من اقتنع بظاهر المتلوّ، لم يحل منه بكثير طائل، وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها، ومهرة نثور لا يستولدها"(٣).

قال الحارث المحاسبي:" فأخبر أنه أنزله للتذكر والتفكر فيه وخص بالتفكير والتذكر أهل العقول أولي الألباب"(٤).

قال الحسن البصري : "والله ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن كله ما يرى له القرآنُ في خلق ولا عمل"(٥).

وعن الحسن-أيضا- قال: " تعلم هذا القرآن عبيد وصبيان لم يأتوه من قبل وجهه، لا يدرون ما تأويله ، قال الله تعالى {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته} [ص: ٢٩] وما تدبر آياته إلا اتباعه بعلمه، وإن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه، وإن لم يكن يقرؤه، ثم يقول أحدكم: تعال يا فلان، أقارئك متى كانت القراء تفعل هذا؟ ما هؤلاء بالقراء ولا الحكماء ولا الحلماء، لا أكثر الله في الناس أمثالهم"(٦).

وقرأ أبو جعفر وعاصم:«لتَدَّبَّرُوا آياته» بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك(٧).

قوله تعالى:{وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص : ٢٩]، أي:" وليتذكر أصحاب العقول السليمة ما كلفهم الله به"(٨).

قال الطبري:" يقول: وليعتبر أولو العقول والحِجَا ما في هذا الكتاب من الآيات، فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة، وينتهوا إلى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب"(٩).

قال ابن كثير:" أي : ذوو العقول وهي الألباب ، جمع لب ، وهو العقل"(١٠).

عن السديّ :"{أُولُو الألْبَابِ}، قال: أولو العقول من الناس"(١١).

قال الزجاج:" أي: ذوو العقول"(١٢).

قال الحسن في قوله: {أولو الألباب}:"عاتبهم، لأنه أحبهم"(١٣).

فوائد الآيات:[٢٦-٢٩]:

١- وجوب الحكم بالعدل على كل من حكم ولا عدل في غير الشرع الإلهي.
٢- حرمة اتباع الهوى لما يفضي إليه بالعبد إلى الهلاك والخسار.
٣- تقرير البعث والجزاء.
٤- إبطال ظن من يظن أن الحياة الدنيا خلقت عبثاً وباطلا.

---

(١) معاني القرآن: ٣٢٩/٤.
(٢) تفسير السمعاني: ٤٣٨/٤.
(٣) الكشاف: ٩٠/٤.
(٤) فهم القرآن: ٢٧٥.
(٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٦٤/٧.
(٦) رواه عنه القاسم بن سلام في فضائل القرآن: ٢١٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢١.
(٨) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(٩) تفسير الطبري: ١٩١/٢١.
(١٠) تفسير ابن كثبر: ٦٣/٧.
(١١) أخرجه الطبرس: ١٩١/٢١.
(١٢) معاني القرآن: ٣٢٩/٤.
(١٣) نقلا عن تفسير السمعاني: ٤٣٨/٤.

٥- تنزيه الرب تعالى عن العبث والظلم.
٦- فضيلة العقول لمن استعملها في التدبر والتذكر.
٧- بركة القرآن لا تفارقه أبداً وما طلبها أحد إلا وجدها.
القرآن
{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠)} [ص : ٣٠]
التفسير:
ووهبنا لداود ابنه سليمان، فأنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه، نِعْم العبد سليمان، إنه كان كثير الرجوع إلى الله والإنابة إليه.

قوله تعالى:{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ} [ص : ٣٠]، أي:" ووهبنا لداود ابنه سليمان، فأنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ} ابنه ولدا"[٢].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا أنه وهب لداود سليمان ، أي : نبيا كما قال : { وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ } أي : في النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره ، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر"[٣].

قوله تعالى:{نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ٣٠]، أي:" نِعْم العبد سليمان، إنه كان كثير الرجوع إلى الله والإنابة إليه"[٤].

قال الزجاج:" المعنى: نعم العبد سليمان إنه أواب كثير الرجوع"[٥].

قال الطبري:" يقول: نعم العبد سليمان، إنه رجاع إلى طاعة الله توّاب إليه مما يكرهه منه. وقيل: إنه عُنِي به أنه كثير الذكر لله والطاعة"[٦].

قال ابن كثير:" ثناء على سليمان ، عليه السلام ، بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل "[٧].

قال مقاتل:" وهذا ثناء على عبده سليمان {نعم العبد}، {إنه أواب}، يعني: مطيع"[٨].

قال القشيري:" لأنه كان أوّابا إلى الله، راجعا إليه في جميع الأحوال فى النعمة بالشكر، وفي المحنة بالصبر"[٩].

قال الزمخشري:" علل كونه ممدوحا بكونه أوّابا رجاعا إليه بالتوبة. أو مسبحا مؤوّبا للتسبيح مرجعا له، لأن كل مؤوّب أوّاب"[١٠].

قال ابن عباس:" الأواب: المسبّح"[١١]. وروي عن السدي مثله[١٢].

قال قتادة:" كان مطيعًا لله كثير الصلاة"[١٣].

قال الطبري:" و«المسبِّح» قد يكون في الصلاة والذكر"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(٢) تفسير الطبري: ١٩١/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ٦٤/٧.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(٥) معاني القرآن: ٣٣٠/٤.
(٦) تفسير الطبري: ١٩١/٢١.
(٧) تفسير ابن كثير: ٦٤/٧.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٣/٣.
(٩) لطائف الإشارات: ٢٥٣/٣.
(١٠) الككشاف: ٩١/٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢١.
(١٢) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢١.
(١٤) تفسير الطبري: ١٩٢/٢١.

قال مكحول: "لما وهب الله لداود سليمان -عليه السلام- قال له : يا بني ما أحسن؟ قال : سكينة الله وإيمان. قال : فما أقبح ؟ قال : كفر بعد إيمان. قال : فما أحلى ؟ قال : روح الله بين عباده. قال : فما أبرد ؟ قال : عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض. قال داود عليه السلام : فأنت نبي "(١).

القرآن

{إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١)} [ص : ٣١]

التفسير:

اذكر حين عُرِضت عليه عصرًا الخيول الأصيلة السريعة، تقف على ثلاث قوائم وترفع الرابعة؛ لنجابتها وخفتها، فما زالت تُعرض عليه حتى غابت الشمس.

قال ابن كثير:" أي : إذ عرض على سليمان في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنه تواب إلى الله من خطيئته التي أخطأها، إذ عرض عليه بالعشي الصافنات، {الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ}، و«الصافنات»: جمع الصافن من الخيل، والأنثى: صافنة، وأما الجياد، فإنها السِّراع، واحدها: جواد"(٣).

وفي معنى:{الصَّافِنَاتُ} [ص : ٣١]، قولان:

أحدهما : أنها الخيل القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد(٤)، وابن زيد(٥)، ويحيى بن سلام(٦)، واختاره الزجاج، وقال: " الخيل أكثر ما تقف - إذا وقفت - صافنة، لأنها كأنها تراوح بين قوائمها"(٧)، قال الشاعر(٨):

ألف الصّفون فما يزال كأنّه ... ممّا يقوم على الثّلاث كسيرا

قال مجاهد:" صُفُون الفرس: رَفْع إحدى يديه حتى يكون على طرف الحافر"(٩).

قال ابن زيد:" الخيل والبغال والحمير تَصْفِن، و«الصَّفْن»: أن تقوم على ثلاث، وترفع رجلا واحدة حتى يكون طرف الحافر على الأرض"(١٠).

الثاني : أنها الخيل القائمة، سواء كانت على ثلاث أو غير ثلاث. ومنه ما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : «من سره أن يقوم الرجال له صفوفاً فليتبوأ مقعده من النار»(١١)، أي: يديمون له القيام. حكاه قطرب(١٢)، وأنشد قول النابغة(١٣):

لنا قُبَّةٌ مَضْروبة بفِنائها ... عِتاقُ المَهارى والجياد الصَّوافِنُ

---

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٦٤/٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦٤/٧.

(٣) تفسيرالطبري: ١٩٣/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٧٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٣/٢١.

(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٧٧/١.

(٧) معاني القرآن: ٣٣٠/٤.

(٨)البيت بلا نسبة في «الأزهية» ص: (٨٧) ، و «أمالي ابن الحاجب» (٢/ ٦٣٥) ، و «شرح شواهد المغني» (٢/ ٧٢٩) ، و «لسان العرب» (١٣/ ٢٤٨) (صفن) ، و «مغني اللبيب» (١/ ٣١٨) ، وينظر: «الكشاف» (٢/ ٢٨٤) ، و «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٨) ، و «الدر» (٥/ ٥٣٤).

(٩) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢١.

(١١) .

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٩١/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٣/١٥.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٩١/٥، والدر المصون:٦٠٧/٤، والبحر المحيط: ٣٨٨/٧، تفسير القرطبي: ١٩٣/١٥، والبيت ليس في ديوان الذبياني ولا الجعدي.

عن السديّ: "{الصافنات}، قال: الخيل"[1].
قال ابن زيد: "الصافنات: الخيل"[2].
قال قتادة:" يعني: الخيل، وصُفونها: قيامها وبَسْطها قوائمها"[3].
وفي قوله تعالى:{الْجِيَادُ} [ص : ٣١]، وجهان[4]:
أحدهما : أنها الطوال العناق مأخوذ من الجيد وهو العنق لأن طول أعناق الخيل من صفات فراهتها .
الثاني : أنها السريع ، قاله مجاهد[5].
قال الماوردي:" سمي بذلك لأنه يجود بالركض"[6].
قال ابن زيد: " وكانت لها أجنحة"[7].
قال ابن زيد:" أخرجها الشيطان لسليمان، من مرج من مروج البحر"[8].
قال ابراهيم:" كانت عشرين فرسا ذات أجنحة"[9].
عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة-رضي الله عنها-، قالت: "قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك - أو خيبر - وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة - لُعَب - فقال : "ما هذا يا عائشة ؟" قالت : بناتي. ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال : "ما هذا الذي أرى وسطهن ؟" قالت : فرس. قال : "وما هذا الذي عليه ؟" قالت : جناحان قال : "فرس له جناحان ؟!" قالت : أما سمعت أن لسليمان خيل لها أجنحة ؟ قالت : فضحك حتى رأيت نواجذه ﷺ"[10].
القرآن
{فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)} [ص : ٣٢-٣٣]
التفسير:
فقال: إنني آثرت حب المال عن ذكر ربي حتى غابت الشمس عن عينيه، رُدُّوا عليَّ الخيل التي عُرضت من قبل، فردت عليه، فشرع يضرب سيقانها ورقابها بالسيف؛ قربة لله، لأنها كانت سبب فوات صلاته. وكان التقرب بذبح الخيل مشروعاً في شريعته.
قوله تعالى:{فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} [ص : ٣٢]، أي:" فقال: إنني آثرت حب المال عن ذكر ربي"[11].
قال الطبري:" يقول: إني أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربي وأداء فريضته، وقيل: إن ذلك كان صلاة العصر"[12].
وفي قوله تعالى:{حُبَّ الْخَيْرِ} [ص : ٣٢]، وجهان من التفسير:
أحدها : يعني: حب المال، قاله مجاهد[13]، والسدي-في رواية اسباط عنه-[14]، ومقاتل[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢١.
(٣) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢١-١٩٣.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٩٢/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٣/٢١.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٩٢/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢١.
(١٠)سنن أبي داود برقم (٤٩٣٢).
(١١) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(١٢) تفسير الطبري: ١٩٤/٢١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(٢٦٦٧):ص٣٩٣/٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢١.

الثاني : حب الخيل. قاله السدي[٢].

قال الفراء:" الخير -في كلام العرب-: الخيل"[٣].

قال السجستاني:" وسميت الخيل: الخير، لما فيها من المنافع"[٤].

ومنه قول النبي :-ﷺ- «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة»[٥]. أي: ملازم لها كأنه معقود فيها.

وفي قراءة ابن مسعود: «إني أحببت حب الخيل»، بالتصريح بالتفسير[٦].

الثالث : حب الدنيا، حكاه الماوردي[٧].

وفي قوله تعالى:{عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} [ص : ٣٢]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدهما : عن صلاة العصر، قاله علي بن ابي طالب[٨]، وقتادة[٩]، والسدي[١٠]، ومقاتل[١١].

قال سهل بن عبدالله:" عن صلاة العصر وحدها"[١٢].

قال يحيى:" يعني: عن الصَّلاَة، صلاة العصر خاصة"[١٣].

عن أبي الصَّهباء البكري قال: "سألت عليّ بن أبي طالب، عن الصلاة الوسطى، فقال: هي العصر، وهي التي فُتِن بها سليمان بن داود"[١٤].

وفي رواية:" الصلاة الوسطى صلاة العصر التي فرط فيها سليمان"[١٥].

وروي عن علي -كرم الله وجهه- قال: سئل رسول الله-ﷺ- عن الصلاة الوسطى فقال :"هي صلاة العصر التي فرط فيها"[١٦].

قال ابن كثير:" ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه ، من ذلك عن جابر قال : جاء عمر ، رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ، ويقول : يا رسول الله ، والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب. فقال رسول الله ﷺ : "والله ما صليتها" فقال : فقمنا إلى بُطْحَان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب[١٧].

ويحتمل أنه كان سائغا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال. والخيل تراد للقتال. وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايفة والمضايقة ، حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٤/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢١.

(٣) معاني القرآن: ٤٠٥/٢.

(٤) غريب القرآن: ٧٦.

(٥) سنن سعيد بن منصور(٢٤٣٠):ص١٩٩/٢، مسند ابن ابي شيبة(٧٠٤):ص٢٢١/٢، وصحيح مسلم(١٨٧٣):ص١٤٩٣/٣، وسنن ابن ماجة(٢٧٨٦):ص٩٣٢/٢. وفي رواية البخاري(٣٦٤٤):ص٢٠٧/٤:« «الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

(٦) أحكام القرآن لابن العربي: ٦٧/٤.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٩٢/٥.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٩٢/٥.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢١.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٤/٣.

(١٢) تفسير التستري: ١٣٢.

(١٣)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٦٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢١.

(١٥) كنز العمال(٤٢٥٦):ص٣٦٣/٢.

(١٦) كنز العمال(١٤٥٦٣):ص٨٥٩/٥. "مسدد وضعف". وانظر: جامع الاحاديث(٣٤٩٠٨):ص١٢٩/٣٢.

(١٧)صحيح البخاري برقم (٤١١٢) وصحيح مسلم برقم (٦٣١).

رضي الله عنهم في فتح تستر ، وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب ؛ لأنه قال بعدها : { رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ }"(١).

الثاني : عن ذكر الله تعالى، قاله ابن عباس(٢).

قال الزجاج:أي:" آثرت حب الخير على ذكر الله، وكان سليمان لهيبته لا يجسر عليه أحد حتى ينبه لوقت صلاة، ولست أدري هل كانت صلاة العصر مفروضة في ذلك الوقت أم لا، إلا أن اعتراضه الخيل قد شغله حتى جاز وقت يذكر الله - جل وعز – فيه"(٣).

الثالث: أن الحرف «عن» في الآية للتعليل؛ أي: أحببتها حبا ناشئا عن ذكرى لربي، فلولا الذكر ما أحببت الخيل ولا أعددتها؛ لأن هواي في طاعة الله، والجهاد في سبيله(٤).

الصحيح - والله أعلم - أنه - عليه السلام - ما أحب الخيل لذاتها، وإنما كان الباعث له هو ذكر الله - عز وجل - لأنها كانت للجهاد في سبيل الله. والله أعلم.

قال المراغي:" قد يحب الإنسان شيئا وهو يتمنى ألا يحبه، كالمريض الذي يشتهى ما يزيد مرضه، والوالد الذي يحب ولده السيء السيرة والخلق، وقد يحب شيئا وهو يرى أن من المصلحة أن يحبه، ومن الخير أن يزداد شغفه به، وتلك هى غاية المحبة، فسليمان عليه السلام يقول: إنى أحب حبى لهذه الخيل، وتلك المحبة إنما حصلت عن ذكر ربى وأمره لا عن الشهوة والهوى"(٥).

فالصحيح الذي لا معدل عنه - كما يرى ابن حزم والرازي وغيرهما - أن سليمان - عليه السلام - قد طلب من جنده أن يعرضوا الخيل عليه؛ ليرى مدى كثرتها وقوتها وقدرتها على العدو والثبات فعرضت عليه، وهي كما وصفها الله «صافنات جياد»، والصافنات هي التي تقف على قوائمها الثلاثة وترفع الرابعة، فتقف على مقدم حافرها متهيئة للعدو إذا حركها راكبها، والجياد هي: التي تجيد العدو، وتسرع للقاء العدو، كأنها الريح المرسلة، فلما رآها سليمان وأعجب بكثرتها وقوتها، وشكر الله - عز وجل - على هذه النعمة العظيمة، وقال في نفسه أو للمقربين إليه: إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي، أي: من أجل أن أكون لربي ذاكرا، والذكر يبعث على الشكر، ويبعث على التفاني في الخضوع والطاعة"(٦).

قوله تعالى:{حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص : ٣٢]، أي:" حتى غابت الشمس واختفت عن الأنظار"(٧).

قال الطبري:" يقول: حتى توارت الشمس بالحجاب، يعني: تغيبت في مغيبها"(٨).

وفي قوله تعالى:{حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص : ٣٢]، قولان:

أحدهما : حتى توارت الشمس بالحجاب، أي: غابت، وجاز الإضمار قبل الذكر لأنه معلوم، وهذا قول ابن مسعود(٩)، قتادة(١٠)، وكعب(١١)، والسدي(١٢)، وبه قال الفراء(١٣)، وأبو عبيدة(١٤)، عبيدة(١٤)، وابن قتيبة(١).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦٥/٧.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٥٤):ص٣٢٤١/١٠.
(٣) معاني القرآن: ٣٣١/٤.
(٤)قصص القرآن، د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٨٤.
(٥) تفسير المراغي: ١١٨/٢٣.
(٦)قصص القرآن، د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٨٤.
(٧) صفوة التفاسير: ٥٣/٣.
(٨) تفسير الطبري: ١٩٤/٢١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢١-١٩٥.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٥٢):ص٣٢٤١/١٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٥/٢١.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٢٨٥/٣.
(١٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٢/٢.

قال ابن مسعود:" توارت الشمس من وراء ياقوتة خضراء، فخضرة السماء منها"[٢].
قال مقاتل:" الحجاب: جبل دون ق بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه"[٣].
عن قتادة، قوله:{حَتَّى تَوَارَت بِالْحِجَابِ}، قال:" حتى دَلَكَتْ براح. قال قتادة: فوالله ما نازعته بنو إسرائيل ولا كابروه، ولكن ولوه من ذلك ما ولاه الله"[٤].
الثاني : توارت الخيل بالحجاب، أي: شغلت بذكر ربها إلى تلك الحال، حكاه ابن عيسى[٥]، والنحاس[٦].
قال الماوردي:" والحجاب الليل يسمى حجاباً لأنه يستر ما فيه"[٧].
فالمعنى: أن النبي سليمان - عليه السلام – ظل يستعرض الخيل حتى توارت الخيل بالحجاب، أي: استترت بظلمة الليل. وقيل: حتى توارت الشمس بالحجاب، وهو الليل الذي سترها عن الأبصار. وأيما كان فإن المآل واحد.
قوله تعالى:{رُدُّوهَا عَلَيَّ} [ص : ٣٣]، أي:" قال سليمان ردُّوا هذه الخيل عليّ"[٨].
قال مقاتل:" يعني: كروها علي"[٩].
قال الطبري:" يقول: ردّوا عليّ الخيل التي عرضت عليّ، فشغلتني عن الصلاة، فكروها عليّ"[١٠].
عن السديّ: "{رُدُّوهَا عَلَيَّ}، قال: الخيل"[١١].
قوله تعالى:{فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} [ص : ٣٣]، أي:" فشرع يضرب سيقانها ورقابها بالسيف؛ قربة لله، لأنها كانت سبب فوات صلاته"[١٢].
قال الطبري:" يقول: فجعل يمسح منها السوق، وهي جمع الساق، والأعناق"[١٣].
قال مقاتل:" يقول فجعل يمسح بالسيف سوقها وأعناقها فقطعها"[١٤].
قال د. محمد بكر إسماعيل:" ثم طلب سليمان ردها إليه مرة أخرى فأخذ يمسح بيده الشريفة على سوقها وأعناقها إعجابا بها وحنوا عليها، وإيماء للجند بأنه قد وهبها لله - عز وجل - ووقفها على الجهاد في سبيله"[١٥].
وفي قوله تعالى:{فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} [ص : ٣٣]، قولان:
أحدهما : أنه من شدة حبه لها مسح عراقيبها وأعناقها، قاله ابن عباس[١٦].
الثاني : أنه لما رآها قد شغلته عن الصلاة ضرب عراقيبها وأعناقها، قاله الحسن[١٧]، وقتادة[١٨].

---

(١) انظر: تاويل مشكل القرآن: ١٤٣.
(٢) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢١.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٤/٣.
(٤) .
(٥) انظر: النكت والعيون: ٩٣/٥.
(٦) انظر: معاني القرآن: ١١١/٦.
(٧) النكت والعيون: ٩٣/٥.
(٨) صفوة التفاسير: ٥٣/٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٤/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ١٩٥/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢١.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(١٣) تفسير الطبري: ١٩٥/٢١.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٤/٣.
(١٥)قصص القرآن، د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٣٨٠، ٣٨١..
(١٦)انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢١ .
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٥/٢١.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩٥/٢١.

عن سعيد، عن قتادة: "{فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ}، قال: قال الحسن: قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك، قال قولهما فيه، يعني قتادة والحسن قال: فكَسَف عراقيبها، وضرب أعناقها"(١).

وقال الحسن:" أمر بها فعقرت"(٢).

قال السدي:" فضرب سوقها وأعناقها"(٣).

قال الطبري: وقول ابن عباس " أشبه بتأويل الآية، لأن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يكن إن شاء الله ليعذب حيوانًا بالعرقبة، ويهلك مالا من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها"(٤).

قال الماوردي:" ولم يكن ما اشتغل عنه من الصلاة فرضاً بل كان نفلاً لأن ترك الفرض عمداً فسق ، وفعل ذلك تأديباً لنفسه . والخيل مأكولة اللحم فلم يكن ذلك منه إتلافاً يأثم به"(٥).

قال الكلبي : "كانت ألف فرس فعرقب تسعمائة وبقي منها مائة. فما في أيدي الناس من الخيل العتاق من نسل تلك المائة"(٦).

قال مقاتل:" وبقي منها مائة فرس فما كان في أيدي الناس اليوم فهي من نسل تلك المائة"(٧).

عن ابن زيد عن أبيه، قال:" كان يضرب أعناقها وسوقها بالسيف؛ فقال رسول الله ﷺ: «لو بقي منها واحد لكان نسله إلى اليوم»"(٨).

قال الزجاج:" «المسح» -ههنا- على ما جاء في التفسير: القطع، وروي أنه ضرب سوقها وأعناقها، وسوق جمع ساق، مثل دار ودور. ولم يكن سليمان ليضرب أعناقها إلا وقد أباح الله ذلك، لأنه لا يجعل التوبة من الذنب بذنب عظيم. وقال قوم إنه مسح أعناقها وسوقها بالماء وبيده، وهذا ليس يوجب شغلها إياه، أعني أن يمسحها بالماء، وإنما قال ذلك قوم لأن قتلها كان عندهم منكرا. وليس ما يبيحه الله بمنكر، وجائز أن يباح ذلك لسليمان في وقته ويحظر في هذا الوقت، ومالك يذهب إلى أنه لا ينبغي أن يؤكل لحم الخيل والبغال والحمير، لقول الله عز وجل: {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً} [النحل : ٨]، وقال في الإبل: {لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} [غافر : ٧٩]"(٩).

قال الفخر الرازي-في الآية-: "إن هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقب قوله سبحانه وتعالى: {وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} [ص : ١٦]. وإن الكفار لما بلغوا من السفاهة إلى هذا الحد قال - عليه السلام - لمحمد ﷺ: {اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ١٧]. وذكر قصة داود ثم ذكر عقبها قصة سليمان، وهذا الكلام لا يكون لائقا إلا بقولنا: إن سليمان - عليه السلام - أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة، والأخلاق الحميدة، وصبر على طاعة الله، وأعرض عن الشهوات واللذات، فلو كان المقصود من قصة سليمان - عليه السلام - في هذه المواضع أنه أقدم على الكبائر العظيمة، والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر القصة لائقا بهذا الموضع، فثبت أن كتاب الله تعالى ينادي على هذه الأقوال بالرد والإفساد والإبطال، بل التفسير المطابق للحق ولألفاظ القرآن، والصواب أن

---

(١) أخرده الطبري :١٩٥/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢١-١٩٦.
(٣) أخرده الطبري :١٩٥/٢١.
(٤) تفسير الطبري: ١٩٦/٢١.
(٥)النكت والعيون: ٩٤/٥.
(٦) نقلا عن النكت والعيون: ٩٤/٥.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٤/٣.
(٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٤٥):ص١٦٣/٢.
(٩) معاني القرآن: ٣٣١/٤.

نقول: إن رباط الخيل كان مندوبا إليه في دينهم، كما أنه مندوب إليه في دين محمد - ﷺ - فاحتاج إلى الغزو، فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها، وذكر أنه لا يحبها لأمر الدنيا ونصيب النفس، وإنما يحبها لأمر الله تعالى وطلب تقوية دينه، وهو المراد من قوله: {عن ذكر ربي}، ثم إنه - عليه السلام - أمر بتسييرها حتى توارت بالحجاب، أي غابت عن بصره، ثم أمر الرائضين أن يردوا تلك الخيل إليه، فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها، والغرض من ذلك المسح أمور:

- تشريفها وبيان عزتها لكونها من أعظم الأعوان لدفع العدو.
- أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك متطلع إلى حيث يباشر أكثر الأمور بنفسه.
- أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها، حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض.

فهذا التفسير الذي ذكرناه يتفق مع عصمة نبي الله سليمان - عليه السلام - ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات المحظورات إلى سليمان عليه السلام، ثم قال الرازي: وأنا شديد التعجب من الناس! كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع أن النقل والعقل يردها، وليس لهم فيها شبهة فضلا عن حجة؟!"(١).

وقد ذكرنا أن الجمهور اعتذر عن ترك سليمان - عليه السلام - صلاة العصر بالنسيان، ثم ذكرنا حقيقة هذا الأمر، ولقد اعتذر الجمهور مرة أخرى عن ذبح سليمان - عليه السلام - للخيل بأنه كان قربانا، وكان هذا مشروعا في دينه. لكن لئن سلم للجمهور اعتذارهم عن ترك سليمان - عليه السلام - صلاة العصر بالنسيان، فلا يسلم له ذبح الخيل لأمور:

١- أن كونه شغل بها حتى نسي الصلاة، لا يدعو إلى التخلص منها بذبحها تقربا أو غيره؛ لأن النسيان يرفع إثم التأخير.
٢- أن فيه تضييع عدته في جهاد أعداء الله، والحفاظ على دينه، وهذا لا يليق من النبي، إذ إن الخيل - وقتها - كانت عدة لا يستهان بها في قتال الأعداء، وفي ذبحها إضعاف لقوة يحتاج إليها قطعا في مواجهة أعدائه، وتمكين للعدو من نفسه.
٣- أنه لو كان المراد بمسحه بالسوق والأعناق تقطيعها الذي يتطلب جهدا كبيرا ومشقة شديدة، لكان يكفي سليمان - عليه السلام - أن يعهد إلى بعض رعيته بهذا، ولا يحمل نفسه هذه المهمة الشاقة، أما مسحها بيده فأمر سهل، ويناسب أن يباشره - عليه السلام - بنفسه.
٤- من أين للجمهور دليلهم على أن تقريب القربان بالخيل كان مشروعا في دينه؟ فإن قالوا بأن الدليل هو فعله عليه السلام، فيرد عليهم بأن قوله سبحانه وتعالى: {رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} [ص : ٣٣]، ليس نصا صريحا محددا في الذبح، وإنما يحتمل المسح باليد، وهو الأظهر فلا يصلح دليلا لهم.
٥- أن الأرجح في عود الضمير في "توارت" للخيل لا للشمس؛ لذكر الخيل صريحا في "الصافنات الجياد"، ولأنها الأقرب إلى الضمير في الذكر، والأنسب في عود الضمير أن يكون إلى أقرب مذكور(٢).

فقولهم: إنه ذبحها وفرق لحمها على الفقراء والمساكين؛ لأنها شغلته عن صلاة كان يصليها قبل غروب الشمس، فهو ضعيف؛ إذ كيف يقضي على هذه القوة الضاربة فيأخذها من مرابطها؛ ليضعها في بطون الجائعين؟ وما ذنب هذه الخيل؟ هل هي التي أنسته صلاته؟ وهبه نسي صلاته، هل في النسيان ذنب يوجب ذبح الخيل كلها من أجل أن يكفر الله عنه ذنبه؟ ولم ذلك والله - عز وجل - يغفر لمن استغفره من غير أن يتقرب بمثل هذا القربان الذي يترتب عليه إهدار قوة لا غنى للجيش عنها، وهي لا تقل عن الريح شأنا من حيث إنها تلاحق العدو،

---

(١) مفاتيح الغيب: ٣٩٢/٢٦.
(٢) انظر: عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٣٨٠: ٣٨٢.

وتتوسط جمعه، وتدخل الرعب في قلبه، وتصنع الأعاجيب في إحراز النصر بإذن الله عز وجل؟!(١).

يقول ابن حزم في الرد على هذه الشبهة: "وهذه خرافة مكذوبة سخيفة باردة، قد جمعت أفانين من القول، والظاهر أنها من اختراع زنديق بلا شك؛ لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها، والتمثيل بها وإتلاف مال منتفع به بلا معنى، ونسبة تضييع الصلاة إلى نبي مرسل، ثم يعاقب الخيل على ذنبه، لا على ذنبها، وهذا أمر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين، فكيف بنبي مرسل؟!"(٢).

فالأحرى أعتماد النص القرآني لأخذ المعنى من كلماته وحروفه، والربط بين سابقه ولاحقه، فبذلك يمكن الوصول إلى المعاني المرادة من كلامه بتوفيق الله وعونه، والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

فوائد الآيات:[٣٠-٣٣]:

١- الولد الصالح هبة إلهية لوالده فليشكر الله تعالى من وهب ذلك.

٢- الثناء على العبد بالتوبة الفورية التي تعقب الذنب مباشرة.

٣- جواز استعراض الحاكم القائد قواته تفقداً لها لما قد يحدثه فيها.

٤- إطلاق لفظ الخير على الخيل فيه تقرير أن الخيل إذا ربطت في سبيل الله كان طعامها وشرابها حسنات لمن ربطها في سبيل الله كما في الحديث الصحيح "الخيل لثلاثة رهط من اتخذها نجدة فى سبيل الله كان له عسرها ويسرها وايم الله لو قطعت رحابًا فاشتدت شرفًا أو شرفين هبطت على روضة خضراء ومن اتخذها أشرًا كانت وبالاً عليه يوم القيامة قال فالحمر قال ما أنزل الله فيها شيئا إلا الآية الفاذة: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} الآية [الزلزلة ٧- ٨] "(٣).

القرآن

{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦)} [ص : ٣٤-٣٦]

التفسير:

ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه شق وَلَد، وُلِد له حين أقسم ليطوفنَّ على نسائه، وكلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعًا، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد، ثم رجع سليمان إلى ربه وتاب، قال: رب اغفر لي ذنبي، وأعطني ملكًا عظيمًا خاصًا لا يكون مثله لأحد من البشر بعدي، إنك -سبحانك- كثير الجود والعطاء. فاستجبنا له، وذللنا الريح تجري بأمره طيِّعة مع قوتها وشدتها حيث أراد.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ} [ص : ٣٤]، أي:" ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه شق وَلَد ثم رجع إلى ربه وتاب"(٤).

قال السعدي:" {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ}، أي: ابتليناه واختبرناه بذهاب ملكه وانفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية، {وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا} أي: شيطانا قضى الله وقدر أن يجلس على كرسي ملكه، ويتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان، {ثُمَّ أَنَابَ} سليمان إلى الله تعالى وتاب"(٥).

---

(١) انظر: قصص القرآن، د. محمد بكر إسماعيل: ٢٨٤.
(٢) الفصل في الملل والنحل: ١٦/٤.
(٣)أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٢٢٣/٤، رقم ٤٠٣٧) . قال الهيثمى (٦٦/٣) : فيه جماعة لم أعرفهم.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(٥) تفسير السعدي: ٧١٢.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولقد ابتُلينا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا شيطانا متمثلا بإنسان، {ثُمَّ أَنَابَ} سليمان، فرجع إلى ملكه من بعد ما زال عنه ملكه فذهب"(١).

قال الزجاج:" {فتنا}: امتحنا، وأكثر ما جاء في التفسير أن {جسدا} –ههنا-: شيطان، وكان شيطان تصور في صورته وجلس مجلسه، وكان أمره ينفذ في جميع ما كان ينفذ فيه أمر سليمان، خلا نساء سليمان، إلى أن رد الله عليه ملكه"(٢).

قال السمعاني:اي:" اختبرنا سليمان فابتليناه، ويقال: ألقيناه في الفتنة، ذهب أكثر المفسرين إلى أن الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان هو صخر الجني"(٣).

أخرج ابن أبي حاتم وبسند قوي، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت امرأته، وكانت أحب نسائه إليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فأعطته فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين، فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي فقالت: قد أعطيته سليمان قال: أنا سليمان قالت: كذبت لست سليمان فجعل لا يأتي أحدا يقول: أنا سليمان إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله عز وجل وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان عليه السلام سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان فأرسلوا إلى نساء سليمان عليه السلام فقالوا لهن أيكون من سليمان شيء؟ قلنا: نعم إنه يأتينا ونحن حيض، وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتبا فيها سحر ومكر فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرءوها على الناس قالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فدعا سليمان عليه السلام فقال: تحمل لي هذه السمك؟ ثم انطلق إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى باب داره، أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذها سليمان عليه السلام فشق بطنها فإذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين، وعاد إلى حاله، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه، وكان شيطانا مريدا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاءوا فنقبوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثبت في مكان من البيت إلا أن دار معه الرصاص فأخذوه وأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان عليه السلام، فأمر به فنقر له في رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله: ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا يعني: الشيطان الذي كان تسلط عليه"(٤).

واختلف أهل التفسير في سبب ابتلاء سليمان-عليه السلام-، على أقوال:

أحدها : أنه كان قارب بعض نسائه في بعض الشيء من حيض أو غيره. قاله الحسن(٥).

قلت: وهذا القول من الإسرائيليات الباطلة، وهو أنكر الأقوال لما فيه من النيل من كرامة الأنبياء عليه السلام.

الثاني : أنه كانت عنده امرأة، وكان يحبها حبا شديدا، فخاصم أخوها إلى سليمان في شيء مع إنسان، فطلبت المرأة من سليمان أن يقضي لأخيها؛ فقال لها: نعم، ولم يفعل ذلك، فابتلاه الله تعالى. وهذا قول ابن عباس(٦)، والسدي(٧).

قال ابن عباس: "هو الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس أربعين يوما وكان لسليمان -عليه السلام- امرأة يقال لها: جرادة، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة

---

(١) تفسير الطبري: ٢١/١٩٨، ١٩٩.

(٢) معاني القرآن: ٤/٣٣٢.

(٣) تفسير السمعاني: ٤/٤٤١.

(٤) تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٥٥):ص١٠/ ٣٢٤١-٣٢٤٢.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٩٤، وزاد المسير: ٣/٥٧٣.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧/١٧٨-١٧٩، وعزاه إلى الفريابي والحكيم الترمذي والحاكم.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢١/١٩٨-١٩٩.

فقضى بينهم بالحق إلا أنه ود أن الحق كان لأهلها فأوحى الله تعالى إليه: أنه سيصيبك بلاء فكان لا يدري يأتيه من السماء أم من الأرض"(١).

قال السدي:" كان لسليمان مئة امرأة، وكانت امرأة منهنّ يقال لها جرادة، وهي آثر نسائه عنده، وآمنهن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه، ولم يأتمن عليه أحد من الناس غيرها؛ فجاءته يوما من الأيام، فقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال لها: نعم، ولم يفعل، فابتُلي"(٢).

الثالث : أن سليمان أمر ألا يتزوج امرأة إلا من بني إسرائيل، فتزوج من غيرهم امرأة كانت تعبد غير الله، فعاقبه الله بأن سلبه ملكه. حكاه الزجاج(٣).

الرابع : ما حكاه سعيد بن المسيب:" أن سليمان احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين أحد ولم ينصف مظلوماً من ظالم، فأوحى الله تعالى إليه: إني لم أستخلفك لتحجب عن عبادي ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم"(٤).

الخامس : أنه تزوج بامرأة؛ فعبدت المرأة صنما في داره من غير أن يشعر سليمان بذلك، فابتلاه الله تعالى لغفلته. وهذا قول شهر بن حوشب(٥). قال السمعاني:"وهذا قول مشهور"(٦).

حكي عن شهر بن حوشب:" أن سليمان سبى بنت ملك غزان في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون ، فألقيت عليه محبتها وهي معرضة عنه تذكر أمر أبيها لا تنظر إليه إلا شزراً ولا تكلمه إلا نزراً ، ثم إنها سألته أن يضع لها تمثالاً على صورته فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجد جواريها معها ، وصار صنماً معبوداً في داره وهو لا يعلم به حتى مضت أربعون يوماً وفشا خبره في بني إسرائيل وعلم به سليمان فكسره وحرقه ثم ذراه في الريح"(٧).

السادس : ما حكاه مجاهد:" شيطانا، يقال له آصفا، فقال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ فقال له آصف: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه سليمان خاتمه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان وذهب ملكه، وقعد آصف على كرسيه" (٨). وبه قال مقاتل(٩).

السابع : كان له ابن، وخافت الشياطين أن يبقى بعد موت أبيه فيرثه، فهمّوا بقتله، فاستودعه الريح في الهواء لئلا تصل إليه الشياطين، فمات الولد، وألقته الريح على كرسيه ميتا. وهذا القول مرفوع إلى النبي-ﷺ- بسند ضعيف(١٠).

قال القشيري:" فالفتنة كانت في خوفه من الشياطين وتسليمه إلى الهواء، وكان الأولى به التوكل وترك الاستعانة بالريح"(١١).

ورد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "قال رسول الله ﷺ: ولد لسليمان ولد فقال للشيطان: تواريه من الموت، قالوا: نذهب به إلى المشرق، فقال: يصل إليه الموت، قالوا: فإلى المغرب، قال: يصل إليه، قالوا: إلى البحار، قال: يصل إليه الموت، قال: نضعه بين السماء والأرض، ونزل عليه ملك الموت، فقال: إني أمرت بقبض نسمة طلبتها في البحار وطلبتها في تخوم الأرض فلم أصبها فبينا أنا صاعد أصبتها فقبضتها، وجاء جسده حتى وقع على كرسي سليمان، فهو قول الله {ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب}"(١٢).

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٧٨/٧-١٧٩، وعزاه إلى الفريابي والحكيم الترمذي والحاكم.
(٢) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢١-١٩٩.
(٣) انظر: معاني القرآن: ٣٣٢/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٩٥/٥.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٩٥/٥.
(٦) تفسير السمعاني: ٤٤٣/٤.
(٧) نقلا عن: النكت والعيون: ٩٥/٥.
(٨) تفسير مجاهد: ٥٧٤.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٥/٣.
(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٨١/٧-١٨٢، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وابن مردويه.
(١١) لطائف الإشارات: ٢٥٥/٣.
(١٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٨١/٧-١٨٢، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وابن مردويه.

الثامن: ما ورد فى الحديث الصحيح ،عن أبى هريرة- رضى الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين كلهن، يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله، فرسانا أجمعون"(١).

والقول الأخير أشبه بالصواب، فإذا ورد فى السنة الصحيحة تفسيرا للآية فلا يجوز أن نفسرها بقصص من الإسرائيليات التي ذكرها بعض المفسرين. ويجب أن ينقى تفسير القرآن من هذه الخرافات التي دخلت علينا من إسرائيليات اليهود وأباطيلهم. والله أعلم.

قال السمعاني –بعد أن ذكر طائفة من الأقوال-:" والله أعلم بما كان، ولا شك أن الآية تدل على أن الله تعالى قد أقعد على كرسيه غيره، وسلبه شيئا كان له"(٢).

قال أبو حيان: " نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالا يجب براءة الأنبياء منها، يوقف عليها في كتبهم، وهي مما لا يحل نقلها، وأما هي من أوضاع اليهود والزنادقة، ولم يبين الله الفتنة ما هي، ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليمان. وأقرب ما قيل فيه: أن المراد بالفتنة كونه لم يستثن في الحديث الذي قال: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن، فلم تحمل إلا امرأة واحدة، وجاءته بشق رجل، رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون»»(٣).

فالمراد بقوله: ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا هو هذا، والجسد الملقى هو المولود شق رجل"(٤).

وفي قوله تعالى:{وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا} [ص : ٣٤]، قولان(٥):

أحدهما : معناه: وجعلنا في ملكه جسداً ، و«الكرسي»: هو الملك .

الثاني : وألقينا على سرير ملكه جسداً .

وفي هذا «الجسد»، أربعة أقوال:

أحدها : أنه جسد سليمان مرض فكان جسده ملقى على كرسيه، قاله ابن بحر(٦).

قال القرطبي:" وقد يوصف به المريض المضنى فيقال: كالجسد الملقى"(٧).

الثاني : أنه ولد له ولد فخاف عليه فأودعه في السحاب يغذى في اليوم كالجمعة، وفي الجمعة كالشهر وفي الشهر كالسنة ، فلم يشعر إلا وقد وقع على كرسيه ميتاً، قاله الشعبي(٨).

---

(١) صحيح البخاري(٢٨١٩):ص٢٢/٤، و(٦٦٣٩):ص١٣٠/٨، وصحيح مسلم(١٦٥٤):ص١٢٧٦/٣، والسنن الكبرى للنسائي(٤٧٥٤):ص٤٥٨/٤، والسنن الكبرى للبيهقي(١٩٩٠٩):ص٧٦/١٠.

وروي عن المقبري: "أن سليمان بن داود عليه السلام قال: "لأطوفن الليلة بمائة امرأة من نسائي فتأتي كل امرأة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يستثن، ولو استثنى لكان فطاف على مائة امرأة فلم تحمل امرأة إلا امرأة واحدة حملت بشق إنسان قال: ولم يكن شيء أحب إلى سليمان من تلك الشقة، قال: وكان أولاده يموتون فجاء ملك الموت في صورة رجل فقال له سليمان عليه السلام: إن استطعت أن تؤخر إبني هذا ثمانية أيام إذا جاءه أجله فقال: لا، ولكن أخبرك قبل موته بثلاثة أيام، قال لمن عنده من الجن: أيكم يخبىء لي إبني هذا قال أحدهم أنا أخبؤه لك في المشرق قال: ممن تخبؤه قال: من ملك الموت، قال: يبصره، قال: آخر: أنا أخبؤه لك بين قرينين لا يريان، قال: سليمان عليه السلام إن كان شيء فهذا، فلما جاء أجله نظر ملك الموت في الأرض فلم يره في مشرقها ولا في مغربها ولا شيء من البحار ورآه بين قرينين فجاءه فأخذه فقبض روحه على كرسي سليمان، فذلك قوله {ولقد فتنا سليمان} وهو قول الله {وألقينا على كرسيه جسدا}".[الدر المنثور: ١٨٢/٧].

(٢) تفسير السمعاني: ٤٤٤/٤.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) البحر المحيط: ١٥٥/٩.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٩٦/٥.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٩٦/٥.

(٧) تفسير القرطبي: ٢٠٢/١٥.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٩٦/٥.

الثالث : أنه أكثر من وطء جواريه طلباً للولد، فولد له نصف إنسان ، فهو كان الجسد الملقى على كرسيه ، حكاه النقاش(١).

وهذه الآثار من سخافات الإسرائيليين. والله أعلم.

الرابع : أن الجسد: الشيطان الذي كان دفع إليه سليمان خاتمه، فقذفه في البحر، وكان مُلك سليمان في خاتمه. وهذا قول ابن عباس(٢)، ومجاهد(٣).

واختلف في اسم امرأته هذه على قولين :

أحدهما : جرادة ، قاله ابن عباس(٤)، والسدي(٥).

الثاني : الأمينة ، قاله شهر بن حوشب(٦).

وقال سعيد بن المسيب : " وكان إذا دخل الحمام وضعه تحت فراشه، ودخل الحمام يوما ووضع خاتمه تحت فراشه، فأخذه الشيطان فألقاه في البحر، وجلس في مجلسه على فراشه"(٧).

وقال مجاهد : أن سليمان قال لشيطان يقال له آصف: " كيف تفتنون الناس؟ فقال له آصف: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه سليمان خاتمه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان وذهب ملكه، وقعد آصف على كرسيه"(٨).

قال قتادة:" وألقي على الشيطان شبه سليمان؛ قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره، وسلِّط على ملك سليمان كله غير نسائه"(٩).

وحكي عن ابن عباس : "أنه كان يأتيهن في حيضهن"(١٠).

وهذا وأمثاله من الإسرائيليات الباطلة المزورة، والعجب أن بعض المفسرين يذكر مثل هذه الأخبار دون أن يبين بطلانها.

قال الآلوسي: ومن أقبح ما في هذه الأخبار متسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطأهن وهن حيض الله أكبر!! هذا بهتان عظيم، وخطب جسيم اه ملخصا"(١١).

قال ابن كثير:" من أشد المنكرات ذكر النساء فإن المشهور أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله منه تشريفاً وتكريماً لنبيه ﷺ ، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف ، كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متُلقَّاة من قصص أهل الكتاب والله أعلم بالصواب"(١٢).

قال مجاهد : "قعد آصف على كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهنّ، وأنكرنه؛ قال: فكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني أطعموني أنا سليمان، فيكذّبونه، حتى أعطته امرأة يوما حوتا يطيب بطنه، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه مُلكه، وفر آصف فدخل البحر فارّا"(١٣).

واختلف في اسم هذا الشيطان على أربعة أقوال:

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٩٦/٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢١-١٩٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩٧/٢١.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٥٥):ص١٠/ ٣٢٤١-٣٢٤٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢١.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٩٧/٥.
(٧) تفسير مجاهد: ٤٧٤.
(٨) تفسير مجاهد: ٥٧٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢١-١٩٨.
(١٠) حكاه الماوردي في النكت والعيون: ٩٧/٥.
(١١) روح المعاني: ٥٧٤/٣.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٦٩/٧.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢١.

أحدها : أن اسمه صخر ، قاله ابن عباس(١).

قال ابن عباس:" هو صخر الجنيّ تمثَّل على كرسيه جسدا"(٢).

وقال ابن عباس:" الجسد: الشيطان الذي كان دفع إليه سليمان خاتمه، فقذفه في البحر، وكان مُلك سليمان في خاتمه، وكان اسم الجنيّ صخرا"(٣).

قال مقاتل:" يقال له : صخر بن عفير بن عمرو بن شرحبيل، ويقال إن إبليس جده"(٤).

الثاني : آصف، قاله مجاهد(٥).

الثالث : حقيق، قاله السدي(٦).

الرابع : أسيد ، حكاه مقاتل(٧).

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ أَنَابَ} [ص : ٣٤]، ثلاثة وجوه:

أحدها : ثم رجع إلى ملكه، قاله الضحاك(٨).

قال مقاتل:" ثم رجع بعد أربعين يوما إلى ملكه وسلطانه"(٩).

قال الضحاك:" دخل سليمان على امرأة تبيع السمك، فاشترى منها سمكة، فشقّ بطنها، فوجد خاتمه، فجعل لا يمر على شجر ولا حجر ولا شيء إلا سجد له، حتى أتى مُلكه وأهله، فذلك قوله؛ {ثُمَّ أَنَابَ} يقول: ثم رجع"(١٠).

الثاني : ثم أناب من ذنبه، قاله قتادة(١١).

الثالث : ثم برأ من مرضه ، قاله ابن بحر(١٢).

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي} [ص : ٣٥]، أي:" قال: رب اغفر لي ذنبي، وأعطني ملكًا عظيمًا خاصًا لا يكون مثله لأحد من البشر بعدي"(١٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال سليمان راغبا إلى ربه: ربّ استر عليّ ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك، فلا تعاقبني به {وَهَبْ لِي مُلْكًا} لا يسلبنيه أحد كما سلبنيه قبل هذه الشيطان"(١٤).

قال الفراء:" يريد سخرة الريح والشياطين"(١٥).

قال مقاتل:" فوهب الله- عز وجل- له من الملك ما لم يكن له ولا لأبيه داود- عليهما السلام- فزاده الرياح والشياطين بعد ذلك"(١٦).

قال الزمخشري:" قدّم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم لا يَنْبَغِي لا يتسهل ولا يكون. ومعنى مِنْ بَعْدِي دوني"(١).

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢١.
(٣) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢١-١٩٧.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٤/٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٧/٢١.
(٦) انظر: الطبري: ٢١/!١٩٨-١٩٩.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٤/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢١.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٤/٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢١.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢١.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٩٨/٥.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(١٤) تفسير الطبري :١٩٩/٢١.
(١٥) معاني القرآن: ٤٠٥/٢.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٦/٣.

قال أبو عبيدة: "قال الحجاج: إن كان لحسودا، قال ابن أحمر [٢]:
ما أم غفر على دعجاء ذى علق ... ينفى القراميد عنها الأعصم الوقل
فى رأس خلقاء من عنقاء مشرفة ... لا يبتغى دونها سهل ولا جبل
لا يبتغى، أي: لا يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها" [٣].
وفي قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي} [ص : ٣٥]، اقوال:
أحدها : ليكون ذلك معجزاً له يعلم به الرضا ويستدل به على قبول التوبة.
قال الزجاج:" أي: هب لي ملكا يكون فيه آية تدل على نبوتي، لا ينبغي لأحد من بعدي من الآدميين الذين ليسوا بأنبياء، يكون له آية تدل على أنك غفرت لي ورددت إلي نبوتي. والدليل على هذا قوله: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} [ص : ٣٦]" [٤].
الثاني : ليقوى به على من عصاه من الجن، فسخرت له الريح حينئذٍ.
قال سهل:" ألهم الله تعالى سليمان أن يسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، ليقصم به الجبابرة والكفرة، والذين يخالفون ربهم ويدعون لأنفسهم قدرة من الجن والإنس، فوقع السؤال من سليمان عليه السلام على اختيار الله له، لا على اختياره لنفسه" [٥].
الثالث : أنه كان ملكا عظيما، فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه، كما قالت الملائكة {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} [البقرة : ٣٠]. حكاه الزمخشري [٦].
الرابع: وقيل: علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين، وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره، وأوجبت الحكمة استيهابه، فأمره أن يستوهبه إياه، فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها إلا هو وحده دون سائر عباده. حكاه الزمخشري [٧].
الخامس: أنه أراد أن يقول: ملكا عظيما فقال لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، ولم يقصد بذلك إلا عظم الملك وسعته، كما تقول: لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال، وربما كان للناس أمثال ذلك، ولكنك تريد تعظيم ما عنده. حكاه الزمخشري [٨].
السادس : ملكا لا أسلبه ولا يقوم غيرى فيه مقامي، كما سلبته مرّة وأقيم مقامي غيرى. وهذا قاله قتادة" [٩]، والحسن [١٠].
قال قتادة:" ملكا لا أسلَبه كما سُلبتُه" [١١].
قال الحسن:" لا ينبغي لأحد من بعدي في حياتي أن ينزعه مني كالجسد الذي جلس على كرسيه" [١].

---

(١)الكشاف: ٩٥/٤ .
(٢)البيتان فى الطبري ٢١/ ١٩٩، والأول فى الجمهرة: ٣/ ٣٧٥، ومعجم البلدان: ٣/ ٧١٢ واللسان والتاج (قرمد)، أنشد أولهما صاحب اللسان في (دعج، علق) وأنشد الثاني في (علق). والبيت الثاني فى تفسير القرطبي ١١/ ١٥٨.
«ذو علق» : قال فى معجم البلدان: جبل معروف فى أعلاه هضبة سوداء قال الأصمعى وأنشد أبو عبيدة لابن أحمر البيت ... إلخ.
(٣)مجاز القرآن: ١٨٣/٢ .
(٤) معاني القرآن: ٣٣٣/٤.
(٥) تفسير التستري: ١٣٢.
(٦) انظر: الكشاف: ٩٥/٤.
(٧) انظر: الكشاف: ٩٥/٤.
(٨) انظر: الكشاف: ٩٥/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢١.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٩٨/٥.
(١١) أخرجه تفسير الطبري: ١٩٩/٢١.

قال الطبري :"إن قال لنا قائل: وما وجه رغبة سليمان إلى ربه في الملك، وهو نبيّ من الأنبياء، وإنما يرغب في الملك أهل الدنيا المؤثِرون لها على الآخرة؟ أم ما وجه مسألته إياه، إذ سأله ذلك مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وما كان يضرّه أن يكون كلّ من بعده يُؤْتَى مثل الذي أوتي من ذلك؟ أكان به بخل بذلك، فلم يكن من مُلكه، يُعطي ذلك من يعطاه، أم حسد للناس، كما ذُكر عن الحجاج بن يوسف[٢]؛ فإنه ذكر أنه قرأ قوله: {وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأحَدٍ مِنْ بَعْدِي}، فقال: إن كان لحسودًا[٣]، فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء! قيل: أما رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من المُلك، فلم تكن إن شاء الله به رغبةً في الدنيا، ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله فى إجابته فيما رغب إليه فيه، وقبوله توبته، وإجابته دعاءه.

وأما مسألته ربه مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، فإنا قد ذكرنا فيما مضى قبلُ قولَ من قال: إن معنى ذلك: هب لي مُلكا لا أسلبه كما سلبته قبل. وإنما معناه عند هؤلاء: هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي أن يَسلُبنيه. وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى: لا ينبغي لأحد سواي من أهل زماني، فيكون حجة وعَلَما لي على نبوتي وأني رسولك إليهم مبعوث، إذ كانت الرسل لا بد لها من أعلام تفارق بها سائر الناس سواهم. ويتجه أيضا لأن يكون معناه: وهب لي ملكا تخُصُّني به، لا تعطيه أحدا غيري تشريفا منك لي بذلك، وتكرمة، لتبين منزلتي منك به من منازل من سواي، وليس في وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج في معنى ذلك شيء"[٤].

قال الزمخشري:" كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوّة ووارثا لهما، فأراد أن يطلب من ربه معجزة، فطلب على حسب ألفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز، ليكون ذلك دليلا على نبوّته قاهرا للمبعوث إليهم، وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات، فذلك معنى قوله: {لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي}"[٥].

ورد في الحديث:« إن عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على الصلاة فأمكننى الله منه فدعته وأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخى سليمان رب {اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى} فرده الله خاسئا»[٦].

قوله تعالى:{إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [ص : ٣٥]، أي:" إنك -سبحانك- كثير الجود والعطاء"[٧].

قال الطبري:" يقول: إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء بيدك خزائن كلّ شيء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت"[٨].

قوله تعالى:{فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} [ص : ٣٦]، أي:" فاستجبنا له، وذللنا الريح تجري بأمره طيّعة مع قوتها وشدتها حيث أراد"[٩].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٩٨/٥.
(٢) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٨٣/٢.
(٣) قال الزمخشري:٩٥/٤:" وعن الحجاج أنه قيل له: إنك حسود، فقال: أحسد منى من قال: {هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي}، وهذا من جرأته على الله وشيطنته، كما حكى عنه: طاعتنا أوجب من طاعة الله، لأنه شرط في طاعته فقال: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}، وأطلق طاعتنا فقال: {وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم}".
(٤) تفسير الطبري: ٢٠٩/٢١.
(٥)الكشاف: ٩٥/٤ .
(٦)أخرجه أحمد (٢٩٨/٢، رقم ٧٩٥٦) ، والبخارى (١٢٦٠/٣، رقم ٣٢٤١) ، ومسلم (٣٨٤/١، رقم ٥٤١) ، والنسائى فى الكبرى (٤٤٣/٦، رقم ١١٤٤٠) . وأخرجه أيضًا: البيهقى (٢١٩/٢، رقم ٣٠٠١) .
ومن غريب الحديث: "فدعته": دفعته دفعا شديدا.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠١/٢١.
(٩) التفسير الميسر: ٤٥٥.

قال الطبري:" فاستجبنا له دعاءه، فأعطيناه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ} مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة، {تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً}، يعني: رِخوة لينة، وهي من الرخاوة"[١].

عن الحسن: "أن نبي الله سليمان صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لما عرضت عليه الخيل، فشغله النظر إليها عن صلاة العصر {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} فغضب لله، فأمر بها فعُقرت، فأبدله الله مكانها أسرع منها، سخر الريح تجري بأمره رُخاء حيث شاء، فكان يغدو من إيلياء، ويقيل بقزوين، ثم يروح من قَزْوين ويبيت بكابُل"[٢].

قال الضحاك:" دعا يوم دعا ولم يكن في مُلكه الريح، وكل بناء وغواص من الشياطين، فدعا ربه عند توبته واستغفاره، فوهب الله له ما سأل، فتمّ مُلكه"[٣].

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما رفع سليمان عليه السلام من طرفه إلى السماء تخشعا حيث أعطاه الله تعالى ما أعطاه»[٤].

وفي قوله تعالى:{ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} [ص : ٣٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : طيبة ، قاله مجاهد[٥].

الثاني : سريعة طيبة، قال: ليست بعاصفة ولا بطيئة، قاله قتادة[٦].

الثالث : مطيعة لسليمان، قاله ابن عباس[٧]، والحسن-في رواية-[٨]، والضحاك- في رواية[٩].

الرابع : أن الرخاء: اللينة، قاله ابن زيد[١٠].

قال معمر: "وبلغني أن الرخاء اللينة"[١١].

الخامس : ليست بالعاصفة المؤذية ولا بالضعيفة المقصرة، بين ذلك رُخاء. قاله الحسن-في رواية أخرى-[١٢].

قال الفراء الرخاء: الريح اللينة التي لا تعصف"[١٣].

وفي قوله تعالى:{حَيْثُ أَصَابَ} [ص : ٣٦]، وجهان:

أحدهما : حيث أراد ، قاله ابن عباس[١٤]، والحسن[١٥]، مجاهد[١٦]، والضحاك[١٧]، وقتادة[١٨]، والسدي[١٩]، وابن زيد[٢٠]، وهب بن منبه[٢١]، والفراء[٢٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠١/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢١.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢١.
(٤)أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٥٨):ص٣٢٤٤/١٠ .
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٢/٢١.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٢/٢١.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٢١.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٢/٢١.
(١١) تفسير عبدالرزاق(٢٥٩٨):ص١٢٠/٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٢/٢١.
(١٣) معاني القرآن: ٤٠٥/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(٢٢) انظر: معاني القرآن: ٤٠٥/٢.

قال ابن عباس:" حيث أراد، انتهى عليها"[١].
قال مجاهد:" حيث شاء"[٢].
قال أبو جعفر الترمذي:" حيث شاء بهواه"[٣].
قال مقاتل:" مطيعة لسليمان حيث أراد أن تتوجه توجهت له"[٤].
قال القاسم بن سلام:" حيث أراد بلغة عمان"[٥].
قال ابن قتيبة: "أي: حيث اراد من النواحي"[٦].
قال الأصمعي :" العرب تقول: أصاب الصواب فأخطأ الجواب. أي: أراد الصواب"[٧].
الصواب"[٧].

قال الزجاج:" إجماع المفسرين وأهل اللغة أنه حيث أراد، وحقيقته قصد، وكذلك قولك للمجيب في المسألة: أصبت، أي: قصدت، فلم تخطئ الجواب"[٨].

قال الطبري:" يقول: حيث أراد، من قولهم: أصاب الله بك خيرا: أي أراد الله بك خيرا"[٩].

قال أبو عبيدة:" يقال: أصاب الله بك خيرا أي أراد الله بك خيرا"[١٠].

قال أبو هلال العسكري:" أصل الإصابة القصد، وفي المثل: أصاب الصواب فأخطأ الجواب أي: أراد، ومنه قوله: {رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ}، أي: أراد"[١١].

الثاني : حيث ما قصد. مأخوذ من: إصابة السهم الغرض المقصود. حكاه الماوردي[١٢].

القرآن

{وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩)} [ص : ٣٧-٣٩]

التفسير:

وسخَّرنا له الشياطين يستعملهم في أعماله: فمنهم البناؤون والغوَّاصون في البحار، وآخرون، وهم مردة الشياطين، موثوقون في الأغلال. هذا المُلْك العظيم والتسخير الخاص عطاؤنا لك يا سليمان، فأعط مَن شئت أو امنع مَن شئت، لا حساب عليك.

قوله تعالى:{وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ} [ص : ٣٧]، أي:" وسخَّرنا له الشياطين يستعملهم في أعماله: فمنهم البناؤون والغوَّاصون في البحار"[١٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وسخرنا له الشياطين سلطناه عليها مكان ما ابتُليناه بالذي ألقينا على كرسيّه منها يستعملها فيما يشاء من أعماله من بنَّاء وغوَّاص؛ فالبُناة منها يصنعون محاريب وتماثيل، والغاصة يستخرجون له الحُلِيّ من البحار"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢١.
(٣)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٩١):ص: ٥٩.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٧/٣.
(٥)لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٠.
(٦) غريب القرآن: ٣٨٠.
(٧) نقلا عن: غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٨٠، والنكت والعيون: ٩٩/٥.
(٨) معاني القرآن: ٣٣٣/٤.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(١٠) مجاز القرآن: ١٨٣/٢.
(١١) الأشباه والنظائر: ٤٦١.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٩٩/٥.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.

عن قتادة: "{وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ}، قال: يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، وغوّاص يستخرجون الحليّ من البحر"[١].

قال الضحاك:" لم يكن هذا في ملك داود، أعطاه الله ملك داود وزاده الريح"[٢].

قال مقاتل:" كانوا يبنون له ما يشاء من البنيان وهو محاريب وتماثيل ويغوصون له في البحر فيستخرجون له اللؤلؤ، وكان سليمان أول من استخرج اللؤلؤ من البحر"[٣].

قوله تعالى:{وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} [ص : ٣٨]، أي:" وآخرون، وهم مردة الشياطين، موثوقون في الأغلال"[٤].

قال الطبري: يقول: "وآخرون ينحتون له جِفانا وقدورا، والمَردَة في الأغلال مُقَرَّنون"[٥].

عن قتادة: " {وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأصْفَادِ}، قال: مردة الشياطين في الأغلال"[٦].

عن الضحاك:" {وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأصْفَادِ}، يقول: في السلاسل"[٧].

قال مقاتل:" يعني: موثقين في الحديد"[٨].

عن السديّ، قوله: "{الأصْفَادِ}، قال: تجمع اليدين إلى عنقه، و«الأصفاد»: جمع صَفَد وهي الأغلال"[٩].

قوله تعالى:{هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [ص : ٣٩]، أي:" هذا المُلْك العظيم والتسخير الخاص عطاؤنا لك يا سليمان، فأعط مَن شئت أو امنع مَن شئت، لا حساب عليك"[١٠].

قال السعدي: " وقلنا له: {هَذَا عَطَاؤُنَا} فَقَرَّ به عينا {فَامْنُنْ} على من شئت، {أَوْ أَمْسِكْ} من شئت {بِغَيْرِ حِسَابٍ} أي: لا حرج عليك في ذلك ولا حساب، لعلمه تعالى بكمال عدله، وحسن أحكامه، ولا تحسبن هذا لسليمان في الدنيا دون الآخرة، بل له في الآخرة خير عظيم"[١١].

وفي المشار إليه بقوله :{هَذَا عَطَاؤُنَا}[ص : ٣٩]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه جميع ما أعطي، {{فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ}، أي: أعط من شئت من المال، وامنع من شئت. و«المن»: الإحسان إلى من لا يطلب ثوابه. قاله ابن عباس-في رواية-، والحسن[١٢]، والضحاك[١٣].

عن الضحاك: "{هَذَا عَطَاؤُنَا}: هذا ملكنا"[١٤].

قال الحسن:" الملك الذي أعطيناك فأعط ما شئت وامنع ما شئت"[١٥].

وعلى هذا القول اختلف في قوله تعالى:{ فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [ص : ٣٩]، على قولين:

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢١-٢٠٥.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٧/٣.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢١-٢٠٥.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٧/٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٢١/ ٢٠٥.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٥.
(١١) تفسير السعدي: ٧١٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢١.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢١.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢١.

أحدها: فأعط من شئت ما شئت من الملك الذي آتيناك، وامنع ما شئت منه ما شئت، لا حساب عليك في ذلك. قاله الحسن[١]، والضحاك[٢].

قال الضحاك:" سأل مُلكا هنيئا لا يُحاسب به يوم القيامة، فقال: ما أعطيت، وما أمسكت، فلا حرج عليك"[٣].

قال مجاهد:" أعط أو أمسك بغير حساب"[٤].

قال عكرمة:" أعط أو أمسك، فلا حساب عليك"[٥].

الثاني: أنه إشارة إلى الشياطين المسخرين له. فالمعنى: فامنن على من شئت بإطلاقه، وأمسك من شئت منهم فلا حرج عليك في ذلك. قاله ابن عباس-في رواية أخرى وهذا قول ابن عباس-في رواية عنه-[٦]، وقتادة[٧]، والسدي[٨].

قال ابن عباس:" أعتق من الجنّ من شئت، وأمسك من شئت"[٩].

قال قتادة:" هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم فى وثاقك وفي عذابك أو سرِّح من شئت منهم تتخذ عنده يدًا، اصنع ما شئت"[١٠].

قال السدي:" تَمُنّ على من تشاء منهم فتُعْتِقُهُ، وتُمسِك من شئت فتستخدمه ليس عليك في ذلك حساب"[١١].

الثالث: أن «هذا» إشارة إلى ما كان أوتي من القوّة على الجماع، رواه عكرمة عن ابن عباس[١٢].

والمعنى على هذا القول:" هذا الذي أعطيناك من القوّة على الجماع عطاؤنا، فجامع من شئت من نسائك وجواريك ما شئت بغير حساب، واترك جماع من شئت منهن"[١٣].

قال ابن عباس:" كان سليمان في ظهره ماءُ مِئَة رجل، وكان له ثلاث مِئَة امرأة وتسع مِئَة سُرِّيَّة: {هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}"[١٤].

وحكي الماوردي: "أن «هذا» إشارة إلى مضمر غير مذكور وهو ما حكي أن سليمان كان في ظهره ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأته وسبعمائة سرية فقال الله تعالى :{هذا عطاؤنا}، يعني: الذي أعطيناك من القوة على النكاح، {فامنن}، بجماع من تشاء من نسائِك، {أو أمسك} عن جماع من تشاء من نسائِك"[١٥]. ثم قال:" وهذا القول عدول من الظاهر إلى ادعاء مضمر بغير دليل، لكن قيل فذكرته"[١٦].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القولُ الذي ذكرناه عن الحسن والضحاك من أنه عني بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره، وذلك أنه جلّ ثناؤه ذكر ذلك عَقِيب خبره عن مسألة نبيه سليمان صلوات الله وسلامه عليه إياه مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده،

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٦/٢١.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٦/٢١.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢١-٢٠٧.
(٦)انظر: تفسير الطبري: ٢٠٧/٢١ .
(٧)انظر: تفسير الطبري: ٢٠٧/٢١ .
(٨)انظر: تفسير الطبري: ٢٠٧/٢١ .
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢١-٢٠٦.
(١٣) تفسيرا لطبري: ٢٠٧/٢١.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢١-٢٠٦.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٠٠/٥-١٠١.
(١٦) النكت والعيون: ١٠١/٥.

فأخبر أنه سخر له ما لم يُسَخَّر لأحد من بني آدم، وذلك تسخيره له الريح والشياطين على ما وصفت، ثم قال له عزّ ذكره: هذا الذي أعطيناك من المُلك، وتسخيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك {فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}، يعني: لا يحاسب على ما أعطى من ذلك المُلك والسلطان"(١).

قال الحسن : "ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه فيها تبعة إلا سليمان فإن الله تعالى يقول: {هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [ص : ٣٩]".

وفي قراءة عبدالله:«هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب»(٢).

القرآن

{وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠)} [ص : ٤٠]

التفسير:

وإن لسليمان عندنا في الدار الآخرة لَقربةً وحسن مرجع.

قال الطبري: "يقول: وإن لسليمان عندنا لقُرْبةً بإنابته إلينا وتوبته وطاعته لنا، وحُسْنَ مآب: يقول: وحسن مرجع ومصير في الآخرة"(٣).

قال السعدي: " أي: هو من المقربين عند الله المكرمين بأنواع الكرامات لله"(٤).

عن قتادة: "{وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ}، أي: مصير"(٥).

فوائد الآيات:[٣٤-٤٠]:

١- تقرير قول بعضهم حسنات الأبرار سيئات المقربين إذ عدم الاستثناء في قوله لأطأن الليلة مائة جارية الحديث

عوقب به فلم تلد امرأة من المائة إلا واحدة وولدت طفلاً مشلولاً، وعوقب به نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانقطع عنه الوحي نصف شهر وأكربه ذلك لأنه لم يستثن عندما سئل عن ثلاث مسائل وقال غدا أجيبكم.

٢- مشروعية التوبة من كل ذنب صغيراً كان أو كبيرا.

٣- مشروعية التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى.

٤- بيان إنعام الله تعالى على عبده سليمان.

٥- بيان تسخير الله تعالى لسليمان الريح والجن وهذا لم يكن لأحد غيره من الناس.

قال السعدي:" فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة داود وسليمان عليهما السلام فمنها:

- أن الله تعالى يقص على نبيه محمد ﷺ أخبار من قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر له من عباداتهم وشدة صبرهم وإنابتهم، ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه، ولهذا - في هذا الموضع - لما ذكر الله ما ذكر من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داود فيتسلى به.
- ومنها: أن الله تعالى يمدح ويحب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها، ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس. ومنها: أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور، من أوصاف أنبياء الله وخواص خلقه، كما

---

(١) تفسير الطبري :٢٠٦/٢١، ٢٠٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٧/٢١.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠٨/٢١.
(٤) تفسير السعدي: ٧١٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢١.

أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم السالكون {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ}

- ومنها: ما أكرم الله به نبيه داود عليه السلام، من حسن الصوت العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهم، يجاوبنه إذا رجَّع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشي والإشراق.
- ومنها: أن من أكبر نعم الله على عبده، أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود عليه السلام.
- ومنها: اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان عليهما السلام.
- ومنها: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادرهم بلطفه.
- ومنها: أن داود عليه السلام، كان في أغلب أحواله ملازما محرابه لخدمة ربه، ولهذا تسور الخصمان عليه المحراب، لأنه كان إذا خلا في محرابه لا يأتيه أحد، فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام، بل جعل له وقتا يخلو فيه بربه، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره.
- ومنها: أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود، فزع منهم، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال.
- ومنها: أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي.
- ومنها: كمال حلم داود عليه السلام، فإنه ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما، ولا وبخهما.
- ومنها: جواز قول المظلوم لمن ظلمه "أنت ظلمتني" أو "يا ظالم" ونحو ذلك أو باغ علي لقولهما: {خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ}
- ومنها: أن الموعوظ والمنصوح، ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد، أو وعظه، لا يغضب، ولا يشمئز، بل يبادره بالقبول والشكر، فإن الخصمين نصحا داود فلم يشمئز ولم يغضب ولم يثنه ذلك عن الحق، بل حكم بالحق الصرف.
- ومنها: أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة التعلقات الدنيوية المالية، موجبة للتعادي بينهم، وبغي بعضهم على بعض، وأنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور، بالإيمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في الناس.
- ومنها: أن الاستغفار والعبادة، خصوصا الصلاة، من مكفرات الذنوب، فإن الله، رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده.
- ومنها: إكرام الله لعبده داود وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال أثر ذنوبهم، أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في [ص:٧١٤] قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيز على الكريم الغفار.
- ومنها: أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية،

والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه.

- ومنها: أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده، وأن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.
- ومنها: أن سليمان عليه السلام من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه له، وأن من أكبر نعم الله على عبده، أن يهب له ولدا صالحا، فإن كان عالما، كان نورا على نور.
- ومنها: ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}.
- ومنها: كثرة خير الله وبره بعبيده، أن يمن عليهم بصالح الأعمال ومكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، وهو المتفضل الوهاب.
- ومنها: تقديم سليمان محبة الله تعالى على محبة كل شيء.
- ومنها: أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشئوم مذموم، فَلْيُفَارِقْه ولْيُقْبِلْ على ما هو أنفع له.
- ومنها: القاعدة المشهورة "من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه" فسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديما لمحبة الله، فعوضه الله خيرا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون.
- ومنها: أن تسخير الشياطين لا يكون لأحد بعد سليمان عليه السلام.
- ومنها: أن سليمان عليه السلام، كان ملكا نبيا، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد إلا العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلا بالأمر، كحال نبينا محمد ﷺ، وهذه الحال أكمل"(١).

القرآن

{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١)} [ص : ٤١]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- عبدنا أيوب، حين دعا ربه أن الشيطان تسبب لي بتعب ومشقة، وألم في جسدي ومالي وأهلي.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ} [ص : ٤١]، أي:" واذكر -أيها الرسول- عبدنا أيوب"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: {وَاذْكُرْ} أيضا يا محمد {عَبْدَنَا أَيُّوبَ}"(٣).

قوله تعالى:{إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص : ٤١]، أي:" دعا ربه أن الشيطان تسبب لي بتعب ومشقة، وألم في جسدي ومالي وأهلي"(٤).

قال الطبري:يقول:" إذ نادى ربه مستغيثا به، أني مسني الشيطان ببلاء في جسدي، وعذاب بذهاب مالي وولدي"(١).

---

(١) تفسير السعدي: ٧١٢.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠٩/٢١.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٦.

قال السدي:" وقال أيوب عليه السلام: يا رب، إنك أعطيتني المال والولد، فلم يقم على بابي أحد يشكوني لظلم ظلمته، وأنت تعلم ذلك. وإنه كان يوطأ لي الفراش فأتركها وأقول لنفسي: يا نفس، إنك لم تخلقي لوطئ الفرش، ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك"[٢].

وقال عبيدالله بن عمير:" كان لأيوب عليه السلام أخوان فجاءا يوما فلم يستطيعا إن يدنوا منه من ريحه، فقاما من بعيد فقال أحدهما للآخر: لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا؟ فجزع أيوب من قولهما جزعا لم يخرج من شيء قط، فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعان وأنا أعلم مكان جائع، فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني لم يكن لي قميصان قط وأنا أعلم مكان عار، فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان. الله بعزتك ثم خر ساجدا، ثم قال: اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبدا حتى تكشف عني، فما رفع رأسه حتى كشف عنه"[٣].

والتحقيق عند أهل السنة أن الأنبياء لا يمرضون أمراضا منفرة تحط من قدرهم وهذا الخبر وأمثاله لو لم يذكرها المفسرون لكان أولى. وإنما اشرت إليه للتنبه. والله أعلم.

وفي قوله تعالى: {بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص : ٤١]، وجوه:

أحدها : يعني بالنصب: الألم، وبالعذاب: السقم، قاله مبشر بن عبيد[٤].

الثاني : النصب: في جسده ، والعذاب: في ماله ، قاله السدي[٥].

وقال مقاتل:"{بنصب}، يعني: مشقة في جسده، {وعذاب} في ماله"[٦].

وعن الضحاك:" {أني مسني الشيطان بنصب}" يعني: البلاء في الجسد"[٧].

الثالث : {بنصب وعذاب}: ذهاب المال والأهل، والضر الذي أصابه في جسده. قاله قتادة[٨].

الرابع: أن النصب: العناء ، والعذاب: البلاء . حكاه الماوردي[٩].

قال القشيري:" يقال: إن سبب ابتلائه أنه استعان به مظلوم فلم ينصره.. فابتلى، ويقال: استضاف الناس يوما فلمّا جاءه ابن فقير منعه من الدخول، ويقال: كان يغزو ملكا كافرا، وكان لأيوب غنم في ولايته، فداهنه لأجل غنمه فى القتال، ويقال: حسده إبليس، فقال: لئن سلّطتنى عليه لم يشكر لك، ويقال: كان له سبع بنات وثلاثة بنين في مكتب واحد، فجرّ الشيطان الاسطوانة فانهدم البيت عليهم"[١٠].

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم نسبه إلى الشيطان، ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضى من إتعابهم وتعذيبهم وطره، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرّر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب؟

قلت: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب، نسبه إليه، وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه، مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل.

---

(١) تفسير الطبري: ١٠٧/٢٠. ط. هاجر.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٩٤):ص٢٤٥٩/٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٩٥):ص٢٤٥٩/٨.
(٤) انظر النكت والعيون: ١٠١/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٠. ط. هاجر.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٧/٣.
(٧) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٠. ط. هاجر.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٠. ط. هاجر.
(٩) انظر: النكت والعيون: ١٠١/٥.
(١٠) لطائف الإشارات: ٢٥٨/٣.

وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين، فارتدّ أحدهم، فسأل عنه فقيل ألقى إليه الشيطان: إن الله لا يبتلى الأنبياء والصالحين، وذكر في سبب بلائه أنّ رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه. وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر، فداهنه ولم يغزه. وقيل: أعجب بكثرة ماله"[١].

القرآن

{ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢)} [ص : ٤٢]

التفسير:

فقلنا له: اضرب برجلك الأرض ينبع لك منها ماء بارد، فاشرب منه، واغتسِلْ فيذهب عنك الضر والأذى.

قوله تعالى:{ارْكُضْ بِرِجْلِكَ} [ص : ٤٢]، أي:" وقلنا له اضرب برجلك الأرض"[٢].

قال الطبري:أي: " فاستجبنا له، وقلنا له: اركض برجلك الأرض: أي: حركها وادفعها برجلك"[٣].

قال الصابوني :"فنبعت له عين ماءٍ صافية"[٤].

قوله تعالى:{هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [ص : ٤٢]، أي:" وقلنا له هذا ماءٌ تغتسل به، وشراب تشرب منه"[٥].

قال الطبري:" عنى بقوله {مُغْتَسَلٌ}: ما يُغْتَسل به من الماء، يقال منه: هذا مُغْتَسل، وغسول للذي يَغْتسل به من الماء. وقوله: {وَشَرَابٌ}، يعني: ويشرب منه، والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلا"[٦].

قال ابن قتيبة:" «المغتسل»: الماء. وهو: الغسول أيضا"[٧].

وفي قوله تعالى:{هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [ص : ٤٢]، قولان:

أحدهما : أنه اغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه ، قاله الحسن[٨].

قال الحسن:" فركض برجله، فنبعت عين فاغتسل منها، ثم مشى نحوا من أربعين ذراعا، ثم ركض برجله، فنبعت عين، فشرب منها، فذلك قوله: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}"[٩].

وفي رواية أخرى قال الحسن:" فركض ركضة خفيفة ، فإذا عين تنبع حتى غمرته ، فرد الله جسده ، ثم مضى قليلا ، ثم " قيل له: {اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب} [ص: ٤٢] فركض ركضة أخرى ، فإذا بعين أخرى فشرب منها فطهر جوفه وغسلت له كل قذر كان فيه"[١٠].

الثاني : أنه اغتسل من إحداهما فبرىء ، وشرب من الأخرى فروي، قاله قتادة[١١].

وفي مدة إقامة النبي أيوب-عليه السلام- في البلاء، أقوال:

أحدها: كانت مدة البلاء ثماني عشرة سنة، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ[١].

---

(١) الكشاف: ٩٧/٤.
(٢) صفوة التفاسير: ٥٥/٣.
(٣) تفسير الطبري: ١٠٧/٢٠. ط. هاجر.
(٤) صفوة التفاسير: ٥٥/٣.
(٥) صفوة التفاسير: ٥٥/٣.
(٦) تفسير الطبري: ٢١٠/٢١-٢١١.
(٧) غريب القرآن: ٣٢٨.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٠٢/٥.
(٩) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢١.
(١٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦٠٤):ص١٢٣/٣.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٠٢/٥.

الثاني: سبع سنين. قاله ابن عباس[٢].

قال سفيان:" كان أيوب ﷺ في كناسة لبني إسرائيل سبع سنين الدود يترددن: في جسده فبعث الله إليه عينين واحدة عند رأسه والأخرى عند رجليه فأوحى الله إليه :{هذا مغتسل بارد وشراب}"[٣].

الثالث: ثلاثين سنة. قاله وهب[٤].

الرابع: سبع سنين وستة أشهر. قاله الحسن[٥].

الخامس: سبع سنين وسبعة أشهر. قاله مقاتل[٦].

قال مقاتل:" وكان الدود يأكله سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات متتابعات"[٧].

وقال قتادة:" ابتلي سبع سنين وأشهرا ملقى على كناسة لبني إسرائيل تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه، وعظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء"[٨].

قال كعب القرظي:" أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: قد أصاب من هو خير منا نبيا من الأنبياء"[٩].

القرآن

{وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣)} [ص : ٤٣]

التفسير:

فكشفنا عنه ضره وأكرمناه ووهبنا له أهله من زوجة وولد، وزدناه مثلهم بنين وحفدة، كل ذلك رحمة منَّا به وإكرامًا له على صبره، وعبرة وذكرى لأصحاب العقول السليمة؛ ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج وكشف الضر.

قوله تعالى:{وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ} [ص : ٤٣]، أي:" فكشفنا عنه ضره وأكرمناه ووهبنا له أهله من زوجة وولد، وزدناه مثلهم بنين وحفدة"[١٠].

قال السمعاني:" يقال: إن الأرض انشقت؛ فرأى إبله وبقره وغنمه على هيئتها وخرجت إليه، ورأى أيضا أهله وأولاده كهيئتهم وخرجوا إليه"[١١].

واختلف في «الأهل» المذكور في قوله: قوله تعالى:{وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ} [ص : ٤٣]، ، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة. قاله عكرمة[١٢]، ومجاهد-في رواية[١٣].

---

(١)غريب. أخرجه البزار ٢٣٥٧ «كشف» وأبو يعلى ٣٦١٧ وابن حبان ٢٨٩٨ والحاكم ٢/ ٥٨١ والطبراني «الطوال» ٤٠ وأبو نعيم ٣/ ٣٧٤- ٣٧٥ من حديث أنس، ورجاله رجال البخاري ومسلم، وقال الحاكم على شرطهما!، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي ١٣٨٠٠: رجال البزار رجال الصحيح اه. وقال أبو نعيم: غريب من حديث الزهري لم يروه إلا عقيل، ورواته متفق على عدالتهم. ومع ذلك استغربه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٢٣٩، وانظر: «البداية والنهاية» ١/ ٢٢٢- ٢٢٣.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٣٦٠):ص١٠/٣٢٤٤-٣٢٤٥.

(٣) تفسير سفيان الثوري(٨٣٤: ١٧: ٢٢):ص٢٥٩.

(٤) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣، وتفسير القرطبي:٣٢٧/١١.

(٥) انظر: زاد المسير:٢٠٦/٣، وتفسير القرطبي:٣٢٧/١١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٨/٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٨/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٠. ط. هاجر.

(٩) أخرجه الطبري:٥٠٧/١٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(١١) تفسير السمعاني: ٤٤٦/٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري:٥٠٦/١٨.

(١٣) انظر: تفسير الطبري:٥٠٦/١٨.

قال ليث: "أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب {وآتيناه أهله ومثلهم معهم}، فقال: قيل له: إن أهلك لك في الآخرة، فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا، وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتيناك مثلهم في الدنيا، فقال: يكونون لي في الآخرة، وأوتي مثلهم في الدنيا، قال: فرجع إلى مجاهد فقال: أصاب"(١).

وقال مجاهد:" قيل له: إن شئت أحييناهم لك، وإن شئت كانوا لك في الآخرة وتعطى مثلهم في الدنيا، فاختار أن يكونوا في الآخرة ومثلهم في الدنيا"(٢).

الثاني: أنهم أهله الذين أوتيهم في الدنيا، إذ ردهم إليه بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم. وهذا قول ابن مسعود(٣)، وابن عباس(٤)، والحسن-في رواية-(٥)، وقتادة(٦)، ومجاهد -في رواية أخرى(٧). أخرى(٧).

قال ابن عباس:" لما دعا أيوب استجاب الله له، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين، رد إليه أهله ومثلهم معهم"(٨).

قال مجاهد:" أحياهم بأعيانهم، ورد إليه مثلهم"(٩).

قال سفيان:" أحيينا له أهله ومثلهم معهم"(١٠)، وقال سفيان:" وبعث الله جرادا من ذهب فجعل يلتقطها فأوحى الله عز وجل إليه يا أيوب أما تشبع قال ومن شبع من رحمتك"(١١).

قال الحسن وقتادة: "أحيا الله أهله بأعيانهم، وزاده إليهم مثلهم"(١٢).

الثالث: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده عليه وأهله، فأما الأهل والمال فإنه ردهما عليه. وهذا قول الحسن-في رواية أخرى-(١٣).

قوله تعالى:{رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [ص : ٤٣]، أي:" كل ذلك رحمة منَّا به وإكرامًا له على صبره وعبرة وذكرى لأصحاب العقول السليمة؛ ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج وكشف الضر"(١٤).

قال السعدي:" {رَحْمَةً مِنَّا} بعبدنا أيوب، حيث صبر فأثبناه من رحمتنا ثوابا عاجلا وآجلا. {وَذِكْرَى لأولِي الألْبَابِ} أي: وليتذكر أولو العقول بحالة أيوب ويعتبروا، فيعلموا أن من صبر على الضر، أن الله تعالى يثيبه ثوابا عاجلا وآجلا ويستجيب دعاءه إذا دعاه"(١٥).

قال الزمخشري:" المعنى: أنّ الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب، لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره، رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم"(١٦).

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري:٥٠٦/١٨.
(٢) أخرجه الطبري:٥٠٦/١٨-٥٠٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٥٠٦/١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٠٦/١٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٥٠٧/١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٥٠٧/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٠٦/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٥٠٦/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٥٠٦/١٨.
(١٠) تفسير سفيان الثوري(٨٣٥: ١٨: ٢٣):ص٢٥٩.
(١١) تفسير سفيان الثوري(٨٣٦: ١٩: ٢٦):ص٢٥٩.
(١٢) أخرجه الطبري:٥٠٧/١٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٥٠٧/١٨.
(١٤) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(١٥) تفسير السعدي: ٧١٤.
(١٦) الكشاف: ٩٧/٤-٩٨.

{وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)} [ص : ٤٤]

التفسير:

وقلنا له: خذ بيدك حُزمة شماريخ، فاضرب بها زوجك إبرارًا بيمينك، فلا تحنث؛ إذ أقسم ليضربنَّها مائة جلدة إذا شفاه الله، لمَّا غضب عليها من أمر يسير أثناء مرضه، وكانت امرأة صالحة، فرحمها الله ورحمه بهذه الفتوى. إنا وجدنا أيوب صابرًا على البلاء، نِعم العبد هو، إنه رجَّاع إلى طاعة الله.

قوله تعالى:{وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ} [ص : ٤٤]، أي:" وقلنا له: خذ بيدك حُزمة شماريخ، فاضرب بها زوجك إبرارًا بيمينك، فلا تحنث"[(١)].

عن قتادة ، قوله: "{وخذ بيدك ضغثا}، قال: خذ عودا فيه تسعة وتسعون عودا ، والأصل تمام المائة فضرب به امرأته، وذلك أن امرأته أرادها الشيطان على بعض الأمر ، فقال لها: قولي لزوجك يقول كذا وكذا ، فقالت له قل: «كذا وكذا ، فحلف حينئذ أن يضربها تلك الضربة ، فكانت تحلة ليمينه ، وتخفيفا عن امرأته"[(٢)].

عن ابن عباس، قوله :"{وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا}، يقول: حُزْمة"[(٣)].

قال ابن عباس:" أمر أن يأخذ ضغثا من رطبة بقدر ما حلف عليه فيضرب به"[(٤)].

عن سفيان في قوله:" {وخذ بيدك ضغثا}، قال: لم يجعل لأحد بعده"[(٥)].

قال مجاهد:" هي لأيوب عليه السلام خاصة"[(٦)].

وقال عطاء: هي للناس عامة"[(٧)].

وقال الضحاك:" كان حلف على يمين، فأخذ من الشجر عدد ما حلف عليه، فضرب به ضَرْبة واحدة، فبرّت يمينه، وهو اليوم في الناس يمين أيوب، من أخذ بها فهو حسن"[(٨)].

وقال قال الشافعي -رحمه الله-: "وإذا حلف الرجل ليضربن عبده مائة سوط، فجمعها فضربه بها، فإن كان يحيط العلم أنه إذا ضربه بها ماسته كلها، فقد بر، وإن كان يحيط العلم أنها لا تماسه كلها لم يبر، وإن كان العلم مغيبا قد تماسه ولا تماسه، فضرب بها ضربة، لم يحنث في الحكم، ويحنث في الورع، فإن قال قائل: فما الحجة في هذا؟ قيل: معقول أنه إذا ماسته أنه ضاربه بها مجموعة. أو غير مجموعة، وقد قال الله - عز وجل -: {وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث}"[(٩)].

وقال مالك: "من حلف ليضربن عبده مائة فجمعها فضربه بها ضربة واحدة لم يبر. قال بعض علمائنا: يريد مالك قوله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة : ٤٨]، أي: إن ذلك منسوخ بشريعتنا"[(١٠)].

عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: كان في أبياتنا إنسان ضعيف مجدع فلم يرع أهل الدار إلا وهو على أمة من إماء أهل الدار يعبث بها وكان مسلما فرفع سعد رضي الله عنه شأنه إلى رسول الله ﷺ فقال: اضربوه حده فقالوا يا رسول الله: إنه أضعف من ذلك ان ضربناه مائة قتلناه قال: فخذوا له عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه ضربة واحدة وخلوا سبيله"[(١١)].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٢) تفسير عبدالرزاق(٢٦٠٥):ص١٢٣/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢١.

(٥) تفسير سفيان الثوري(٨٣٧: ٢٠: ٢٤):ص٢٥٩.

(٦) اورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٥/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) اورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٥/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٨) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢١.

(٩) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٢٩/٣.

(١٠) نقلا عن تفسير القرطبي: ٢١٣/١٥.

(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٦/٧، وعزاه إلى أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والطبراني وابن

عن ثوبان -رضي الله عنه-:"أن رجلا أصاب فاحشة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض على شفا موت فأخبر أهله بما صنع فأمر النبي ﷺ بقنو فيه مائة شمراخ فضربه ضربة واحدة"(١).

عن سهل بن سعد :"أن النبي ﷺ أتى بشيخ قد ظهرت عروقه قد زنى بامرأة فضربه بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة"(٢).

وفي سبب هذا اليمين ثلاثة أقوال:

أحدها : أن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب ، فقال أداويه على أنه إذا برىء قال: أنت شفيتني، لا أريد جزاء سواه. قالت: نعم ، فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها. وهذا قول ابن عباس(٣)، وروي عن قتادة نحوه(٤).

قال ابن عباس:" فأتت أيوب عليه السلام فذكرت ذلك له فقال: ويحك ... ! ذاك الشيطان، لله علي إن شفاني الله تعالى أن أجلدك مائة جلدة فلما شفاه الله تعالى أمره أن يأخذ ضغثا فأخذ عذقا فيه مائة شمراخ، فضرب بها ضربة واحدة"(٥).

الثاني : أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها. حكاه سعيد بن المسيب(٦).

الثالث : أن الشيطان أغواها على أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة ليبرأ بها فحلف ليجلدنها فلما برىء أيوب وعلم الله تعالى بإيمان امرأته أمره رفقاً بها وبراً له يأخذ بيده ضغثاً. حكاه يحيى بن سلام(٧).

وهذه الأقوال ضعيفة، والخبر بطوله من الإسرائيليات، والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فهي لا تعطي فكرك إلا خيالا، ولا تزيد فؤادك إلا خبالا.

قال ابن عباس:" يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله، تقرءونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم"(٨).

وفي قوله تعالى:{وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا} [ص : ٤٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه أشكال النخل الجامع لشماريخه، قاله ابن عباس(٩).

الثاني : الأثل، رواه مجاهد عن ابن عباس(١٠).

قال القاسم بن سلام:" وقد وجدنا الأسل في غير الرماح إلا أن أكثر ذلك وأفشاه في الرماح. وبعضهم يقول في هذا النبات الذي قال الله تعالى فيه لأيوب: عليه السلام {وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث} إنما قيل له: الأسل لأنه شبه بالرماح"(١١).

الثالث: أن «الضغث»: القبضة من المرعى الطيب. وهو معنى قول ابن عباس-في رواية العوفي-(١).

عساكر.

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٦/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٦/٧، وعزاه إلى الطبراني.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٦١):ص٣٢٤٥/١٠.

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٦٠٥):ص١٢٣/٣.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٦١):ص٣٢٤٥/١٠.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٠٣/٥.

(٧) انظر: النكت والعيون: ١٠٣/٥.

(٨) اخرجه البخاري(٢٦٨٥):ص١٨١/٣.

(٩) انظر: النكت والعيون: ١٠٣/٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢١٣/٢١.

(١١) غريب الحديث: ٣١١/٣-٣١٢.

الرابع: أن «الضغث»: حُزْمة. قاله ابن عباس[٢].

الخامس : الحزمة من الحشيش ، قاله قطرب[٣]، وأنشد قول الكميت[٤]:

تحيد شِماساً إذا ما العسيفُ ... بضِغثِ الخلاء إليها أشارا

السادس : أن «الضغث»: القبضة الواحدة. قاله مقاتل[٥].

وقال مقاتل:" فأخذ عيدانا رطبة -وهي «الأسل»- مائة عود عدد ما حلف عليه وكان حلف ليجلدن امرأته مائة جلدة، {فاضرب به ولا تحنث}، يعني: ولا تأثم في يمينك التي حلفت عليها، فعمد إليها فضربها بمائة عود ضربة واحدة فأوجعها فبرئت يمينه، وكان اسمها: «دنيا»"[٦].

السابع: الشجر الرطب. قاله الضحاك[٧].

وقال عطاء:"عيدانا رطبة"[٨].

الثامن: أنه غصن فيه تسعة وتسعون قضيبا، والأصل تكملة المِئَة. قاله قتادة[٩].

وقال ابن زيد:" ضِغْثا واحدا من الكلأ فيه أكثر من مِئَة عود"[١٠].

التاسع : السنبل ، حكاه يحيى بن سلام[١١].

العاشر : الثمام اليابس ، قاله سعيد بن المسيب[١٢].

الحادي عشر : أنه ملء الكف من من الشجر أو الحشيش والشّماريخ وما أشبه ذلك، قاله أبوعبيدة[١٣]، وأنشد قول عوف بن الخرع التّيميّ [١٤]:

وأسفل منى نهدة قد ربطتها ... وألقيت ضغثا من خلى متطيّب

قال الزجاج:" الضغث: الحزمة من الحشيش أو الريحان أو ما أشبه ذلك"[١٥].

قال الفراء:" الضغث: ما جمعته من شيء مثل حزمة الرطبة، وما قام على ساق واستطال ثم جمعته فهو: ضغث"[١٦].

قال ابن قتيبة:" الحزمة من الخلى والعيدان"[١٧].

وقال أبو حنيفة: "الضغث: كل ما ملأ الكف من النبات"[١٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢١٣/٢١، ولفظه:" أمر أن يأخذ ضغثا من رطبة بقدر ما حلف عليه فيضرب به". وأورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٥/٧، وزاد نسبته إلى عبد بن وابن المنذر.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢١٣/٢١، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٥/٧، وعزاه وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٣) انظر: النكت والعيون: ١٠٣/٥.

(٤) انظر: النكت والعيون: ١٠٣/٥.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٨/٣.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٨/٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢١٤/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢١٣/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢١.

(١١) انظر: النكت والعيون: ١٠٣/٥.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٠٣/٥.

(١٣) انظر: مجاز القرآن: ١٨٥/٢.

(١٤)عوف، هو عوف بن عطية بن عمر بن الحرث بن تيم. والخزع لقب جده عمرو. هو من فرسان العرب. جاهلى شاعر مفلق حسب قول المرزباني فى معجم الشعراء ٢٧٧ وقال البكري فى السمط ٣٧٧، ٧٢٣: أنه جاهلى إسلامى وراجع تمام نسبه فى شرح المفضليات ٦٣٧، والخزانة ٣/ ٨٢، - والبيت في تفسير الطبري: ٢١٣/٢١، وعجزه فقط فى الجمهرة ٢/ ٤٣.

(١٥) معاني القرآن: ٣٣٥/٤.

(١٦) معاني القرآن: ٤٠٦/٢.

(١٧) غريب القرآن: ٣٨١.

(١٨) نقلا عن: لسان العرب: ١٦٤/٢.

وقال ابن منظور:" الضغث: قبضة من قضبان مختلفة، يجمعها أصل واحد مثل الأسل، والكراث، والثمام؛ قال الشاعر(١):
كَأَنَّهُ إِذْ تدلى ضغثُ كرَّاث"(٢).

نستنتج بأن «الضغث»: قُبْضَة حشيش اختلط فيها الرّطب واليابس، وبه شُبِّهت الأحلام المختلطة التي لا تُتبيَّن حقائقها، ومنه أضغاث أحلام، أي: ما كان منها ملتبسًا مضطربًا يصعب تأويلُه، وضغث من خبر: ما اختلطت فيه الحقيقةُ بالوهم(٣).

قوله تعالى:{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا} [ص : ٤٤]، أي:" إنا وجدنا أيوب صابرًا على البلاء"(٤).

قال الطبري:" يقول: إنا وجدنا أيوب صابرا على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته"(٥).

قال ابن الجوزي:" أي: على البلاء الذي ابتليناه به"(٦).

قال البيضاوي:أي:" فيما أصابه في النفس والأهل والمال، ولا يخل به شكواه إلى الله من الشيطان فإنه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع أنه قال ذلك خيفة أن يفتنه أو قومه في الدين"(٧).

قال السمعاني:" كانت الدواب تجري في جسده، وقد ألقى على مزبلة، وتأذى منه قومه غاية الأذى"(٨).

قال القشيري:" الصبر ألا تعترض على التقدير، ويقال: الصبر الوقوف تحت الحكم، ويقال: التلذّذ بالبلاء، واستعذابه دون استصعابه، ويقال: الصبر الوقوف مع الله بحسن الأدب، ولم ينف قوله «مَسَّنِيَ الضُّرُّ» اسم الصبر عنه لأنّ ذلك لم يكن على وجه الشكوى، ولأنه كان مرة واحدة، وقد وقف الكثير من الوقت ولم يقل مسّنى الضرّ فكان الحكم للغالب "(٩).

قال مقاتل:" لما برأ أيوب فاغتسل كساء جبريل- عليه السلام- حلة"(١٠).

قال يحيى بن سلام حدثني أبو أمية عن الحسن: "أن أيوب لم يبلغه شيء يقوله الناس كان أشد عليه من قولهم: لو كان نبيا ما ابتلي بالذي ابتلي به، فدعا الله فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أعمل حسنة في العلانية إلا عملت في الشر مثلها فاكشف ما بي من ضر وأنت أرحم الراحمين. فاستجاب الله له، فوقع ساجدا، وأمطر عليه فراش الذهب فجعل يلتقطه ويجمعه"(١١).

قوله تعالى:{نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ٤٤]، أي:" نِعم العبد هو، إنه رجَّاع إلى طاعة الله"(١٢).

قال الطبري:" يقول: إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجَّاع"(١٣).

قال البيضاوي:أي:" نعم العبد أيوب. إنه أواب مقبل بشراشره على الله تعالى"(١).

---

(١)شطر بيت ورد في اللسان، والعين(ضغث):ص٣٦٤/٤، وتهذيب اللغة: ٤٩/٨، وتاج العروس: ٢٨٨/٥، وصدره في البارع في اللغة: ٢٥٩:« دانٍ مُسِف فويق الأرض هيدبه ...».
والشعر غير منسوب في المصادر السابقة.
(٢) لسان العرب: ١٦٣/٢-١٦٤.
(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (ضغث):ص١٣٦٣/٢.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٥) تفسير الطبري: ٢١٤/٢١.
(٦) زاد المسير: ٥٧٨/٣.
(٧) تفسير البيضاوي: ٣١/٥.
(٨) تفسير السمعاني: ٤٤٦/٤.
(٩) لطائف الإشارات: ٢٥٩/٣.
(١٠)تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٨/٣ .
(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٣٣٥/١.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(١٣) تفسير الطبري: ٢١٤/٢١.

قال الزجاج:" {أواب}: كثير الرجوع إلى الله"[٢].

قال القشيري:{إِنَّهُ أَوَّابٌ}" لم يشغله البلاء عن المبلى، و{نعم العبد}، لأنه خرج من البلاء على الوجه الذي دخل فيه"[٣].

قال القرطبي:" سئل سفيان عن عبدين ابتلي أحدهما فصبر، وأنعم على الآخر فشكر، فقال: كلاهما سواء، لأن الله تعالى أثنى على عبدين، أحدهما صابر والآخر شاكر ثناء واحدا، فقال في وصف أيوب: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب} [ص : ٤٤]، وقال في وصف سليمان: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب} [ص : ٣٠]"[٤].

عن الحسن قال: "إن الله تبارك وتعالى يحتج على الناس يوم القيامة بثلاثة من الأنبياء، فيجيء العبد فيقول: أعطيتني جمالا في الدنيا فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك.

فيقول الله له تبارك وتعالى: الجمال الذي أعطيت في الدنيا أفضل أو الجمال الذي أعطي يوسف؟ فيقول العبد: لا، الجمال الذي أعطي يوسف.

فيقول الله: إن يوسف كان يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك.

ويأتي العبد فيقول: ابتليتني في الدنيا، ولولا ذلك لعملت بطاعتك.

فيقول الله له: البلاء الذي ابتليت به في الدنيا أشد أو البلاء الذي ابتلي به أيوب؟ فيقول العبد: البلاء الذي ابتلي به أيوب.

فيقول الله له تبارك وتعالى: قد كان أيوب يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك.

ويجيء العبد فيقول: أعطيتني ملكا في الدنيا فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك.

فيقول الله تبارك وتعالى: الملك الذي أعطيتك في الدنيا أفضل أو الملك الذي أعطي سليمان؟

فيقول العبد: الملك الذي أعطي سليمان.

فيقول الله: قد كان سليمان يعمل بطاعتي، فيحتج الله عليه بذلك"[٥].

فوائد الآيات:[٤١-٤٤]:

١- تقرير نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طريق هذا القصص الذي لا يتأتى إلا بالوحي الإلهي.

٢- قد يبتلي الله تعالى من يحبه من عباده ليزيد في علو مقامه ورفعة شأنه.

٣- فضل الصبر وعاقبته الحميدة في الدنيا والآخرة.

٤- مشروعية الفتيا وهي خاصة بأهل الفقه والعلم.

٥- وجوب الكفارة على من حنث في يمينه.

القرآن

{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥)} [ص : ٤٥]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- عبادنا وأنبياءنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فإنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} [ص : ٤٥]، أي:" واذكر -أيها الرسول- عبادنا وأنبياءنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب"[٦].

قال مقاتل : "{واذكر} يا محمد صبر {عبادنا إبراهيم} حين ألقي في النار وصبر {إسحاق} للذبح، وصبر {يعقوب} في ذهاب بصره، ولم يذكر إسماعيل بن إبراهيم لأنه لم يبتل"[١].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣١/٥.
(٢) معاني القرآن: ٣٣٥/٤.
(٣) لطائف الإشارات: ٢٥٩/٣.
(٤) تفسيرا لقرطبي: ٢١٥/١٥.
(٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٣٣٤/١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٦.

عن عطاء، سمع ابن عباس، يقرأ: «واذكر عبدنا إبراهيم» قال: «إنما ذكر إبراهيم، ثم ذكر ولده بعده»[٢].

وقرأ ابن كثير: «واذكر عبدنا» على التوحيد، كأنه يوجه الكلام إلى أن إسحاق ويعقوب من ذرّية إبراهيم، وأنهما ذُكِرا من بعده[٣].

قوله تعالى:{أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} [ص : ٤٥]، أي:" فإنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه"[٤].

قال الطبري:" يعني بالأيدي: أهل القوّة على عبادة الله وطاعته. ويعني بالأبصار: أنهم أهل أبصار القلوب، يعني به: أولى العقول للحق"[٥].

واختلف في تفسير قوله تعالى:{أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} [ص : ٤٥]، على وجوه:

أحدها : أن الأيدي: القوة على العبادة ، والأبصار: الفقه في الدين ، قاله ابن عباس[٦].

وقال ابن عباس:" فضِّلوا بالقوّة والعبادة"[٧].

وقال عطاء:" القوة في العبادة والبصر بالدين"[٨].

الثاني : أن الأيدي: القوة في العبادة، والأبصار: البصر في أمر الله. قاله ابن عباس –أيضا[٩].

الثالث : أن الأيدي: القوّة في أمر الله، والأبصار: العقول، قاله مجاهد[١٠].

الرابع: أن القوّة: في طاعة الله، والأبصار: البصر في الحقّ. قاله مجاهد-أيضا-[١١].

الخامس: أن الأيدي: القوّة في طاعة الله، والأبصار: البصر بعقولهم في دينهم. قاله قتادة[١٢]، والسدي[١٣].

قال قتادة:" أعطوا قوة في العبادة، وبصرًا في الدين"[١٤].

قال ابن كثير:" يعني بذلك : العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة"[١٥].

قال الطبري:" ذلك مثل، وذلك أن باليد البطش، وبالبطش تُعرف قوّة القويّ، فلذلك قيل للقويّ: ذو يَدٍ؛ وأما البصر، فإنه عنى به بصر القلب، وبه تنال معرفة الأشياء، فلذلك قيل للرجل العالم بالشيء: يصير به"[١٦].

القرآن

{إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧)} [ص : ٤٦-٤٧]

التفسير:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٦٤٨-٦٤٩.
(٢) تفسير الطبري: ٢١/٢١٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢١٤.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٥) تفسير الطبري: ٢١/٢١٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢١٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٢١/٢١٥.
(٨) رواه مقاتل بن سليمان في التفسير: ٣/٦٤٩.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٦٥):ص١٠/٣٢٤٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢١٦.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢١٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢١٦ .
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢١٦ .
(١٤) أخرجه الطبري: ٢١/٢١٦ .
(١٥) تفسير ابن كثير: ٧/٧٦.
(١٦) تفسير الطبري: ٢١/٢١٦.

إنا خصصناهم بخاصة عظيمة، حيث جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، فعملوا لها بطاعتنا، ودعوا الناس إليها، وذكَّروهم بها. وإنهم عندنا لمن الذين اصطفيناهم لرسالتنا، واخترناهم لطاعتنا.

قوله تعالى:{إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} [ص : ٤٦]، أي:" إنا خصصناهم بخاصة عظيمة، حيث جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، فعملوا لها بطاعتنا، ودعوا الناس إليها، وذكَّروهم بها"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنا خصصناهم بخاصة: ذكر الدار"[٢].

وقرأ أهل الحجاز: «بخالصة ذكرى الدار» فأضاف «خالصة» إلى «ذكرى الدار»[٣]. الدار»[٣]. قال الفراء:" وهو وجه حسن"[٤].

وفي قوله تعالى:{إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} [ص : ٤٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: أنهم كانوا يذَكِّرون الناس الدار الآخرة، ويدعونهم إلى طاعة الله، والعمل للدار الآخرة. قاله قتادة[٥]، وهو معنى قول ابن عباس[٦].

قال قتادة:" بهذه أخلصهم الله، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله"[٧].

قال ابن عباس:" أخلصوا بذلك وبذكرهم دار يوم القيامة"[٨].

وقال سهل بن عبدالله:" أخلص إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عن ذكر الدنيا بذكره خالصة، لا لمال جزاء، ولا شاهدوا فيه أنفسهم، بل ذكروه به له، وليس من ذكر الله بالله كمن ذكر الله بذكر الله، والله سبحانه وتعالى أعلم"[٩].

الثاني : أخلصناهم بذكر الآخرة، فليس لهم ذكر غيرها، قاله مجاهد[١٠]، وعطاء، والسدي[١١].

قال السدي:" بذكرهم الدار الآخرة، وعملهم للآخرة"[١٢].

قال مقاتل:"يقول: وجعلناهم أذكر الناس لدار الآخرة يعني الجنة"[١٣].

وكان الفضيل بن عياض يقول: "هو الخوف الدائم في القلب"[١٤].

وقال مالك:" نزع الله ما في قلوبهم من الدنيا وذكرها، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها"[١٥].

قال الزجاج:" إنا أخلصناهم جعلناهم لنا خالصين، بأن جعلناهم يذكرون بالدار الآخرة، ويزهدون في الدنيا، وكذلك شأن الأنبياء صلوات الله عليهم"[١٦].

وهذان القولان على تفسير قراءة «بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ»، بالتنوين[١٧].

الثالث: اصطفيناهم لأفضل ما في الآخرة وأعطيناهم ، قاله ابن زيد[١٨].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٢) تفسير الطبري: ٢١٧/٢١.
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٤٠٧/٢، وتفسير الطبري: ٢١٧/٢١.
(٤)معاني القرآن: ٤٠٧/٢ .
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢١٧/٢١.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٦٦):ص٣٢٤٦/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢١٧/٢١.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٦٦):ص٣٢٤٦/١٠.
(٩) تفسير التستري: : ١٣٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢١٧/٢١-٢١٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢١٨/٢١.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢١.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٩/٣.
(١٤) زاد المسير: ٥٧٨/٣.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٠٥/٥.
(١٦) معاني القرآن: ٣٣٦/٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢١٨/٢١.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢١٨/٢١.

وهذا القول على قراءة من قرأه بالإضافة: «بِخَالِصَة ذِكْرَى الدَّارِ»(1).
الرابع : أي: يكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله جل وعز. حكاه الزجاج(2).
الخامس : إنا أخلصناهم بخالصة عُقْبَى الدار. وهذا قول سعيد بن جبير(3).
السادس : إنا اخلصناهم بخالصة أهل الدار. قاله مجاهد-في رواية خرى-(4).
قال مجاهد:" هم أهل الدار؛ وذو الدار"(5).
السابع: أي: أخلصناهم من العاهات والآفات وجعلناهم ذاكرين الدار الآخرة ، حكاه النقاش(6).
قال ابن الجوزي:" تحتمل قراءة من نوّن وجهين:
أحدهما: أن تكون «ذكرى» بدلا من «خالصة» ، والتقدير: أخلصناهم بذكر الدار.
والثاني: أن يكون المعنى: أخلصناهم بأن يذكروا الدار بالتأهب للآخرة والزهد في الدنيا.
ومن أضاف، فالمعنى: أخلصناهم بإخلاصهم ذكرى الدار بالخوف منها"(7).
قال الطبري:" وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتنوين أن يقال: معناه: إنا أخلصناهُمْ بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، فعملوا لها في الدنيا، فأطاعوا الله وراقبوه؛ وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضا الدعاء إلى الله وإلى الدار الآخرة، لأن ذلك من طاعة الله، والعمل للدار الآخرة، غير أن معنى الكلمة ما ذكرت. وأما على قراءة من قرأه بالإضافة، فأن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة ما ذكر في الدار الآخرة؛ فلمَّا لم تُذْكر"في" أضيفت الذكرى إلى الدار كما قد بيَّنا قبل في معنى قوله: {لا يَسْأَمُ الإنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ} وقوله: {بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ}"(8).
قوله تعالى:{وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ} [ص : ٤٧]، أي:" وإنهم عندنا لمن الذين اصطفيناهم لرسالتنا، واخترناهم لطاعتنا"(9).
قال الطبري:" يقول: وإن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الأخيار، الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا إلى خلقنا"(10).
قال ابن كثير:" أي : لمن المختارين المجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون"(11).
قال مقاتل:" اختارهم الله على علم للرسالة"(12).
قال الزجاج:" أي: الذين اتخذهم الله صفوة، صفاهم من الأدناس كلها وأخلصهم منها"(13).

القرآن
{وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨)} [ص : ٤٨]
التفسير:
واذكر -أيها الرسول- عبادنا: إسماعيل، واليسع، وذا الكفل، بأحسن الذكر؛ إن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال والصفات.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢١٨/٢١.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٣٣٦/٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١٩/٢١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢١٩/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ٢١٩/٢١.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٠٥/٥.
(٧) زاد المسير: ٥٧٨/٣.
(٨) تفسير الطبري: ٢١٩/٢١.
(٩) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(١٠) تفسير الطبري: ٢١٩/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ٧٧/٧.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٩/٣.
(١٣) معاني القرآن: ٣٣٦/٤.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ} [ص : ٤٨]، أي:" واذكر -أيها الرسول- عبادنا: إسماعيل، واليسع، وذا الكفل، بأحسن الذكر"[١].

قال مقاتل:" واذكر صبر «إسماعيل» -هو أشويل بن هلقانا-، وصبر اليسع، وصبر «ذا الكفل»"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: واذكر يا محمد إسماعيل واليسع وذا الكفل، وما أبلوا في طاعة الله، فتأسَّ بهم، واسلك منهاجَهم في الصبر على ما نالك في الله، والنفاذ لبلاغ رسالته"[٣].

قال البغوي:" {وإسماعيل} وهو ولد إبراهيم، {واليسع} وهو ابن أخطوب بن العجوز، {ويونس} وهو يونس بن متى، {ولوطا} وهو لوط بن هاران بن أخي إبراهيم"[٤].

عن إبراهيم أنه قرأ: «وَاللَّيْسَعَ» بلامين، وبالتشديد"[٥].

وفي قوله تعالى: «وَذَا الْكِفْلِ»، قولان:

أحدهما: أنه كان عبدا صالحا، ولم يكن نبيا. قاله أبو موسى الأشعري[٦]، ومجاهد[٧].

وفي تسميته :«ذو الكفل»، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رجلا كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي، فكفل بصلاته، فسمي: ذا الكفل، قاله أبو موسى الأشعري[٨].

الثاني: أنه تكفل للنبي بقومه أن يكفيه أمرهم ويقيمه ويقضي بينهم بالعدل ففعل، فسمي: ذا الكفل، قاله مجاهد[٩].

وقال ابن عباس:" كان قاض في بني إسرائيل، فحضره الموت فقال: من يقوم مقامي على إن لا يغضب؟ قال: فقال رجل: أنا فسمى ذا الكفل قال: فكان ليله جميعا يصلي، ثم يصبح صائما فيقضي بين الناس. قال: وله ساعة يقيلها قال: فكان كذلك، فأتاه الشيطان عند نومته فقال له أصحابه: مالك؟ قال: إنسان مسكين له على رجل حق، وقد غلبني عليه، قالوا: كما أنت حتى يستيقظ، قال: وهو فوق نائم- قال: فجعل يصيح عمدا حتى يوقظه قال: فسمع، فقال: مالك؟ قال: إنسان مسكين، له على رجل حق قال: اذهب فقل له: يعطيك، قال: قد أبي قال: اذهب أنت إليه قال: فذهب، ثم جاء من الغد فقال: مالك؟ قال: ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأسا. قال: اذهب إليه فقل له: يعطيك حقك، قال: فذهب، ثم جاء من الغد حين قال: قال: فقال له أصحابه: اخرج فعل الله بك، تجيء كل يوم حين ينام، لا تدعه ينام؟ فجعل يصيح: من أجل أني إنسان مسكين لو كنت غنيا؟ قال: فسمع أيضا، فقال: مالك؟ قال: ذهبت إليه فضربني، قال: امش حتى أجئ معك قال: فهو ممسك بيده فلما راه ذهب معه نثر يده منه ففر"[١٠].

الثالث: أن ملكا قتل في يوم ثلاثمائة نبي، وفر منه مائة نبي، فكفلهم ذو الكفل يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا، فسمي ذا الكفل، قاله ابن السائب[١١].

القول الثاني: أنه كان نبيا، قاله الحسن[١٢]، وعطاء[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٩/٣.
(٣) تفسير الطبري :٢٢٠/٢١.
(٤) تفسير البغوي:١٦٥/٣.
(٥) رواه الفراء في معاني القرآن: ٤٠٧/٢-٤٠٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١٨-٥١١.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١٨-٥١١.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١٨.
(١٠) اخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧٠٣):ص٢٤٦٢/٨.
(١١) انظر: زاد المسير:٢٠٧/٣.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٤٦٤/٣، وزاد المسير:٢٠٧/٣.
(١٣) انظر: زاد المسير:٢٠/٣-٢٠٨.

قال عطاء: "أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: إني أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك بأنه يصلي الليل لا يفتر، ويصوم النهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، ونبأه، وسمي: ذا الكفل"(١).

قوله تعالى:{وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ} [ص : ٤٨]، أي:" إن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال والصفات"(٢).

قال مقاتل:" اختارهم الله- عز وجل- للنبوة فاصبر يا محمد على الأذى كما صبر هؤلاء الستة على البلاء"(٣).

القرآن

{هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١)} [ص : ٤٩-٥١]

التفسير:

هذا القرآن ذِكْر وشرف لك -أيها الرسول- ولقومك. وإن لأهل تقوى الله وطاعته لَحسنَ مصير عندنا في جنات إقامة، مفتَّحة لهم أبوابها، متكئين فيها على الأرائك المزيَّنات، يطلبون ما يشتهون من أنواع الفواكه الكثيرة والشراب، من كل ما تشتهيه نفوسهم، وتلذه أعينهم.

قوله تعالى:{هَذَا ذِكْرٌ} [ص : ٤٩]، أي:" هذا القرآن ذِكْر وشرف لك -أيها الرسول- ولقومك"(٤).

قال مقاتل:" يعني: هذا بيان الذي ذكر الله من أمر الأنبياء فى هذه السورة"(٥).

قال ابن كثير:" أي : هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر"(٦).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد ذكر لك ولقومك، ذكرناك وإياهم به"(٧).

قال القشيري:" أي: هذا القرآن فيه ذكر ما كان، وذكر الأنبياء والقصص، ويقال إنّه شرف لك لأنه معجزة تدل على صدقك"(٨).

عن السديّ: "{هَذَا ذِكْرُ}، قال: القرآن"(٩).

قال الزمخشري:" أى: هذا نوع من الذكر وهو القرآن، لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه، وهو باب من أبواب التنزيل، ونوع من أنواعه، وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر، وهو ذكر الجنة وأهلها، «١» قال: هذا ذكر، ثم قال: {وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ}، كما يقول الجاحظ في كتبه: فهذا باب، ثم يشرع في باب آخر، ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر: هذا وقد كان كيت وكيت، والدليل عليه: أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار. قال: {هذا وإن للطاغين}. وقيل: معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا"(١٠).

قوله تعالى:{وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ} [ص : ٤٩-٥٠]، أي:" وإن لأهل تقوى الله وطاعته لَحسنَ مصير عندنا في جنات إقامة، مفتَّحة لهم أبوابها"(١١).

---

(١)زاد المسير:٣/٢٠-٢٠٨.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٦٤٩-٦٥٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٦٥٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٧/٧٧.
(٧) تفسير الطبري :٢١/٢٢٠.
(٨) لطائف الإشارات: ٣/٢٦٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٢١/٢٢٠.
(١٠) الكشاف: ٤/١٠٠.
(١١) التفسير الميسر: ٤٥٦.

قال الطبري:" يقول: وإن للمتقين الذين اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، لحسنَ مَرْجع يرجعون إليه في الآخرة، ومَصِير يصيرون إليه: بساتينُ إقامة مفتحة لهم أبوابها"[١].

قال القشيري:" وإن للذين يتّقون المعاصي لحسن المنقلب، [جنات عدن] إذا جاءوها لا يلحقهم ذلّ الحجاب، ولا كلفة الاستئذان، تستقبلهم الملائكة بالترحاب والتبجيل"[٢].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم في الدار الآخرة { لَحُسْنَ مَآبٍ } وهو : المرجع والمنقلب. ثم فسره بقوله : { جَنَّاتِ عَدْنٍ}، أي : جنات إقامة مفتحة لهم الأبواب. والألف واللام -هنا-بمعنى الإضافة، كأنه يقول : «مفتحة لهم أبوابها»، أي : إذا جاءوها فتحت لهم أبوابها"[٣].

قال مقاتل:" {وإن للمتقين} من هذه الأمة في الآخرة {لحسن مآب}، يعني: مرجع"[٤].

عن السديّ، قوله: "{وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ}، قال: لحسن منقلب"[٥].

عن الحسن:" أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، يقال لها: انفتحي، انفقلي، تكلم فتفهم وتتكلم"[٦].

عن الوليد بن مسلم قال: سألت زهير بن محمد عن قوله- تعالى-: {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا}، قال: ليس فى الجنة ليل، هم في نور أبدا ولهم مقدار الليل بإرخاء الحجب ومقدار النهار"[٧].

عن عبد الله بن عمرو، قال : قال رسول الله ﷺ : "إن في الجنة قصرا يقال له : "عدن" حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب عند كل باب خمسة آلاف حبَرَة لا يدخله - أو : لا يسكنه - إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عدل"[٨].

قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ فِيهَا} [ص : ٥١]، أي:" متكئين فيها على الأرائك المزيَّنات"[٩].

قال الطبري:" يقول: متكئين في جنات عدن، على سُرر"[١٠].

قال ابن كثير:" قيل : متربعين فيها على سرر تحت الحجال"[١١].

قوله تعالى:{يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ} [ص : ٥١]، أي:" يطلبون ما يشتهون من أنواع الفواكه الكثيرة والشراب"[١٢].

قال الطبري:" يدعون فيها بثمار من ثمار الجنة كثيرة، وشراب من شرابها"[١٣].

قال ابن كثير:"{ بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ}، أي : مهما طلبوا وجدوا وحضر كما أرادوا. { وَشَرَابٍ } أي : من أي أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام { بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ } [الواقعة : ١٨]"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢٠/٢١-٢٢١.
(٢) لطائف الإشارات: ٢٦٠/٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٧٧/٧.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٠/٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٢٠/٢١.
(٦) رواه عنه مقاتل بن سليمان في التفسير: ٦٥٠/٣.
(٧) رواه عنه مقاتل بن سليمان في التفسير: ٦٥٠/٣.
(٨) رواه ابن ابي حاتم كما تفسير ابن كثير: ٧٧/٧، ورواه البزار في مسنده برقم (١٥٩١) "كشف الأستار" من من طريق محمد بن ثواب به ، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٦/٥) : "فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف".
(٩) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(١٠)تفسير الطبري: ٢٢٢/٢١ .
(١١) تفسير ابن كثير: ٧٧/٧.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(١٣)تفسير الطبري: ٢٢٢/٢١ .
(١٤) تفسير ابن كثير: ٧٨/٧.

القرآن

{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢)} [ص : ٥٢]

التفسير:

وعندهم نساء قاصرات أبصارهن على أزواجهن متساويات في السن.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: عند هؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف في هذه الآية من إسكانهم جنات عدن، نساء قصرت أطرافهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم، ولا يمددن أعينهن إلى سواهم، وقوله {أَتْرَابٌ}، يعني: أسنان واحدة"(١).

قال ابن كثير:" {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}، أي : عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن { أَتْرَابٌ}، أي : متساويات في السن والعمر"(٢).

قال قتادة:" قصرن طرفهم على أزواجهم، فلا يردن غيرهم"(٣).

قال السدي:" قصرن أبصارهنّ وقلوبهنّ وأسماعهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم"(٤).

عن ابن عباس:"{أَتْرَابٌ}، قال: أمثال"(٥). وروي عن مجاهد مثله(٦).

عن السديّ: "{أَتْرَابٌ}، قال: مستويات"(٧).

عن قتادة: "{أَتْرَابٌ}: سن واحدة"(٨).

قال القشيري:" «أَتْرابٌ» : لدات مستويات في الحسن والجمال والشكل"(٩).

قال الزمخشري:" وانما جعلن على سنّ واحدة، لأن التحاب بين الأقران أثبت. وقيل: هنّ أتراب لأزواجهن، أسنانهنّ كأسنانهم"(١٠).

القرآن

{هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤)} [ص : ٥٣-٥٤]

التفسير:

هذا النعيم هو ما توعدون به -أيها المتقون- يوم القيامة، إنه لَرزقنا لكم، ليس له فناء ولا انقطاع.

قوله تعالى:{هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ} [ص : ٥٣]، أي:" هذا النعيم هو ما توعدون به -أيها المتقون- يوم القيامة"(١١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هذا الذي يعدكم الله في الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم في الآخرة"(١٢).

قال الزمخشري:" هذا ما تدخرونه ليوم تجزى كل نفس ما عملت"(١٣).

قال القرطبي:" أي: هذا الجزاء الذي وعدتم به"(١٤).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢٢/٢١.
(٢) تفسير ابن كثير: ٧٨/٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٢٢/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢١.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٦٦):ص٣٢٤٦/١٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢١.
(٩) لطائف الإشارات: ٢٦٠/٣.
(١٠) الكشاف: ١٠٠/٤.
(١١) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٢٣/٢١.
(١٣) الكشاف: ١٠٠/٤.
(١٤)تفسير القرطبي: ٢٢٠/١٥ .

قال ابن كثير:" أي : هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة التي وعدها لعباده المتقين التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار "[١].

وقراءة العامة :«ما توعدون» بالتاء، أيها المؤمنون. وقرأ ابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو ويعقوب:{ما توعدون}، بالياء على الخبر، وهي قراءة السلمي واختيار أبي عبيد وأبي حاتم، لقوله تعالى:" وإن للمتقين لحسن مآب" فهو خبر[٢].

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ} [ص : ٥٤]، أي:" إنه لَرزقنا لكم، ليس له فناء ولا انقطاع"[٣].

قال الطبري: يقول:" إن هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في جنَّات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب، والقاصرات الطرف، ومكنَّاهم فيها من الوصول إلى اللّذات وما اشْتهته فيها أنفسهم لرزقنا، رزقناهم فيها كرامة منا لهم، ليس له عنهم انقطاع ولا له فناء، وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها، فأكلوها، عادت مكانها أخرى مثلها، فذلك لهم دائم أبدا، لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه فى الدنيا، فانقطع بالفناء، ونَفِد بالإنفاد"[٤].

قال ابن كثير:" أخبر عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء فقال : { إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ } كقوله تعالى : {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ } [النحل : ٩٦] وكقوله {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } [هود : ١٠٨]، وكقوله { لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } [فصلت : ٨] أي : غير مقطوع، وكقوله : { أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ } [الرعد : ٣٥] والآيات في هذا كثيرة جدا"[٥].

قال الزجاج:" أعلم الله - عز وجل - أن نعيم أهل الجنة غير منقطع"[٦].

عن قتادة: "{مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ}، أي: ما له انقطاع"[٧].

قال السدي:" رزق الجنة، كلما أخذ منه شيء عاد مثله مكانه، ورزق الدنيا له نفاد"[٨].

فوائد الآيات:[٤٥-٥٤]:

١- فضيلة القوة في العبادة والبصيرة في الدين وفي الحديث "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"[٩].

٢- فضل ذكر الدار الآخرة وتذكرها دائماً لأنها تساعد على الطاعة.

٣- فضل التقوى وأهلها وبيان ما اعد لهم يوم الحساب.

٤- نعيم الآخرة لا ينفد كأهلها لا يموتون ولا يهرمون.

٥- فضيلة الائتساء بالصالحين والاقتداء في الخير بهم وهم أولوا القوة في العبادة والبصيرة في الدين.

القرآن

{هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦)} [ص : ٥٥-٥٦]

التفسير:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٧٨/٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٢٢٠/١٥.

(٣) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٤) تفسير الطبري: ٢٢٣/٢١-٢٢٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٧٨/٧.

(٦) معاني القرآن: ٣٣٨/٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٢٤/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٢٤/٢١.

(٩)أخرجه أحمد (٣٦٦/٢، رقم ٨٧٧٧) ، ومسلم (٢٠٥٢/٤، رقم ٢٦٦٤) ، وابن ماجه (١٣٩٥/٢، رقم ٤١٦٨) . وأخرجه أيضًا: الحميدى (٤٧٤/٢، رقم ١١١٤) ، والنسائى فى الكبرى (١٥٩/٦، رقم ١٠٤٥٧) ، وأبو يعلى (١٢٤/١١، رقم ٦٢٥١) ، وابن حبان (٢٨/١٣، رقم ٥٧٢١) ، والحكيم (٤٠٤/١) ، والديلمى (١٨٧/٤، رقم ٥٨٠) ، والبيهقى (٨٩/١٠، رقم ١٩٩٦٠).

هذا الذي سبق وصفه للمتقين. وأما المتجاوزون الحدَّ في الكفر والمعاصي، فلهم شر مرجع ومصير، وهو النار يُعذَّبون فيها، تغمرهم من جميع جوانبهم، فبئس الفراش فراشهم.

قوله تعالى:{هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا} [ص : ٥٥-٥٦]، أي:" هذا الذي سبق وصفه للمتقين. وأما المتجاوزون الحدَّ في الكفر والمعاصي، فلهم شر مرجع ومصير، وهو النار يُعذَّبون فيها، تغمرهم من جميع جوانبهم"(١).

قال الطبري: يقول:" {هذا} الذي وصفت لهؤلاء المتقين. وإن للكافرين لشرَّ مَصِير يصيرون إليه يوم القيامة، لأن مصيرهم إلى جهنم، وإليها منقلبهم بعد وفاتهم"(٢).

عن السديّ: "{وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ}، قال: لشرَّ مُنْقَلَب"(٣).

قوله تعالى:{فَبِئْسَ الْمِهَادُ} [ص : ٥٦]، أي:" فبئس الفراش فراشهم"(٤).

قال الطبري: يقول:" فبئس الفراش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم"(٥).

القرآن

{هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨)} [ص : ٥٧-٥٨]

التفسير:

هذا العذاب ماء شديد الحرارة، وصديد سائل من أجساد أهل النار فليشربوه، ولهم عذاب آخر من هذا القبيل أصناف وألوان.

قوله تعالى:{هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ} [ص : ٥٨]، أي:" هذا العذاب ماء شديد الحرارة، وصديد سائل من أجساد أهل النار فليشربوه"(٦).

قال الطبري: يقول:" هذا حميم- وهو الذي قد أغلي حتى انتهى حرّه- وغساق فَلْيذوقوه"(٧).

قال السدي:" الحميم: الذي قد انتهى حَرُّه"(٨).

قال ابن زيد:" الحميم دموع أعينهم، تجمع في حياض النار فيسقونه"(٩).

واختلف في قوله تعالى:{وَغَسَّاقٌ} [ص : ٥٨]، على أقوال:

أحدها: أنه ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم. ورواه الضحاك عن ابن عباس(١٠)، وعبد الله بن عمرو(١١)، وبه قال قاله قتادة(١٢)، وابن زيد(١٣).

قال ابن زيد:" «الغساق» : الصديد الذي يجمع من جلودهم مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه"(١٤).

وقال عبد الله بن عمرو: "هو القَيْح الغليظ، لو أن قطرة منه تُهَرَاق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، ولو تُهَرَاق في المشرق لأنتنت أهل المغرب"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٢) تفسير الطبري: ٢٢٤/٢١، ٢٢٥.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٢٤/٢١.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٥) تفسير الطبري: ٢٢٥/٢١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٧) تفسير الطبري: ٢٢٥/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٥٨٠/٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١-٢٢٧.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٦/٢١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١-٢٢٧.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١-٢٢٧.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١-٢٢٧.

الثاني: أنه ما يسيل من دموعهم، يسقونه مع الحميم. قاله السدي[١].
وقال إبراهيم:" «الغسَّاق»: ما يسيل من سُرْمهم، وما يسقط من جلودهم"[٢].
الثالث : أن«الغساق»: عين في جهنم يسيل إليها حُمَّةُ كل ذات حُمَة من حية أو عقرب أو غيرها، فيستنقع فيؤتي بالآدمي، فيُغْمَس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام. حتى يتعلق جلده في كعبيه وعقبيه، وينجر لحمه كجر الرجل ثوبه. قاله كعب[٣].
الرابع : أن«الغساق»: البارد الذي لا يستطاع من برده. قاله مجاهد[٤]، والضحاك[٥].
وقال الضحاك:" الغسَّاق: أبرد البرد"[٦].
وروي ابن ابي طلحة عن ابن عباس: أنه«الزمهرير»[٧].
الخامس: انه المُنْتِن. قاله عبد الله بن بُرَيدة[٨].
عن أبي سعيد الخدريّ، أن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال:"لَوْ أنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهَراقُ فِي الدُّنْيا لأنْتَنَ أهْلَ الدُّنْيا"[٩].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغُسُوق، وإن كان للآخر وجه صحيح"[١٠].
قوله تعالى:{وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} [ص : ٥٨]، أي:" ولهم عذاب آخر من هذا القبيل أصناف وألوان"[١١].
عن ابن عباس، قوله :"{وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ}، يقول: من نحوه"[١٢].
عن ابن زيد، قوله: {وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ}، قال:" من كُلّ شَكْلٍ ذلك العذاب الذي سمي الله، أزواج لم يسمها الله، قال: والشَّكل: الشبيه"[١٣]، قوله :"{أَزْوَاجٌ} قال: أزواج من العذاب في النار"[١٤].
عن قتادة: "{أَزْوَاجٌ}: زوج زوج من العذاب"[١٥].
عن الحسن، قوله: "{وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ}، قال: ألوان من العذاب"[١٦].
قال الحسن:" ذكر الله العذاب، فذكر السلاسل والأغلال، وما يكون في الدنيا، ثم قال: {وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ}، قال: وآخر لم ير في الدنيا"[١٧].
عن عبد الله: "{وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ}، قال: الزمهرير"[١٨].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٦/٢١-٢٢٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٧/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٧/٢١.
(٦) اخرجه الطبري: ٢٢٧/٢١.
(٧) انظر: زاد المسير: ٥٧٩/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٧/٢١-٢٢٨. وقال «وهو بالطُّخارية»، قال المحقق:" لعله يريد بالطخارية: المنسوبة إلى طخارستان، بضم أوله، وهو إقليم من بلاد العجم، شرقي جرجان يريد أن لفظة"غساق" ليست عربية الأصل".
(٩) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢١.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٢٨/٢١.
(١١) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢١.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢١.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢١.
(١٦) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢١.
(١٧) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢١.
(١٨) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢١.

القرآن

{هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ (٥٩)} [ص : ٥٩]

التفسير:

وعند توارد الطاغين على النار يَشْتم بعضهم بعضًا، ويقول بعضهم لبعض: هذه جماعة من أهل النار داخلة معكم، فيجيبون: لا مرحبًا بهم، ولا اتسعت منازلهم في النار، إنهم مقاسون حرَّ النار كما قاسيناها.

قوله تعالى:{هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ} [ص : ٥٩]، أي:" وعند توارد الطاغين على النار يَشْتم بعضهم بعضًا، ويقول بعضهم لبعض: هذه جماعة من أهل النار داخلة معكم، فيجيبون: لا مرحبًا بهم، ولا اتسعت منازلهم في النار"[١].

قال الطبري: يعني:" هذا فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار- وذلك دخول أمة من الأمم الكافرة بعد أمة- ويعني بقولهم: {لا مَرْحَبًا بِهِمْ} لا اتسعت بهم مداخلهم"[٢].

قال السمعاني:" أي: فوج مقتحم معكم بعد الفوج الأول، والاقتحام: هو الدخول"[٣].

قال الزمخشري:أي:" هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار، أي: دخل النار في صحبتكم وقرانكم، والاقتحام: ركوب الشدة والدخول فيها. والقحمة: الشدة"[٤].

قال ابن كثير:" هذا إخبار عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى : { كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا } [الأعراف : ٣٨] يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية : { هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ } أي : داخل معكم {لا مَرْحَبًا بِهِمْ..}"[٥].

قال ابن الجوزي:" الفوج: الجماعة من الناس وجمعه: أفواج. والمقتحم: الداخل في الشيء رميا بنفسه"[٦].

قال أبو عبيدة:" تقول العرب للرجل: لا مرحبا بك، أي: لا رحبت عليك، أي: لا اتسعت. قال أبو الأسود[٧]:

إذا جئت بوّابا له قال مرحبا ... ألا مرحب واديك غير مضيّق"[٨].

قال ابن السائب: "إنهم يضربون بالمقامع، فيلقون أنفسهم في النار ويثبون فيها خوفا من تلك المقامع"[٩].

قال الشوكاني:" وهذا إخبار من الله سبحانه بانقطاع المودة بين الكفار، وأن المودة التي كانت بينهم تصير عداوة"[١٠].

وفي القائل{هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ} [ص : ٥٩]، أقوال[١١]:

أحدها : الملائكة قالوا لبني إبليس لما تقدموا في النار هذا فوج مقتحم معكم إشارة لبني آدم حين دخلوها . قال بنو إبليس{لا مرحَباً بهم إنهم صالوا النار}، {قالوا}، -أي: بنو آدم- {بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار}.

وحكي السمعاني: " الفوج الأول هم بنو إسرائيل، والفوج الثاني هم بنو آدم "[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٢) تفسير الطبري: ٢٣٠/٢١.
(٣) تفسير السمعاني: ٤٥٠/٤.
(٤) الكشاف: ١٠١/٤-١٠٢.
(٥) تفسير ابن كثير: ٧٩/٧.
(٦) زاد المسير: ٥٨٠/٣.
(٧)في شعره المطبوع فى مجلة فى ٢٧/ ٣٩١ وديوانه المطبوع ببغداد ص ٢٢٩ والبيت فى الكتاب ١/ ١٢٥ والشنتمرى ١/ ١٤٩ والعجز فقط فى الطبري ٢٣/ ١٠٣].
(٨) مجاز القرآن: ١٨٦/٢.
(٩) نقلا عن: زاد المسير: ٥٨٠/٣.
(١٠) فتح القدير: ٥٠٧/٤.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٠٨/٥، و زاد المسير: ٥٨٠/٣، وفتح القدير للشوكاني: ٥٠٧/٤.

الثاني : أن الله قال للفوج الأول حين أمر بدخول الفوج الثاني:{هذا فوج مقتحم معكم}، فأجابوه:{لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار}، فأجابهم الفوج الثاني:{بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا}.

الثالث: أنه قول الملائكة لأهل النار كلما جاءوهم بأمة بعد أمة.

قال الفراء:" هي الأمة تدخل بعد الأمة النار"[2].

قال ابن زيد:" الفوج: القوم الذين يدخلون فوجا بعد فوج، وقرأ: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} التي كانت قبلها"[3].

عن قتادة، قوله :"{هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ} في النار، {لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ} .. حتى بلغ: {فَبِئْسَ الْقَرَارُ}، قال: هؤلاء التباع يقولون للرءوس"[4].

الرابع: أنه قول الزبانية للقادة المتقدمين في الكفر إذا جاءوهم بالأتباع.

قال الزجاج:" الفوج: هم تباع الرؤساء وأصحابهم في الضلالة"[5].

قال مقاتل:" القادة فى الكفر المطعمين في غزاة بدر والمستهزئين من رؤساء قريش دخلوا النار قبل الأتباع، فقالت الخزنة للقادة وهم في النار: {هذا فوج}، يعني: زمرة، {مقتحم معكم}، النار إضمار يعنون: الأتباع. قالت القادة: لا مرحبا بهم"[6].

قال الزمخشري:" هذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض، أى: يقولون هذا. والمراد بالفوج: أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة، فيقتحمون معهم العذاب، {لا مَرْحَباً بِهِمْ}، دعاء منهم على أتباعهم. تقول لمن تدعو له: مرحبا، أى: أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا: أو رحبت بلادك رحبا، ثم تدخل عليه «لا» في دعاء السوء وبِهِمْ بيان للمدعو عليهم"[7].

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ} [ص : ٥٩]، أي:" إنهم مقاسون حرَّ النار كما قاسيناها"[8].

قال مقاتل:" قال الخزنة: {إنهم صالوا النار} معكم"[9].

قال الطبري:" يقول: إنهم واردو النار وداخلوها"[10].

قال البغوي:" أي: داخلوها كما صلينا"[11].

قال ابن كثير:" أي: لأنهم من أهل جهنم"[12].

قال الزمخشري:" تعليل لاستيجابهم للدعاء عليهم، قيل: {هذا فوج مقتحم معكم}: كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم. {ولا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ} كلام الرؤساء. وقيل: هذا كله كلام الخزنة "[13].

القرآن

{قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠)} [ص : ٦٠]

التفسير:

---

(١) تفسير السمعاني: ٤٥٠/٤.
(٢) معاني القرآن: ٤١١/٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢١.
(٥) معاني القرآن: ٣٣٩/٤.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥١/٣.
(٧) الكشاف: ١٠١/٤-١٠٢.
(٨) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥١/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٣١/٢١.
(١١) تفسير البغوي: ٩٩/٧.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٧٩/٧.
(١٣) الكشاف: ١٠٢/٤.

قال فوج الأتباع للطاغين: بل أنتم لا مرحبًا بكم؛ لأنكم قدَّمتم لنا سكنى النار لإضلالكم لنا في الدنيا، فبئس دار الاستقرار جهنم.

قوله تعالى:{قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا} [ص : ٦٠]، أي:" قال فوج الأتباع للطاغين: بل أنتم لا مرحبًا بكم؛ لأنكم قدَّمتم لنا سكنى النار لإضلالكم لنا في الدنيا"(١).

قال النحاس:" أي: دعوتمونا إلى العصيان"(٢).

قال البغوي:" يقول الأتباع للقادة: أنتم بدأتم بالكفر قبلنا، وشرعتم وسننتموه لنا. وقيل: أنتم قدمتم هذا العذاب لنا، بدعائكم إيانا إلى الكفر"(٣).

قال ابن كثير:" أي : فيقول لهم الداخلون : { بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا } أي : أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير"(٤).

قال الزمخشري:" يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به، وعللوا ذلك بقولهم: {أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا}"(٥).

قوله تعالى:{فَبِئْسَ الْقَرَارُ} [ص : ٦٠]، أي:" فبئس دار الاستقرار جهنم"(٦).

قال الطبري:" يقول: فبئس المكان يُستَقَرُّ فيه جهنم"(٧).

قال البغوي:"أي: فبئس دار القرار جهنم"(٨).

قال ابن كثير:" أي : فبئس المنزل والمستقر والمصير"(٩).

القرآن

{قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١)} [ص : ٦١]

التفسير:

قال فوج الأتباع: ربنا مَن أضلَّنا في الدنيا عن الهدى فضاعِف عذابه في النار.

قال الطبري:" وهذا أيضا قول الفوج المقتحم على الطاغين، وهم كانوا أتباع الطاغين في الدنيا، يقول جل ثناؤه: وقال الأتباع: {رَبَّنَا}: من قدم لنا هذا العذاب الذي وردناه، فأضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها، وهذا أيضا من دعاء الأتباع للمتبوعين"(١٠).

قال السمعاني:" أي: قال الأتباع: ربنا من قدم لنا هذا؟ فضاعف عليه العذاب في النار"(١١).

قال الواحدي:" قالت الأتباع: {ربنا من قدم لنا هذا} من شرع وسن لنا هذا الكفر، {فزده عذابا ضعفا}، أي: مضاعفا، أي: زدهم على عذابهم عذابا آخر في النار"(١٢).

قال القشيري:" فيقال لهم: كلّكم فيها، ولن يفتر العذاب عنكم"(١٣).

قال الزجاج:" أي: زده على عذابه عذابا آخر، ودليل هذا قوله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ}[الاحزاب: ٦٧-٦٨]، ومعنى «صعفين» معنى: «فزده عذابا ضعفا»"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٢) إعراب القرآن: ٣١٦/٣.
(٣) تفسير البغوي: ٩٩/٧.
(٤) تفسير ابن كثير: ٧٩/٧.
(٥) الكشاف: ١٠٢/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٦.
(٧) تفسير الطبري: ٢٣١/٢١.
(٨) تفسير البغوي: ٩٩/٧.
(٩) تفسير ابن كثير: ٧٩/٧.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٣١/٢١-٢٣٢.
(١١) تفسير السمعاني: ٤٥١/٤.
(١٢) التفسير الوسيط: ٥٦٤/٣.
(١٣) لطائف الإشارات: ٢٦١/٣.

عن مجاهد:" {عذابا ضعفا}، قال: مضاعفا"[2].
عن ابن مسعود، قوله: "{فزده عذابا ضعفا في النار}، قال: أفاعي وحيات"[3].

القرآن

{وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (٦٣)} [ص : ٦٢-٦٣]

التفسير:

وقال الطاغون: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالا كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار الأشقياء؟ هل تحقيرنا لهم واستهزاؤنا بهم خطأ، أو أنهم معنا في النار، لكن لم تقع عليهم الأبصار؟

قوله تعالى:{وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ} [ص : ٦٣]، أي:" وقال الطاغون: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالا كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار الأشقياء؟"[4].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال الطاغون الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم في هذه الآيات، وهم فيما ذُكر أبو جهل والوليد بن المُغيرة وذووهما: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالا كنا نعدهم في الدنيا من أشرارنا، وعنوا بذلك فيما ذُكر صُهَيْبا وخَبَّابا وبِلالا وسَلْمان"[5].

قال مقاتل:" يعنون فقراء المؤمنين: عمار، وخباب، وصهيب، وبلال، وسالم، ونحوهم"[6].

قال الزمخشري:" يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم، {مِنَ الْأَشْرارِ}: من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى، ولأنهم كانوا على خلاف دينهم، فكانوا عندهم أشرارا"[7].

قال ابن كثير:" هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفقدون رجالا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا : ما لنا لا نراهم معنا في النار؟.. فكل الكفار هذا حالهم : يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا : { مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ}"[8].

قال مجاهد:" ذاك أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة، وذكر أناسا صُهيبا وَعَمَّارًا وخبابا، كنَّا نعدّهم من الأشرار في الدنيا"[9].

وقال مجاهد:" قالوا: أين سَلْمان؟ أين خَبَّاب؟ أين بِلال؟"[10].

عن قتادة: قوله: "{وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ}، قال: فقدوا أهل الجنة"[11].

قوله تعالى:{أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ} [ص : ٦٣]، أي:" هل تحقيرنا لهم واستهزاؤنا بهم خطأ، أو أنهم معنا في النار، لكن لم تقع عليهم الأبصار؟"[12].

قال الطبري:" وقال الطاغون: ما لنا لا نرى سَلْمان وبِلالا وخَبَّابا الذين كنَّا نعدّهم في الدنيا أشرارا، أتخذناهم فيها سُخريا نهزأ بهم فيها معنا اليوم في النار؟"[13].

---

(١) معاني القرآن: ٣٣٩/٤.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٥٣):ص١٤٧٥/٥.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٧٠):ص٣٢٤٧/١٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٥) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢١.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٢/٣.
(٧) الكشاف: ١٠٢/٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٧٩/٧.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢١.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٣٣/٢١.

قال ابن كثير:" {أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ }، أي : في الدنيا، {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ } يسلون أنفسهم بالمحال يقولون : أو لعلهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم. فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات، وهو قوله : {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } إلى قوله : { [وَنَادَى أَصْحَابُ الأعْرَافِ رِجَالا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ. أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ] ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ } [الأعراف : ٤٤ - ٤٩]"(١).

قال الزمخشري:" {أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا}، قرئ بلفظ الإخبار على أنه صفة ل«رجالا»، وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم"(٢).

عن مجاهد: "{أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ}، يقول: أهم في النار لا نعرف مكانهم؟"(٣).

عن مجاهد، قوله:"{أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا}، قال: أخطأناهم، {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ}، ولا نراهم؟"(٤).

عن قتادة: قوله: "{أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا} في الدنيا، {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ}، وهم معنا في النار"(٥).

وقال:" يقولون: "زاغت أبصارنا عنهم ، فلم نرهم حتى دخلوا النار"(٦).

قال الضحاك:" : هم قوم كانوا يسخَرون من محمد وأصحابه، فانطلق به وبأصحابه إلى الجنة وذهب بهم إلى النار فـ {قَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ}، يقولون: أزاغت أبصارنا عنهم فلا ندري أين هم؟"(٧).

قال الفراء:" قرأ أصحاب عبد الله بغير استفهام، واستفهم الحسن وعاصم وأهل المدينة، وهو من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ فهو يجوز بالاستفهام وبطرحه"(٨).

وفي قوله تعالى:{أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ} [ص : ٦٣]، وجهان من الإتصال(٩):

أحدهما: أن يتصل بقوله: {ما لَنا}، أى: مالنا لا نراهم في النار؟ كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها. قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة، وبين أن يكونوا من أهل النار. إلا أنه خفى عليهم مكانهم.

والوجه الثاني: أن يتصل بـ«اتخذناهم سخريا»، إما أن تكون «أم» متصلة على معنى: أي الفعلين فعلنا بهم: الاستسخار منهم، أم الازدراء بهم والتحقير، وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم. على معنى: إنكار الأمرين جميعا على أنفسهم.

القرآن

{إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤)} [ص : ٦٤]

التفسير:

إن ذلك من جدال أهل النار وخصامهم حق واقع لا مرية فيه.

قال مقاتل:" يعني: خصومة القادة والأتباع"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٧٩/٧-٨٠.
(٢) الكشاف: ١٠٢/٤-١٠٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢١-٢٣٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢١.
(٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦١٠):ص١٢٥/٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢١.
(٨) معاني القرآن: ٤١١/٢.
(٩) انظر: الكشاف: ٤/ ١٠٣.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار، ولعْن بعضهم بعضا، ودعاء بعضهم على بعض في النار لحق يقين، فلا تشكُّوا في ذلك، ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار"(٢).

قال ابن كثير:" أي : إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مرية فيه ولا شك"(٣).

قال الزمخشري:" {إِنَّ ذلِكَ}، أي: الذي حكينا عنهم، {لَحَقٌّ}، لا بد أن يتكلموا به، ثم بين ما هو فقال هو :{تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ}، وسمى ذلك تخاصما، لأنه شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك، ولأنّ قول الرؤساء: لا مرحبا بهم، وقول أتباعهم: بل أنتم لا مرحبا بكم، من باب الخصومة، فسمى التقاول كله تخاصما لأجل اشتماله على ذلك "(٤).

عن ابن زيد، قوله "{إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ}، فقرأ: {تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، وقرأ: {يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} .. حتى بلغ: {إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ}، قال: إن كنتم تعبدوننا كما تقولون إن كنا عن عبادتكم لغافلين، ما كنا نسمع ولا نبصر، قال: وهذه الأصنام، قال: هذه خصومة أهل النار، وقرأ: {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}، قال: وضل عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون في الدنيا"(٥).

فوائد الآيات:[٥٥-٦٤]:

١- ذم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الظلم والكفر وبيان جزاء أهله ويوم القيامة.
٢- بيان ما يجري من خصام بين أهل النار للعظة والاعتبار.
٣- شكوى الأتباع ممن اتبعوهم في الضلال ومطالبتهم بمضاعفة العذاب لهم.
٤- تذكر أهل النار فقراء المسلمين الذين كانوا يعدونهم متخلفين ورجعيين لأنهم كانوا لا يأتون الفجور والشرور مثلهم.

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥)} [ص : ٦٥]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لقومك: إنما أنا منذر لكم من عذاب الله أن يحل بكم؛ بسبب كفركم به، ليس هناك إله مستحق للعبادة إلا الله وحده، فهو المتفردُ بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله، القهَّارُ الذي قهر كل شيء وغلبه.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ} [ص : ٦٥]، أي:" قل -أيها الرسول- لقومك: إنما أنا منذر لكم من عذاب الله أن يحل بكم؛ بسبب كفركم به"(٦).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: {قُلْ} يا محمد لمشركي قومك. {إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ} لكم يا معشر قريش بين يدي عذاب شديد، أنذركم عذاب الله وسخطه أن يحلّ بكم على كفركم به، فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة"(٧).

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله : إنما أنا منذر لست كما تزعمون"(٨).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٢/٣.
(٢) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ٨٠/٧.
(٤) الكشاف: ٤/ ١٠٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٧) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢١-٢٣٥.
(٨) تفسير ابن كثير: ٨٠/٧.

قوله تعالى:{وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [ص : ٦٥]، أي:" ليس هناك إله مستحق للعبادة إلا الله وحده، فهو المتفردُ بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله، القهَّارُ الذي قهر كل شيء وغلبه"(١).

قال الطبري:" يقول: وما من معبود تصلح له العبادة، وتنبغي له الربوبية، إلا الله الذي يدين له كل شيء، ويعبدُه كلّ خلق، الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك، ولا ينبغي أن تكون له صاحبة، القهار لكلّ ما دونه بقدرته"(٢).

قال ابن كثير:" أي : هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه"(٣).

القرآن

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦)} [ص : ٦٦]

التفسير:

مالك السموات والأرض وما بينهما العزيز في انتقامه، الغفار لذنوب مَن تاب وأناب إلى مرضاته.

قوله تعالى:{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [ص : ٦٦]، اي:" مالك السموات والأرض وما بينهما العزيز في انتقامه"(٤).

قال الطبري: " يقول: مالك السموات والأرض وما بينهما من الخلق؛ يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الإله الذي لا إله سواه، لا الذي لا يملك شيئا، ولا يضرّ، ولا ينفع"(٥).

قال ابن كثير:" أي : هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه"(٦).

قوله تعالى:{الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} [ص : ٦٦]، اي:" الغفار لذنوب مَن تاب وأناب إلى مرضاته"(٧).

قال الطبري: " يقول: العزيز في نقمته من أهل الكفر به، المدّعين معه إلها غيره، الغفَّار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه، فأناب إلى الإيمان به، والطاعة له بالانتهاء إلى أمره ونهيه"(٨).

قال ابن كثير:" أي : غفار مع عزته وعظمته"(٩).

القرآن

{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨)} [ص : ٦٧-٦٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لقومك: إن هذا القرآن خبر عظيم النفع. أنتم عنه غافلون منصرفون، لا تعملون به.

قوله تعالى:{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ} [ص : ٦٧]، أي:" قل -أيها الرسول- لقومك: إن هذا القرآن خبر عظيم النفع"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٢) تفسير الطبري: ٢٣٥/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ٨٠/٧.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٥) تفسير الطبري: ٢٣٥/٢١.
(٦) تفسير ابن كثير: ٨٠/٧.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٨) تفسير الطبري: ٢٣٥/٢١.
(٩) تفسير ابن كثير: ٨٠/٧.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٧.

قال الطبري: " {قُلْ} يا محمد -لقومك المكذبيك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن، القائلين لك فيه: إن هذا إلا اختلاق-: هذا القرآن خبر عظيم"(١).

قال ابن كثير:" أي : خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله إياي إليكم"(٢).

عن مجاهد، قوله: "{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ}، قال: القرآن"(٣).

عن شريح: "أن رجلا قال له: أتقضي عليّ بالنبأ؟ قال: فقال له شريح: أو ليس القرآن نبأ؟ قال: وتلا هذه الآية: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ}، قال: وقضى عليه"(٤).

قوله تعالى:{أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} [ص : ٦٨]، أي:" أنتم عنه غافلون منصرفون، لا تعملون به"(٥).

قال الطبري:" يقول: أنتم عنه منصرفون لا تعملون به، ولا تصدّقون بما فيه من حجج الله وآياته"(٦).

قال ابن كثير:" أي : غافلون"(٧).

القرآن

{مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩)} [ص : ٦٩]

التفسير:

ليس لي علم باختصام ملائكة السماء في شأن خلق آدم، لولا تعليم الله إياي، وإيحاؤه إليَّ.

قال الطبري:" يقول لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لمشركي قومك: {مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإ الأعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ} في شأن آدم من قبل أن يوحي إلي ربّي فيعلمني ذلك، يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده، لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعاينته، ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي به"(٨).

قال ابن كثير:" أي : لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى ؟ يعني : في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له ، ومحاجته ربه في تفضيله عليه "(٩).

قال القرطبي:" الملأ الأعلى: هم الملائكة في قول ابن عباس والسدي اختصموا في أمر آدم حين خلق فـ {قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها} [البقرة: ٣٠] وقال إبليس:{أنا خير منه} [الأعراف: ١٢] وفي هذا بيان أن محمدا صلى الله عله وسلم أخبر عن قصة آدم وغيره، وذلك لا يتصور إلا بتأييد إلهي، فقد قامت المعجزة على صدقه، فما بالهم أعرضوا عن تدبر القرآن ليعرفوا صدقه، ولهذا وصل قوله بقوله:{قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون}"(١٠).

قال ابن عباس: الملأ الأعلى: الملائكة حين شووروا في خلق آدم، فاختصموا فيه، وقالوا: لا تجعل في الأرض خليفة"(١١).

وقال ابن عباس:" هي الخصومة في شأن آدم أتجعل فيها من يفسد فيها"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٣٥/٢١.
(٢) تفسير ابن كثير: ٨٠/٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٢١-٢٣٦.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٦) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢١.
(٧) تفسير ابن كثير: ٨٠/٧.
(٨) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢١.
(٩) تفسير ابن كثير: ٨٠/٧.
(١٠) تفسير القرطبي: ٢٢٦/١٥.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢١.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٧٢):ص٣٢٤٧/١٠.

قال قتادة:" هم الملائكة، كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة: {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} ... حتى بلغ {سَاجِدِينَ} وحين قال: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} ... حتى بلغ {وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} ففي هذا اختصم الملأ الأعلى"(١).

قال الحسن:" اختصموا إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين للذي خلقه بيده"(٢).

عن السديّ: "{بِالْمَلإِ الأعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ}، هو: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}"(٣).

وروي عن معاذ رضي الله عنه ، قال : "احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس. فخرج رسول الله ﷺ سريعا فَثَوّب بالصلاة فصلى وتَجَوّز في صلاته فلما سلم قال : "كما أنتم على مصافكم". ثم أقبل إلينا فقال : "إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ، إني قمت من الليل فصليت ما قُدّر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي في أحسن صورة فقال : يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت لا أدري رب - أعادها ثلاثا - فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : في الكفارات. قال : وما الكفارات ؟ قلت نقل الأقدام إلى الجمعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات. قال : وما الدرجات ؟ قلت : إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام. قال : سل. قلت اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك". وقال رسول الله ﷺ : "إنها حق فادرسوها وتعلموها"(٤).

قال ابن كثير:" وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن فإن هذا قد فسر وأما الاختصام الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى : {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) }"(٥).

القرآن

{إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠)} [ص : ٧٠]

التفسير:

ما يوحي الله إليَّ مِن عِلْم ما لا علم لي به إلا لأني نذير لكم من عذابه، مبيّن لكم شرعه.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لمشركي قريش: ما يوحي الله إليّ علم ما لا علم لي به، من نحو العلم بالملأ الأعلى واختصامهم في أمر آدم إذا أراد خلقه، إلا أني نذير لكم مبين لكم إلا إنذاركم"(٦).

---

(١) أخرجه الطبري :٢٣٦/٢١-٢٣٧.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦١١):ص١٢٦/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢١.

(٤)المسند (٢٤٣/٥)، وسنن الترمذي برقم (٣٢٣٥) وقال : "سألت محمد بن إسماعيل - يعني : عن هذا الحديث - فقال : "حسن صحيح".

(٥) تفسير ابن كثير: ٨٠/٧-٨١.

(٦) تفسير الطبري: ٢٣٧/٢١.

قال مقاتل:" يعني: إذ يوحى إلي إلا أنما أنا رسول بين"(١).
قال السمعاني: أي: ما يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين"(٢).
قال القرطبي:" أي: إن يوحى إلي إلا الإنذار"(٣).
وقرأ أبو جعفر بن القعقاع" إلا إنما" بكسر الهمزة، لأن الوحي قول، كأنه قال: يقال لي إنما أنت نذير مبين، ومن فتحها جعلها في موضع رفع، لأنها اسم ما لم يسم فاعله(٤).
قال الفراء: "كأنك قلت ما يوحى إلي إلا الإنذار"(٥).

القرآن
{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)} [ص : ٧١-٧٢]
التفسير:
اذكر لهم -أيها الرسول-: حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشرًا من طين. فإذا سوَّيت جسده وخلقه ونفخت فيه الروح، فدبت فيه الحياة، فاسجدوا له سجود تحية وإكرام، لا سجود عبادة وتعظيم؛ فالعبادة لا تكون إلا لله وحده. وقد حرَّم الله في شريعة الإسلام السجود للتحية.
قوله تعالى:{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} [ص : ٧٢]، أي:" اذكر لهم -أيها الرسول-: حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشرًا من طين"(٦).
قال الطبري:" يعني بذلك: خلق آدم"(٧).
قال القرطبي:" المعنى: ما كان لي من علم بالملأ الأعلى حين يختصمون حين{قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين}"(٨).
قال الزجاج:" هم الملأ من الملائكة، وملأ كل قرية وجوههم وأفَاضِلهَم"(٩).
قوله تعالى:{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} [ص : ٧٢]، أي:" فإذا سوَّيت جسده وخلقه ونفخت فيه الروح، فدبت فيه الحياة"(١٠).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فإذا سويت خلقه، وعدلت صورته، ونفخت فيه من روحي"(١١).
قال البيضاوي:" {فإذا سويته}: عدلت خلقته. {ونفخت فيه من روحي}: وأحييته بنفخ الروح فيه، وإضافته الى نفسه لشرفه وطهارته"(١٢).
عن الضحاك: "{وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}، قال: من قدرتي"(١٣).
قال القرطبي:" أي: من الروح الذي أملكه ولا يملكه غيري"(١٤).
قوله تعالى:{فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [ص : ٧٢]، أي:" فاسجدوا له سجود تحية وإكرام"(١٥).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٣/٣.
(٢) تفسير السمعاني: ٤٥٤/٤.
(٣) تفسيرا لقرطبي: ٢٢٧/١٥.
(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ٤٧٩.
(٥) معاني القرآن: ٤١٢/٢.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٧) تفسير الطبري: ٢٣٨/٢١.
(٨) تفسيرا لقرطبي: ١٥/ ٢٢٧.
(٩) معاني القرآن: ٣٤١/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(١١) تفسير الطبري: ٢٣٨/٢١.
(١٢) تفسير البيضاوي: ٣٤/٥.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢١.
(١٤) تفسيرا لقرطبي: ١٥/ ٢٢٧.
(١٥) التفسير الميسر: ٤٥٧.

قال الطبري:يقول:" فاسجدوا له وخِرّوا له سُجَّدا"[١].
قال البيضاوي: أي:" فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له"[٢].
وقال قتادة: فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته"[٣].

القرآن
{فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤)} [ص : ٧٣-٧٤]

التفسير:
فسجد الملائكة كلهم أجمعون طاعة وامتثالا غير إبليس؛ فإنه لم يسجد أَنَفَةً وتكبرًا، وكان من الكافرين في علم الله تعالى.

قوله تعالى:{فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} [ص : ٧٣]، أي:" فسجد الملائكة كلهم أجمعون طاعة وامتثالا"[٤].

قال الطبري: يقول:" فلما سوّى الله خلق ذلك البشر، وهو آدم، ونفخ فيه من روحه، سجد له الملائكة كلهم أجمعون، يعني بذلك: الملائكة الذين هم في السموات والأرض"[٥].

قوله تعالى:{إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [ص : ٧٤]، أي:" لكن إبليس استكبر عن طاعة الله وأبى السجود لآدم فصار من الكافرين"[٦].

قال الطبري: " يقول: غير إبليس، فإنه لم يسجد، استكبر عن السجود له تعظُّمًا وتكبرا، يقول: وكان بتعظُّمه ذلك، وتكبره على ربه ومعصيته أمره، ممن كفر في علم الله السابق، فجحد ربوبيته، وأنكر ما عليه الإقرار له به من الإذعان بالطاعة"[٧].

قال ابن عثيمين:" {فسجدوا}، أي: من غير تأخير؛ فالفاء هنا للترتيب، والتعقيب"[٨].

قال البيضاوي:" تعظم وصار من الكافرين باستنكاره أمر الله تعالى واستكباره عن المطاوعة، أو كان منهم في علم الله تعالى"[٩].

قال ابن عباس: "كان في علم الله من الكافرين"[١٠].

قال أبو العالية:" يعني: من العاصين"[١١].وروي عن الربيع[١٢] مثل ذلك.

قال ابن عطية: "وتلك معصية كفر لأنها عن معتقد فاسد صدرت"[١٣].

قال عبد الله بن بريدة :"من الذين أبوا، فأحرقتهم النار"[١٤].

قال قتادة: حسد عدو الله إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال: أنا ناري وهذا طيني. فكان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم"[١٥].

قال السُّدّيّ: "كان اسم إبليس «الحارث»، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيّرًا"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٣٨/٢١.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣٤/٥.
(٣) تفسير الطبري(٧٠٧):ص٥١٢/١.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٥) تفسير الطبري: ٢٣٨/٢١.
(٦) صفوة التفاسير: ٥٩/٣.
(٧) تفسير الطبري: ٢٣٨/٢١-٢٣٩.
(٨) تفسير ابن عثيمين:١٢٥/١.
(٩) تفسير البيضاوي: ٣٤/٥.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢١.
(١١) تفسير الطبري(٧٠٥):ص٥١١/١، وابن أبي حاتم(٣٦٧):ص٨٥/١.
(١٢) أنظر: تفسير الطبري(٧٠٦):ص٥١١/١.
(١٣) المحرر الوجيز: ١٢٥/١.
(١٤) تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٦):ص٨٤/١.
(١٥) تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٤):ص٨٤/١.

ولفظة «إبليس» لغة : أبلس الرجل قُطِع به، وأبلس سكت، وأبلس من رحمة الله يئس وندم ومنه سُمِّي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله وقيل : إبليس لا ينصرف لأنه أعجمي معرفة، والمبلس الساكت من الحزن أو الخوف،والإبلاس الحَيْرة[٢].

فوائد الآيات:[٦٥-٧٤]:

١- تقرير التوحيد بأدلته.

٢- تقرير النبوة والوحي بشواهده من نبأ الملأ الأعلى.

٣- عداوة إبليس لآدم وأن الحامل عليها الحسد والكبر وهما من شر صفات العبد.

٤- تقرير أن من القياس ما هو شر وباطل كقياس إبليس إذ قاس النار على التراب فرأى أن النار أفضل فهلك بذلك، إذ التراب أفضل، النار تحرق والتراب يحيي، وشتان ما بين الموت والحياة.

القرآن

{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)} [ص : ٧٥]

التفسير:

قال الله لإبليس: ما الذي منعك من السجود لمن أكرمتُه فخلقتُه بيديَّ؟ أستكبرت على آدم، أم كنت من المتكبرين على ربك؟

قوله تعالى:{قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص : ٧٥]، أي:" قال الله لإبليس: ما الذي منعك من السجود لمن أكرمتُه فخلقتُه بيديَّ؟"[٣].

قال الطبري:" {قَالَ} الله لإبليس، إذ لم يسجد لآدم، وخالف أمره: {يَا إِبْلِيسُ} أيّ شيء منعك من السجود لخلق يديّ ؛ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه"[٤].

قال السعدي:" {قَالَ} الله موبخا ومعاتبا: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}، أي: شرفته وكرمته واختصصته بهذه الخصيصة، التي اختص بها عن سائر الخلق، وذلك يقتضي عدم التكبر عليه"[٥].

قال ابن عمر:" خلق الله أربعة بيده: العرش، وعَدْن، والقلم، وآدم، ثم قال لكلّ شيء كن فكان"[٦].

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم سأله عن المانع من السجود، وقد علم ما منعه؟

قلت: للتوبيخ، ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم، وأنه خالف أمر ربه معتقدا أنه غير واجب عليه، لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب"[٧].

قوله تعالى:{أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} [ص : ٧٥]، أي:" أستكبرت على آدم، أم كنت من المتكبرين على ربك؟"[٨].

قال الطبري:" يقول لإبليس: تعظَّمت عن السجود لآدم، فتركت السجود له استكبارا عليه، ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك أم كنت كذلك من قبل ذا علوّ وتكبُّر على ربك"[٩].

قال مقاتل:" يعنى: تكبرت، [{أَمْ كُنْتَ}] من المتعظمين"[١].

---

(١)تفسير الطبري(٧٠٤):ص٩٩/١

(٢)لسان العرب:٢٩/٦- ٣٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(٤) تفسير الطبري: ٢٣٩/٢١.

(٥) تفسير السعدي: ٧١٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢١.

(٧) الكشاف:٨٩/٢-٩٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(٩) تفسير الطبري: ٢٣٩/٢١.

قال السمعاني:" أي: تعظمت، [{أَمْ كُنْتَ}] من القوم المتكبرين"[٢].
قال ابن عباس:" كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة. وكان خازنا على الجنان، وكان له سلطان السماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض، وكان فيما قضى الله أنه رأى أن له بذلك شرفا وعظمة على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله، فلما كان عند السجود حين أمره أن يسجد لآدم استخرج الله كبره عند السجود، فلعنه وأخَّره إلى يوم الدين"[٣].

القرآن
{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦)} [ص : ٧٦]
التفسير:
قال إبليس معارضًا لربه: لم أسجد له؛ لأنني أفضل منه، حيث خلقتني من نارٍ، وخلقته من طين. والنار خير من الطين.
قوله تعالى:{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ} [ص : ٧٦]، أي:" قال إبليس معارضًا لربه: لم أسجد له؛ لأنني أفضل منه"[٤].
قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: قال إبليس لربه: فعلت ذلك فلم أسجد للذي أمرتني بالسجود له لأني خير منه وكنت خيرا لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين، والنار تأكل الطين وتحرقه، فالنار خير منه"[٥].
قوله تعالى:{خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [ص : ٧٦]، أي:" لأنني مخلوق من النار، وآدم مخلوق من الطين، والنار خير من الطين"[٦].
قال الطبري:" يقول: لم أفعل ذلك استكبارا عليك، ولا لأني كنت من العالين، ولكني فعلته من أجل أني أشرف منه؛ وهذا تقريع من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وأبوا الانقياد له، واتباع ما جاءهم به من عند الله استكبارا عن أن يكونوا تبعا لرجل منهم حين قالوا: {أَؤُنزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا} و{هَلْ هَذَا إلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} فقصّ عليهم تعالى قصة إبليس وإهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه، من أجل أنه خلق من نار، وخلق آدم من طين، حتى صار شيطانا رجيما، وحقت عليه من الله لعنته، محذّرهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد، وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله حسدا، وتعظما من اللعن والسخط ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم"[٧].
قال ابن عباس:" لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة، دون الملائكة الذين في السموات:"اسجدوا لآدم"، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر، لما كان حدَّث نفسه، من كبره واغتراره، فقال:"لا أسجد له، وأنا خير منه، وأكبر سنًّا، وأقوى خلقًا، خلقتني من نار وخلقته من طين! " يقول: إنّ النار أقوى من الطين"[٨].
عن الحسن قوله: "{خلقتني من نار وخلقته من طين}، قال: قاس إبليس وهو أول من قاس"[٩].
قال ابن سيرين:" أوّل من قاس إبليس، وما عُبِدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس"[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٣/٣-٦٥٤.
(٢) .
(٣) أخرجه الطبري: ٤٠/١٨.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٥) تفسير الطبري: ٢٣٩/٢١.
(٦) انظر: التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٧) تفسير الطبري: ٢٣٩/٢١-٢٤٠.
(٨) أخرجه الطبري: (١٤٣٥٧):ص٣٢٧/١٢.
(٩) أخرجه الطبري: (١٤٣٥٦):ص٣٢٧/١٢.

عن مجاهد قوله: "{خلقتني من نار}، قال: ثم جعل ذريته من ماء"[٢].

قال ابن عباس:" لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة، دون الملائكة الذين في السموات:{اسجدوا لآدم}، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر، لما كان حدَّث نفسه، من كبره واغتراره، فقال: لا أسجد له، وأنا خير منه، وأكبر سنًّا، وأقوى خلقًا، خلقتني من نار وخلقته من طين! يقول: إنّ النار أقوى من الطين"[٣].

قال ابو الحسن الأشعري:" وأجمعوا على أنه ليس لأحد من الخلق الاعتراض على الله تعالى في شيء من تدبيره، ولا إنكار لشيء من فعله إذْ كان مالكاً لما يشاء منها غير مملوك وأنه تعالى حكيم قبل أن يفعل سائر الأفعال، وأن جميع ما يفعله لا يخرجه عن الحكمة، وأن من يعترض عليه في أفعاله متبع لرأي الشيطان حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام وزعم أن ذلك فساد في التدبير وخروج من الحكمة حين قال: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}"[٤].

القرآن

{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨)} [ص : ٧٧-٧٨]

التفسير:

قال الله له: فاخرج من الجنة فإنك مرجوم بالقول، مدحور ملعون، وإن عليك طردي وإبعادي إلى يوم الجزاء والحساب.

قوله تعالى:{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا} [ص : ٧٧]، أي:" قال الله له: فاخرج من الجنة"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لإبليس: {فَاخْرُجْ} من الجنة"[٦].

قال النسفي: أي:" من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة"[٧].

قال ابن كثير:" يقول آمرًا لإبليس أمرًا كونيًّا لا يخالف ولا يمانع ، بالخروج من المنزلة التي كان فيها من الملأ الأعلى"[٨].

قوله تعالى:{فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} [ص : ٧٧]، أي:" فإنك مرجوم بالقول، مدحور ملعون"[٩].

قال الطبري:يقول: " فإنك مرجوم بالقوم، مشتوم ملعون"[١٠].

قال الزجاج:" أي: فإنَّكَ لَعين، معناه فإنك مرجوم باللعنة"[١١].

قال البغوي: أي:" طريد"[١٢].

قال ابن كثير:" وإنه قد أتبعه لعنةً لا تزال متصلة به ، لاحقةً له ، متواترة عليه إلى يوم القيامة"[١٣].

قال ابن عطية:" والـ«رَجِيمٌ»: المشتوم، أي: المرجوم بالقول والشتم"[١٤].

قال النحاس:" أي: مرجوم بالكواكب والشهب"[١].

---

(١) أخرجه الطبري(١٤٣٥٥):ص٣٢٧/١٢.
(٢) أخرجه الطبري: (١٤٣٥٨):ص٣٢٧/١٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٥٧):ص٣٢٧/١٢.
(٤)رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب:١٥٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٦) تفسير الطبري: ٢٤٠/٢١.
(٧) تفسير النسفي:١٨٩/٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٥٣٤/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٤٠/٢١.
(١١) معاني القرآن:٣٤١/٤.
(١٢) تفسير البغوي:٣٨١/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير:٥٣٤/٤.
(١٤) المحرر الوجيز:٣٦١/٣.

قال الزمخشري: " «رجيم» شيطان من الذين يرجمون بالشهب، أو مطرود من رحمة الله، لأن من يطرد يرجم بالحجارة. ومعناه: ملعون، لأن اللعن هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها. والضمير في «منها» راجع إلى الجنة أو السماء، أو إلى جملة الملائكة"[٢].

قال النسفي:" مطرود من رحمة الله، معناه: ملعون، لأن اللعنة هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها"[٣].

قال قتادة:" والرجيم: اللعين"[٤].

عن ابن جريج: "{فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ}، قال: ملعون. والرجم في القرآن: الشتم"[٥].

قال سعيد بن جبير: "لما لعن الله إبليس ، تغيرت صورته عن صورة الملائكة ، ورن رنةً ، فكل رنة في الدنيا إلى يوم القيامة منها"[٦].

قوله تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} [ص : ٧٨]، أي:" وإن عليك طردي وإبعادي إلى يوم الجزاء والحساب"[٧].

قال الطبري:" يقول: وإن لك طردي من الجنة إلى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم"[٨].

قال الزجاج:"يوم تدان كل نفس بما كسبت، ومعنى يوم الدين يوم الجزاء"[٩].

قال البغوي: " قيل: إن أهل السموات يلعنون إبليس كما يلعنه أهل الأرض، فهو ملعون في السماء والأرض"[١٠].

قال ابن عطية:" يَوْمِ الدِّينِ يوم الجزاء، ومنه قول الشاعر[١١]:

ولم يَبْقَ سوى العُدْوا ... نِ دِنَّاهم كما دَانُوا"[١٢].

قال النسفي:" ضرب «يوم الدين» حد اللعنة، لأنه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم والمراد به: إنك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذب، فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه"[١٣].

القرآن

{قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩)} [ص : ٧٩]

التفسير:

قال إبليس: ربِّ فأخِّر أجلي، ولا تهلكني إلى حين تَبعث الخلق من قبورهم.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال إبليس لربه: ربّ فإذ لعنتني، وأخرجتني من جنتك: فأخرني في الأجل، ولا تهلكني إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم"[١٤].

قال السمعاني:" أي: أمهلني ، سأل المهلة إلى القيامة"[١].

---

(١) إعراب القرآن: ٣١٨/٣.
(٢) الكشاف:٥٧٧/٢.
(٣) تفسير النسفي:١٨٩/٢.
(٤) اخرجه الطبري :٢٤٠/٢١.
(٥) أخرجه الطبري:١٠٢/١٧.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٥٣٤/٤-٥٣٥.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥٧.
(٨) تفسير الطبري: ٢٤٠/٢١.
(٩) معاني القرآن:٣٤١/٤.
(١٠) تفسير البغوي:٣٨١/٤.
(١١) البيت للفند الزماني- شهل بن شيبان- كما في المعجم المفصل، و شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ١: ٣٥ - نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون - القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م، و«الكشاف» ١/ ٩، والمحرر الوجيز:٧١/١.
(١٢) المحرر الوجيز:٣٦١/٣-٣٦٢.
(١٣) تفسير النسفي:١٨٩/٢.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٤٠/٢١.

قال السعدي: وذلك "لشدة عداوته لآدم وذريته، ليتمكن من إغواء من قدر الله أن يغويه"[٢].

قال البغوي: " أراد الخبيث أن لا يموت"[٣].

قال القرطبي:" هذا السؤال من إبليس لم يكن عن ثقته منه بمنزلته عند الله تعالى، وأنه أهل أن يجاب له دعاء، ولكن سأل تأخير عذابه زيادة في بلائه، كفعل الآيس من السلامة. وأراد بسؤاله الإنظار إلى يوم يبعثون: ألا يموت، لأن يوم البعث لا موت فيه ولا بعده"[٤].

قال أبو السعود:" أراد بذلك أن يجد فسحة لإغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث"[٥].

قال ابن كثير:" وإنه لما تحقق الغضب الذي لا مَرَدَّ له ، سأل من تمام حسده لآدم وذريته النظرة إلى يوم القيامة ، وهو يوم البعث"[٦].

وفي قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [ص : ٧٩]، وجهان:

أحدهما : أنه سأله الإنظار بالعقوبة إلى البعث وهو يوم القيامة. حكاه الماوردي[٧].

والثاني : أنه سأله الإنظار بالحياة إلى يوم يبعثون وهو يوم القيامة لئلا يذوق الموت، فَأُجِيْبَ بالإنظار إلى «يوم الوقت المعلوم»، وهي النفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين، وهو أربعون سنة ، قاله ابن عباس[٨].

قال ابن عباس:" أراد إبليس إن لا يذوق الموت، فقيل: فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال: النفخة الأولى يموت فيها إبليس، وبين النفخة والنفخة أربعون سنة. قال: فيموت إبليس أربعون سنة"[٩].

القرآن

{قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١)} [ص : ٨٠-٨١]

التفسير:

قال الله له: فإنك من المؤخَّرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم النفخة الأولى عندما تموت الخلائق.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال الله لإبليس: فإنك ممن أنظرته إلى يوم الوقت المعلوم، وذلك الوقت الذي جعله الله أجلا لهلاكه"[١٠].

قال السعدي: " فـ (قال) الله مجيبا لدعوته، حيث اقتضت حكمته ذلك: {فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} حين تستكمل الذرية، يتم الامتحان"[١١].

قال ابن كثير:" أجيب إلى ذلك استدراجًا له وإمهالا"[١٢].

وقال ابن كثير:" أجابه تعالى إلى ما سأل ، لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمانع ، ولا مُعَقِّبَ لحكمه ، وهو سريع الحساب"[١٣].

---

(١) تفسير السمعاني:١٦٩/٢.
(٢) تفسير السعدي: ٧١٦.
(٣) تفسير البغوي:٣٨١/٤.
(٤) تفسير القرطبي:٢٧/١٠.
(٥) تفسير أبي السعود:٧٧/٥.
(٦) تفسير ابن كثير:٥٣٥/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون:٢٠٥/٢.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٢٣٨٤).:ص٢٢٦٤/٧
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٨٤).:ص٢٢٦٤/٧
(١٠) تفسير الطبري: ١٤١/٢١.
(١١) تفسير السعدي: ٧١٦.
(١٢) تفسير ابن كثير:٥٣٥/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير:٣٩٣/٣.

قال القرطبي:" وكان طلب الإنظار إلى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين، فأبى الله ذلك عليه. وقال:{إلى يوم يبعثون}، ولم يتقدم من يبعث، لأن القصة في آدم وذريته، فدلت القرينة على أنهم هم المبعوثون"(١).

قال النسفي:" قيل: إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت، لأنه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب إلى ذلك وانظر إلى آخر أيام التكليف"(٢).

قال السدي:" فلم ينظره إلى يوم البعث، ولكن أنظره إلى الوقت المعلوم"(٣).

وفي معنى «الوقت المعلوم»، ثلاثة وجوه:

أحدها : أنه معلوم عند الله تعالى، مجهول عند إبليس، فيموت إبليس ثم يبعث. حكاه الماوردي(٤).

وقال الزجاج:" الَّذِي لَا يَعْلَمُه إلا اللَّهُ، ويوْم الوَقْتِ يَومُ القيامة"(٥).

وقال الزمخشري:" معنى المعلوم: أنه معلوم عند الله معين، لا يستقدم ولا يستأخر"(٦).

الثاني : إلى يوم النفخة الأولى يموت إبليس. وبين النفخة والنفخة أربعون سنة . فتكون مدة موت إبليس أربعين سنة ، وهو قول ابن عباس(٧)، وسفيان(٨)، وبه قال مقاتل(٩)، وبه قال الطبري(١٠).

قال ابن عباس:" أراد إبليس إن لا يذوق الموت، فقيل: فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال: النفخة الأولى يموت فيها إبليس، وبين النفخة والنفخة أربعون سنة. قال: فيموت إبليس أربعون سنة"(١١).

قال النحاس:" هو يوم يموت الخلق فيه فأخّر إليه تهاونا به وأنه لا يصل إلّا لي الوسوسة، ولا يفسد إلّا من كان لا يصلح لو لم يوسوسه"(١٢).

الثالث: أن أمره كان إلى يوم بدر وأنه قتل يوم بدر. حكاه ابن عطية(١٣)، وضعّفه.

قال الماوردي:" وسمي «يوم الوقت المعلوم»، لموت جميع الخلائق فيه"(١٤).

قال السمعاني:" هذا الإنظار إلى النفخة الأولى، كما قال..مقيدا: {إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} [الحجر : ٣٨، ص:٨١]، وأراد به: النفخة الأولى، فإن قيل: وهل يجوز أن يجيب الله دعوة الكافر؛ حيث أجاب دعوة اللعين؟ قيل: يجوز على طريق الاستدراج والمكر والإملاء لا على سبيل الكرامة"(١٥).

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم أجيب إلى استنظاره، وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم؟

---

(١) تفسير القرطبي:١٧٤/٧.
(٢) تفسير النسفي:١٩٠/٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٨٥):ص٢٢٦٤/٧.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٥٩/٣-١٦٠، وتفسير القرطبي:٢٧/١٠.
(٥) معاني القرآن:٣٤١/٤.
(٦) الكشاف: ١٠٨/٤.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٨٤):ص٢٢٦٤/٧.
(٨) انظر: تفسير سفيان الثوري:٢٦١.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢٩/٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٣٣٢/١٢.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٨٤):ص٢٢٦٤/٧.
(١٢) إعراب القرآن: ٣١٨/٣.
(١٣) انظر: المحرر الوجيز:٣٦٢/٣.
(١٤) النكت والعيون:١٥٩/٣-١٦٠.
(١٥) تفسير السمعاني:١٦٩/٢.

قلت: لما في ذلك من ابتلاء العباد، وفي مخالفته من أعظم الثواب، وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي، وما ركب في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده"(١).

القرآن

{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)} [ص : ٨٢-٨٣]

التفسير:

قال إبليس: فبعزتك -يا رب- وعظمتك لأضلنَّ بني آدم أجمعين، إلا مَن أخلصتَه منهم لعبادتك، وعصمتَه من إضلالي، فلم تجعل لي عليهم سبيلا.

قوله تعالى:{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص : ٨٢]، أي:" قال إبليس: فبعزتك -يا رب- وعظمتك لأضلنَّ بني آدم أجمعين"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال إبليس: بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك لأضلَّنّ بني آدم أجمعين"(٣).

قال النحاس:" أي: لاستدعينّهم إلى المعاصي التي يغوون من أجلها، أي: يخيبون"(٤).

قال ابن ابي زمنين والبغوي: " أي: لأضلنهم، {أجمعين}"(٥).

قال القرطبي:" أي: لأضلنهم عن طريق الهدى"(٦).

قال السعدي: " فلما علم أنه منظر، بادى ربه، من خبثه، بشدة العداوة لربه ولآدم وذريته، فقال: {فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} يحتمل أن «الباء» للقسم، وأنه أقسم بعزة الله ليغوينهم كلهم أجمعين، ويحتمل أن «الباء» للاستعانة، وأنه لما علم أنه عاجز من كل وجه، وأنه لا يضل أحدا إلا بمشيئة الله تعالى، فاستعان بعزة الله على إغواء ذرية آدم هذا، وهو عدو الله حقا"(٧).

قال الزمخشري:"{فَبِعِزَّتِكَ}: إقسام بعزة الله تعالى وهي سلطانه وقهره"(٨).

قال قتادة:" علم عدوّ الله أنه ليست له عزّة"(٩).

وعن أبي سعيد، رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال: " إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني"(١٠).

قوله تعالى: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [ص : ٨٣]، أي:" إلا مَن أخلصتَه منهم لعبادتك، وعصمتَه من إضلالي، فلم تجعل لي عليهم سبيلا، فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه"(١١).

---

(١) الكشاف:٩١/٢.

وقال محقق الكشاف:" وهذا السؤال إنما يورده ويلتزم الجواب عنه القدرية الذين يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح في أفعاله. وأما أهل السنة فقد أصغوا حق الإصغاء إلى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يورد أحد منهم هذا السؤال ولا يجيب عنه من يورده".

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(٣) تفسير الطبري: ١٤١/٢١.

(٤) إعراب القرآن: ٣١٨/٣.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين:٣٨٥/٢، وتفسير البغوي:٣٨١/٤.

(٦) تفسير القرطبي:٢٧/١٠.

(٧) تفسير السعدي: ٧١٦.

(٨) الكشاف: ١٠٨/٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢١.

(١٠)المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٢٩٠) (٧٦٧٢) وصحيح الجامع (١٦٥٠) حسن.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢١، والتفسير الميسر: ٤٥٨.

قال الطبري:يقول:" إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمتَه من إضلالي، فلم تجعل لي عليه سبيلا فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه"(١).

قال مقاتل:" يعني: أهل التوحيد، وقد علم إبليس أن الله استخلص عبادا لدينه ليس له عليهم سلطان، فذلك قوله سبحانه: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الحجر : ٤٢، الإسراء: ٦٥]، يعنى: ملك أن تضلهم عن الهدى {وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا} [الإسراء : ٦٥]، يعنى: حرزا ومانعا لعباده"(٢).

قال البغوي: أي:" المؤمنين الذين أخلصوا لك الطاعة والتوحيد، ومن فتح «اللام»، أي: من أخلصته بتوحيدك واصطفيته"(٣).

قال الزجاج: «الْمُخْلَصِينَ» بفتح اللام، أَخْلَصَهُم الله لِعِبَادَتِه، ومن كسر اللام، فإنَّمَا أراد الَّذِين أَخْلَصُوا دينَهُمْ الله"(٤).

قال السعدي: " علم أن الله سيحفظهم من كيده"(٥).

عن الضحاك :{إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}، يعني: المؤمنين"(٦).

قال قتادة: هذه ثَنِيَّة الله تعالى ذكره"(٧).

قال ابن فورك:" استثنى إبليس {إلا عبادك منهم المخلصين} مع حرصع على إغواء الجميع؛ لأنه أيس ممن يعلم أنه لا يجيب، وليس له سلطان إلا بالإغواء"(٨).

قال سهل بن عبدالله:" الناس كلهم أموات إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملين، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم"(٩).

عن أبي قلابة: "أن إبليس، لما جعل الله عليه اللعنة فسأله النظرة إلى يوم الدين فأنظره ، قال: فبعزتك لا أخرج من صدر عبد حتى تخرج نفسه ، قال: «وعزتي لا أحجب توبتي عن عبدي حتى تخرج نفسه»(١٠).

القرآن

{قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)} [ص : ٨٤-٨٥]

التفسير:

قال الله: فالحقُّ مني، ولا أقول إلا الحق، لأملان جهنم منك ومن ذريتك وممن تبعك من بني آدم أجمعين.

قوله تعالى:{قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ} [ص : ٨٥]، أي:" قال الله: فالحقُّ مني، ولا أقول إلا الحق"(١١).

قال القاسمي:" جملة معترضة، للتأكيد، أي: ولا أقول إلا الحق"(١٢).

قال السعدي:" أي: الحق وصفي، والحق قولي"(١٣).

---

(١) تفسير الطبري: ١٤١/٢١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢٩/٢.
(٣) تفسير البغوي:٣٨١/٤.
(٤) معاني القرآن:٣٤١/٤.
(٥) تفسير السعدي: ٧١٦.
(٦) أخرجه الطبري:١٠٣/١٧.
(٧) أخرجه الطبري:١٠٣/١٧.
(٨) تفسير ابن فورك:٣٠٣/٢.
(٩) تفسير التستري:٨٨.
(١٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦١٦):ص١٢٧/٣.
(١١) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(١٢) محاسن التأويل: ٢٧٦/٨.
(١٣) تفسير السعدي: ٧١٧.

قال ابن كثير:" وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى : { وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [السجدة : ١٣] وكقوله تعالى : { قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا } [الإسراء : ٦٣]"[١].

عن السديّ، قوله: "{قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ}، قال: قسم أقسم الله به"[٢].

عن مجاهد، قوله:" {فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ}، يقول الله: أنا الحقُّ، والحقَّ أقول"[٣].

وعن مجاهد-أيضا-:" يقول الله: الحقُّ مني، وأقول الحقّ"[٤].

وقرأ عاصم، وحمزة {فالحق} الرفع، {والحق أقول} النصب، وقرأ الباقون كلاهم بالنصب[٥].

قال الزجاج:" فَمن رَفَع فعلى ضربين: على معنى فَأنا الحقُّ، والحقَّ أقُولُ. ويجوز رفْعُه علي معْنَى فَالحَقُّ مِنِّي. ومن نصب فعلى معنى: فالحقَّ أَقُولُ والحقَّ لأملأن جهنم حَقًّا"[٦].

قوله تعالى:{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص : ٨٥]، أي:" لأملان جهنم منك ومن ذريتك وممن تبعك من بني آدم أجمعين"[٧].

قال الطبري:" يقول لإبليس: لأملأن جهنم منك وممن تبعك من بني آدم أجمعين"[٨].

قال القرطبي:" أي: من نفسك وذريتك {وممن تبعك} من بني آدم {أجمعين}"[٩].

قال القاسمي:" لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين أي تبعك في التعزز والاستكبار والإباء عن الحق والمحاجة في الباطل"[١٠].

القرآن

{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦)} [ص : ٨٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين من قومك: لا أطلب منكم أجرًا أو جزاءً على دعوتكم وهدايتكم، ولا أدَّعي أمرًا ليس لي، بل أتبع ما يوحى إليَّ، ولا أتكلف تخرُّصًا وافتراءً.

قوله تعالى:{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} [ص : ٨٦]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين من قومك: لا أطلب منكم أجرًا أو جزاءً على دعوتكم وهدايتكم"[١١].

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لمشركي قومك، القائلين لك: {أَؤُنزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا}: ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله ثوابًا وجزاء"[١٢].

قال القرطبي:" أي: من جعل على تبليغ الوحي، وكنى به عن غير مذكور، وقيل هو راجع إلى قوله:{أأنزل عليه الذكر من بيننا} [ص: ٨]"[١٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجرا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٨٢/٧.
(٢) اخرجه الطبري: ٢٤٢/٢١.
(٣) اخرجه الطبري: ٢٤٢/٢١.
(٤) اخرجه الطبري: ٢٤٢/٢١.
(٥) انظر: السبعة في القراءات: ٥٥٧.
(٦) معاني القرآن: ٣٤٢/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٨) تفسير الطبري: ٢٤٢/٢١.
(٩) تفسير القرطبي: ٢٣٠/١٥.
(١٠) محاسن التأويل: ٢٧٦/٨.
(١١) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٤٢/٢١-٢٤٣.
(١٣) تفسير القرطبي: ٢٣٠/١٥.

قال السعدي:" فلما بين الرسول للناس الدليل ووضح لهم السبيل قال الله له: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} أي: على دعائي إياكم {مِنْ أَجْرٍ}"[2].

عن ابن زيد:" قال: لا أسألكم على القرآن أجرا تعطوني شيئا"[3].

قوله تعالى:{وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} [ص : ٨٦]، أي:" ولا أدَّعي أمرًا ليس لي، بل أتبع ما يوحى إليَّ، ولا أتكلف تخرُّصًا وافتراءً"[4].

قال الطبري:" يقول: وما أنا ممن يتكلف تخرصه وافتراءه، فتقولون: {إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ} و {إِنْ هَذَا إِلا اخْتِلاقٌ}"[5].

قال القرطبي:" أي: لا أتكلف ولا أتخرص ما لم أومر به"[6].

قال ابن كثير:" أي : وما أزيد على ما أرسلني الله به ، ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة"[7].

قال السعدي:" أدعي أمرا ليس لي، وأقفو ما ليس لي به علم، لا أتبع إلا ما يوحى إليّ"[8].

عن ابن زيد:" وما أنا من المتكلفين أتخرّص وأتكلف ما لم يأمرني الله به"[9].

عن مسروق قال : "أتينا عبد الله بن مسعود قال : يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لا يعلم فليقل : الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم : الله أعلم، فإن الله قال لنبيكم ﷺ: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}"[10].

القرآن

{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧)} [ص : ٨٧]

التفسير:

ما هذا **القرآن** إلا تذكير للعالمين من الجن والإنس، يتذكرون به ما ينفعهم من مصالح دينهم ودنياهم.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل لهؤلاء المشركين من قومك: ما هذا القرآن إلا تذكير من الله {لِلْعَالَمِينَ} من الجنّ والإنس، ذكرهم ربهم إرادة استنقاذ من آمن به منهم من الهَلَكة"[11].

قال السمعاني:" أي: عظة للعالمين"[12].

قال القشيري:" يعنى القرآن، عظة لكم"[13].

قال ابن كثير:" يعني : القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن"[14].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٨٢/٧.
(٢) تفسير السعدي: ٧١٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢١.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٤٣/٢١.
(٦) تفسير القرطبي: ٢٣٠/١٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٨٢/٧.
(٨) تفسير السعدي: ٧١٧.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢١.
(١٠)صحيح البخاري برقم (٤٨٠٩) وصحيح مسلم برقم (٢٧٩٨).
(١١) تفسير الطبري: ٢٤٣/٢١.
(١٢) تفسير السمعاني: ٧٠/٣.
(١٣) لطائف الإشارات: ٢٦٥/٣.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٨٣/٧.

قال السعدي:" {إِنْ هُوَ} أي: هذا الوحي والقرآن {إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} يتذكرون به كل ما ينفعهم، من مصالح دينهم ودنياهم، فيكون شرفا ورفعة للعاملين به، وإقامة حجة على المعاندين، فهذه السورة العظيمة، مشتملة على الذكر الحكيم، والنبأ العظيم، وإقامة الحجج والبراهين، على من كذب بالقرآن وعارضه، وكذب من جاء به، والإخبار عن عباد الله المخلصين، وجزاء المتقين والطاغين. فلهذا أقسم في أولها بأنه ذو الذكر، ووصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين"[١].
للعالمين"[١].

واختُلِف في معنى:«العالمين»، على أقوال:

أحدها : أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول أبي إسحاق الزجَّاج[٢]، وقتادة[٣]، ومجاهد[٤]، وابن عباس[٥] في رواية الضحاك عنه.

قال الثعلبي:"واحتجوا بقوله: {قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا}[الشعراء:٢٣-٢٤]"[٦].

الثاني: أنّه الإنس ، والجنّ، وهذا قول ابن عباس[٧]، وسعيد بن جبير[٨]، ومجاهد[٩]، وابن جريج[١٠]، ومقاتل[١١].

ودليلهم قوله تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}[الفرقان: ١]، ولم يكن نذيرا للبهائم[١٢].

كما ويقوي هذا القول، جمع الكلمة على «عالمون»، وهو جمع لايكون إلا مع العاقل! فيكون هذا دليلا على أن الحديث عن عوالم عاقلة.

الثالث : أن العالم: الدنيا وما فيها. حكاه الماوردي[١٣].

الرابع: أن أهل كل زمان عالم، لقوله تعالى : {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ}[الشعراء: ١٦٥]، أي من الناس[١٤]، وهذا قول الحسين بن الفضل[١٥]، ومنه قول العجّاج[١٦]:

فَخِنْدِفٌ هامَةُ هَذَا العَالَمِ   مبارك للأنبياء خاتم

وقال جرير بن الخطفى [١٧]:

تنصفه[١٨] البرية وهو سام   ويضحي العالمون له عيالا

الخامس: أن العالم عبارة عمن يعقل، وهم أربعة أمم : الإنس والجن والملائكة والشياطين، ولا يقال للبهائم : عالم، لأن هذا الجمع إنما هو جمع من يعقل خاصة. وهذا قول الفراء وأبي عبيدة[١].

---

(١) تفسير السعدي: ٧١٧.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٤٦/١.
(٣) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.
(٤)حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.
(٥)انظر: تفسير الطبري(١٥٦):ص١٤٤/١.
(٦) تفسير الثعلبي: ١١٢/١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٧)، و(١٥٨):ص١٤٤/١.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٩)، و(١٦٠):ص١٤٤/١-١٤٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٦١)، و(١٦٢):ص١٤٥/١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٥):ص١٤٦/١.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦/١.
(١٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ٤١٦/٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٥٥/١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٤٤/١.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٤٤/١.
(١٦)هو عبدالله بن رؤبة أبو الشعثاء، اشتهر بالعجاج الراجز، لقي أبا هريرة، وسمع منه أحاديث، والبيت في ديوانه: ٦٠.
(١٧) ديوانه: ٧٥٠/٢.
(١٨) تنصفه: أي تطلب فضله.

السادس: أن العالمين، أي: المخلوقين. قاله أبو عبيدة[٢]، وأنشد قول لبيد بن ربيعة[٣]:
ما إن رأيت ولا سمعـ   ـتُ بمثلهم في العالمينا
السابع: أنهم المرتزقون، قاله زيد بن أسلم[٤]، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء[٥]: هم الروحانيّون، وابن قتيبة[٦]، وهو معنى قول ابن عباس كذلك: "كل ذي روح دبّ على وجه الأرض"[٧].
الثامن: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق[٨].
والظاهر-والله أعلم- أن{العالَمين}: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و(العالَم) جمع لا واحدَ له من لفظه، و(العوالم) أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر، فالإنس عالَم، والجن عالَم، والملائكة عالَم[٩].
واختلفوا في مبلغ «العالمين» وكيفيتهم، على قولين:
أحدهما: أن الإنس عالم، والجن عالم، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم، أو أربعة عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض، والأرض أربع زوايا في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته. قاله أبو العالية[١٠].
قال ابن كثير: " وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح"[١١].
الثاني:أن «العالمين»: ألف أمة ستمائة في البحر، وأربعمائة في البر. وهذا قول تبيع[١٢].
وقال كعب الأحبار: "لا يحصي عدد العالمين إلّا الله، قال الله: {وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}[المثر: ٣١]"[١٣].
قال أبو حيان:"ونقل عن المتقدمين أعداد مختلفة في العالمين وفي مقارها، الله أعلم بالصحيح"[١٤].

القرآن
{وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)} [ص : ٨٨]
التفسير:
ولتعلمن -أيها المشركون- خبر هذا **القرآن** وصدقه، حين يَغْلب الإسلام، ويدخل الناس فيه أفواجًا، وكذلك حين يقع عليكم العذاب، وتنقطع عنكم الأسباب.
قال الطبري:" يقول: ولتعلمن أيها المشركون بالله من قريش نبأ هذا القرآن، وهو خبره، يعني: حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين"[١٥].
قال النحاس:"أي: ولتعلمن أن القرآن وما أو عدتم فيه حق"[١].

---

(١) انظر: حكاه عنهما القرطبي في تفسيره: ٢١٣/١. وقول أبي عبيدة: أن العالمين: المخلوقين.
(٢) انظر: مجاز القرآن:٢٢/١.
(٣) ديوانه: ١٢/١، والأغاني: ٣٧٩/١٥، ونسبه القرطبي للأعشى، ولم نقف عليه للأعشى.
(٤) حكاه عنه القرطبي في تفسيره:٢١٣/١.
(٥) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.
(٦) انظر: غريب القرآن: ٣٨، قال:"(العالَمُونَ): أصناف الخلق الرُّوحانِيّين، وهم الإنس والجن والملائكة، كلُّ صِنْفٍ منهم عالَم".
(٧) انظر: تفسير الثعلبي: ١١٢/١، وزاد المسير: ١٢/١، وتفسير القرطبي: ٢١٣/١.
(٨) تفسير الثعلبي:١١٢/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/١، معاني القرآن للزجاج: ٤٦/١.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٣٨٤٣):ص٧١٠/٣، و٢٧/١/١٥، و تفسير الطبري(١٦٤):ص ١٤٦/١.
(١١) تفسير ابن كثير:١٣٢/١.
(١٢)انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٣٨٤٤):ص٧١٠/٣.
(١٣) تفسير الثعلبي:١١٢/١.
(١٤) البحر المحيط: ١٣/١.
(١٥) تفسير الطبري: ٢٤٣/٢١.

قال ابن كثير:" أي : خبره وصدقه، عن قريب"[٢].

قال السعدي :" أي: خبره {بَعْدَ حِينٍ} وذلك حين يقع عليهم العذاب وتتقطع عنهم الأسباب"[٣].

عن ابن زيد، قوله:"{وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ}، قال: صدق هذا الحديث نبأ ما كذّبوا به.، قيل: {نَبَأَهُ} حقيقة أمر محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه نبيّ"[٤].

واختلفوا في مدة الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع، على أقوال:

أحدها : بعد الموت، قاله قتادة[٥]، وبه قال الزجاج[٦].

وقال الحسن: "يابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين"[٧].

الثاني : يوم القيامة ، قاله ابن زيد[٨]، وعكرمة[٩].

قال ابن زيد:" يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذبوا به بعد حين من الدنيا وهو يوم القيامة. وقرأ: {لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}، قال: وهذا أيضا الأخرة يستقرّ فيها الحقّ، ويبطل الباطل"[١٠].

قال ابن كثير:" ولا منافاة بين القولين[أي: الأول والثاني] ؛ فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة"[١١].

الثالث : يوم بدر ، قاله السدي[١٢].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حد منه لذلك الحين بحد، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته، ووضوح صحته في الدنيا، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر، وقبل ذلك، ولا حد عند العرب للحين، لا يُجاوز ولا يقصر عنه. فإذ كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت"[١٣].

قال ابن عباس:" الحين حينان، فحين يعرف، وحين لا يعرف. فأما الذي لا يعرف: {لتعلمن نبأه بعد حين}"[١٤].

قال عكرمة:" سُئِلْت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين، فقلت: إن من الحين حينا لا يُدرك، ومن الحين حين يدرك، فالحين الذي لا يُدرك قوله: {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ}، والحين الذي يدرك قوله {تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا}، وذلك من حين تُصْرَم النخلة إلى حين تُطْلِع، وذلك ستة أشهر"[١٥].

فوائد الآيات:[٧٥-٧٧]:

١- ذم الكبر والحسد وحرمتهما وبيان جزائهما.

---

(١) معاني القرآن: ١٤٢/٦.
(٢) تفسير ابن كثير: ٨٣/٧.
(٣) تفسير السعدي: ٧١٧.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٢١.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٣٤٢/٤.
(٧) اخرجه الطبري: ٢٤٤/٢١.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٢١.
(٩) انظر: النكت والعيون: ١١٢/٥.
(١٠) اخرجه الطبري: ٢٤٤/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ٨٣/٧.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٢١.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٤٤/٢١.
(١٤)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٠٩):ص١٩٩٠/٦ .
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢١.

٢- مشروعية القياس إن كان قياساً صحيحاً، وبيان أخطار القياس الفاسد.
٣- مشروعية القسم بالله وبصفاته وأسمائه.
٤- بيان أن من كتب الله سعادتهم لا يقوى الشيطان على إغوائهم وإضلالهم.
٥- لا يجوز أخذ الأجرة على بيان الحق والدين.
٦- ذم التكلّف المفضي إلى الكذب والتقول على الله والرسول والمؤمنين.
٧- ظهر مصداق ما أخبر به **القرآن** بعد حين قصير وطويل.

«آخر تفسير سورة (ص)، والحمد لله وحده»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «الزمّر»

سورة «الزمّر»: هي السورة «التاسعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «التاسعة والخمسون» في ترتيب النزول على المختار، نزلت بعد سورة: «سبأ»[(١)]، وقبل سورة غافر، وعدد آياتها خمسون وسبعون آية فى عدّ الكوفى، وثلاث فى عد الشامى، والباقين. وكلماتها ألف ومائة وسبعون. وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وثمان[(٢)].

والآيات المختلف فيها سبع: {فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمر : ٣]، {مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر : ١١]، {مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر : ١٤]، و {مِنْ هَادٍ} [الزمر : ٣٦]، {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الزمر : ٣٩] ، {فَبَشِّرْ عِبَادِ} [الزمر : ١٧]، {مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَار} [الزمر : ٢٠]، مجموع فواصل آياتها :«من ولى يدر»[(٣)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الزمّر»:**

سميت في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة والآثار عن السلف سورة «الزمّر» وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم سميت بهذا الاسم؛ لوقوع هذا اللفظ فيها دون غيرها من سور القرآن؛ وذلك قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً} [الآية ٧١]، وقوله سبحانه: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً} [الآية ٧٣]، فذكر فيها زمر الفريقين أهل الشقاوة وأهل السعادة وتفصيل الجزاء وإلزام الحجة وبطلان المعذرة[(٤)].

ثانيا:- اسمها الإجتهادي: «سورة الغرف»:

وتسمى أيضاً سورة «الغُرَف» وفي تفسير القرطبي، عن وهب بن منبه، أنه سماها سورة «الغُرَف»[(٥)]، وتناقله المفسرون[(٦)].

ووجه ذلك؛ أنها ذُكر فيها لفظ «الغرف»، أي: بهذه الصيغة دون «الغرفات»، في قوله تعالى: {لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ} [الزمر : ٢٠].

و«الغرف»: جمع غرفة، و«الغرفة»: العِلِّيّة، و«الغرفة»-أيضا-: السماء السابعة؛ قال لبيد[(٧)]:

سَوَّى فأَغلَقَ دونَ غرة عَرْشِهِ[(٨)]، ... سَبْعاً طباقاً، وفوق فَرْع المَنْقَلِ[(٩)][(١٠)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

هي مكية، نزلت قبيل هجرة المؤمنين إلى الحبشة، أي: في سنة خمس قبل الهجرة، وقد اختلف أهل العلم في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدهما: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[(١١)]، والحسن[(١٢)]، ومجاهد[(١٣)]، وعطاء[(١)]، عكرمة[(٢)]، عكرمة[(٢)]، وقتادة[(٣)]، وجابر بن زيد[(٤)].

---

(١) انظر: الكشاف:١١٠/٤.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٠٣.

(٣)انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٠٣.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(٦) انظر مثلا: معاني القرآن للزجاج:٣٤٣/٤، والكشاف: ١١٠/٤، وتفسير السمعاني: ٤٥٧/٤، وزاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥، وغيرها. وانظر: جمال القرآء: ٩١، والإتقان: ١٩٤/١.

(٧)ديوانه: ص ١٢٦.

(٨)ويروى: دون غرفة عرشه، كما في تهذيب اللغة(غرف): ٨/ ١٠٤، واللسان (غرف): ص٢٦٤/٩.

(٩) المنقل: ظهر الجبل.

(١٠) انظر: اللسان: (غرف): ص٢٦٤/٩.

(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢١٠/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(١٣) انظر: زاد المسير: ٧/٤.

قال ابن عاشور:" هي مكية كلها عند الجمهور"(٥).

الثاني: أنها مكية، إلا قوله: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا} [الزمر : ٥٣]... الآية. قاله الزمخشري(٦).

الثالث: أنها مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة، إحداهما: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمر : ٢٣]، والأخرى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} [الزمر : ٥٣] الآية. حكاه القرطبي عن ابن عباس(٧).

الرابع: أنها مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر : ٥٣] إلى ثلاث آيات. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا(٨). وبه قال مقاتل(٩)، وابن قتيبة(١٠)، والزجاج(١١).

الخامس: أنها مكية إلا سبع آيات من قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} [الزمر : ٥٣]، إلى آخر سبع آيات نزلت في وحشي وأصحابه. حكاه القرطبي(١٢).

قال ابن عاشور:" المتجه: أنها كلها مكية وأن ما يخيل أنه نزل في قصص معينة إن صحت أسانيده أن يكون وقع التمثل به في تلك القصص فاشتبه على بعض الرواة بأنه سبب نزول"(١٣).

- **مناسبة سورة«الزمّر» مع سورة «ص»:**

من وجه اتصال «سورة الزمّر» لما قبلها:

١- إنه وصف القرآن في آخر سورة «ص» بقوله: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} [ص : ٨٧]، ووصفه هنا بقوله: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الزمر : ١].

٢- إنه ذكر في «ص» أحوال الخلق من المبدإ إلى المعاد، وذكر هنا مثله- إلى نحو ذلك من وجوه للربط تظهر بالتأمل(١٤).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

١- التنويه بشأن القرآن تنويهاً تكرر في ستة مواضع من هذه السورة؛ لأن القرآن جامع لمقاصدها، ومقاصدها كثيرة، تحوم حول إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية، وإبطال الشرك فيها، وإبطال تعللات المشركين؛ لإشراكهم وأكاذيبهم، ونفي ضَرْب من ضروب الإشراك، وهو زعمهم أن لله ولداً.

٢- الاستدلال على وحدانية الله في الإلهية بدلائل تفرده بإيجاد العوالم العلوية والسفلية، وبتدبير نظامها، وما تحتوي عليه مما لا ينكر المشركون انفراده به.

---

(١) انظر: تفسيرا لقرطبي: ٢٣٢/١٥.
(٢) انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.
(٣) انظر: زاد المسير: ٧/٤.
(٤) انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.
(٥) المحرر الوجيز: ٣١١/٢٣.
(٦) انظر: الكشاف: ١١٠/٤.
(٧) انظر: تفسيرا لقرطبي: ٢٣٢/١٥.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢١٠/٧، وعزاه إلى النحاس في تاريخه. وانظر: معاني القرآن للنحاس: ١٤٧/٦.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٦٧/٣.
(١٠) انظر: غريب القرآن: ٣٨٢.
(١١) انظر: معاني القرآن: ٣٤٣/٤.
(١٢) انظر: تفسيرا لقرطبي: ٢٣٢/١٥.
(١٣) المحرر الوجيز: ٣١٢/٢٣.
(١٤) انظر: تفسير المراغي:١٤١/٢٣.

قال سيد قطب:" هذه السورة تكاد تكون مقصورة على علاج قضية التوحيد. وهي تطوف بالقلب البشري في جولات متعاقبة وتوقع على أوتاره إيقاعات متلاحقة وتهزه هزا عميقا متواصلا لتطبع فيه حقيقة التوحيد وتمكنها، وتنفي عنه كل شبهة وكل ظل يشوب هذه الحقيقة"(١).

٣- الإشارة إلى الخلق العجيب في أطوار تكون الإنسان والحيوان، والاستدلال عليهم بدليل من فعلهم، وهو التجاؤهم إلى الله عند ما يصيبيهم الضر.

٤- بيان أن دين التوحيد هو الذي جاءت به الرسل من قبل. والتحذير من أن يحل بالمشركين ما حل بأهل الشرك من الأمم الماضية.

٥- إعلام المشركين بأنهم وشركاءهم لا يُعبأ بهم عند الله وعند رسوله ﷺ؛ فالله غني عن عبادتهم، ورسوله لا يخشاهم، ولا يخاف أصنامهم؛ لأن الله كفاه إياهم جميعاً.

٦- الدلالة على أنه سبحانه صادق الوعد، وأنه غالب لكل شيء، فلا يعجل؛ لأنه لا يفوته شيء، ويضع الأشياء في أوفق محالها.

٧- تمثيل حال المؤمنين وحال المشركين في الحياتين: الحياة الدنيا، والحياة الآخرة.

٨- دعاء المشركين للإقلاع عن الإسراف على أنفسهم، ودعاء المؤمنين للثبات على التقوى ومفارقة دار الكفر.

٩- تخلل السورة وعيد ووعد، وأمثال، وترهيب وترغيب، ووعظ، وإيماء بقوله: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر : ٩]، إلى أن شأن المؤمنين أنهم أهل علم، وأن المشركين أهل جهالة؛ وذلك تنويه برفعة العلم، ومذمة الجهل.

١٠-دعوة الناس إلى التدبر فيما يُلقى إليهم من القرآن، الذي هو أحسن الحديث. وتنبيههم على كفرانهم شكر النعمة. والمقابلة بين حالهم وبين حال المؤمنين المخلصين لله.

١١-تضمنت السورة لمسات من واقع حياة البشر، وسبر أغوار نفوسهم، {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} [الزمر : ٨] {فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ} [الزمر : ٤٩].

١٢-إثبات البعث والجزاء؛ لتجزى كل نفس بما كسبت، وتمثيل البعث بإحياء الأرض بعد موتها، وضرب لهم مثله بالنوم والإفاقة بعده، وأنه يوم الفصل بين المؤمنين والمشركين.

١٣-بيان أنه سبحانه أنزل كلاً من المحشورين داره المعدة له، بعد الإعذار في الإنذار، والحكم بينهم بما استحقه أعمالهم؛ عدلاً منه سبحانه بأهل النار، وفضلاً على المتقين الأبرار.

١٤-صورت السورة بعضاً من مشاهد القيامة، وما فيها من فزع، {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر : ٦٨]. ومشاهد أُخر فيها إنابة وخشوع: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزمر : ٧٥] .

١٥-خُتمت السورة بصورة من صور يوم الحساب للفصل بين العباد؛ حيث الملائكة محيطون حول عرش الرحمن، يسبحون بحمده، ويحمدونه على قضائه وعدله بين العباد(٢).

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

---

(١) في ظلال القرآن: ٣٠٣٣/٥.

(٢) انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].

- عن أبي لبابة العقيلي قال: سمعت عائشة تقول: " كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ في كل ليلة ببني إسرائيل، والزمر"(١).
- قال وهب بن منبه:" من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه، فليقرأ آخر سورة الزمر"(٢).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) أخرجه احمد في المسند(٢٤٣٨٨):ص٤٥٢/٤٠، وأخرجه بتمامه ومختصرا إسحاق بن راهويه (١٣٧٢) ، والترمذي (٢٩٢٠) و (٣٤٠٥)، وقال: «هذا حديث حسن غريب ». واخرجه النسائي في "المجتبى" ١٩٩/٤، وفي "الكبرى" (٣٦٥٦) و (١٤٤٤) - وهو في "عمل اليوم والليلة" (٧١٢) - وابن خزيمة (١١٦٣) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٧٨) ، والحاكم ٤٣٤/٢، والبيهقي في
"الشعب" (٢٤٧٠) ، وفي "الدعوات الكبير" (٣٥٩) ، والمزي في "تهذيب الكمال" (في ترجمة مروان أبي لبابة) من طرق عن حماد بن زيد، به. ولفظه عند الترمذي: "كان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر. وقال: هذا حديث حسن غريب، وسكت عنه الحاكم، ووافقه الذهبي.
وأخرجه أبو يعلى (٤٦٤٣) و (٤٧٦٤) من طريق حسن بن عمر بن شقيق، عن حماد، به مختصرا، إلا أنه قال: تنزيل السجدة بدل بني إسرائيل.
والحديث صحيح دون قوله: «وكان يقرأ في كل ليلة ببني إسرائيل والزمر»، وهذا إسناد فيه أبو لبابة العقيلي، وهو مروان مولى عائشة رضي الله عنها، ويقال: مولى هند بنت المهلب بن أبي صفرة، ويقال: مولى عبد الرحمن بن زياد العقيلي، ويقع ابن معين، والذهبي في "الكاشف"، وابن حجر في "التقريب"، وذكره ابن حبان في "الثقات " لكن الذهبي نص في "الميزان" ٥٦٥/٤ على أن خبره منكر، وتوقف فيه ابن خزيمة في "صحيحه" (١١٦٣) ، فقال: باب استحباب قراءة بني إسرائيل والزمر كل ليلة استنادا بالنبي ﷺ، إن كان أبو لبابة هذا يجوز الاحتجاج بخبره، فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح، قلنا: حسن حديثه الترمذى، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. حسن: هو ابن موسى الأشيب".
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٧/٧. وعزاه إلى عبد بن حميد.

القرآن

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)} [الزمّر : ١]

التفسير:

تنزيل القرآن إنما هو من الله العزيز في قدرته وانتقامه، الحكيم في تدبيره وأحكامه.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {تَنزيلُ الْكِتَابِ} الذي نزلناه عليك يا محمد {مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ} في انتقامه من أعدائه، {الحَكِيمِ} في تدبيره خلقه، لا من غيره، فلا تكوننّ في شكّ من ذلك"(١).

قال الزجاج:" الكتاب ههنا القرآن، ورفع تنزيل الكتاب من جهتين: إحداهما الابتداء ويكون الخبر من الله، أي نزل من عند الله. ويجوز أن يكون رفعه على: هذا تنزيل الكتاب"(٢).

القرآن

{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢)} [الزمّر : ٢]

التفسير:

إنا أنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن يأمر بالحق والعدل، فاعبد الله وحده، وأخلص له جميع دينك.

قوله تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} [الزمّر : ٢]، **أي:"** إنا أنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن يأمر بالحق والعدل**"(٣).**

قال الطبري:" أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحقّ والعدل"(٤).

عن قتادة: "{إِنَّا أَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ}، يعني: القرآن"(٥).

قوله تعالى:{فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمّر : ٢]، **أي:"** فاعبد الله وحده، وأخلص له جميع دينك**"(٦).**

قال الطبري:يقول:" فاخشع لله يا محمد بالطاعة، وأخلص له الألوهة، وأفرده بالعبادة، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا، كما فَعَلَتْ عَبَدة الأوثان"(٧).

قال الزجاج:" معنى إخلاص الدِّينِ –ههنا-: عبادة الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وهذا جرى تثبيتاً للتوحيد، ونفياً للشرك"(٨).

عن السديّ، "أما قوله: {مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ}، فالتوحيد"(٩).

عن شمر، قال:"يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات، فيقول ربّ العزّة جلّ وعزّ: صَلَّيت يوم كذا وكذا، ليقال: صلَّى فلان! أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص. صمتَ يوم كذا وكذا، ليقال: صام فلان! أنا الله لا آله إلا أنا لي الدين الخالص، تصدّقت يوم كذا وكذا، ليقال: تصدق فلان! أنا الله لا إله إلا أنا لي الدين الخالص، فما يزال يمحو شيئا بعد شيء حتى تبقى صحيفته ما فيها شيء، فيقول ملكاه: يا فلان، ألغير الله كنت تعمل"(١٠).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٤٨/٢١.
(٢) معاني القرآن: ٣٤٣/٤.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٤) تفسير الطبري: ٢٤٨/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٥٠/٢١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٧) تفسير الطبري: ٢٥٠/٢١.
(٨) معاني القرآن: ٣٤٤/٤.
(٩) أخرجه الطبري:: ٢٥٠/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري:: ٢٥٠/٢١.

القرآن

{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)} [الزمّر : ٣]

التفسير:

ألا لله وحده الطاعة التامة السالمة من الشرك، والذين أشركوا مع الله غيره واتخذوا من دونه أولياء، قالوا: ما نعبد تلك الآلهة مع الله إلا لتشفع لنا عند الله، وتقربنا عنده منزلة، فكفروا بذلك؛ لأن العبادة والشفاعة لله وحده، إن الله يفصل بين المؤمنين المخلصين والمشركين مع الله غيره يوم القيامة فيما يختلفون فيه من عبادتهم، فيجازي كلا بما يستحق. إن الله لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم من هو مفترٍ على الله، كَفَّار بآياته وحججه.

قوله تعالى:{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمّر : ٣]، أي:" ألا لله وحده الطاعة التامة السالمة من الشرك"[١].

قال النحاس:" أي: الذي لا يشوبه شيء"[٢].

قال ابن كثير:" أي : لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله ، وحده لا شريك له"[٣].

قال الزجاج:" أي: فَأَخْلِصْ أَنْتَ الدِّينَ، ولا تتخذ من دونه أولياء"[٤].

قال الطبري:يقول:" ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له، خالصة لا شرك لأحد معه فيها، فلا ينبغي ذلك لأحد، لأن كل ما دونه ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيئا"[٥].

قال البغوي:" {ألا لله الدين الخالص}، أي: التوحيد، والدين: اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه"[٦].

عن قتادة: "{أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}، شهادة أن لا إله إلا الله"[٧].

قال مجاهد:"شهادة أن لا إله إلا الله كلمة الإخلاص"[٨].

عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ، ماله؟ ، فقال رسول الله - ﷺ -: " لا شيء له " ، فأعادها ثلاث مرات ، يقول له رسول الله - ﷺ -: " لا شيء له ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له ، وابتغي به وجهه"[٩].

عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنه :"{ألا لله الدين الخالص} [الزمر: ٣]، قال: «كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، لا يتقبل الله عز وجل من أحد عملا حتى يقولها»[١٠].

الحسن عن أبي هريرة أن رجلا قال: "يا رسول الله إنّي أتصدّق بالشّيء وأصنع الشيء أريد به وجه الله جلّ وعزّ وثناء الناس. فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله جلّ ثناؤه شيئا شورك فيه ثم تلا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: {لا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ}»[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٢) إعراب القرآن: ٣/٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٨٤/٧.
(٤) معاني القرآن: ٣٤٤/٤.
(٥) تفسير الطبري: ٢٥٠/٢١.
(٦) شرح السنة: ١٣٠/١٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢١، والطبراني في الدعاء(١٦٠٣):ص٤٦١
(٨) الدعاء للطبراني(١٦٠٤):ص٤٦١.
(٩) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: ١١٢/٢١، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب: ١٣٣١.
(١٠) الدعاء للطبراني(١٦٠٢):ص٤٦٠.
(١١) حكاه النحاس في إعراب القرآن: ٢/٤.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمّر : ٣]، أي:" والذين أشركوا مع الله غيره واتخذوا من دونه أولياء، قالوا: ما نعبد تلك الآلهة مع الله إلا لتشفع لنا عند الله، وتقربنا عنده منزلة"[١].

قال الطبري: يقول:" والذين اتخذوا من دون الله أولياء يَتَوَلَّوْنَهُم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَى، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا"[٢].

قال الزجاج:" أي: يقولون لمن يقول لهم لم عبدتموهم: {ما نعبدهم إلا ليُقَربُونَا إلى الله زلفى}. أَيْ: قُرْبَى"[٣].

قال ابن كثير:" أي : إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم ، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم ، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به... ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم : «لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك»[٤]. وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، بردها والنهي عنها ، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له ، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم ، لم يأذن الله فيه ولا رضي به ، بل أبغضه ونهى عنه : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [النحل : ٣٦]{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء : ٢٥]. وأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم ، كلهم عبيد خاضعون لله ، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم ، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه ، { فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ } [النحل : ٧٤] ، تعالى الله عن ذلك"[٥].

عن مجاهد، قوله: "{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، قال: قريش تقوله للأوثان، ومن قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى ابن مريم ولعزَير"[٦].

قال قتادة:" قالوا: ما نعبد هؤلاء إلا ليقرّبونا، إلا ليشفعُوا لنا عند الله"[٧].

قال ابن زيد:" قالوا هم شفعاؤنا عند الله، وهم الذين يقربوننا إلى الله زلفى يوم القيامة للأوثان، والزلفى: القُرَب"[٨].

عن السديّ، قوله: "{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، قال: هي منزلة"[٩].

عن ابن عباس، قوله: {والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} [الزمر: ٣] وقوله: {ولو شاء الله ما أشركوا} [الأنعام: ١٠٧]:" يقول سبحانه: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين"[١٠].

في قراءة أبي:«ما نَعْبُدُكُمْ»، وفي قراءة عبد الله:«قالوا ما نعبدهم»[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٥١/٢١.
(٣) معاني القرآن: ٣٤٤/٤.
(٤) أخرجه الطبري(١٦٠٠٠):ص٥١١/١٣-٥١٢.
(٥) تفسير ابن كثير: ٨٥/٧.
(٦) اخرجه الطبري: ٢٥١/٢١.
(٧) اخرجه الطبري: ٢٥١/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢١.
(٩) اخرجه الطبري: ٢٥١/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢١.
(١١) .انظر: تفسير الطبري: ٢٥١/٢١

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمّر : ٣]، أي:" إن الله يفصل بين المؤمنين المخلصين والمشركين مع الله غيره يوم القيامة فيما يختلفون فيه من عبادتهم، فيجازي كلا بما يستحق"(١).

قال الطبري:يقول:" إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة، فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها، بأن يصليهم جميعا جهنم، إلا من أخلص الدين لله، فوحده، ولم يشرك به شيئا"(٢).

قال ابن كثير:" أي : سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ، ويجزي كل عامل بعمله ، { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سبأ : ٤١ ، ٤٠]"(٣).

قال الزمخشري:" المعنى: أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة، ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم، واختلافهم: أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون، وأولئك يعادونهم ويلعنونهم، وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى.

وقيل: كان المسلمون إذا قالوا لهم: من خلق السماوات والأرض، أقروا وقالوا: الله، فإذا قالوا لهم: فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فالضمير في بَيْنَهُمْ عائد إليهم وإلى المسلمين. والمعنى: أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين"(٤).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمّر : ٣]، أي:" إن الله لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم من هو مفترٍ على الله، كَفَّار بآياته وحججه"(٥).

قال الطبري:يقول:" {إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي} إلى الحق ودينه الإسلام، والإقرار بوحدانيته، فيوفقه له {مَنْ هُوَ كَاذِبٌ} مفتر على الله، يتقول عليه الباطل، ويضيف إليه ما ليس من صفته، ويزعم أن له ولدا افتراء عليه، كفار لنعمه، جحودا لربوبيته"(٦).

قال ابن كثير:" أي : لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله ، وقلبه كفار يجحد بآياته وحججه وبراهينه "(٧).

قال **ابن المنير الإسكندري**:" معنى إضلاله للكافر إزاحته عن الهدى وخلق الكفر له، ومع ذلك فيجوز عند أهل السنة أن يخلق الله تعالى للكافر لطفا يؤمن عنده طائعا، خلافا للقدرية، وغرضنا التنبيه على مذهب أهل الحق لا غيره"(٨).

القرآن

{لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)} [الزمّر : ٤]

التفسير:

لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاختار من مخلوقاته ما يشاء، تنزَّه الله وتقدَّس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، القهَّار الذي قهر خلقه بقدرته، فكل شيء له متذلل خاضع.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٥٢/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ٨٥/٧.
(٤) الكشاف: ١١١/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٦) تفسير الطبري: ٢٥٢/٢١.
(٧) تفسير ابن كثير: ٨٥/٧.
(٨) الكشاف: ١١١/٤. الهامش(١).

قوله تعالى:{لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} [الزمّر : ٤]، أي:" لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاختار من مخلوقاته ما يشاء"[١].

قال الطبري:يقول:" لو شاء الله اتخاذ ولد، ولا ينبغي له ذلك، لاختار من خلقه ما يشاء"[٢].

قال ابن قتيبة:" أي: لاختار ما يشاء من خلقه، لو كان فاعلا"[٣].

قال ابن كثير:" وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه ، بل هو محال ، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه ، كما قال : { لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ } [الأنبياء : ١٧]{ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ } [الزخرف : ٨١] ، كل هذا من باب الشرط ، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم"[٤].

قال القشيري:" خاطبهم على قدر عقولهم وعقائدهم حيث قالوا: المسيح ابن الله، وعزيز ولد الله فقال: لو أراد أن يتّخذ ولدا للتبنّى والكرامة لاختار من الملائكة الذين هم منزّهون عن الأكل والشرب وأوصاف الخلق"[٥].

قال الزمخشري:" يعنى: لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح، لكونه محالا، ولم يتأت إلا أن يصطفى من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم، كما يختص الرجل ولده ويقربه. وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه إياهم، فزعمتم أنهم أولاده، جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض، كأنه قال: لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة، إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا، ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات، فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته، غالبين[٦] في الكفر"[٧].

قوله تعالى:{سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزمّر : ٤]، أي:" تنزَّه الله وتقدَّس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، القهَّار الذي قهر خلقه بقدرته، فكل شيء له متذلل خاضع"[٨].

قال الطبري:" يقول: تنزيها لله عن أن يكون له ولد، وعما أضاف إليه المشركون به من شركهم، هو الذي يَعْبده كلّ شيء، ولو كان له ولد لم يكن له عبدا، يقول: فالأشياء كلها له ملك، فأنى يكون له ولد، وهو الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه، والقهار لخلقه بقدرته، فكل شيء له متذلل، ومن سطوته خاشع"[٩].

قال ابن كثير:" أي : تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد ، فإنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي كل شيء عبد لديه ، فقير إليه ، وهو الغني عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت"[١٠].

قال الزجاج:" أي: تنزيهاً له عن ذلك، {هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}. وفي هذا دليل أن الذين اتخذوا من دونه أولياء قد دخل فيهم من قال: عيسى ابن اللَّه - جلَّ اللَّه وعزَّ عن ذلك - ومن قال: العُزيْرُ ابن اللَّه"[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٥٢/٢١.
(٣) غريب القرآن: ٣٨٢.
(٤) تفسير ابن كثير: ٨٥/٧.
(٥) لطائف الإشارات: ٢٦٨/٣.
(٦)قوله «غالبين في الكفر» لعله: غالين. [المحقق]
(٧) الكشاف: ١١٢/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٩) تفسير الطبري: ٢٥٢/٢١-٢٥٣.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٨٥/٧.
(١١) معاني القرآن: ٣٤٤/٤.

قال الزمخشري:" نزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء. ودلّ على ذلك بما ينافيه، وهو أنه واحد، فلا يجوز أن يكون له صاحبة، لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له: وإذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد، وهو معنى قوله: {أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ} [الأنعام : ١٠١]. و{قهار}: غلاب لكل شيء، ومن الأشياء آلهتهم، فهو يغلبهم، فكيف يكونون له أولياء وشركاء؟"(١).

فوائد الآيات: [١-٤]:

١- تقرير النبوة المحمدية-ﷺ-.

٢- تقرير التوحيد.

٣- بطلان الشرك والتنديد بالمشركين.

٤- تقرير البعث والجزاء يوم القيامة.

القرآن

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥)} [الزمّر : ٥]

التفسير:

خلق الله السموات والأرض وما فيهما بالحق، يجيء بالليل ويذهب بالنهار، ويجيء بالنهار ويذهب بالليل، وذلَّل الشمس والقمر بانتظام لمنافع العباد، كل منهما يجري في مداره إلى حين قيام الساعة. ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم على خلقه بهذه النعم هو العزيز على خلقه، الغفار لذنوب عباده التائبين.

قوله تعالى:{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} [الزمّر : ٥]، أي:" خلق الله السموات والأرض وما فيهما بالحق"(٢).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والأرض ، وما بين ذلك من الأشياء ، وأنه مالك الملك المتصرف"(٣).

قوله تعالى:{يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ} [الزمّر : ٥]، أي:" يجيء بالليل ويذهب بالنهار، ويجيء بالنهار ويذهب بالليل"(٤).

قال الطبري: يقول: يغشي هذا على هذا، وهذا على هذا، كما قال: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}"(٥).

قال ابن كثير:" أي : سخرهما يجريان متعاقبين لا يقران، كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا ، كقوله : { يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا } [الأعراف : ٥٤]"(٦).

قال ابن عباس:" يقول: يحمل الليل على النهار"(٧).

قال مجاهد:" يدهور الليل على النهار، ويدهور النهار على الليل"(٨).

قال قتادة:" يَغْشَى هذا هذا، ويغشى هذا هذا"(٩).

قال السدي:" يجيء بالنهار ويذهب بالليل، ويجيء بالليل، ويذهب بالنهار"(١٠).

---

(١) الكشاف: ١١٢/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(٣) تفسير ابن كثير: ٨٦/٧.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(٥) تفسير الطبري: ٢٥٣/٢١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٨٦/٧.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢١.

(٨) تفسير مجاهد: ٥٧٧، وأخرجه الطبري:٢٥٣/٢١، بلفظ:«يدهوره».

(٩) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢١-٢٥٤.

قال ابن زيد:" حين يذهب بالليل ويكور النهار عليه، ويذهب بالنهار ويكور الليل عليه"[١].

قوله تعالى:{وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} [الزمّر : ٥]، أي:" وذلَّل الشمس والقمر بانتظام لمنافع العباد"[٢].

قال الطبري: يقول:" وسخر الشمس والقمر لعباده، ليعلموا بذلك عدد السنين والحساب، ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم"[٣].

قوله تعالى:{كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى} [الزمّر : ٥]، أي:" كل منهما يجري في مداره إلى حين قيام الساعة"[٤].

قال الطبري: "يقول: {كُلّ} ذلك يعني الشمس والقمر (يَجْرِي لأجَلٍ مُسَمًّى) يعني إلى قيام الساعة، وذلك إلى أن تكوّر الشمس، وتنكدر النجوم. وقيل: معنى ذلك: أن لكل واحد منهما منازل، لا تعدوه ولا تقصر دونه"[٥].

قال ابن كثير:" أي : إلى مدة معلومة عند الله ثم تنقضي يوم القيامة"[٦].

قوله تعالى:{أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} [الزمّر : ٥]، أي:" ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم على خلقه بهذه النعم هو العزيز على خلقه، الغفار لذنوب عباده التائبين"[٧].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال وأنعم على خلقه هذه النعم هو العزيز في انتقامه ممن عاداه، الغفار لذنوب عباده التائبين إليه منها بعفوه لهم عنها"[٨]. عنها"[٨].

قال ابن كثير:" أي : مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه"[٩].

القرآن

{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦)} [الزمّر : ٦]

التفسير:

خلقكم ربكم -أيها الناس- من آدم، وخلق منه زوجه، وخلق لكم من الأنعام ثمانية أنواع ذكرًا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز، يخلقكم في بطون أمهاتكم طورًا بعد طور من الخلق في ظلمات البطن، والرحم، والمَشِيمَة، ذلكم الله الذي خلق هذه الأشياء، ربكم المتفرد بالملك المتوحد بالألوهية المستحق للعبادة وحده، فكيف تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره مِن خلقه؟

قوله تعالى:{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} [الزمّر : ٦]، أي:" خلقكم ربكم -أيها الناس- من آدم، وخلق منه زوجه"[١٠].

قال الطبري:" {خَلَقَكُمْ} أيها الناس من آدم، ثم جعل من آدم زوجه حواء، وذلك أن الله خلقها من ضِلَع من أضلاعه"[١١].

---

(١) اخرجه الطبري: ٢٥٤/٢١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٣) تفسير الطبري: ٢٥٤/٢١.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٥٤/٢١.
(٦) تفسير ابن كثير: ٨٦/٧.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥٨.
(٨) تفسير الطبري: ٢٥٤/٢١.
(٩) تفسير ابن كثير: ٨٦/٧.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(١١) تفسير الطبري: ٢٥٤/٢١.

قال ابن كثير:" أي : خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة ، وهو آدم عليه السلام { ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا } ، وهي حواء ، عليهما السلام ، كقوله : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً } [النساء : ١]"(١).

عن قتادة، قوله: "{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}، يعني آدم، ثم خلق منها زوجها حواء، خلقها من ضِلَع من أضلاعه"(٢).

قوله تعالى:{وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} [الزمّر : ٦]، أي:" وخلق لكم من الأنعام ثمانية أنواع ذكرًا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز"(٣).

قال الطبري: يقول:" وجعل لكم من الأنعامِ ثمانية أزواج من الإبل زوجين، ومن البقر زوجين، ومن الضأن اثنين، ومن المعْز اثنين، كما قال جل ثناؤه: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ}"(٤).

قال ابن كثير:" أي : وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية ، أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام : { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ } [الأنعام : ١٤٣] ، { وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ } [الأنعام : ١٤٤]"(٥).

عن مجاهد، قوله: "{مِنَ الأنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ}، قال: من الإبل والبقر والضأن والمعز"(٦).

قال قتادة:" من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، من كلّ واحد زوج"(٧).

قال الضحاك:" يعني من المعز اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الإبل اثنين"(٨).

قوله تعالى:{يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ} [الزمّر : ٦]، أي:" يخلقكم في بطون أمهاتكم طورًا بعد طور من الخلق"(٩).

قال الطبري: يقول:" يبتدئ خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق، وذلك أنه يحدث فيها نطفة، ثم يجعلها علقة، ثم مضغة، ثم عظاما، ثم يكسو العظام لحما، ثم يُنْشئه خلقا آخر، تبارك الله وتعالى، فذلك خلقه إياه خلقا بعد خلق"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : قدركم في بطون أمهاتكم { خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ } أي : يكون أحدكم أولا نطفة ، ثم يكون علقة ، ثم يكون مضغة ، ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا ، وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر ، { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } [المؤمنون : ١٤]"(١١).

وفي قوله تعالى:{يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ} [الزمّر : ٦]، أقوال:
أحدها: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم لحماً ، قاله قتادة(١٢)، وعكرمة(١٣)، ومجاهد(١)، والضحاك(٢)، والسدي(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٨٦/٧.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢١.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٤) تفسير الطبري: ٢٥٦/٢١.
(٥) تفسير ابن كثير: ٨٦/٧.
(٦) اخرجه الطبري: ٢٥٦/٢١.
(٧) اخرجه الطبري: ٢٥٦/٢١.
(٨) اخرجه الطبري: ٢٥٦/٢١.
(٩) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٥٧/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ٨٦/٧.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٧/٢١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٧/٢١.

عن عكرمة، قوله:{يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْق}، قال: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة"[٤].

وقال عكرمة:" يعني بخلق بعد الخلق، علقة، ثم مضغة، ثم عظاما"[٥].

قال الضحاك:" خلق نطفة، ثم علقة، ثم مضغة"[٦].

قال قتادة:" نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاما، ثم لحما، ثم أنبت الشعر، أطوار الخلق"[٧].

قال السدي: يكونون نطفا، ثم يكونون علقا، ثم يكونون مضغا، ثم يكونون عظاما، ثم ينفخ فيهم الروح"[٨].

عن مجاهد، قوله: "{خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ}، قال: نطفة، ثم ما يتبعها حتى تم خلقه"[٩].

الثاني: معناه: يخلقكم في بطون أمهاتكم من بعد خلقه إياكم في ظهر آدم. قاله ابن زيد[١٠].

الثالث: خلقاً في ظهر الأب ثم خلقاً في بطن الأم ثم خلقاً بعد الوضع. أفاده الماوردي[١١].

والراجح-والله اعلم- هو القول الأول، " لأن الله جلّ وعزّ أخبر أنه يخلقنا خلقا من بعد خلق في بطون أمهاتنا في ظلمات ثلاث، ولم يخبر أنه يخلقنا فى بطون أمهاتنا من بعد خلقنا في ظهر آدم، وذلك نحو قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً}... الآية"[١٢].

قوله تعالى:{فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ} [الزمّر : ٦]، أي:" في ظلمات البطن، والرحم، والمَشِيمَة"[١٣].

قال الطبري:" يعني: في ظلمة البطْن، وظلمة الرّحِم، وظُلْمة المَشِيمَة"[١٤]. وروي عن السدي نحوه[١٥].

قال ابن كثير:" يعني : ظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة - التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد - وظلمة البطن"[١٦].

قال ابن عباس:" يعني: بالظلمات الثلاث: بطن أمه، والرحم، والمَشِيمة"[١٧].

قال عكرمة:" الظلمات الثلاث: البطن، والرحم، والمَشِيمة"[١٨]. وروي عن مجاهد[١٩]، وقتادة[٢٠]، نحو ذلك.

وقال ابن زيد:" المشيمة في الرحم، والرحم في البطن"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٧/٢١.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٧/٢١.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٧/٢١.
(٤) اخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.
(٥) اخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.
(٦) اخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.
(٧) اخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.
(٨) اخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.
(٩) اخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٨/٢١.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١١٥/٥.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢١.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢١.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٩/٢١.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٨٦/٧.
(١٧) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢١.
(١٨) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢١.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٨/٢١.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٩/٢١.

قال الضحاك:" الرحم، والمشيمة، والبطن، والمشيمة التي تكون على الولد إذا خرج، وهي من الدواب السَّلى"(٢).

قوله تعالى:{ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ} [الزمّر : ٦]، أي:" ذلكم الله الذي خلق هذه الأشياء ربكم"(٣).

قال الطبري: يقول:" هذا الذي فعل هذه الأفعال أيها الناس هو ربكم، لا من لا يجلب لنفسه نفعا، ولا يدفع عنها ضرّا، ولا يسوق إليكم خيرا، ولا يدفع عنكم سوءا من أوثانكم وآلهتكم"(٤).

قال ابن كثير:" أي : هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم، هو الرب"(٥).

قوله تعالى:{لَهُ الْمُلْكُ} [الزمّر : ٦]، أي:" المتفرد بالملك"(٦).

قال ابن كثير:" له الملك والتصرف في جميع ذلك"(٧).

قال الطبري: " يقول جلّ وعزّ: لربكم أيها الناس الذي صفته ما وصف لكم، وقُدرته ما بين لكم المُلك، ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما لا لغيره، فأما ملوك الدنيا فإنما يملك أحدهما شيئا دون شيء، فإنما له خاص من الملك. وأما المُلك التام الذي هو المُلك بالإطلاق فلله الواحد القهار"(٨).

قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الزمّر : ٦]، أي:" المتوحد بالألوهية المستحق للعبادة وحده"(٩).

قال الطبري: يقول:" لا ينبغي أن يكون معبود سواه، ولا تصلح العبادة إلا له"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده"(١١).

قوله تعالى:{فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [الزمّر : ٦]، أي:" فكيف تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره مِن خلقه؟"(١٢).

قال الطبري: يقول:" فأنى تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم، الذي هذه الصفة صفته، إلى عبادة من لا ضر عنده لكم ولا نفع"(١٣).

قال ابن كثير:" أي : فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يُذْهَبُ بعقولكم ؟!"(١٤).

قال السدي: قال للمشركين: أنى تصرف عقولكم عن هذا؟"(١٥).

عن قتادة: {فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}، قال:" كقوله: {تُؤْفَكُونَ}"(١٦).

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢١.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٤) تفسير الطبري: ٢٥٩/٢١.
(٥) تفسير ابن كثير: ٨٦/٧.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٧) تفسير ابن كثير: ٨٦/٧.
(٨) تفسير الطبري: ٢٥٩/٢١.
(٩) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٥٩/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ٨٦/٧-٨٧.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٥٩/٢١.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٨٧/٧.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢١.
(١٦) أخرجه الطبري:: ٢٦٠/٢١.

{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)} [الزمّر : ٧]

التفسير:

إن تكفروا -أيها الناس- بربكم ولم تؤمنوا به، ولم تتبعوا رسله، فإنه غنيٌّ عنكم، ليس بحاجة إليكم، وأنتم الفقراء إليه، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمرهم به، وإنما يرضى لهم شكر نعمه عليهم. ولا تحمل نفس إثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم مصيركم، فيخبركم بعملكم، ويحاسبكم عليه. إنه عليم بأسرار النفوس وما تخفي الصدور.

قوله تعالى:{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ} [الزمّر : ٧]، أي:" إن تكفروا -أيها الناس- بربكم ولم تؤمنوا به، ولم تتبعوا رسله، فإنه غنيٌّ عنكم، ليس بحاجة إليكم، وأنتم الفقراء إليه"(١).
إليه"(١).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن نفسه تعالى : أنه الغني عما سواه من المخلوقات ، كما قال موسى: {إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ } [إبراهيم : ٨]"(٢).

وفي الصحيح:" "يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئا"(٣).

قوله تعالى:{وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمّر : ٧]، أي:" ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمرهم به"(٤).

قال أبو السعود:" أي: عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به"(٥).

قال ابن كثير:" أي : لا يحبه ولا يأمر به"(٦).

قال الرازي:" يعني: أنه وإن كان لا ينفعه إيمان ولا يضره كفران إلا أنه لا يرضى بالكفر"(٧).

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمّر : ٧]، على قولين:

أحدهما: أن ذلك لخاص من الناس، ومعناه: إن تكفروا أيها المشركون بالله، فإن الله غني عنكم، ولا يرضى لعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته الكفر. وهذا قول ابن عباس(٨)، والسدي.

قال ابن عباس:" يعني الكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، فيقولوا: لا إله إلا الله، ثم قال: {وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} وهم عباده المخلصون الذين قال فيهم: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}، فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله وحببها إليهم"(٩).

قال السدي:" لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٢) تفسير ابن كثير: ٨٧/٧.
(٣)صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٥) تفسير أبي السعود: ٢٤٤/٧.
(٦) تفسير ابن كثير: ٨٧/٧.
(٧) مفاتيح الغيب: ٤٢٥/٢٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢١.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢١.

الثاني: أنه عام لجميع الناس، ومعناه: أيها الناس إن تكفروا، فإن الله غني عنكم، ولا يرضى لكم أن تكفروا به. حكاه الطبري(1).

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك ما قال الله جلّ وعزّ: إن تكفروا بالله أيها الكفار به، فإن الله غني عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى: ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، كما يقال: لست أحب الظلم، وإن أحببت أن يظلم فلان فلانا فيعاقب"(2).

قوله تعالى:{وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمّر : ٧]، أي:" وإن تشكروا ربكم يرضى هذا الشكر منكم، لأجلكم ومنفعتكم لا لانتفاعه بطاعتكم "(3).

قال ابن كثير:" أي : يحبه منكم ويزدكم من فضله"(4).

قال الطبري:" يقول: وإن تومنوا بربكم وتطيعوه يرض شكركم له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكنى عن الشكر ولم يُذْكر، وإنما ذكر الفعل الدالّ عليه، وذلك نظير قوله: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا}، بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيمانا"(5).

قال أبو السعود:" أي: يرض الشكر لأجلكم ومنفعتكم لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وإنما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى"(6).

عن السديّ :"{وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}، قال: إن تطيعوا يرضه لكم"(7).

قوله تعالى:{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الزمّر : ٧]، أي:" ولا تحمل نفس إثم نفس أخرى"(8).

قال ابن كثير:" أي : لا تحمل نفس عن نفس شيئا ، بل كل مطالب بأمر نفسه"(9).

قال الطبري:" يقول: لا تأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرها، ولا تؤاخذ إلا بإثم نفسها، يعلم عز وجل عباده أن على كل نفس ما جنت، وأنها لا تؤاخذ بذنب غيرها"(10).

قال السدي:" لا يؤخذ أحد بذنب أحد"(11).

قال أبو السعود:" بيان لعدم سراية كفر الكافر إلى غيره أصلا، أي: لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى"(12).

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ} [الزمّر : ٧]، أي:" ثم إلى ربكم مصيركم"(13).

قال الطبري: يقول: " ثم بعد اجتراحكم في الدنيا ما اجترحتم من صالح وسيئ، وإيمان وكفر أيها الناس، إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم"(14).

قال أبو السعود:أي:" بالبعث بعد الموت"(15).

قوله تعالى:{فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزمّر : ٧]، أي:" فيخبركم بعملكم، ويحاسبكم عليه"(1).

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٢١.
(٢) تفسير الطبري: ٢٦٠/٢١-٢٦١.
(٣) صفوة التفاسير: ٦٦/٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٨٧/٧.
(٥) تفسير الطبري: ٢٦١/٢١.
(٦) تفسير أبي السعود: ٢٤٤/٧.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢١.
(٨) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٩) تفسير ابن كثير: ٨٧/٧.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٦١/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢١.
(١٢) تفسير أبي السعود: ٢٤٤/٧.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٦١/٢١.
(١٥) تفسير أبي السعود: ٢٤٤/٧.

قال أبو السعود:" أي: [بما] كنتم تعملونه في الدنيا من أعمال الكفر والإيمان أي يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا"[٢].

قال الطبري: "يقول: فيخبركم بما كنتم في الدنيا تعملونه من خير وشر، فيجازيكم على كل ذلك جزاءكم، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بما يستحقه، يقول عز وجل لعباده: فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم في الدنيا بما لا يرضاه منكم فتهلكوا، فإنه لا يخفى عليه عمل عامل منكم"[٣].

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الزمّر : ٧]، أي:" إنه عليم بأسرار النفوس وما تخفي الصدور"[٤].

قال أبو السعود: "أي: بمضمرات القلوب فكيف بالأعمال الظاهرة، وهو تعليل للتنبئة"[٥].

قال ابن كثير:" أي : فلا تخفى عليه خافية "[٦].

قال الطبري: يقول:" إن الله لا يخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مما لا تدركه أعينكم، فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار. وإنما يعني جلّ وعزّ بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء، وأنه محص على عباده أعمالهم، ليجازيهم بها كي يتقوه في سرّ أمورهم وعلانيتها"[٧].

فوائد الآيات: [٥-٧]:

١- بيان آيات الله في الكون وإيرادها أدلة على التوحيد.

٢- بيان إفضال الله تعالى على العباد في خلقهم ورزقهم.

٣- بيان أن الكفر أعجب من الإيمان إذ أدلة الإيمان لا تعد كثرة وأما الكفر فلا دليل عليه البتة ومع هذا أكثر الناس كافرون.

٤- بيان غنى الله تعالى عن خلقه وافتقار الخلق إليه.

٥- بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة وتقريرها.

٦- بيان إحاطة علم الله بالخلق وعلمه بأفعالهم وأحوالهم ظاهراً وباطناً.

القرآن

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨)} [الزمّر : ٨]

التفسير:

وإذا أصاب الإنسانَ بلاءٌ وشدة ومرض تَذكَّر ربه، فاستغاث به ودعاه، ثم إذا أجابه وكشف عنه ضرَّه، ومنحه نِعَمه، نسي دعاءه لربه عند حاجته إليه، وأشرك معه غيره؛ ليُضل غيره عن الإيمان بالله وطاعته، قل له -أيها الرسول- متوعدًا: تمتع بكفرك قليلا حتى موتك وانتهاء أجلك، إنك من أهل النار المخلَّدين فيها.

قوله تعالى:{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ} [الزمّر : ٨]، أي:" وإذا أصاب الإنسانَ بلاءٌ وشدة ومرض"[٨].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٢) تفسير أبي السعود: ٢٤٤/٧.
(٣) تفسير الطبري: ٢٦١/٢١-٢٦٢.
(٤) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٥) تفسير أبي السعود: ٢٤٤/٧.
(٦) تفسير ابن كثير: ٨٧/٧.
(٧) تفسير الطبري: ٢٦٢/٢١.
(٨) التفسير الميسر: ٤٥٩.

قال الطبري: يقول:" وإذا مَسَّ الإنسان بلاء في جسده من مرض، أو عاهة، أو شدّة في معيشته، وجهد وضيق"(١).

عن قتادة، قوله: "{وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ}، قال: الوجع والبلاء والشدّة"(٢).

قوله تعالى:{دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ} [الزمّر : ٨]، أي:" تضرع إلى ربه في إزالة تلك الشدة، مقبلاً غليه مخبتاً مطيعا"(٣).

قال الطبري: " يقول: استغاث بربه الذي خلقه من شدة ذلك، ورغب إليه في كشف ما نزل به من شدة ذلك، تائبا إليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به، وإشراك الآلهة والأوثان به في عبادته، راجعا إلى طاعته"(٤).

عن قتادة، قوله: "{دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ}، قال: مستغيثا به"(٥).

قوله تعالى:{ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ} [الزمّر : ٨]، أي:" ثم إذا أجابه وكشف عنه ضرَّه، ومنحه نِعَمه"(٦).

قال مقاتل: يقول: أعطاه الله الخير"(٧).

قال الزجاج:" أي: أذهب الضر عنه وأنعم عليه"(٨).

قال الواحدي:" يعني: أغناه وأنعم عليه بالصحة"(٩).

قال الطبري: " ثم إذا منحه ربه نعمة منه، يعني عافية، فكشف عنه ضرّه، وأبدله بالسقم صحة، وبالشدة رخاء"(١٠).

قال السدي:" إذا أصابته عافية أو خير"(١١).

قال أبو عبيدة:" كل مالك وكل شىء أعطيته فقد خوّلته، قال أبو النّجم(١٢):

أعطى فلم يبخل ولم يبخّل ... كوم الذّرى من خول المخوّل

يريد الله تبارك وتعالى: وسمعت أبا عمرو يقول فى بيت زهير(١٣):

هنالك إن يستخولوا المال يخولوا ... وإن يسئلوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا"(١٤).

قوله تعالى:{نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ} [الزمّر : ٨]، أي:" نسي دعاءه لربه عند حاجته إليه"(١٥).

قال الطبري:" يقول: ترك دعاءه الذي كان يدعو إلى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضرّ"(١٦).

قال الزجاج:" يقول: نسي الذعاء الذي كان يتضرع به إلى الله - جل وعز -، وجائز أن يكون معناه: نسي الله الذي كان يتضرع إليه من قبل"(١).

---

(١) تفسير الطبري ٢٦٢/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢١.
(٣) صفوة التفاسير: ٦٦/٣.
(٤) تفسير الطبري ٢٦٢/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧١/٣.
(٨) معاني القرآن: ٣٤٦/٤.
(٩) التفسير الوسيط: ٥٧٢/٣.
(١٠) تفسير الطبري ٢٦٢/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢١-٢٦٤.
(١٢)من أرجوزة طويلة مع شرحها فى الطرائف الأدبية ٥٧- ٧١ والشطران مع آخرين فى الطبري ٢٣/ ١٢٦ والقرطبي ١٥/ ٢٣٧ وشواهد المغني ص ١٥٤ والمعاهد ١/ ٧ والخزانة ١/ ٤٠١.
(١٣)ديوانه ص ١١٢ والمختارات ص ٦٢ والطبري ٢٣/ ١١٦ والسمط ص ٤٩٣ واللسان (خول) والقرطبي ١٥/ ٢٣٧..
(١٤) مجاز القرآن: ١٨٨/٢.
(١٥) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(١٦) تفسير الطبري: ٢٦٤/٢١.

قال الواحدي:" نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه"(٢).
عن السديّ: "{نَسِيَ}، يقول: ترك، هذا في الكافر خاصة"(٣).
قوله تعالى:{وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} [الزمّر : ٨]، أي:" وجعل لله شركاء في العبادة ليصد عن دين الله وطاعته"(٤).
قال الطبري:" يقول: وجعل لله أمثالا وأشباها ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده، والإقرار به، والدخول في الإسلام"(٥).
قال الواحدي:" رجع إلى عبادة الأوثان، ليزل عن دين الله الإسلام"(٦).
قال السمعاني:" أي: وصف الله بالأنداد والأشباه، {ليضل} عن سبيل الحق"(٧).
وفي قوله تعالى:{وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا} [الزمّر : ٨]، قولان:
أحدهما: أن الأنداد من الرجال: يطيعونهم في معاصي الله. قاله السدي(٨).
الثاني: أنه عبادة الأوثان، فجعلها لله أندادا في عبادتهم إياها. حكاه الطبري(٩).
قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان، فحصل له الأوثان أندادا، لأن ذلك في سياق عتاب الله إياهم له على عبادتها"(١٠).
قوله تعالى:{قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا} [الزمّر : ٨]، أي:" قل له -أيها الرسول- متوعدًا: تمتع بكفرك قليلا حتى موتك وانتهاء أجلك"(١١).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لفاعل ذلك: تمتع بكفرك بالله قليلا إلى أن تستوفي أجلك، فتأتيك منيتك، وعيد من الله وتَهَدُّدٌ "(١٢).
قال الواحدي:أي:" في الدنيا إلى أجلك"(١٣).
قال الزجاج:" هذا لفظ أمر، ومعناه - التهديد والوعيد"(١٤).
قوله تعالى:{إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} [الزمّر : ٨]، أي:" إنك من أهل النار المخلَّدين فيها"(١٥).
قال الطبري:" أي: إنك من أهل النار الماكثين فيها"(١٦).
قال الواحدي:" أي: إن مصيرك إلى النار"(١٧).

القرآن

---

(١) معاني القرآن: ٣٤٦/٤.
(٢) التفسير الوسيط: ٥٧٢/٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢١.
(٤) صفوة التفاسير: ٦٦/٣.
(٥) تفسير الطبري: ٢٦٤/٢١، ٢٦٥.
(٦) التفسير الوسيط: ٥٧٢/٣.
(٧) تفسير السمعاني: ٤٦٠/٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٤/٢١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٤/٢١.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٦٤/٢١-٢٦٥.
(١١) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٦٥/٢١.
(١٣) التفسير الوسيط: ٥٧٢/٣.
(١٤) معاني القرآن: ٣٤٦/٤.
(١٥) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(١٦) تفسير الطبري: ٢٦٥/٢١.
(١٧) التفسير الوسيط: ٥٧٢/٣.

{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)} [الزمّر : ٩]

التفسير:

أهذا الكافر المتمتع بكفره خير، أم من هو عابد لربه طائع له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله، يخاف عذاب الآخرة، ويأمُل رحمة ربه؟ قل -أيها الرسول-: هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق والذين لا يعلمون شيئًا من ذلك؟ لا يستوون. إنما يتذكر ويعرف الفرق أصحاب العقول السليمة.

قوله تعالى:{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا} [الزمّر : ٩]، أي:" أهذا الكافر المتمتع بكفره خير، أم من هو عابد لربه طائع له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله"[(١)].

قال الطبري:" {آنَاءَ اللَّيْلِ}، يعني: ساعات الليل، {سَاجِدًا وَقَائِمًا}، يقول: يقنت ساجدا أحيانا، وأحيانا قائما، يعني: يطيع، والقنوت عندنا الطاعة"[(٢)].

قرأ يحيى بن وثاب بالتخفيف:« أَمنْ». وذكر ذلك عن نافع وحمزة وفسروها يريد: يا من هو قانت[(٣)].

قال الفراء:" وهو وجه حسن، العرب تدعو بألف، كما يدعون بيا، فيقولون: يا زيد أقبل، وأزيد أقبل. قال الشاعر[(٤)]:

أبني لبينى لستم بيد ... إلا يد ليست لها عضد

وقال الآخر[(٥)]:

أضمر بن ضمرة ماذا ذكر ... ت من صرمة أخذت بالمرار

وهو كثير في الشعر فيكون المعنى مردودا بالدعاء كالمنسوق، لأنه ذكر الناسي الكافر، ثم قص قصة الصالح بالنداء، كما تقول في الكلام: فلان لا يصلى ولا يصوم فيامن يصلي ويصوم أبشر فهذا هو معناه. والله أعلم"[(٦)].

قال الزجاج:" يقرأ :«أَمَنْ هو قانِتٌ» بتخفيف الميم، وتأويله: أمن هو قانت كهذا الذي ذكرنا ممن جعل لله أندادا، وكذلك {أَمَّنْ}، معناه: بل أمن هو قانت كغيره، أي أمن هو مطيع كمن هو عاص"[(٧)].

وفي تفسير :{أَمَنْ هو قانِتٌ} [الزمّر : ٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن «القنوت»: قراءة القرآن وطول القيام في الصلاة. قاله ابن عمر[(٨)].

عن ابن عمر، "أنه كان إذا سُئِل عن القنوت، قال: لا أعلم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القيام، وقرأ: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا}"[(٩)].

وروي عن ابن عباس، في قوله {كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} [البقرة : ١١٦]، قال:"قانتين: مصلين"[(١٠)].

وعن ابن شهاب: "الخاشع في صلاته"[(١١)].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(٢) تفسير الطبري: ٢٦٨/٢١.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٤١٦/٢.

(٤)هو أوس بن حجر. وانظر الكتاب ١/ ٣٦٢، وشرح المفصل ٢/ ٩٠، واللسان فى (عبد).

(٥) البيت غير منسوب في تفسير الطبري: ٢٦٥/٢١، والكشف والبيان: ٢٢٤/٨.

(٦) معاني القرآن: ٤١٦/٢-٤١٧.

(٧) معاني القرآن: ٣٤٧/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/٢١.

(٩) اخرجه الطبري: ٢٦٧/٢١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣١):ص٢١٤/١.

(١١) انظر: النكت والعيون: ١١٧/٥.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مثل المجاهد في سبيل الله مثل القانت الصائم»(١)، أيّ: المصلّي(٢).

الثاني: أن «القنوت»: الطاعة، ومنه قوله: {كُلٌّ لَهُ قَانِتُون} [البقرة : ١١٦/ الروم-٢٦]. وهذا قول ابن عباس(٣)، ومجاهد(٤)، وقتادة(٥)، والسدي(٦).

الثالث : أن «القانت»: الداعي لربه. حكاه الثعلبي (٧)، والماوردي(٨).

والراجح-والله أعلم- أن «القنوت»: هو الطاعة والاستكانة إلى الله، لحديث وقد روي عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ قال : "كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة"(٩).

و«القنوت» في كلام العرب على ثلاثة وجوه من المعاني(١٠):

أحدها: أنه من: القيام. وقد سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أيّ الصّلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت»(١١). يريد: طول القيام(١٢).

الثاني: أنه من: الطاعة. ودليله قول عكرمة في قوله: {كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}، "القانت: المطيع"(١٣).

قال الزجاج:" القانت المقيم على الطاعة، ودعاء القنوت الدعاء في القيام، فالقانت القائم بما يجب عليه من أمر الله"(١٤).

الثالث:أنه: الكف عن الكلام والإمساك عنه(١٥).

الرابع: من القنوت طول الركوع، وغضّ البصر. قاله مجاهد(١٦).

قال النحاس:" وكان العلماء إذا وقفوا في الصلاة غضّوا أبصارهم وخضعوا، ولم يلتفتوا في صلاتهم، ولم يعبثوا، ولم يذكروا شيئا من أمر الدنيا إلّا ناسين، [و]أصل هذا أن القنوت الطاعة، وكل ما قيل فيه فهو طاعة الله جلّ وعزّ وهذه الأشياء كلّها داخلة في الطاعة وما هو أكثر منها، كما قال نافع:«وقال لي ابن عمر: قم فصلّ فقمت أصلّي وكان عليّ ثوب حلق فدعاني فقال لي: أرأيت لو وجّهتك في حاجة وراء الجدار أكنت تمضي هكذا، فقلت: لا كنت أتزيّن، قال: فالله أحقّ أن يتزيّن له»(١٧)"(١٨).

وفي قوله تعالى:{آَنَاءَ اللَّيْلِ} [الزمّر : ٩]، قولان:

---

(١)مسند أحمد: ٢/ ٤٣٨، ومجمع الزوائد: ٥/ ٢٧٥.
(٢) انظر: تفسير الثعلبي:٢٦٤/١.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/٢١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٥١)، و(١٨٥٢):ص٥٣٨/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٥٠):ص٥٣٨/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/٢١.
(٧) انظر: تفسير الثعلبي:٢٦٤/١.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١١٧/٥.
(٩)أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٩٢):ص٦٤٨/٢، والمسند (٧٥/٣).
(١٠) انظر: التفسير البسيط: ٢٦٣/٣-٢٦٤.
(١١) صحيح مسلم(٧٥٦):ص٥٢٠/١، ومسند الإمام أحمد(١٨٢١):ص٣٠٢/٣، والترمذي(٣٨٧):ص٢٢٩/٢، والنسائي(٢٥٢٦):ص٥٨/٥، وابن ماجة(١٤٢١):ص٤٥٦/١.
(١٢)انظر: تفسير الثعلبي:٢٦٤/١، ومعاني القرآن للزجاج: ١٩٨/١، والتفسير البسيط: ٢٦٣/٣-٢٦٤.
(١٣)أخرجه أبو عبيد في: "غريب الحديث" ١/ ٤٣٨، ورواه الطبري(١٨٥٦):ص٥٣٨/٢. بنحوه.
(١٤) معاني القرآن: ٣٤٧/٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢.
(١٦) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٥/٤.
(١٧) والمعجم الاوسط(٧٠٦٢):ص١٢٧/٧. : عمر بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال عمر بن نافع: لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم فليصل في ثوبين، فإن لم يكن عليه إلا ثوب فليأتزر به، ثم ليصل، ولا تشتملوا اشتمال اليهود، فإن الله أحق أن يتزين له».
(١٨) إعراب القرآن: ٥/٤.

أحدهما : ساعات الليل، قاله الحسن[١]، وقتادة[٢]، والربيع[٣]، والسدي-في رواية-[٤]، وابن جريج[٥]، وأبي عبيدة[٦]، ومنه قول المتنخل الهذلي[٧]:

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ فِي كُلِّ إِنْيٍ حذَاه اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

وعن قتادة، قوله: "{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ}، أوله، وأوسطه، وآخره"[٨].

الثاني : جوف الليل، وهو قول ابن عباس[٩]، والسدي-في رواية أخرى-[١٠] .

قوله تعالى:{يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [الزمّر : ٩]، أي:" يخاف عذاب الآخرة، ويأمُل رحمة ربه"[١١].

قال يحيى:" {يَحْذَرُ الآخرة} يعني عذاب جهنَّم"[١٢].

قال ابن عباس: "يحذر عذاب الآخرة"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : في حال عبادته خائف راج، ولا بد في العبادة من هذا وهذا ، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ؛ ولهذا قال : { يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ } ، فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه"[١٤].

عن أنس قال : "دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت ، فقال له : "كيف تجدك؟" قال : أرجو وأخاف. فقال رسول الله ﷺ : "لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل الذي يرجو ، وأمنه الذي يخافه"[١٥].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن يحيى البكاء:" أنه سمع ابن عمر قرأ: {أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه}، قال ابن عمر: ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه. وإنما قال ابن عمر ذلك، لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة، كما روى ذلك أبو عبيدة، عنه رضي الله عنه وقال الشاعر[١٦]:

ضَحَّوا بأشْمَطَ عُنوانُ السُّجُودِ بِهِ... يُقَطِّع الليلَ تَسْبيحا وقُرآنا"[١٧].

---

(١)انظر:تفسير ابن أبي حاتم(٤٠١٣):ص٧٣٩/٣. النكت والعيون:٤١٨/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٧٦٥٦):ص١٢٦/٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٧٦٥٧):ص١٢٦/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٦٥٨):ص١٢٦/٧.

(٦) انظر: تفسير ابن المنذر(٨٣٣):ص٣٤٢/١.

(٧)) ديوان الهذليين ٢ : ٣٥ ، ومجاز القرآن ١ : ١٠٢ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٦ ، واللسان " أنى ".

(٨) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢١.

(٩) انظر: تفسير ابن المنذر(٨٣٠):ص٣٤١/١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(٧٦٥٩):ص١٢٦/٧.

(١١) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(١٢)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٣٥٣.

(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٣٧٩):ص٣٢٤٩/١٠.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٨٨/٧.

(١٥)المنتخب لعبد بن حميد برقم (١٣٦٨) وسنن الترمذي برقم (٩٨٣) وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٦١) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٩٠١).

(١٦)يروى لحسان بن ثابت كما في ديوانه ٤١٠ واللسان ١٧/ ١٦٨، ١٩/ ٢١١ والاقتضاب ٩٨ والبيان والتبيين ١/ ٢٢٠، ٣/ ٢٦٢ وهو غير منسوب في تفسير الطبري ١/ ٩٧ طبع المعارف ونسب إلى أوس بن مغراء، ونقل العيني في المقاصد النحوية بهامش الخزانة ٤/ ١٧ عن ابن السيرافي أنه لكثير بن عبد الله النهشلي، المعروف بابن الغريرة. ونقل البغدادي في الخزانة ٤/ ١١٨ عن ابن يعيش أنه لكثير هذا، وقيل لحسان. ومعنى ضحوا: أي ذبحوه كالأضحية. قال ابن بري: أي جعلوه بدل الأضحية، كأنهم قتلوه في أيام لحوم الأضاحي، وذلك يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين من الهجرة. و«الشمط»- بالتحريك-: بياض الشعر من الرأس يخالط سواده.

(١٧) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٣٧٨):ص٣٢٤٨/١٠-٣٢٤٩.

عن تميم الداري قال : قال رسول الله ﷺ : "من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة"(١).

قوله تعالى:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمّر : ٩]، أي:" قل -أيها الرسول-: هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق والذين لا يعلمون شيئًا من ذلك؟ لا يستوون"(٢).

قال الطبري:يقول:" قل يا محمد لقومك: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخبطون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا، ولا يخافون بسيئها شرا؟ يقول: ما هذان بمتساويين"(٣).

قال الزجاج:" أي: لا يستوي العالم والجاهل، وكذلك لا يَسْتَوِي المُطيعُ والعَاصِي"(٤).

قال ابن كثير:" أي : هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادا ليضل عن سبيله ؟!"(٥).

عن أبي جعفر-رضي الله عنه- :"{هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}، قال: نحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون"(٦).

قال سهل:" العلم: الكتاب والاقتداء، لا الخواطر المذمومة، وكل علم لا يطلبه العبد من موضع الاقتداء صار وبالاً عليه لأنه يدّعي به"(٧).

قوله تعالى:{إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمّر : ٩]، أي:" إنما يعتبر ويتعظ أصحاب العقول السليمة"(٨).

قال الطبري: يقول:" إنما يعتبر حجج الله، فيتعظ، ويتفكر فيها، ويتدبرها أهل العقول والحجى، لا أهل الجهل والنقص في العقول"(٩).

قال ابن كثير:" أي : إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل"(١٠).

قال الزجاج:" {أولُوا الألْبَابِ}: ذوو العقول، وواحد الألباب: لب، وهي العقول"(١١).

فوائد الآيتين:[٨-٩]:

١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.

٢- الكشف عن داخلية الإنسان قبل أن يؤمن ويُسلم وهو أنه إنسان متناقض لا خير فيه ولا رشد له، فلا يرشد ولا يكمل إلا بالإيمان والتوحيد.

٣- بشرى الضالين عن سبيل الله المضلين عنه بالنار.

٤- مقارنة بين القانت المطيع، والعاصي المضل المبين، وبين العالم والجاهل، وتقرير أفضلية المؤمن المطيع على الكافر العاصي. وأفضلية العالم بالله وبمحابه ومكارهه والجاهل بذلك.

٥- فضل العالم على الجاهل لعمله بعلمه ولولا العمل بالعلم لاستويا في الخسة والانحطاط.

وقد ذكر الفخر الرازي للآية الثانية، مجموعة من الفوائد:

---

(١)المسند (١٠٣/٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٥٥٣).
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٣) تفسير الطبري: ٢٦٨/٢١.
(٤) معاني القرآن: ٣٤٧/٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٨٩/٧.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢١.
(٧) تفسير التستري: ١٣٣.
(٨) صفوة التفاسير: ٦٦/٣.
(٩) تفسير الطبري :٢٦٩/٢١.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٨٩/٧.
(١١) معاني القرآن: ٣٤٧/٤.

"أولها: أنه بدأ فيها بذكر العمل وختم فيها بذكر العلم، أما العمل فكونه قانتا ساجدا قائما، وأما العلم فقوله: {هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}، وهذا يدل على أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين، فالعمل هو البداية والعلم والمكاشفة هو النهاية.
الفائدة الثاني: أنه تعالى نبه على أن الانتفاع بالعمل إنما يحصل إذا كان الإنسان مواظبا عليه، فإن «القنوت» عبارة عن كون الرجل قائما بما يجب عليه من الطاعات، وذلك يدل على أن العمل إنما يفيد إذا واظب عليه الإنسان، وقوله: {ساجدا وقائما}، إشارة إلى أصناف الأعمال وقوله: {يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه}، إشارة إلى أن الإنسان عند المواظبة ينكشف له في الأول مقام القهر وهو قوله: {يحذر الآخرة}، ثم بعده مقام الرحمة، وهو قوله: {ويرجوا رحمة ربه}، ثم يحصل أنواع المكاشفات وهو المراد بقوله: {هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}.
الفائدة الثالثة: أنه قال في مقام الخوف: {يحذر الآخرة}، فما أضاف الحذر إلى نفسه، وفي مقام الرجاء أضافه إلى نفسه، وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأليق بحضرة الله تعالى"[(١)].

القرآن

{قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)} [الزمّر : ١٠]

التفسير:
قل -أيها النبي- لعبادي المؤمنين بالله ورسوله: اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معصيته. للذين أحسنوا في هذه الدينا بعبادة ربهم وطاعته حسنة في الآخرة، وهي الجنة، وحسنة في الدنيا من صحة ورزق ونصر وغير ذلك. وأرض الله واسعة، فهاجِروا فيها إلى حيث تعبدون ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم. إنما يُعطَى الصابرون ثوابهم في الآخرة بغير حدّ ولا عدّ ولا مقدار.

قوله تعالى:{قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ} [الزمّر : ١٠]، أي:" قل -أيها النبي- لعبادي المؤمنين بالله ورسوله: اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معصيته"[(٢)].

قوله تعالى:{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} [الزمّر : ١٠]، أي:" للذين أحسنوا في هذه الدينا بعبادة ربهم وطاعته حسنة في الآخرة، وهي الجنة، وحسنة في الدنيا من صحة ورزق ونصر وغير ذلك"[(٣)].

وفي قوله تعالى:{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} [الزمّر : ١٠]، وجهان:
أحدهما: أن «الحسنة»: العافية والصحة. قاله السدي[(٤)].
الثاني: أنها: الجنة. حكاه الطبري[(٥)].

قال ابن كثير:" أي : لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم"[(٦)].

قوله تعالى:{وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ} [الزمّر : ١٠]، أي:" وأرض الله واسعة، فهاجِروا فيها إلى حيث تعبدون ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم"[(٧)].

وفي قوله تعالى:{وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ} [الزمّر : ١٠]، قولان:
أحدهما: أنه يراد بها أرض الجنة. حكاه النحاس[(٨)].
الثاني: أن معناه: أن أرض الله واسعة فهاجروا فيها ولا تقيموا مع من يعمل بالمعاصي. وهذا معنى قول مجاهد[(١)].

---

(١) مفاتيح الغيب: ٤٢٨/٢٦-٤٢٩.
(٢) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٣) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢١.
(٦) تفسير ابن كثير: ٨٩/٧.
(٧) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٨) انظر: إعراب القرآن: ٦/٤.

قال مجاهد:" فهاجروا واعتزلوا الأوثان"[2].

قال الطبري: يقول:" وأرض الله فسيحة واسعة، فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام"[3].

قال الزجاج:" ذكر سعة الأرض –ههنا- لِمَن كان يعبد الأصنام. وَأَمَرنا بالمهاجرة عن البَلَدِ الذي يُكَرَهُ فيه على عبادتها، كما قال: {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} [النساء : ٩٧]"[4].

قوله تعالى:{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمّر : ١٠]، أي:" إنما يُعطَى الصابرون ثوابهم في الآخرة بغير حدّ ولا عدّ ولا مقدار"[5].

قال الطبري: يقول:" إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب، يقول: ثوابهم بغير حساب"[6].

قال مالك بن أنس في قوله: {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب}، قال: "هو الصبر على فجائع الدنيا وأحزانها"[7].

عن مسروق، قال: «يود أهل البلاء يوم القيامة أن أجسادهم كانت في الدنيا تقرض بالمقاريض»[8].

عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: "يود أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء"[9].

قال قتادة:" حدثني أنس أن رسول الله ﷺ قال:" تنصب الموازين فيؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين وكذلك الصلاة والحج ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر بغير حساب قال الله تعالى:" إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل"[10].

وفي قوله تعالى:{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمّر : ١٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: بغير مَنٍّ عليهم ولا متابعة ، حكاه الماوردي عن السدي[11].

الثاني : لا يحسب لهم ثواب عملهم فقط ولكن يزدادون على ذلك ، قاله ابن جريج[12].

الثالث : بغير تقدير، فلا يعطونه مقدراً لكن جزافاً. وهذا معنى قول قتادة[13].

قال قتادة:" لا والله ما هُناكم مكيال ولا ميزان"[14].

قال القرطبي:" ولا شك أن كل من سلم فيما أصابه، وترك ما نهي عنه، فلا مقدار لأجرهم"[15].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢١.
(٢) اخرجه الطبري: ٢٦٩/٢١.
(٣) تفسير الطبري: ٢٦٩/٢١.
(٤) معاني القرآن: ٣٤٧/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٥٩.
(٦) تفسير الطبري: ٢٧٠/٢١.
(٧) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ٢٤١/١٥.
(٨) مسند ابن أبي شيبة(١٠٨٢٩):ص٤٤٣/٢.
(٩) أخرجه البيهقي في "السنن" ٣٧٥/٣، وفي "الشعب" (٩٩٢١).
(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٢٤١/١٥.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١١٩/٥.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ١١٩/٥. وحكاه النحاس في اعراب القرآن: ٦/٤، دون نسبة.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢١.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢١.
(١٥) تفسير القرطبي: ٢٤١/١٥.

الرابع : واسعاً بغير تضييق. حكاه الماوردي(١). ومنه قول الراجز(٢):
يا جمل أُسْقِيْتَ بلا حسابه * سُقْيَا مَلِيكِ حَسَنِ الرِّبَابَه * قتلتني بالدل والخلابة
وحكي عن علي -كرم الله وجهه- قال : "كل أجر يكال كيلاً ويوزن وزناً إلا أجر الصابرين فإنه يحثى حثواً"(٣).
الخامس: بغير متابعة ولا مطالبة كما تقع المطالبة بنعم الدنيا. حكاه النحاس(٤).
السادس: معناه: الجنة. رواه أسباط عن السدي(٥).
عن ابن عمر قال: "لما نزلت مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فقال رسول الله ﷺ: رب زد أمتي، فنزلت: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} [البقرة : ٢٤٥]، قال: رب زد أمتي، فنزل: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر : ١٠] "(٦).

القرآن
{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢)} [الزمّر : ١١-١٢]
التفسير:
قل -أيها الرسول- للناس: إن الله أمرني ومن تبعني بإخلاص العبادة له وحده دون سواه، وأمرني بأن أكون أول من أسلم من أمتي، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، وبرئ مِن كل ما دونه من الآلهة.
قوله تعالى:{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمّر : ١١]، أي:" قل -أيها الرسول- للناس: إن الله أمرني ومن تبعني بإخلاص العبادة له وحده دون سواه"(٧).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لمشركي قومك: إن الله أمرني أن أعبده مفردا له الطاعة، دون كلّ ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد"(٨).
قال ابن كثير:" أي : إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له"(٩).
قال ابن عطية:" أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية بأن يصدع للكفار فيما أمر به من عبادة ربه"(١٠).
وقال الجنيد: "الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده ولا هوى يميله"(١١).

---

(١) انظر: النكت والعيون: ١١٩/٥.
(٢)الرجز لمنظور بن مَرْثَد الأسدي، في "لسان العرب" ٢/ ٨٦٥ (حسب)، وقال: وأورد الجوهري الرجز: يا جُمْل أسقاكِ، وصواب إنشاده: يا جُمْل أُسْقِيت، و"التنبيه والإيضاح" ١/ ٦٢، "تاج العروس" ١/ ٤١٩. "المعجم المفصل" ٩/ ٥١. والرِّبابة: القيام على الشيء بإصلاحه وتربيته، والخِلابة: أن تخلب الأمة قلب الرجل بألطف القول وأعذبه.
(٣) انظر: النكت والعيون: ١١٩/٥. وفي تفسير القرطبي: ٢٤١/١٥:" كل أجر يكال كيلا ويوزن وزنا إلا الصوم فإنه يحثى حثوا ويغرف غرفا".
(٤) انظر: إعراب القرآن: ٦/٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢١.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٢٤٣٥):ص٤٦١/٢.
(٧) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٨) تفسير الطبري ٢٧٠/٢١.
(٩) تفسير ابن كثير: ٨٩/٧.
(١٠) المحرر الوجيز: ٥٢٤/٤.
(١١)الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، عبدالقادر الجيلاني: ١١٣/٢، واللباب: ٤٥٩/١١.

وسئل سهل بن عبد الله: "أيّ شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص، لأنه ليس لها منه نصيب"[(١)].

قوله تعالى:{وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} [الزمّر : ١٢]، أي:" وأمرني بأن أكون أول من أسلم من أمتي، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، وبرئ مِن كل ما دونه من الآلهة"[(٢)].

قال الطبري:" يقول: وأمرني ربي جل ثناؤه بذلك، لأن أكون بفعل ذلك أوَّل من أسلم منكم، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، وبريء من كل ما دونه من الآلهة"[(٣)].

قال السمعاني:" أي: أول المسلمين من قريش"[(٤)].

قال الزمخشري:" أى: مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة. والمعنى: أنّ الإخلاص له السبقة في الدين، فمن أخلص كان سابقا"[(٥)].

قال ابن عطية:" معناه: وأمرت بهذا الذي ذكرت لكي أكون أول من أسلم من أهل عصري وزمني، فهذه نعمة من الله عليه وتنبيه منه"[(٦)].

القرآن

{قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣)} [الزمّر : ١٣]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للناس: إني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته والإخلاص في طاعته عذاب يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يعظم هوله.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال يا محمد لهم إني أخاف -إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته، مخلصا له الطاعة، ومفرده بالربوبية-عذاب يوم القيامة، ذلك هو اليوم الذي يعظم هوله"[(٧)].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : قل يا محمد وأنت رسول الله : { إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } ، وهو يوم القيامة. وهذا شَرْط ، ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأحرى"[(٨)].

قال الزمخشري:" فإن عصيت ربى بمخالفة الدليلين:[العقل والوحى]، استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم، وذلك حين دعوه إلى دين آبائه"[(٩)].

قال ابن عطية:" {أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ}، فعل معلق بشرط وهو: العصيان، وقد علم أنه عليه السلام معصوم منه، ولكنه خطاب للأمة يعمهم حكمه ويحفهم وعيده"[(١٠)].

القرآن

{قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥)} [الزمّر : ١٤-١٥]

التفسير:

---

(١)الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، عبدالقادر الجيلاني: ١١٣/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٣) تفسير الطبري ٢٧٠/٢١.

(٤) تفسير السمعاني: ٤٦٢/٤.

(٥) الكشاف: ١١٨/٤.

(٦) المحرر الوجيز: ٥٢٤/٤.

(٧) تفسير الطبري ٢٧٠/٢١.

(٨) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧.

(٩) الكشاف: ١١٩/٤.

(١٠) المحرر الوجيز: ٥٢٤/٤.

قل -أيها الرسول-: إني أعبد الله وحده لا شريك له مخلصًا له عبادتي وطاعتي، فاعبدوا أنتم -أيها المشركون- ما شئتم من دون الله من الأوثان والأصنام وغير ذلك من مخلوقاته، فلا يضرني ذلك شيئًا، قل -أيها الرسول-: إن الخاسرين- حقًّا- هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك بإغوائهم في الدنيا وإضلالهم عن الإيمان. ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة هو الخسران البيّن الواضح.

قوله تعالى:{قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمّر : ١٤]، أي:" قل -أيها الرسول-: إني أعبد الله وحده لا شريك له مخلصًا له عبادتي وطاعتي"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لمشركي قومك: الله أعبد مخلصا، مفردا له طاعتي وعبادتي، لا أجعل له في ذلك شريكا، ولكني أفرده بالألوهة، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة"(٢).

قال ابن عطية:" {اللَّهَ أَعْبُدُ} تأكيد للمعنى الأول وإعلام بامتثاله كله للأمر، وهذا كله نزل قبل القتال لأنها موادعات"(٣).

قوله تعالى:{فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ} [الزمّر : ١٥]، أي:" فاعبدوا أنتم -أيها المشركون- ما شئتم من دون الله من الأوثان والأصنام وغير ذلك من مخلوقاته، فلا يضرني ذلك شيئًا"(٤).

قال الطبري:أي: " فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام، وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم"(٥).

قال ابن كثير:" وهذا أيضا تهديد وتَبَرّ منهم"(٦).

قال الزمخشري:" المراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير: المبالغة في الخذلان والتخلية، على ما حققت فيه القول مرتين"(٧).

قال ابن عطية:" صيغة أمر على جهة التهديد كنحو قوله: {اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ} [فصلت: ٤٠]، وقوله: {تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ} [الزمر: ٨] ، وهذا كثير"(٨).

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمّر : ١٥]، أي:" قل -أيها الرسول-: إن الخاسرين- حقًّا- هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك بإغوائهم في الدنيا وإضلالهم عن الإيمان"(٩).

قال الطبري:أي: " يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: إن الهالكين الذين غَبَنوا أنفسهم، وهلكت بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل، وقد كان لهم في الدنيا أهلون"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : إنما الخاسرون كل الخسران {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } أي : تفارقوا فلا التقاء لهم أبدا، سواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار ، أو أن الجميع أسكنوا النار ، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور"(١١).

قال الزمخشري:" قل إنّ الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه: هم الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وَخسروا أَهْلِيهِمْ لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٢) تفسير الطبري :٢٧١/٢١.
(٣) المحرر الوجيز: ٥٢٤/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٥) تفسير الطبري :٢٧١/٢١.
(٦) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧.
(٧) الكشاف: ١١٩/٤.
(٨) المحرر الوجيز: ٥٢٤/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(١٠) تفسير الطبري :٢٧١/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧.

خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده إليهم. وقيل: وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة، يعنى: وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا"[١].

قال ابن عباس:" هم الكفار الذين خلقهم الله للنار، وخلق النار لهم، فزالت عنهم الدنيا، وحرمت عليهم الجنة، قال الله: {خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ}"[٢].

قال ابن زيد:" هؤلاء أهل النار، خسروا أنفسهم في الدنيا، وخسروا الأهلين، فلم يجدوا في النار أهلا وقد كان لهم في الدنيا أهل"[٣].

قال مجاهد:" غبنوا أنفسهم وأهليهم، قال: يخسرون أهليهم، فلا يكون لهم أهل يرجعون إليهم، ويخسرون أنفسهم، فيهلكون في النار، فيموتون وهم أحياء فيخسرونهما"[٤].

قوله تعالى:{أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الزمّر : ١٥]، أي:" ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة هو الخسران البيّن الواضح"[٥].

قال الطبري: يقول:" ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك هلاكها هو الخسران المبين، يقول تعالى ذكره: هو الهلاك الذي يبين لمن عاينه وعلمه أنه الخسران"[٦].

قال ابن كثير:" أي : هذا هو الخسار البين الظاهر الواضح"[٧].

قال الزمخشري:" وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله: {أَلا ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ}، حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه، ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر، وعرف الخسران ونعته بالمبين"[٨].

فوائد الآيات: [١٠-١٦]:

١- بيان عناية الله تعالى برسوله والمؤمنين إذ أرشدهم إلى ما يكملهم ويسعدهم.
٢- وجوب التقوى والصبر على الأذى في ذلك.
٣- تقرير التوحيد بأن يعبد الله وحده.
٤- فضل الإسلام وشرف المسلمين.
٥- تقرير البعث والجزاء ببيان شيء من أهوال الآخرة وعذاب النار فيها.
٦- كل خسران في الدنيا إذا قيس بخسران الآخرة لا يعد خسراناً أبدا.

القرآن

{لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)} [الزمّر : ١٦]

التفسير:

أولئك الخاسرون لهم يوم القيامة في جهنم مِن فوقهم قطع عذاب من النار كهيئة الظُّلل المبنية، ومن تحتهم كذلك. ذلك العذاب الموصوف يخوِّف الله به عباده؛ ليحْذَروه. يا عباد فاتقوني بامتثال أوامري واجتناب معاصيَّ.

قوله تعالى:{لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} [الزمّر : ١٦]، أي:" أولئك الخاسرون لهم يوم القيامة في جهنم مِن فوقهم قطع عذاب من النار كهيئة الظُّلل المبنية، ومن تحتهم كذلك"[١].

---

(١) الكشاف: ١١٩/٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢١.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢١.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٦) تفسير الطبري :٢٧٢/٢١.
(٧) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧.
(٨) الكشاف: ١١٩/٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لهؤلاء الخاسرين يوم القيامو في جهنم: {مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ} وذلك كهيئة الظلل المبنية من النار ومن تحتهم من النار ما يعلوهم، حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللا وذلك نظير قوله جلّ ثناؤه لَهُمْ: {مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} يغشاهم مما تحتهم فيها من المهاد"(٢).

قال الزمخشري:" {وَمِنْ تَحْتِهِمْ} أطباق من النار هي {ظُلَلٌ} لآخرين"(٣).

قوله تعالى:{ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ} [الزمّر : ١٦]، أي:" ذلك العذاب الموصوف يخوِّف الله به عباده؛ ليحْذَروه"(٤).

قال الطبري:يقول" هذا الذي أخبرتكم أيها الناس به، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب، تخويف من ربكم لكم، يخوفكم به لتحذروه، فتجتنبوا معاصيه، وتنيبوا من كفركم إلى الإيمان به، وتصديق رسوله، واتباع أمره ونهيه، فتنجوا من عذابه في الآخرة"(٥).

قال ابن كثير:" أي : إنما يَقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده ، لينزجروا عن المحارم والمآثم"(٦).

قال الزمخشري:" {ذلِكَ} العذاب هو الذي يتوعد الله بِهِ عِبادَهُ ويخوّفهم، ليجتنبوا ما يوقعهم فيه"(٧).

قوله تعالى:{يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ} [الزمّر : ١٦]، أي:" يا عباد فاتقوني بامتثال أوامري واجتناب معاصيّ"(٨).

قال الطبري:"يقول: فاتقوني بأداء فرائضي عليكم، واجتناب معاصيّ، لتنجوا من عذابي وسخطي"(٩).

قال ابن كثير:" أي : اخشوا بأسي وسطوتي ، وعذابي ونقمتي"(١٠).

قال الزمخشري:" ولا تتعرّضوا لما يوجب سخطي، وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة"(١١).

وقرئ: «يا عبادي»"(١٢).

القرآن

{وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)} [الزمّر : ١٧-١٨]

التفسير:

والذين اجتنبوا طاعة الشيطان وعبادة غير الله، وتابوا إلى الله بعبادته وإخلاص الدين له، لهم البشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن والتوفيق من الله، وفي الآخرة رضوان الله والنعيم الدائم في الجنة. فبشِّر -أيها النبي- عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أرشده- وأحسن الكلام

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٢) تفسير الطبري :٢٧٢/٢١.
(٣) الكشاف: ١٢٠/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٥) تفسير الطبري :٢٧٢/٢١.
(٦) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧.
(٧) الكشاف: ١٢٠/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٩) تفسير الطبري :٢٧٢/٢١.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧.
(١١) الكشاف: ١٢٠/٤.
(١٢) انظر: الكشاف: ١٢٠/٤.

وأرشده كلام الله ثم كلام رسوله- أولئك هم الذين وفقهم الله للرشاد والسداد، وهداهم لأحسن الأخلاق والأعمال، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة.

سبب النزول:

عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: "{وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ... } الآيتين، حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسيّ، نزل فيهم: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا} في جاهليتهم {وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} لا إله إلا الله، أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبي {وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ}"(١).

قال ابن كثير:" نزلت في زيد بن عمرو بن نُفَيل ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي. والصحيح أنها شاملةٌ لهم ولغيرهم ، ممن اجتنب عبادة الأوثان ، وأناب إلى عبادة الرحمن. فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة "(٢).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا} [الزمّر : ١٧]، أي:" والذين اجتنبوا طاعة الشيطان وعبادة غير الله"(٣).

قال الطبري:" أي: اجتنبوا عبادة كلّ ما عبد من دون الله من شيء"(٤).

وقد اختلف أهل التفسير في معنى:«الطاغون»، على أقوال:

أحدها : أنه الشيطان(٥)، وهو قول عمر بن الخطاب(٦)، ومجاهد(٧)، والشعبي(٨)، والضحاك(٩)، والضحاك(٩)، وقتادة(١٠)، والسدي(١١)، وعكرمة(١٢)، واختاره ابن كثير(١٣)، والقاسمي(١٤) وآخرون.

عن ابن زيد:"{وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا}، قال: الشيطان هو ها هنا واحد وهي جماعة"(١٥).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢١، وابن ابي حاتم(١٨٣٨٠):ص٣٢٤٩/١٠، [باختلاف يسير في الألفاظ].

(٢) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٤) تفسير الطبري :٢٧٢/٢١.

(٥) قال الشنقيطي:" قال بعض العلماء : (الطاغوت): الشيطان، ويدل لهذا قوله تعالى : {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه}، أي يخوفكم من أوليائه . وقوله تعالى : {الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا، وقوله : {أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو} وقوله : {إنهم اتخذوا الشياطين أولياء}، والتحقيق أن كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت والحظ الأكبر من ذلك للشيطان كما قال تعالى : (ألم أعهد إليكم يا بنى ءادم أن لا تعبدوا الشيطان (وقال : (إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا {وقال عن خليله ابرهيم} يا أبت لا تعبد الشيطان وقال : {وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون}،إلى غير ذلك من الآيات".[أضواء البيان: ١٥٩/١].

(٦) أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٤) و(٥٨٣٥):ص٤١٧/٥. وابن ابي حاتم(٢٦١٨):ص٤٩٥/٢.

(٧) أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٦):ص٤١٧/٥، و٢٧٣/٢١.

(٨)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٧):ص٤١٧/٥.

(٩)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٨):ص٤١٧/٥.

(١٠)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٩):ص٤١٧/٥.

(١١)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٠):ص٤١٧/٥، و٢٧٣/٢١.

(١٢)البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ}، قبل الحديث رقم ٤٥٨٣، ولفظه: "الْجِبْتُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: شَيْطَانٌ، وَالطَّاغُوتُ: الْكَاهِنُ".

(١٣) أنظر: تفسير ابن كثير: ٦٨٣/١، إذ يقول: " ومعنى قوله في الطاغوت : إنه الشيطان قوي جدًّا فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية ، من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها".

(١٤) محاسن التأويل: ١٩٤/٢.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢١.

قال الطبري:" و«الطاغوت» على قول ابن زيد هذا واحد مؤنث، ولذلك قيل: أن يعبدوها. وقيل: إنما أُنثت لأنها في معنى جماعة"[١].

الثاني : أنه الساحر ، وهو قول أبي العالية[٢]، ومحمد ابن سيرين[٣] والشعبي[٤].

الثالث : الكاهن ، وهو قول جابر[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، والرفيع[٧]، وابن جريج[٨].

الرابع : الأصنام والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله تعالى[٩]. روي ذلك عن مالك[١٠].

الخامس : مَرَدَة الإنس والجن. حكاه الماوردي[١١].

السادس : أنه كل ذي طغيان طغى على الله ، فيعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده، أو بطاعة له ، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً، روي ذلك عن الإمام مالك[١٢]، وابن القيم[١٣]، وهذا قول الطبري[١٤].

السابع : أنها النفس لطغيانها فيما تأمر به من السوء ، كما قال تعالى:{إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف : ٥٣]، ذكره الماوردي[١٥].

والراجح-والله أعلم- أن الطاغوت: كل مُعتدٍ وكل معبود من دون الله[١٦]، وهو اختيار الإمام الطبري وأبي حيان[١٧] وغيرهم. وبه قال أكثر أهل العلم.

قال السعدي:" المراد بالطاغوت في هذا الموضع، عبادة غير الله، فاجتنبوها في عبادتها. وهذا من أحسن الاحتراز من الحكيم العليم، لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها"[١٨].

واختلفوا في أصل كلمة «الطَّاغُوت»، على وجهين[١٩]:

أحدهما: أنه اسم أعجمي معرّب، ومن ثم اختلف هؤلاء في اشتقاقه على أقوال[٢٠]:

---

(١) تفسير الطبري: ٢٧٣/٢١.

(٢)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤١):ص٤١٧/٥.

(٣)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٢):ص٤١٧/٥.

(٤) أنظر تفسير ابن أبي حاتم(٢٦٢٠):ص٤٩٥/٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ}، قبل الحديث رقم (٤٥٨٣)، ولفظه: ""كَانَتْ الطَّوَاغِيتُ الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا: فِي جُهَيْنَةَ وَاحِدٌ، وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ، كُهَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ".

(٦)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٣):ص٤١٨/٥.

(٧)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٤):ص٤١٨/٥. والرفيه: ، هو أبو العالية الرياحي.

(٨)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٥):ص٤١٨/٥.

(٩) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ٤٤٦- ٤٤٧، تفسير قوله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ}.

(١٠) تفسير ابن أبي حاتم(٢٦٢٢):ص٤٩٥/٢.

(١١) أنظر: النكت والعيون: ٣٢٧/١.

(١٢) ذكره القرطبي في تفسيره، ٥/ ٢٤٨، عن ابن وهب، عن الإمام مالك، وانظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٤٤.

(١٣) وأجمع ما قيل في تعريف الطاغوت ما ذكره ابن القيم / بقوله: "والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع" . [إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١/ ٥٠].

(١٤) أنظر: تفسير الطبري: ٤١٩/٥.

(١٥) أنظر: النكت والعيون: ٣٢٧/١.

(١٦)انظر :المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى: ٣٠٤.

(١٧) قال أبو حيان بعد أن سرد الأقوال في معنى (الطاغوت): " وينبغي أن تجعل هذه الأقوال كلها تمثيلاً ، لأن الطاغوت محصور في كل واحد منها".[البحر المحيط: ٢١٠/٢].

(١٨) تفسير السعدي: ٧٢١.

(١٩) أنظر: النكت والعيون:٣٢٨/١.

(٢٠) انظر: فتح القدير: ٢٧٥/١، والمحرر الوجيز: ٣٤٤/١، وتفسير القرطبي: ٢٨١/٣، والبحر المحيط:٥٩٩/٢، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٩٩/٢، والحجة للقراء السبعة: ١٣٧/٤.

أ- قال الشوكاني: "الطاغوت: فعلوت، من طغى يطغي ويطغو، إذا جاوز الحد"(١).
ب-قال سيبويه: "هو اسم مذكَّر"(٢) مفرد، أي اسم جنس، يشمل القليل والكثير.
ج- وقال أبو على الفارسي: "إنه مصدر: كرهبوت، وجبروت، يوصف به الواحد، والجمع، وقلبت لامه إلى موضع العين، وعينه إلى موضع اللام"(٣)، كجبذ، وجذب، ثم تقلب الواو ألفًا؛ لتحركها، وتحرك ما قبلها، فقيل: طاغوت. واختار هذا القول النحاس(٤).
وقيل: أن أصل «الطاغوت» -في اللغة-: من الطغيان، يؤدي معناه من غير اشتقاق، كما قيل: لآلٍ، من اللؤلؤ"(٥).
ثم اختلف في لفظ «الطاغوت» أمفرد هو أم جمع، على قولين:
أحدهما: أنه جمع، قاله المبرد ورده عليه جماعة كالفارسي وابن عطية وآخرون(٦).
الثاني: أنه مفرد، واختلفوا على قولين:
أ-أنه مصدر على وزن: «فَعَلُوت»، أي: طَغَيُوت، فوقع فيه قلب مكاني بين عينه ولامه فصار على وزن فَلَعُوت، أي: طَيَغُوت، ثم قلبت لامه (الياء) ألفا فصار طاغوت. وهو مصدر يوصف به الواحد والجمع، نظير قولهم: رجل عدل وقوم عدل، إذ في الكلام دليل على الواحد أو الجماعة، وهو قولهم: رجل أو قوم، وقد وجد هنا ما يرجح كون المراد به الجماعة وهو قوله: {يُخْرِجُونَهُمْ}[البقرة:٢٥٧]، وذلك ما جعله الزجاج(٧) شرطاً للجواز، وذلك ظاهر قول الكسائي وأبي حاتم والطبري وأبي علي الفارسي والواحدي والزبيدي وآخرين(٨).
ب-أنه اسم جنس مفرد لطائفة جاوزت الحد في الطغيان، وقد اختار هذا القول أبو حيان(٩)، وحُمِل عليه قول سيبويه بأن: الطاغوت اسم مفرد(١٠).
القول الثاني : أن«الطاغون» اسم عربي مشتق من: الطاغية، قاله ابن بحر(١١).
قوله تعالى:{وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ} [الزمّر : ١٧]، أي:" وتابوا إلى الله بعبادته وإخلاص الدين له"(١٢).

---

(١)فتح القدير: ٢٧٥/١.
(٢) الكتاب: ٢٤٠/٣. وذكر صاحب اللسان(طغى)، قال ابن منظور: يقع على الواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وهي مشتقة من طغى، والطاغوتُ الشيطان، والكاهِنُ، وكلُّ رأْسٍ في الضَّلالة، وقد يكون واحداً قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ}[النساء: ٦٠]، وقد يكون جَمْعاً، قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ}[البقرة: ٢٥٧]، وهو مثل الفُلْكِ يُذَكَّرُ ويؤنَّث، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا}[الزمر: ١٧]، والطاغوتُ يكونُ من الأَصْنامِ، ويكون من الجِنّ والإِنس، ويكون من الشياطين، وجمعُ الطاغوتِ: طَواغِيتُ، والطَّوَاغِي: جمع طاغيَةٍ، ويجوز أَن يُراد بالطَّواغِي: من طَغَى في الكُفرِ، وجاوَزَ الحَدَّ".[لسان العرب لابن منظور، ١٥/ ٧، مادة (طغى) ، و مقاييس اللغة، ٣/ ٣٢٢، مادة (طغى)،و المصباح المنير، ٢/ ٢٧٣، مادة (طغى)].
(٣) المحرر الوجيز: ٣٤٤/١.
(٤) أنظر: معاني القرآن: ٢٧٠/١.
(٥) معاني القرآن للنحاس: ٢٦٩/١.
(٦)انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٢٨٥/٢، مفاتيح الغيب للرازي: ١٦/٧-١٧، البحر المحيط لأبي حيان: ٢٧٢/٢.
(٧) أنظر: معاني القرآن: ٣٤٠/١.
(٨)انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ١٦٨/٨، جامع البيان للطبري: ٤٢٨/٥، الكشف والبيان للثعلبي: ١٦٢/١ب، البسيط للواحدي: ١٥٤/١ب، فتح الباري لابن حجر: ١٧٨/٩.
(٩)انظر: البحر المحيط: ٢٨٣/٢.
(١٠)انظر: الكتاب لسيبويه: ٢٤٠/٣، مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٧٩/١، المحرر الوجيز لابن عطية: ٢٨٥/٢، زاد المسير لابن الجوزي: ٣٠٧/١.
(١١) نقلا عن الماوردي في النكت والعيون: ٣٢٨. ولم اجده في تفسير ابي مسلم الأصفهاني المشهور بابن بحر.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٦٠.

قال الطبري:" يقول: وتابوا إلى الله ورجعوا إلى الإقرار بتوحيده، والعمل بطاعته، والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد"(١).

قال السعدي:" {وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ} بعبادته وإخلاص الدين له، فانصرفت دواعيهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام، ومن الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعات "(٢).

قال قتادة: وأقبلوا إلى الله"(٣).

قال السدي: أجابوا إليه"(٤).

قوله تعالى:{لَهُمُ الْبُشْرَى} [الزمّر : ١٧]، أي:" لهم البشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن والتوفيق من الله، وفي الآخرة رضوان الله والنعيم الدائم في الجنة"(٥).

قال الطبري:" يقول: لهم البشرى في الدنيا بالجنة في الآخرة"(٦).

قال السعدي:" {لَهُمُ الْبُشْرَى} التي لا يقادر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يرون في خلالها، أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة"(٧).

قال الزمخشري:" الله عزّ وجل يبشرهم بذلك في وحيه على ألسنة رسله، وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين، وحين يحشرون. قال الله تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ} [الحديد : ١٢]"(٨).

قوله تعالى:{فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} [الزمّر : ١٧-١٨]، أي:" فبشّر -أيها النبي- عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أرشده"(٩).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه، وأدله على توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : يفهمونه ويعملون بما فيه ، كقوله تعالى لموسى حين آتاه التوراة : { فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا } [الأعراف : ١٤٥]"(١١).

عن قتادة: "{فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}، وأحسنه طاعة الله"(١٢).

عن السديّ، قوله: "{فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}، قال: أحسن ما يؤمرون به فيعلمون به"(١٣).

قال الزمخشري:" وأراد بعباده {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}، الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم، وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة، فوضع الظاهر موضع الضمير، وأراد أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل، فإذا اعترضهم أمران: واجب وندب، اختاروا الواجب، وكذلك المباح والندب،

---

(١) تفسير الطبري: ٢٧٣/٢١.
(٢) تفسير السعدي: ٧٢١.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢١.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٦) تفسير الطبري: ٢٧٣/٢١.
(٧) تفسير السعدي: ٧٢١.
(٨) الكشاف: ١٢٠/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٧٣/٢١-٢٧٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢١.

حرّاصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا، ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر(١)، وأبينها دليلا أو أمارة، وأن لا تكون في مذهبك، كما قال القائل(٢):
ولا تكن مثل عير قيد فانقادا
يريد المقلد، وقيل: يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن. وقيل: يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها، نحو القصاص والعفو، والانتصار والإغضاء، والإبداء والإخفاء لقوله تعالى {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [البقرة : ٢٣٧] ، {وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [البقرة : ٢٧١]"(٣).

قال السعدي:" ولما أخبر أن لهم البشرى، أمره الله ببشارتهم، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال: {فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ} وهذا جنس يشمل كل قول فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه، فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: {اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} الآية.

وفي هذه الآية نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى نتصف بصفات أولي الألباب، وحتى نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الألباب؟ قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه {اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} الآية"(٤).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ} [الزمّر : ١٨]، أي:" أولئك هم الذين وفقهم الله للرشاد والسداد، وهداهم لأحسن الأخلاق والأعمال"(٥).

قال السعدي:أي:" لأحسن الأخلاق والأعمال"(٦).

قال الطبري:يقول:" الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين هداهم الله، يقول: وفقهم الله للرشاد وإصابة الصواب، لا الذين يعرضون عن سماع الحقّ، ويعبدون ما لا يضرّ، ولا ينفع"(٧).

قال ابن كثير:" أي : المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة"(٨).

قوله تعالى:{وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمّر : ١٨]، أي:" وأولئك هم أصحاب العقول السليمة"(٩).

قال الطبري:" يعني: أولو العقول والحجا"(١٠).

قال ابن كثير:" ، أي : ذوو العقول الصحيحة ، والفطَر المستقيمة"(١١).

---

(١) قال محقق الكشاف:" «يدخل تحت هذا المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر ... الخ» قال أحمد: لقد كنت أطمع لعله رجع عما ضمن هذا الكتاب من المذاهب الرديئة والمعتقدات الفاسدة، حتى حققت من كلامه هذا أن ذلك التصميم كان متمكنا من فؤاده الصميم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم".
(٢)شمر وكن في أمور الدين مجتهدا ... ولا تكن مثل عير قيد فانقادا
للزمخشري. تشمير الثياب عن الساعد: كناية عن ترك الكسل، ثم قال: واجتهد في أحكام الدين ولا تقلد غيرك، فتكون مثل حمار قاده الشخص فانقاد وطاوعه أينما يوجهه. ويحتمل أن المعنى: اجتهد في العمل ولا تطع الشيطان..
(٣) الكشاف: ١٢٠/٤.
(٤) تفسير السعدي: ٧٢١.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٦) تفسير السعدي: ٧٢١.
(٧) تفسير الطبري: ٢٧٤/٢١.
(٨) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٧٤/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧.

قال السعدي:" أي: العقول الزاكية. ومن لبهم وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إيثاره، على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال، حسنها، وقبيحها، ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن غلبت شهوته عقله، فبقي عقله تابعا لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل"(١).

القرآن

{أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩)} [الزمّر : ١٩]

التفسير:

أفمن وجبت عليه كلمة العذاب؛ باستمراره على غيّه وعناده، فإنه لا حيلة لك -أيها الرسول- في هدايته، أفتقدر أن تنقذ مَن في النار؟ لست بقادر على ذلك.

سبب النزول:

قال القرطبي:" كان النبي ﷺ يحرص على إيمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الآية"(٢).

قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان"(٣).

قوله تعالى:{أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ} [الزمّر : ١٩]، أي:" أفمن وجبت عليه كلمة العذاب؛ باستمراره على غيّه وعناده"(٤).

قال الطبري: يقول:" أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم ربك يا محمد بكفره به"(٥).

عن قتادة، قوله: "{أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ}، بكفره"(٦).

قال الصابوني:" جوابه محذوفٌ دلَّ عليه ما بعده، أي: هل تقدر على هدايته؟ لا"(٧).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : أفمن كتب الله أنه شَقِي"(٨).

قال السعدي:" أي: أفمن وجبت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيه وعناده وكفره"(٩).

قوله تعالى:{أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ} [الزمّر : ١٩]، أي:" أفتقدر أن تنقذ مَن في النار؟"(١٠).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: أفأنت تنقذ يا محمد من هو في النار من حق عليه كلمة العذاب، فأنت تنقذه، فاستغنى بقوله: {تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ} عن هذا"(١١).

قال ابن كثير:أي:" تَقْدر تُنْقذُه مما هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أي : لا يهديه أحد من بعد الله ؛ لأنه من يضلل الله فلا هادي له ، ومن يهده فلا مضل له"(١٢).

قال السعدي:" فإنه لا حيلة لك في هدايته، ولا تقدر تنقذ من في النار لا محالة"(١٣).

---

(١) تفسير السعدي: ٧٢١.
(٢) تفسير القرطبي: ١٥/٢٤٤.
(٣) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٥/٢٤٤.
(٤) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٥) تفسير الطبري: ٢١/٢٧٥.
(٦) أخرجه الطبري: ٢١/٢٧٥.
(٧) صفوة التفاسير: ٣/٦٨.
(٨) تفسير ابن كثير: ٧/٩١.
(٩) تفسير السعدي: ٧٢٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(١١) تفسير الطبري: ٢١/٢٧٥.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٧/٩١.
(١٣) تفسير السعدي: ٧٢٢.

قال الثعلبي:" أي: هو يكون من أهل النار، كرر الاستفهام كما كرر: {أَئِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ} [المؤمنون : ٣٥] "(١).

قال الزجاج:" الألف الثانية في {أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ} جاءت مُؤَكِّدةً مُعَادَةً لمَّا طال الكلام، لأنه لا يصلح في العربية أن تأتي بألف الاستفهام في الاسْمِ وألف أُخْرَى في الخبر، والمعنى: أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذه"(٢).

قال القرطبي:" كرر الاستفهام تأكيدا لطول الكلام"(٣).

قال الزمخشري:" أصل الكلام: أمّن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه، جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء، ثم دخلت الفاء التي في أوّلها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب، تقديره: أأنت مالك أمرهم، فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه، والهمزة الثانية هي الأولى، كرّرت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد، ووضع {مَنْ فِي النَّارِ} موضع الضمير، فالآية على هذا جملة واحدة. ووجه آخر: وهو أن تكون الآية جملتين: أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه؟ أفأنت تنقذ من في النار؟"(٤).

القرآن

{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)} [الزمّر : ٢٠]

التفسير:

لكن الذين اتقوا ربهم -بطاعته وإخلاص عبادته- لهم في الجنة غرف مبنية بعضها فوق بعض، تجري مِن تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار، وعدها الله عباده المتقين وعدًا متحققًا، لا يخلف الله الميعاد.

قوله تعالى:{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ} [الزمّر : ٢٠]، أي:" لكن الذين اتقوا ربهم -بطاعته وإخلاص عبادته-"(٥).

قال الطبري: يقول:" لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه"(٦).

قال السعدي:" لكن الغنى كل الغنى، والفوز كل الفوز، للمتقين الذين أعد لهم من الكرامة وأنواع النعيم، ما لا يقادر قدره"(٧).

قوله تعالى:{لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ} [الزمّر : ٢٠]، أي:" لهم في الجنة غرف مبنية بعضها فوق بعض"(٨).

قال الطبري: يقول:" لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه، لهم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علاليّ بعضها فوق بعض"(٩).

قال السعدي:" {لَهُمْ غُرَفٌ} أي: منازل عالية مزخرفة، من حسنها وبهائها وصفائها، أنه يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، ومن علوها وارتفاعها، أنها ترى كما يرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي، ولهذا قال: {مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ} أي: بعضها فوق بعض {مَبْنِيَّةٌ} بذهب وفضة، وملاطها المسك الأذفر"(١٠).

---

(١) الكشف والبيان: ٢٢٨/٨.
(٢) معاني القرآن: ٣٤٩/٤.
(٣) تفسير القرطبي: ٢٤٤/١٥.
(٤) الكشاف: ١٢١/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٦) تفسير الطبري: ٢٧٥/٢١.
(٧) تفسير السعدي: ٧٢٢.
(٨) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٩) تفسير الطبري: ٢٧٥/٢١-٢٧٦.
(١٠) تفسير السعدي: ٧٢٢.

قال ابن كثير:" ثم أخبر عن عباده السعداء أنهم لهم غرف في الجنة ، وهي القصور الشاهقة، {مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ}، أي: طباق فوق طباق، مَبْنيات محكمات مزخرفات عاليات"(١).

قال ابن كثير:" ثم أخبر عن عباده السعداء أنهم لهم غرف في الجنة ، وهي القصور الشاهقة {مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ}، أي : طباق فوق طباق ، مَبْنيات محكمات مزخرفات عاليات.

عن علي ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "إن في الجنة لغرفًا يُرَى بطونها من ظهورها ، وظهورها من بطونها" فقال أعرابي : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : "لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلى لله بالليل والناس نيام"(٢).

و قال رسول الله ﷺ : " إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام"(٣).

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : "إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف ، كما تراءون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع ، في تفاضل أهل الدرجات". فقالوا : يا رسول الله ، أولئك النبيون ؟ فقال : "بلى ، والذي نفسي بيده ، وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل"(٤).

قوله تعالى:{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الزمّر : ٢٠]، أي:" تجري مِن تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار"(٥).

قال الطبري:يقول:" تجري من تحت أشجار جناتها الأنهار"(٦).

قال ابن كثير:" أي : تسلك الأنهار بين خلال ذلك ، كما يشاءوا وأين أرادوا"(٧).

قال السعدي:" {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ} المتدفقة، المسقية للبساتين الزاهرة والأشجار الطاهرة، فتغل بأنواع الثمار اللذيذة، والفاكهة النضيجة"(٨).

قوله تعالى:{وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ} [الزمّر : ٢٠]، أي:" وعدها الله عباده المتقين وعدًا متحققًا، لا يخلف الله الميعاد"(٩).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف مبنية في الجنة، هؤلاء المتقين، والله لا يخلفهم وعده، ولكنه يوفي بوعده"(١٠).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٩١/٧.

(٢)أخرجه الترمذى (٣٥٤/٤، رقم ١٩٨٤) ، وأحمد (١٥٥/١، رقم ١٣٣٧) ، وأبو يعلى (٣٣٧/١، رقم ٤٢٨) ٤٢٨) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢١٥/٣، رقم ٣٣٦٠).

(٣)حديث أبى مالك الأشعرى: أخرجه أحمد (٣٤٣/٥، رقم ٢٢٩٥٦) ، قال الهيثمى (١٩٢/٣) : رجاله ثقات. وابن خزيمة (٣٠٦/٣، ٢١٣٦، ٢١٣٧) وقال عقبهما: إن صح الخبر. وابن حبان (٢٦٢/٢، رقم ٥٠٩) ، والطبرانى (٣٠١/٣، رقم ٣٤٦٦) ، قال الهيثمى (٢٥٤/٢) : رجاله ثقات. والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٠٤/٣، رقم ٣٨٩٢) ، والبيهقى (٣٠٠/٤، رقم ٨٢٦٢).

حديث على: أخرجه الترمذى (٣٥٤/٤، رقم ١٩٨٤) وقال: غريب. وابن السنى فى عمل يوم وليلة (ص ١٢٦، رقم ٣٢٠) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢١٥/٣، رقم ٣٣٦٠) ، وهناد فى الزهد (١٠٣/١، رقم ١٢٣) ، وأحمد (١٥٥/١، رقم ١٣٣٧) . وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٣٣٧/١، رقم ٤٢٨) ، والبزار (٢٨١/٢، رقم ٧٠٢) .

حديث ابن عمرو: أخرجه أحمد (١٧٣/٢، رقم ٦٦١٥) ، والطبرانى (٤٦/١٣، رقم ١٠٣) ، قال الهيثمى (٢٥٤/٢) : إسناده حسن. والحاكم (١٥٣/١، رقم ٢٧٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى فى شعب الإيمان (١٢٨/٣، رقم ٣٠٩٠)

(٤)المسند (٣٣٩/٢) وسنن الترمذي برقم (٢٥٥٦).

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٦) تفسير الطبري: ٢٧٦/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٩٢/٧.

(٨) تفسير السعدي: ٧٢٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٧٦/٢١.

قال ابن كثير:" أي : هذا الذي ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين { إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ }"[^1].

قال السعدي:" وقد وعد المتقين هذا الثواب، فلا بد من الوفاء به، فليوفوا بخصال التقوى، ليوفيهم أجورهم"[^2].

فوائد الآيات: [١٧-٢٠]:

١- كرامة زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي إذ هذه الآية تعنيهم فقد رفضوا عبادة الطاغوت في الجاهلية قبل الإسلام ثم أنابوا إلى ربهم فصدقت الآية عليهم.

٢- فضيلة أهل التمييز والوعي والإدراك الذين يميزون بين ما يسمعون فيتبعون الأحسن ويتركون ما دونه من الحسن والسيء.

٣- إعلام من الله تعالى أن من وجبت له النار أزلاً لا تمكن هدايته مهما بذل الداعي في هدايته وإصلاحه ما بذل.

٤- بيان ما أعد الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى من نعيم الجنة وكرامة الله لأهلها.

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١)} [الزمّر : ٢١]

التفسير:

ألم تر -أيها الرسول- أن الله أنزل من السحاب مطرًا فأدخله في الأرض، وجعله عيونًا نابعة ومياهًا جارية، ثم يُخْرج بهذا الماء زرعًا مختلفًا ألوانه وأنواعه، ثم ييبس بعد خضرته ونضارته، فتراه مصفرًا لونه، ثم يجعله حطامًا متكسِّرًا متفتتًا؟ إن في فِعْل الله ذلك لَذكرى وموعظة لأصحاب العقول السليمة.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} [الزمّر : ٢١]، أي:" ألم تر -أيها الرسول- أنَّ الله بقدرته أنزل المطر من السحاب"[^3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: {أَلَمْ تَرَ} يا محمد {أَنَّ اللَّهَ أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} وهو المطر"[^4].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى : أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال تعالى : { وَأَنزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا } [الفرقان : ٤٨] "[^5].

قوله تعالى:{فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ} [الزمّر : ٢١]، أي:" فأدخله في عيون وأنهار من الأرض"[^6].

قال الطبري:" يقول: فأجراه عيونا في الأرض، وأحدها ينبوع، وهو ما جاش من الأرض"[^7].

قال ابن قتيبة:" أي: أدخله [فيها] فجعله ينابيع: عيونا تنبع"[^8].

قال أبو عبيدة:" {يَنابِيعَ}: واحدها: «ينبوع»، وهو ما جاش من الأرض"[^9].

قال الزجاج:" {ينابيعُ}: الأمكنة التي ينبع منها الماء "[^10].

---

[^1]: تفسير ابن كثير: ٩٢/٧.
[^2]: تفسير السعدي: ٧٢٢.
[^3]: انظر: التفسير الميسر: ٤٦٠، وصفوة التفاسير: ٧٠/٣.
[^4]: تفسير الطبري: ٢٧٦/٢١.
[^5]: تفسير ابن كثير: ٩٢/٧.
[^6]: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٥٥٣/٨.
[^7]: تفسير الطبري: ٢٧٦/٢١.
[^8]: غريب القرآن: ٣٨٣.
[^9]: مجاز القرآن: ١٨٩/٢.
[^10]: معاني القرآن: ٣٥٠/٤.

قال ابن كثير:" فإذا أنزل الماء من السماء كَمَن في الأرض ، ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء ، ويُنبِعه عيونًا ما بين صغار وكبار ، بحسب الحاجة إليها"[١].

قال ابن عباس:" ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ، ولكن عروق في الأرض تغيره ، فذلك قوله تعالى: {فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ}، فمن سره أن يعود الملح عذاب فليصعده"[٢].

قال الشعبي:" كلّ ندى وماء في الأرض من السماء نزل"[٣].

وقال سعيد بن جبير : "أصله من الثلج يعني : أن الثلج يتراكم على الجبال ، فيسكن في قرارها ، فتنبع العيون من أسافلها"[٤].

قوله تعالى:{ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ} [الزمّر : ٢١]، أي:" ثم يُخْرج بهذا الماء زرعًا مختلفًا ألوانه وأنواعه"[٥].

قال ابن كثير:" أي : ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعا {مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ}، أي : أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه"[٦].

قال الزجاج:" ألوانه خُضْرة وصُفْرة وحُمْرة وبياض وغير ذلك"[٧].

عن الحسن بن مسلم بن بيان، قال: " ثم أنبت بذلك الماء الذي أنزله من السماء فجعله في الأرض عيونا زرعا {مختلفا ألوانه}، يعني: «أنواعا مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة»"[٨].

قوله تعالى:{ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا} [الزمّر : ٢١]، أي:" ثم ييبس بعد خضرته ونضارته، فتراه مصفرًا لونه"[٩].

قال ابن كثير:" أي : بعد نضارته وشبابه يكتهل { فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا } ، قد خالطه اليُبْس"[١٠].

قال الأصْمَعي: "يقال للنبْتِ -إذَا تَمَّ جفافه-: قد هَاجَ يَهِيجُ هيجاً"[١١].

قال ابن قتيبة:" {ثم يهيج}، أي: ييبس"[١٢].

قال أبو عبيدة:" إذا ذوى الرّطب كله فقد هاج ويقال: هاجت الأرض، وهو إذا ذوى ما فيها من الخضر"[١٣].

قال الطبري:" {فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا}، يقول: فتراه من بعد خُضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر، وكذلك الزرع إذا يبس اصفرّ"[١٤].

عن الحسن بن مسلم بن بيان، قال: " ثم ييبس ذلك الزرع من بعد خضرته، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخضر وذوي: هاجت الأرض، وهاج الزرع"[١٥].

قوله تعالى:{ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا} [الزمّر : ٢١]، أي:" ثم يجعله حطامًا متكسِّرًا متفتتًا"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٩٢/٧.
(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٩٢/٧-٩٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢١.
(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٩٤/٧.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٩٤/٧.
(٧) معاني القرآن: ٣٥٠/٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢١.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٩٤/٧.
(١١) حكاه عنه الزجاج في معاني القرآن: ٣٥٠/٤.
(١٢) غريب القرآن: ٣٨٣.
(١٣) مجاز القرآن: ١٨٩/٢.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٧٧/٢١.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢١-٢٧٧.

قال أبو عبيدة:" بعد صفرته، أي: رفاتا، والحطام والرّفات والدرين واحد فى كلام العرب وهو ما يبس فتحاتّ[٢] من النبات"[٣].

قال ابن كثير:" أي : ثم يعود يابسا يتحطم"[٤].

قال ابن قتيبة:" {ثم يجعله حطاما}، مثل: الرفات والفتات"[٥].

قال الطبري:" والحطام: فتات التبن والحشيش، يقول: ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابسا فُتاتا متكسرا"[٦].

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [الزمّر : ٢١]، أي:" في فِعْل الله ذلك لَذكرى وموعظة لأصحاب العقول السليمة"[٧].

قال الطبري:يقول:" إن في فعل الله ذلك كالذي وصف لذكرى وموعظة لأهل العقول والحجا يتذكرون به، فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذر عليه إحداث ما شاء من الأشياء، وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض، وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته وإعادته من بعد فنائه، كهيئته قبل فنائه، كالذي فعل بالأرض التي أنزل عليها من بعد موتها الماء، فأنبت بها الزرع المختلف الألوان بقدرته"[٨].

قال السمعاني:" الذكرى هي: التذكرة"[٩].

قال ابن كثير:{لأولِي الألْبَابِ} " أي : الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا ، تكون خَضرةً نضرةً حسناء ، ثم تعود عَجُوزا شوهاء ، والشاب يعود شيخا هَرِما كبيرا ضعيفا قد خالطه اليبس، وبعد ذلك كله الموت. فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير ، وكثيرًا ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء ، وينبت به زروعا وثمارا ، ثم يكون بعد ذلك حُطاما ، كما قال تعالى:{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا } [الكهف : ٤٥]"[١٠].

القرآن

{أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢)} [الزمّر : ٢٢]

التفسير:

أفمن وسَّع الله صدره، فسعد بقبول الإسلام والانقياد له والإيمان به، فهو على بصيرة من أمره وهدى من ربه، كمن ليس كذلك؟ لا يستوون. فويل وهلاك للذين قَسَتْ قلوبهم، وأعرضت عن ذكر الله، أولئك في ضلال بيِّن عن الحق.

قوله تعالى:{أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} [الزمّر : ٢٢]، أي:" أفمن وسَّع الله صدره، فسعد بقبول الإسلام والانقياد له والإيمان به، فهو على بصيرة من أمره وهدى من ربه، كمن ليس كذلك؟ لا يستوون"[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٢)«تحات» : من حت يحت وهو زكك الشيء اليابس عن الثوب ونحوه. أفاده المحقق.

(٣) مجاز القرآن: ١٨٩/٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٩٤/٧.

(٥) غريب القرآن: ٣٨٣.

(٦) تفسير الطبري: ٢٧٧/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٨) تفسير الطبري: ٢٧٧/٢١.

(٩) تفسير السمعاني: ٤٦٥/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٩٤/٧.

(١١) التفسير الميسر: ٤٦١.

قال مقاتل:" يقول: {أفمن} وسع الله قلبه للتوحيد {فهو على نور}، يعني: على هدى {من ربه}، يعني: النبي- ﷺ-"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته، فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين، بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك لأمر الله متبع، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه، وأخلاه من ذكره، وضيقه عن استماع الحق، واتباع الهدى، والعمل بالصواب؟"(٢).

قال ابن كثير:" أي : هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق ؟! كقوله تعالى : { أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } [الأنعام : ١٢٢] "(٣).

قال السمعاني:" يحتمل أن يكون النور قبل أن يسلم، ويحتمل أن يكون بعد الإسلام، ثمرة إسلامه، وأما شرح الصدر: هو التوطئة للإسلام والتمهيد له"(٤).

عن قتادة، قوله: "{أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ}، يعني: كتاب الله، هو المؤمن به يأخذ، وإليه ينتهي"(٥).

عن السديّ، قوله: "{أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ}، قال: وسع صدره للإسلام، والنور: الهدى"(٦).

قال مجاهد:" ليس المنشرح صدره مثل القاسي قلبه"(٧).

وفي الحديث:"«إن النور إذا دخل الصدر انفسح». قيل: هل لذلك من علم يعرف به؟ قال:«نعم. التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله»"(٨).

قوله تعالى:{فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمّر : ٢٢]، أي:" فويل وهلاك للذين قَسَتْ قلوبهم، وأعرضت عن ذكر الله"(٩).

قال الطبري: يقول:" فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره، مذكرا به عباده، فلم يؤمن به، ولم يصدّق بما فيه"(١٠).

قال مقاتل:" يعني: الجافية قلوبهم فلم تلن، يعني: أبا جهل {من ذكر الله}، يعني: عن توحيد الله"(١١).

قال ابن كثير:" أي : فلا تلين عند ذكره، ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم"(١٢).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الزمّر : ٢٢]، أي:" أولئك في ضلال بيّن عن الحق"(١٣).

قال مكي:" أي: في ضلال عن الحق ظاهر"(١٤).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٥/٣.
(٢) تفسير الطبري: ٢٧٧/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ٩٣/٧.
(٤) تفسير السمعاني: ٤٦٥/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢١.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢١.
(٨)أخرجه الحاكم (٣٤٦/٤، رقم ٧٨٦٣) وتعقبه الذهبى فى التلخيص قائلا: عدى بن الفضل ساقط. وأخرجه أيضًا: البيهقى فى شعب الإيمان (٣٥٢/٧، رقم ١٠٥٥٢).
(٩) التفسير الميسر: ٤٦١.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٧٨/٢١.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٥/٣.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٩٣/٧.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٦١.
(١٤) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٣٢٦/١٠.

قال الطبري: يقول:" هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله في ضلال مبين، لمن تأمله وتدبره بفهم أنه في ضلال عن الحق جائر"(١).

قال الزجاج:" يعني: القاسية قلوبهم. الآية"(٢).

وقال مقاتل:" يعني: أبا جهل يقول الله- تعالى- للنبي- ﷺ- ليس المنشرح صدره بتوحيد الله كالقاسي قلبه ليسا بسواء"(٣).

القرآن

{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)} [الزمّر : ٢٣]

التفسير:

الله تعالى هو الذي نزل أحسن الحديث، وهو القرآن العظيم، متشابهًا في حسنه وإحكامه وعدم اختلافه، تُكَرَّرُ فيه القصص والأحكام، والحجج والبينات، وتعاد تلاوته فلا يمل على كثرة الترداد، تقشعر من سماعه، وتضطرب جلود الذين يخافون ربهم؛ تأثرًا بما فيه مِن ترهيب ووعيد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم؛ استبشارًا بما فيه من وعد وترغيب، ذلك التأثر بالقرآن هداية من الله لعباده. والله يهدي بالقرآن من يشاء مِن عباده. ومن يضلله الله عن الإيمان بهذا القرآن؛ لكفره وعناده، فما له مِن هاد يهديه ويوفقه.

سبب النزول:

عن ابن عباس، قالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟ قال: فنزلت: {اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ}"(٤).

قوله تعالى:{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمّر : ٢٣]، أي:" اللهُ نزَّل القرآن العظيم أحسن الكلام"(٥).

قال الطبري:" يعني به القرآن"(٦).

قوله تعالى:{كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [الزمّر : ٢٣]، أي:" قرآناً متشابهاً يشبه بعضه بعضاً في الفصاحة، والبلاغة، والتناسب، بدون تعارضٍ ولا تناقض"(٧).

قال الطبري:" يقول: يشبه بعضه بعضا، لا اختلاف فيه، ولا تضادّ"(٨).

قال ابن قتيبة:أي: " يشبه بعضه بعضا، ولا يختلف"(٩).

قال أبو عبيدة:" {مُتَشَابِهاً}، يصدّق بعضه بعضا ويشبه بعضه بعضا"(١٠).

قال الزجاج:" يشابه بعضه بعضاً في الفضل والحكمة، لا تناقض فيه"(١١).

قال السدي:" المتشابه: يشبه بعضه بعضا"(١٢).

قال قتادة:" الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف"(١٣).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٧٨/٢١.
(٢) معاني القرآن: ٣٥١/٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٥/٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٨٠/٢١.
(٥) صفوة التفاسير: ٧٠/٣.
(٦) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢١.
(٧) صفوة التفاسير: ٧٠/٣.
(٨) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢١.
(٩) غريب القرآن: ٣٨٣.
(١٠) مجاز القرآن: ١٨٩/٢.
(١١) معاني القرآن: ٣٥١/٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢١.

قال سعيد بن جبير:" يشبه بعضه بعضا، ويصدّق بعضه بعضا، ويدلّ بعضه على بعض"(١).

قوله تعالى:{مَثَانِيَ} [الزمّر : ٢٣]، أي:" تُثنَّى وتكرر فيه المواعظ والأحكام، والحلال والحرام، وتُردَّد فيه القصص والأخبار دون سأم أو ملل"(٢).

قال الطبري:" يقول: تُثنى فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج"(٣).

قال ابن قتيبة:" {مثاني} أي: تثنى فيه الأنباء والقصص وذكر الثواب والعقاب"(٤).

قال الحسن:" ثنى الله فيه القضاء، تكون السورة فيها الآية في سورة أخرى آية تشبهها، وسئل عنها عكرمة«فقال: ثنى الله فيه القضاء»(٥)"(٦).

قال قتادة:" ثَنَى الله فيه الفرائض، والقضاء، والحدود"(٧).

قال ابن عباس:" كتاب الله مثاني، ثنى فيه الأمر مرارا"(٨). وروي عن السدي مثله(٩).

مثله(٩).

عن ابن زيد قوله: "{مَثَانِيَ}: مردّد، رُدِّد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء في أمكنة كثيرة"(١٠).

عن مجاهد، قوله: "{كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ}، قال: في القرآن كله"(١١).

قال ابن كثير:" هذا مَدْحٌ من الله - عز وجل - لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم... وقال بعض العلماء : وُيرْوى عن سفيان بن عيينة معنى قوله : { مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ } أنّ سياقات القرآن تارةً تكونُ في معنى واحد ، فهذا من المتشابه ، وتارةً تكونُ بذكر الشيء وضده ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا ، فهذا من المثاني ، كقوله تعالى : { إِنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ } [الانفطار : ١٤ ، ١٣] ، وكقوله { كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ } [المطففين : ٧] ، إلى أن قال : { كَلا إِنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ } [المطففين : ١٨] ، { هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ } [ص : ٤٩] ، إلى أن قال : { هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ } [ص : ٥٥] ، ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني ، أي : في معنيين اثنين ، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضا ، فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله : { مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } [آل عمران : ٧] ، ذاك معنى آخر"(١٢).

قوله تعالى:{تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} [الزمّر : ٢٣]، أي:" تعتري هؤلاء المؤمنين خشيةٌ، وتأخذهم قشعريرة عند تلاوة آيات القرآنُ، هيبةً من الرحمن وإجلالاً لكلامه"(١٣).

قال الطبري: يقول:" تقشعرّ من سَماعه إذا تلي عليهم جلود الذين يخافون ربهم"(١٤).

قال الزجاج:" يقول: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخاشعين للهِ"(١).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢١.

(٢) صفوة التفاسير: ٧٠/٣.

(٣) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢١.

(٤) غريب القرآن: ٣٨٣.

(٥) زيادة في الدر المنثور: ٢٢١/٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢١.

(٧) أخرجه الطبري :٢٧٩/٢١-٢٨٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٨٠/٢١.

(٩) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٨٠/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢١.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٩٣/٧.

(١٣) صفوة التفاسير: ٧٠/٣-٧١.

(١٤) تفسير الطبري: ٢٨٠/٢١.

قال ابن قتيبة:" من آية العذاب"[٢].

قال ابن كثير:" أي هذه صفة الأبرار ، عند سماع كلام الجبار ، المهيمن العزيز الغفار ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد. والتخويف والتهديد ، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف"[٣].

قوله تعالى:{ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمّر : ٢٣]، أي:" تطمئن وتسكن قلوبهم وجلودهم إلى ذكر الله"[٤].

قال ابن قتيبة:" من آية العذاب وتلين من آية الرحمة"[٥].

قال الزجاج:" إذا ذكرت آيات الرحمة لأنت جلودهم وقلوبهم"[٦].

قال الطبري:{إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}، " يعني: إلى العمل بما في كتاب الله، والتصديق به"[٧].

قال ابن كثير:" لما يرجون ويُؤمِّلون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه :

أحدها : أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات ، وسماع أولئك نَغَمات لأبيات ، من أصوات القَيْنات.

الثاني : أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ، بأدب وخشية ، ورجاء ومحبة ، وفهم وعلم ، كما قال : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال : ٢ - ٤] وقال تعالى : { وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا } [الفرقان : ٧٣] أي : لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها ، بل مصغين إليها ، فاهمين بصيرين بمعانيها ؛ فلهذا إنما يعملون بها ، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم، أي: يرون غيرهم قد سجد فيسجدون تبعا له.

الثالث : أنهم يلزمون الأدب عند سماعها ، كما كان الصحابة ، رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم ، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخُون ولا يتكلّفون ما ليس فيهم ، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ؛ ولهذا فازوا بالقِدح المُعَلّى في الدنيا والآخرة"[٨].

عن معمر ، قال: "تلا قتادة {تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله}، قال: «هذا نعت أولياء الله نعتهم الله أن تقشعر جلودهم ، وتبكي أعينهم ، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم ، والغشيان عليهم ، وإنما هذا في أهل البدع وهذا من الشيطان»"[٩].

قوله تعالى:{ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ} [الزمّر : ٢٣]، أي:" ذلك القرآن الذي تلك صفتُه هو هدى الله يهدي به من شاء من خلقه"[١٠].

قال الزجاج:" يقول: الذي وهبه الله لهم من خشيته وخوف عَذَابِهِ ورجاء رحمته هدي الله"[١١].

---

(١) معاني القرآن: ٣٥٢/٤.
(٢) غريب القرآن: ٣٨٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٩٤/٧.
(٤) صفوة التفاسير: ٧١/٣.
(٥) غريب القرآن: ٣٨٣.
(٦) معاني القرآن: ٣٥٢/٤.
(٧) تفسير الطبري: ٢٨٠/٢١.
(٨) تفسير ابن كثير: ٩٤/٧.
(٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦٢٦):ص١٣٠/٣.
(١٠) صفوة التفاسير: ٧١/٣.
(١١) معاني القرآن: ٣٥٢/٤.

قال الطبري: يقول:" هذا الذي يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشعرار جلودهم ثم لينها ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك، توفيق الله إياهم وفَّقهم له، يهدي تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده"[١].

قال الطبري:" وقد يتوجَّه معنى قوله: {ذَلِكَ هُدَى} إلى أن يكون ذلك من ذكر القرآن، فيكون معنى الكلام: هذا القرآن بيان الله يهدي به من يشاء، يوفق للإيمان به من يشاء"[٢].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمّر : ٢٣]، أي:" ومن يضلله الله عن الإيمان بهذا القرآن؛ لكفره وعناده، فما له مِن هاد يهديه ويوفقه"[٣].

قال الطبري:يقول:" ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه، فيضله عنه، فما له من مُوَفِّق له، ومسدد يسدده في اتباعه"[٤].

قال الصابوني:" أي:" ومن يخذلْه اللهُ فيجعل قلبه قاسياً مظلماً، فليس له مرشدٌ ولا هاد بعد الله"[٥].

فوائد الآيات: [٢١-٢٣]:

١- مظاهر العلم والقدرة الإلهية الموجبة للإيمان به وبرسوله ولقائه.

٢- بيان أن القلوب قلبان: قلب قابل للهداية، وآخر غير قابل لها.

٣- بيان أن القرآن أحسن ما يحدث به المؤمن إذ أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل.

٤ - فضيلة أهل الخشية من الله إذ هم الذين ينفعلون لسماع القرآن فترتعد فرائصهم عند سماع وعيده، وتلين قلوبهم وجلودهم عند سماع وعده.

القرآن

{أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤)} [الزمّر : ٢٤]

التفسير:

أفمن يُلْقى في النار مغلولا -فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه؛ لكفره وضلاله- خير أم من ينعم في الجنة؛ لأن الله هداه؟ وقيل يومئذ للظالمين: ذوقوا وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله.

قوله تعالى:{أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمّر : ٢٤]، أي:" أفمن يُلْقى في النار مغلولا -فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه؛ لكفره وضلاله- خير أم من هو آمن من العذاب"[٦].

اختلف أهل التفسير في صفة اتقاء هذا الضالّ بوجهه سُوء العذاب، على قولين:

أحدهما: أنه يُرْمى به في جهنم مكبوبا على وجهه، فذلك اتقاؤه إياه. قاله مجاهد[٧]،

قال مجاهد:" يجر على وجهه في النار"[٨].

الثاني: أنه ينطلق به إلى النار مكتوفا، ثم يُرمى به فيها، فأوّل ما تَمس النار وجهه، وهذا القول يُذكر عن ابن عباس بسند ضعيف[٩]، وبه قال مقاتل[١٠].

---

(١) تفسير الطبري: ٢١/٢٨٠-٢٨١.
(٢) تفسير الطبري: ٢١/٢٨١.
(٣) التفسير الميسر: ٤٦١.
(٤) تفسير الطبري: ٢١/٢٨١.
(٥) صفوة التفاسير: ٣/٧١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٦١، وصفوة التفاسير: ٣/٧١.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٨١.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٨١، وتفسير مجاهد: ٥٧٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٨١-٢٨٢.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٦٧٥-٦٧٦.

قال مقاتل:" يقول ليس الضال الذي يتقي النار بوجهه كالمهتدي الذي لا تصل النار إلى وجهه، ليسا بسواء، يقول: الكافر يتقي بوجهه شدة العذاب وهو في النار مغلولة يده إلى عنقه، وفي عنقه حجر ضخم مثل الجبل العظيم من كبريت تشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه وتشتعل على وجهه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من أجل الأغلال التي في يده وعنقه"(١).

قال الفراء:" يقال: إن الكافر تنطلق به الخزنة إلى النار مغلولا، فيقذف به في النار، فلا يتقيها إلا بوجهه"(٢).

قال الأخفش:" فهذا لم يظهر له خبر في اللفظة ولكنه في المعنى - والله أعلم - كأنه «أفمن يتقي بوجهه أفضل أم من لا يتقي»"(٣).

قال الزمخشري:" معناه: أن الإنسان إذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده، وطلب أن يقي بها وجهه، لأنه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه، فلا يتهيأ له أن يتقى النار إلا بوجهه الذي كان يتقى المخاوف بغيره، وقاية له ومحاماة عليه. وقيل: المراد بالوجه الجملة، وقيل: نزلت في أبى جهل"(٤).

قال ابن كثير:" اكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر ، كقول الشاعر(٥):

فَمَا أدْري إذَا يَمَّمْتُ أرْضًا... أريدُ الخيرَ : أيّهما يَليني؟

يعني : الخير أو الشر"(٦).

قوله تعالى:{وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} [الزمّر : ٢٤]، أي:" وقيل يومئذ للظالمين: ذوقوا وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله"(٧).

قال مقاتل:" وقالت الخزنة: للظالمين: {ذوقوا} العذاب ب {ما كنتم تكسبون} من الكفر والتكذيب"(٨).

قال الطبري:" يقول: ويقال يومئذ للظالمين أنفسهم بإكسابهم إياها سخط الله. ذوقوا اليوم أيها القوم وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله"(٩).

قال ابن كثير:" ويُقْرَعُ فيقال له ولأمثاله من الظالمين :{ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ }"(١٠).

القرآن

{كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦)} [الزمّر : ٢٥-٢٦]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٥/٣-٦٧٦.
(٢) معاني القرآن: ٤١٨/٢.
(٣) معاني القرآن: ٤٩٥/٢.
(٤) الكشاف: ١٢٥/٤.
(٥)البيت للمثقب العبدي، وهو في ديوانه: ٢١٢. وورد منسوبًا له، في "المفضليات" ٥٧٤، "الشعر والشعراء" ١/ ٤٠٣، و"الصناعتين" ٢٠٥، و"الحماسة البصرية" ١/ ٤٠، "شرح شواهد المغني" ١٩١، "خزانة الأدب" ١١/ ٨٠
وورد غير منسوب في "معاني القرآن" للفراء: ٢٣١.
وروايته في "المفضليات": (يممت أمرًا ..)، وعند الفراء: (يممت وجها ..) وفي "الحماسة البصرية" كما عند المؤلف، وفي "شرح شواهد المغني" "الخزانة": (وجهت وجهًا ..).
وبعد هذا البيت:
أألخير الذي أنا أبتغيه ... أم الشر الذي هو يبتغيني
ومعنى (يميت): قصدت، و (يليني): من (الوَلْي)، وهو: القرب.
(٦) تفسير ابن كثير: ٩٥/٧.
(٧) التفسير الميسر: ٤٦١.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٦/٣.
(٩) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢١.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٩٥/٧.

التفسير:
كذَّب الذين مِن قبل قومك -أيها الرسول- رسلهم، فجاءهم العذاب من حيث لا يشعرون بمجيئه، فأذاق الله الأمم المكذبة العذاب والهوان في الدنيا، وأعد لهم عذابًا أشد وأشق في الآخرة، لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ما حلَّ بهم؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم لاتَّعظوا.

قوله تعالى:{كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [الزمّر : ٢٦]، أي:" كذَّب الذين مِن قبل قومك -أيها الرسول- رسلهم، فجاءهم العذاب من حيث لا يشعرون بمجيئه"(١).

قال الطبري:يقول: " كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قُريش من الأمم الذين مضوا في الدهور الخالية رسلهم، فجاءهم عذاب الله من الموضع الذي لا يعلمون بمجيئه منه"(٢).

قال مقاتل:" يعني: قبل كفار مكة كذبوا رسلهم بالعذاب في الآخرة بأنه غير نازل بهم {فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون}، وهم غافلون عنه"(٣).

قال ابن كثير:" يعني : القرون الماضية المكذبة للرسل ، أهلكهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق"(٤).

قال الزمخشري:" {مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ}، من الجهة التي لا يحتسبون، ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها، بينا هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم. والخزي: الذل والصغار، كالمسخ والخسف والقتل والجلاء، وما أشبه ذلك من نكال الله"(٥).

قوله تعالى:{فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الزمّر : ٢٦]، أي:" فأذاق الله الأمم المكذبة العذاب والهوان في الدنيا"(٦).

قال الطبري:يقول: " فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلهم الهوان في الدنيا، والعذاب قبل الآخرة، ولم ينظرهم إذ عتوا عن أمر ربهم"(٧).

قال ابن كثير:" أي : بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفي المؤمنين بهم ، فليحذر المخاطبون من ذلك ، فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل ، وخاتم الأنبياء ، والذي أعده الله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظمُ مما أصابهم في الدنيا "(٨).

قوله تعالى:{وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ} [الزمّر : ٢٦]، أي:" ولعذاب الآخرة الذي أُعدَّ لهم أعظم بكثير من عذاب الدنيا"(٩).

قال الطبري:" يقول: ولعذاب الله إياهم في الآخرة إذا أدخلهم النار، فعذّبهم بها، أكبر من العذاب الذي عذّبهم به في الدنيا"(١٠).

قال السمعاني:" أي: عذاب الآخرة وهو عذاب النار أكبر من كل عذاب"(١١).

قوله تعالى:{لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [الزمّر : ٢٦]، أي:" لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ما حلَّ بهم؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم لاتَّعظوا"(١٢).

قال الطبري: "يقول: لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦١.
(٢) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢١.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٦/٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٩٥/٧.
(٥) الكشاف: ١٢٥/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٤٦١.
(٧) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢١.
(٨) تفسير ابن كثير: ٩٥/٧.
(٩) صفوة التفاسير: ٧١/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢١.
(١١) تفسير السمعاني: ٤٦٧/٤.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٦١.

فوائد الآيات: [٢٤-٢٦]:
١- تقرير البعث والجزاء بذكر شيء من أحوال يوم القيامة.
٢- تهديد قريش على إصرارها على التكذيب للرسول وما جاءها به من الإسلام.
٣- العذاب على التكذيب والمعاصي منه الدنيوي، ومنه الأخروي.
٤- لو علم الناس عذاب الآخرة علماً يقينياً ما كذبوا ولا كفروا ولا ظلموا فالجهل هو سبب الهلاك والشقاء دائما.

القرآن

{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)} [الزمّر : ٢٧-٢٨]

التفسير:

ولقد ضربنا لهؤلاء المشركين بالله في هذا القرآن من كل مثل من أمثال القرون الخالية تخويفًا وتحذيرًا؛ ليتذكروا فينزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله. وجعلنا هذا القرآن عربيًا واضح الألفاظ سهل المعاني، لا لَبْس فيه ولا انحراف؛ لعلهم يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} [الزمّر : ٢٧]، أي:" ولقد ضربنا لهؤلاء المشركين بالله في هذا القرآن من كل مثل من أمثال القرون الخالية تخويفًا وتحذيرًا"[٢].

قال الطبري: يقول:" ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله من كل مثل من أمثال القرون للأمم الخالية، تخويفا منا لهم وتحذيرا"[٣].

قال السمعاني:{مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}"أي: شبه ومثال"[٤].

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الزمّر : ٢٧]، أي:" لعلهم يتعظون ويعتبرون بتلك الأمثال والزواجر"[٥].

قال الطبري: "يقول: ليتذكروا فينزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله"[٦].

قال السمعاني:" أي: يتذكرون ما فيه من الأمثال"[٧].

قوله تعالى:{قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ} [الزمّر : ٢٨]، أي:" وجعلنا هذا القرآن عربيًا واضح الألفاظ سهل المعاني، لا لَبْس فيه ولا انحراف"[٨].

قال الطبري:يقول: لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل قرآنا عربيا {غَيْرَ ذِي عِوَجٍ}، يعني: ذي لبس"[٩].

قال السمعاني:" أي: أنزلنا قرآنا عربيا غير ذي لبس"[١٠].

عن مجاهد: "{قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ}: غير ذي لبس"[١١].

قال مقاتل:" يعني: ليس مختلفا، ولكنه مستقيم"[١٢].

قال الزمخشري:أي:"مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٦١.
(٣) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢١.
(٤) تفسير السمعاني: ٤٦٧/٤.
(٥) صفوة التفاسير: ٧١/٣.
(٦) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢١-٢٨٣.
(٧) تفسير السمعاني: ٤٦٧/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٤٦١.
(٩) تفسير الطبري: ٢٨٣/٢١.
(١٠) تفسير السمعاني: ٤٦٧/٤.
(١١) اخرجه الطبري: ٢٨٣/٢١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٦/٣.

قال الزجاج:" {عَرَبِيًّا} منصوب على الحال. المعنى: ضرَبْنا للنْاس في هذا القرآن في حال عربيَّته وبيانه. وذكر {قرآناً} توكيداً، كما تقول: جاءني زيدا رَجُلًا صالِحاً. وجاءني عمرو إنْسَاناً عَاقِلًا. فَتَذْكُرُ «رَجُلاً».. و«إنساناً» توكيدا"[٢].

قال الزمخشري:" يجوز أن ينتصب{عَرَبِيًّا} على المدح... فإن قلت: فهلا قيل: مستقيما: أو غير معوج؟ قلت: فيه فائدتان، إحداهما: نفى أن يكون فيه عوج قط، كما قال: ولم يجعل له عوجا والثانية: أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان. وقيل: المراد بالعوج: الشك واللبس. وأنشد[٣]:

وقد أتاك يقين غير ذى عوج ... من الإله وقول غير مكذوب"[٤].

قال الشافعي رحمه الله: "فأقام - الله - عز وجل - حجته بأن كتابه عربي، في كل آية ذكرناها"[٥].

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمّر : ٢٨]، أي:" لعلهم يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه"[٦].

قال الطبري:" يقول: جعلنا قرآنا عربيا إذ كانوا عربا، ليفهموا ما فيه من المواعظ، حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وسطوته، فينيبوا إلى عبادته وإفراد الألوهة له، ويتبرّءوا من الأنداد والآلهة"[٧].

القرآن

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)} [الزمّر : ٢٩]

التفسير:

ضرب الله مثلا عبدًا مملوكًا لشركاء متنازعين، فهو حيران في إرضائهم، وعبدًا خالصًا لمالك واحد يعرف مراده وما يرضيه، هل يستويان مثلا؟ لا يستويان، كذلك المشرك هو في حَيْرة وشك، والمؤمن في راحة واطمئنان. فالثناء الكامل التام لله وحده، بل المشركون لا يعلمون الحق فيتبعونه.

قوله تعالى:{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ} [الزمّر : ٢٩]، أي:" ضرب الله مثلا عبدًا مملوكًا لشركاء متنازعين، فهو حيران في إرضائهم، وعبدًا خالصًا لمالك واحد يعرف مراده وما يرضيه"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شَتَّى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبُد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء. يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني: مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيئ الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه ومِلْكه فيه، ورجلا مسلما لرجل، يقول: ورجلا خُلُوصا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله، لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية"[٩].

---

(١) الكشاف: ١٢٥/٤.
(٢) معاني القرآن: ٣٥٢/٤.
(٣) انظر: الكشاف: ١٢٥/٤.
(٤) الكشاف: ١٢٥/٤.
(٥) تفسير الغمام الشافعي: ١٢٣٣/٣.
(٦) التفسير الميسر: ٤٦١.
(٧) تفسير الطبري: ٢٨٣/٢١.
(٨) التفسير الميسر: ٤٦١.
(٩) تفسير الطبري: ٢٨٣/٢١.

قال الزمخشري:" واضرب لقومك مثلا، وقل لهم: ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع: كل واحد منهم يدعى أنه عبده، فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشاده، وإذا عنت له حاجة تدافعوه، فهو متحير في أمره سادر، قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره، لا يدرى أيهم يرضى بخدمته؟ وعلى أيهم يعتمد في حاجاته. وفي آخر: قد سلم لمالك واحد وخلص له، فهو معتنق لما لزمه من خدمته، معتمد عليه فيما يصلحه، فهمه واحد وقلبه مجتمع، أى هذين العبدين أحسن حالا وأجمل شأنا؟ والمراد: تمثيل حال من يثبت آلهة شتى، وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعى كل واحد منهم عبوديته، ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا، كما قال تعالى: {وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [المؤمنون : ٩١]، ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدرى أيهم يعبد؟ وعلى ربوبية أيهم يعتمد؟ وممن يطلب رزقه؟ وممن يلتمس رفقه؟ فهمه شعاع، وقلبه أوزاع، وحال من لم يثبت إلا إلها واحدا، فهو قائم بما كلفه، عارف بما أرضاه وما أسخطه، متفضل عليه في عاجله، مؤمل للثواب في آجله. وفيه صلة شركاء، كما تقول: اشتركوا فيه. والتشاكس والتشاخس: الاختلاف، تقول: تشاكست أحواله، وتشاخست أسنانه سلما لرجل خالصا"(١).

عن مجاهد، قوله:"{رَجُلا فِيه شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ وَرَجُلا سالِمًا لِرَجُلٍ}، قال: هذا مثل إله الباطل وإله الحق"(٢).

قال السدي:" مثل لأوثانهم التي كانوا يعبدون"(٣).

عن قتادة، قوله: "{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ}، قال: هذا المشرك تتنازعه الشياطين، لا يقر به بعضهم لبعض. {وَرَجُلا سَالِمًا لِرَجُلٍ}، قال: هو المؤمن أخلص الدعوة والعبادة"(٤).

قال ابن عباس:" الشركاء المتشاكسون: الرجل الذي يعبد آلهة شتى كلّ قوم يعبدون إلها يرضونه ويكفرون بما سواه من الآلهة، فضرب الله هذا المثل لهم، وضرب لنفسه مثلا يقول: رجلا سَلِمَ لرجل. يقول: يعبدون إلها واحدا لا يختلفون فيه"(٥).

قال ابن زيد:" أرأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون كلهم سيئ الخلق، ليس منهم واحد إلا تلقاه آخذا بطرف من مال لاستخدامه أسواؤهم، والذي لا يملكه إلا واحد، فإنما هذا مثل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة، وجعلوا لها في أعناقهم حقوقا، فضربه الله مثلا لهم، وللذي يعبده وحده {هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُون}، وفي قوله:«وَرَجُلا سالِمَا لِرَجُلٍ»، يقول: ليس معه شرك"(٦).

عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قرأها:«سَالِمًا لِرَجُلٍ»، -يعني بالألف-، وقال: ليس فيه لأحد شيء"(٧).

وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة: "{وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ}، بمعنى: صلحا"(٨).

قوله تعالى:{هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا} [الزمّر : ٢٩]، أي:" هل يستويان في حسن الحال، وراحة البال؟ فكذلك لا يتساوى المؤمن الموحّد مع المشرك الذي يعبد آلهة شتى"(٩).

قال الزجاج: أي: هل يَسْتَوِي مَثَلُ الموَحِّدِ وَمَثَلُ المشرك"(١٠).

---

(١) الكشاف: ١٢٥/٤.
(٢) أخرجه الطبري :٢٨٥/٢١.
(٣) أخرجه الطبري :٢٨٥/٢١.
(٤) أخرجه الطبري :٢٨٥/٢١.
(٥) أخرجه الطبري :٢٨٥/٢١.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢١-٢٨٦.
(٧) أخرجه الطبري :٢٨٤/٢١.
(٨) تفسير الطبري :٢٨٤/٢١.
(٩) صفوة التفاسير: ٧١/٣.[بتصرف بسيط]
(١٠) معاني القرآن: ٣٥٣/٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هل يستوي مثلُ هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدمُ واحدا لا ينازعه فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه، وإذا أخطأ صفح له عن خطئه، يقول: فأيّ هذين أحسن حالا وأروح جسما وأقلّ تعبا ونصبا؟"[١].

عن ابن عباس: "{هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ}، يقول: من اختُلف فيه خير، أم من لم يُخْتلَف فيه؟"[٢].

قوله تعالى:{الْحَمْدُ لِلَّهِ} [الزمّر : ٢٩]، أي:" فالثناء الكامل التام لله وحده"[٣].

قال الطبري:" يقول: الشكر الكامل، والحمدُ التامّ لله وحده دون كلّ معبود سواه"[٤].

قال الزمخشري:" الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه، أى: يجب أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة، فقد ثبت أنه لا إله إلا هو"[٥].

قوله تعالى:{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمّر : ٢٩]، أي:" بل المشركون لا يعلمون الحق فيتبعونه"[٦].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وما يستوي هذا المشترك فيه، والذي هو منفرد ملكه لواحد، بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان، فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله"[٧].

قال الزمخشري:" {بل أكثرهم لا يعلمون} فيشركون به غيره"[٨].

القرآن

{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)} [الزمّر : ٣٠-٣١]

التفسير:

إنك -أيها الرسول- ميت وإنهم ميتون، ثم إنكم جميعًا -أيها الناس- يوم القيامة عند ربكم تتنازعون، فيحكم بينكم بالعدل والإنصاف.

قوله تعالى:{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمّر : ٣٠]، أي:" إنك -أيها الرسول- ميت وإنهم ميتون"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: إنك يا محمد ميت عن قليل، وإن هؤلاء المكذّبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون"[١٠].

قال ابن قتيبة:" أي: ستموت ويموتون"[١١].

قال الزمخشري:" كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موته، فأخبر أن الموت يعمهم، فلا معنى للتربص، وشماتة الباقي بالفاني"[١٢].

قال ابن كثير:" الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق -رضي الله عنه- عند موت الرسول ﷺ ، حتى تحقق الناس موته ، مع قوله : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ

---

(١) تفسير الطبري :٢٨٦/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٨٦/٢١.
(٣) التفسير الميسر: ٤٦١.
(٤) تفسير الطبري :٢٨٦/٢١.
(٥) الكشاف: ١٢٦/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٤٦١.
(٧) تفسير الطبري :٢٨٦/٢١.
(٨) الكشاف: ١٢٦/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦١.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٨٧/٢١.
(١١) تأويل مشكل القرآن: ١٦٦.
(١٢) الكشاف: ١٢٧/٤.

أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } [آل عمران : ١٤٤]"(١).

عن عائشة قالت: "دخل أبو بكر على النبي ﷺ وقد مات، فقبله وقال: وا نبياه! ... وا خليلاه!. وا صفياه! ... ثم تلا : {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ}(٢) الآية. وقوله: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}"(٣).

وعن قتادة: "نعى إلى نبيه نفسه، ونعى إليكم أنفسكم"(٤).

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمّر : ٣١]، أي:" ثم إنكم جميعًا -أيها الناس- يوم القيامة عند ربكم تتنازعون، فيحكم بينكم بالعدل والإنصاف"(٥).

قال الطبري:" يقول: ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم، ويفصل بين جميعكم بالحقّ"(٦).

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمّر : ٣١] وجوه من التفسير:

أحدها : أن المخاصمة في الدماء ، قاله عكرمة(٧).

الثاني : أنها في المداينة ، قاله الربيع بن أنس(٨).

الثالث : يعني: مخاصمة أهل الإسلام وأهل الكفر. قاله ابن زيد(٩).

قال الماوردي:يعني: " في الإيمان والكفر، فمخاصمة المؤمنين تقريع ، ومخاصمة الكافرين ندم"(١٠).

الرابع : يعني: بذلك اختصام أهل الإسلام. قاله ابن عمر(١١).

قال ابن عمر:" نزلت علينا هذه الآية وما ندري ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة، فقلنا: هذا الذي وعدنا ربُّنا أن نختصم في {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُون}"(١٢).

قال إبراهيم:" لما نزلت: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ} ... الآية، قالوا: ما خصومتنا بيننا ونحن إخوان، قال: فلما قُتل عثمان بن عفان، قالوا: هذه خصومتنا بيننا"(١٣).

عن أبي العالية، قوله: "{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}، قال: هم أهل القبلة"(١٤).

الخامس: يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر. قاله ابن عباس(١٥).

قال يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن الزبير: "لما نزلت: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}، قال الزبير: يا رسول الله، أينكر علينا ما كان بيننا فى

---

(١) تفسير ابن كثير: ٩٦/٧.
(٢)[الأنبياء : ٣٤].
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥٣):ص٣٤٥٢/٨.
(٤) نقلا عن: الكشاف: ١٢٧/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦١.
(٦) تفسير الطبري: ٢٨٧/٢١.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٢٥/٥.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٢٥/٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٧/٢١.
(١٠) النكت والعيون: ١٢٥/٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٧/٢١-٢٨٨.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢١-٢٨٨.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢١.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢١.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٧/٢١.

الدنيا مع خواصّ الذنوب؟ فقال النبي: صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"نَعَمْ حتى يُؤَدَّى إلى كُلِّ ذي حَقٍّ حَقُّهُ"(١).

عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : "والذي نفسي بيده ، إنه ليختصم، حتى الشاتان فيما انتطحتا"(٢).

وفي المسند عن أبي ذر ، رضي الله عنه أنه قال : رأى رسول الله ﷺ شاتين ينتطحان ، فقال : "أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر ؟" قلت : لا. قال : "لكن الله يدري وسيحكم بينهما"(٣).

عن أنس -رضي الله عنه- ، قال : قال رسول الله ﷺ : " يجاء بالإمام الخائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية فيفلحوا عليه فيقال له: سد ركنا مكن أركان جهنم"(٤).

وعن ابن عباس أنه قال : "يختصم الناس يوم القيامة ، حتى تختصم الروح مع الجسد ، فتقول الروح للجسد : أنت فعلت. ويقول الجسد للروح : أنت أمرت ، وأنت سولت. فيبعث الله ملكا يفصل بينهما ، فيقول لهما إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير والآخر ضرير ، دخلا بستانا ، فقال المقعد للضرير : إني أرى هاهنا ثمارا ، ولكن لا أصل إليها. فقال له الضرير : اركبني فتناولها ، فركبه فتناولها ، فأيهما المعتدي ؟ فيقولان : كلاهما. فيقول لهما الملك. فإنكما قد حكمتما على أنفسكما. يعني : أن الجسد للروح كالمطية ، وهو راكبه"(٥).

السادس : يختصم المؤمن والكافر، ويخاصم المظلوم الظالم. قاله الزجاج(٦).

السابع: أن تخاصمهم هو: تحاكمهم إلى الله تعالى فيما تغالبوا عليه في الدنيا من حقوقهم خاصة دون حقوق الله ليستوفيها من حسنات من وجبت عليه في حسنات من وجبت له. أفاده الماوردي(٧).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: عني بذلك: إنك يا محمد ستموت، وإنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومحقوكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يؤخذ لكلّ منكم ممن لصاحبه قبله حق حقُّه، وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأن الله عم بقوله: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} خطاب جميع عباده، فلم يخصص بذلك منهم بعضا دون بعض، فذلك على عمومه على ما عمه الله به، وقد تنزل الآية في معنى، ثم يكون داخلا في حكمها كلّ ما كان في معنى ما نزلت به"(٨).

قال الزمخشري:" {تختصمون}، فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا، فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد، ويعتذرون بما لا طائل تحته، تقول الأتباع: {أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا} [الأحزاب : ٦٧]، وتقول السادات: أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون، وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا، حتى يقال لهم: { لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ } [ق : ٢٨]، والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج، وأهل القبلة يكون بينهم الخصام"(٩).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢١.

وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان ، وعنده زيادة : ولما نزلت : { ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ }[التكاثر : ٨] قال الزبير : أي رسول الله ، أي نعيم نسأل عنه ؟ وإنما - يعني : هما (١) الأسودان : التمر والماء - قال : "أما إن ذلك سيكون".

وقد روى هذه الزيادة الترمذي وابن ماجه ، من حديث سفيان ، به (٢). وقال الترمذي : حسن.

المسند (١٦٤/١) وسنن الترمذي برقم (٣٣٥٦) وسنن ابن ماجه برقم (٤١٥٩).

(٢)المسند (٢٩/٣) ودراج أبو السمح عن أبي الهيثم ضعيف.

(٣)المسند (١٦٢/٥).

(٤) مسند البزاز(٧٠٠٤):ص٣٦٠/١٣.

(٥)روى ابن منده في كتاب "الروح". نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٩٨/٧.

(٦) معاني القرآن: ٣٥٣/٤.

(٧) انظر: النكت والعيون: ١٢٥/٥.

(٨) تفسير الطبري: ٢٨٨/٢١.

(٩) الكشاف: ١٢٧/٤.

قال ابن كثير:" معنى هذه الآية : ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة ، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل ، فيفصل بينكم ، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم ، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين ، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين.ثم إن هذه الآية - وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين ، وذِكْر الخصومة بينهم في الدار الآخرة - فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا ، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة"(١).

فوائد الآيات: [٢٧-٣١]:

١- مشروعية ضرب الأمثال للمبالغة في الإفهام والهداية لمن يراد هدايته.

٢- بيان مثل المشرك والموحد، فالمشرك في حيرة وتعب، والموحد في راحة وهدوء بال.

٣- تقرير أن كل نفس ذائقة الموت.

٤- بيان أن خصومة ستكون يوم القيامة ويقضي الله تعالى فيها بالحق لأنه هو الحق.

القرآن

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٣٢)} [الزمّر : ٣٢]

التفسير:

لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب: بأن نسب إليه ما لا يليق به كالشريك والولد، أو قال: أوحي إليَّ، ولم يوحَ إليه شيء، ولا أحد أظلم ممن كذَّب بالحق الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم. أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، ولم يصدق محمدًا ﷺ ولم يعمل بما جاء به؟ بَلَى.

قوله تعالى:{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ} [الزمّر : ٣٢]، أي:" لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب: بأن نسب إليه ما لا يليق به كالشريك والولد، أو قال: أوحي إليَّ، ولم يوحَ إليه شيء"(٢).

قال الطبري: يقول:" فمن من خلق الله أعظم فرية ممن كذب على الله، فادّعى أن له ولد وصاحبة، أو أنه حرَّم ما لم يحرمه من المطاعم"(٣).

قال الزجاج:" المعنى: أيّ أحد أظلم ممن كذب على الله وكذب نبيه - ﷺ -"(٤).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخاطبا للمشركين الذين افتروا على الله ، وجعلوا معه آلهة أخرى ، وادعوا أن الملائكة بنات الله ، وجعلوا لله ولدا - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا -"(٥).

قال الصابوني:" الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي: لا أحد أظلم ممن كذب على الله بنسبة الشريك له والولد"(٦).

قوله تعالى:{وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ} [الزمّر : ٣٢]، أي:" ولا أحد أظلم ممن كذَّب بالحق الذي نزل على محمد ﷺ"(٧).

قال الطبري:" يقول: وكذّب بكتاب الله إذ أنزله على محمد، وابتعثه الله به رسولا وأنكر قول لا إله إلا الله"(٨).

قال ابن كثير:" ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على ألسنة رسل الله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٩٦/٧.
(٢) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(٣) تفسير الطبري: ٢٨٨/٢١.
(٤) معاني القرآن: ٣٥٣/٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٩٨/٧.
(٦) صفوة التفاسير: ٧٣/٣.
(٧) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(٨) تفسير الطبري: ٢٨٨/٢١.

قال ابن كثير:" أي : لا أحد أظلم من هذا ؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل، كذب على الله ، وكَذَّب رسول الله ، قالوا الباطل وردوا الحق "(٢).

عن قتادة: "{وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ}، أي: بالقرآن"(٣).

قوله تعالى:{أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ} [الزمّر : ٣٢]، أي:" أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، ولم يصدق محمدًا ﷺ ولم يعمل بما جاء به؟"(٤).

قال الطبري:" يقول تبارك وتعالى: أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، وامتنع من تصديق محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، واتباعه على ما يدعوه إليه مما أتاه به من عند الله من التوحيد، وحكم القرآن؟"(٥).

قال الصابوني:" الاستفهام هنا تقريري، أي: بلى لهم مأوى ومكان"(٦).

القرآن

{وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣)} [الزمّر : ٣٣]

التفسير:

والذي جاء بالصدق في قوله وعمله من الأنبياء وأتباعهم، وصدَّق به إيمانًا وعملا أولئك هم الذين جمعوا خصال التقوى، وفي مقدمة هؤلاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ والمؤمنون به، العاملون بشريعته من الصحابة، رضي الله عنهم، فمَن بعدهم إلى يوم الدين.

قوله تعالى:{وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} [الزمّر : ٣٣]، أي:" والذي جاء بالصدق في قوله وعمله من الأنبياء وأتباعهم، وصدَّق به إيمانًا وعملا"(٧).

قال الزمخشري:" والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله ﷺ: جاء بالصدق وآمن به، وأراد به إياه ومن تبعه، كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله : {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [المؤمنون : ٤٩]، فلذلك قال: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُون} [الزمر : ٣٣]، إلا أن هذا في الصفة وذاك في الاسم. ويجوز أن يريد: والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به، وهم الرسول الذي جاء بالصدق، وصحابته الذين صدقوا به. وفي قراءة ابن مسعود: «والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به». وقرئ: «وصدق به». بالتخفيف، أى: صدق به الناس ولم يكذبهم به، يعنى: أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف. وقيل: صار صادقا به، أى: بسببه، لأن القرآن معجزة، والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده، ولا يجوز أن يصدق إلا الصادق، فيصير لذلك صادقا بالمعجزة"(٨).

وفي الذي جاء بالصدق أربعة أقوال :

أحدها : أنه جبريل ، قاله السدي(٩).

الثاني : أنه رسول الله -ﷺ-، قاله علي بن ابي طالب(١٠)، وقتادة(١١)، ومجاهد، وابن زيد(١٢).

الثالث : أنهم المؤمنون جاءوا بالصدق يوم القيامة ، حكاه النقاش(١٣).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٩٨/٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٩٨/٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٨٩/٢١.

(٦) صفوة التفاسير: ٧٣/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٨) الكشاف: ١٢٨/٤.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٩٣):ص٣٢٥١/١٠، وتفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري :٢٩٠/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٥.

الرابع : أنهم الأنبياء ، قاله الربيع[١]. وكان يقرأ : «والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به»[٢].
وفي «الصدق» ثلاثة أقوال:
أحدها : أنه «لا إله إلا الله»، قاله ابن عباس[٣].
الثاني : انه القرآن ، قاله مجاهد، وقتادة[٤].
الثالث : أنه البعث والجزاء. أفاده الماوردي[٥].
وفي الذي صدق به ستة أقوال:
أحدها : أنه رسول الله -ﷺ-، قاله ابن عباس[٦]، والسدي[٧].
الثاني : المؤمنون من هذه الأمة، قاله الضحاك، ومجاهد[٨]، وقتادة[٩]، وابن زيد[١٠].
قال مجاهد:" الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة، فيقولون: هذا الذي أعطيتمونا فاتبعنا ما فيه"[١١].

قال ابن كثير:" وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين ، فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به ، والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير ، فإنه جاء بالصدق، وصدق المرسلين ، وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله"[١٢].
الثالث : أتباع الأنبياء كلهم ، قاله الربيع[١٣].
الرابع : أنه أبو بكر ، رضي الله عنه حكاه الطبري عن علي رضي الله عنه[١٤]، وذكره النقاش عن عون بن عبد الله[١٥].
الخامس : أنه علي كرم الله وجهه ، حكاه ليث عن مجاهد[١٦].
السادس : أنهم المؤمنون قبل فرض الجهاد من غير رغبة في غنم ولا رهبة من سيف. أفاده الماوردي[١٧].
قال الزجاج-بعد أن ذكر بعض الأقوال السابقة-:" وجميع هذه الوجوه صحيح"[١٨].
قال السمعاني:" أظهر الأقاويل: أن معنى قوله: {والذي جاء بالصدق} محمد {وصدق به} هم المؤمنون"[١٩].
قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ}، كلّ من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بما ابتعث به رسوله من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن، وشهادة أن لا

(١) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٢/٢١، والنكت والعيون: ١٢٦/٥. وهي قراءة ابن مسعود-رضي الله عنه-.
(٣) انظر: تفسير الطبري :٢٨٩/٢١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.
(٥) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري :٢٨٩/٢١.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١-٢٩١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢١-٢٩١.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٩٩/٧.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٥.
(١٤) انظر: تفسير الطبري :٢٩٠/٢١.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٥.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٥.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ١٢٧/٥.
(١٨) معاني القرآن: ٣٥٣/٤.
(١٩) تفسير السمعاني: ٤٦٩/٤.

إله إلا الله، والمصدّق به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائنا من كان من نبيّ الله وأتباعه، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن قوله تعالى ذكره: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} عَقيب قوله: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ} وذلك ذم من الله للمفترين عليه، المكذبين بتنزيله ووحيه، الجاحدين وحدانيته، فالواجب أن يكون عَقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين، وهم الذين دعوهم إلى توحيد الله، ووصفه بالصفة التي هو بها، وتصديقهم بتنزيل الله ووحيه، والذي كانوا يوم نزلت هذه الآية، رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه ومن بعدهم، القائمون في كل عصر وزمان بالدعاء إلى توحيد الله، وحكم كتابه، لأن الله تعالى ذكره لم يخص وصفه بهذه لصفة التي في هذه الآية على أشخاص بأعيانهم، ولا على أهل زمان دون غيرهم، وإنما وصفهم بصفة، ثم مدحهم بها، وهي المجيء بالصدق والتصديق به، فكل من كان كذلك وصفه فهو داخل في جملة هذه الآية إذا كان من بني آدم.

ومن الدليل على صحة ما قلنا أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود«وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ»، فقد بين ذلك من قراءته أن الذي من قوله :{وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ}، لم يعن بها واحد بعينه، وأنه مراد بها جِمَاع ذلك صفتهم، ولكنها أخرجت بلفظ الواحد، إذ لم تكن موقتة"[1].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [الزمّر : ٣٣]، أي:" أولئك هم الذين جمعوا خصال التقوى"[2].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم. هم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، فخافوا عقابه"[3].

عن ابن عباس: "{أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، يقول: اتقوا الشرك"[4].

القرآن

{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤)} [الزمّر : ٣٤]

التفسير:

لهم ما يشاؤون عند ربهم من أصناف اللذات والمشتهيات؛ ذلك جزاء مَن أطاع ربه حق الطاعة، وعبده حق العبادة.

قوله تعالى:{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [الزمّر : ٣٤]، أي:" لهم ما يشاؤون عند ربهم من أصناف اللذات والمشتهيات"[5].

قال الطبري:يقول:" لهم عند ربهم يوم القيامة، ما تشتهيه أنفسهم، وتلذّه أعينهم"[6].

قال السمعاني:" أي: ما يختارون"[7].

قال ابن كثير:" يعني : في الجنة ، مهما طلبوا وجدوا"[8].

قوله تعالى:{ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} [الزمّر : ٣٤]، أي:" ذلك جزاء مَن أطاع ربه حق الطاعة، وعبده حق العبادة"[9].

قال مقاتل:" يعني: الموحدين"[10].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(٣) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢١.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(٦) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢١.
(٧) تفسير السمعاني: ٤٧٠/٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٩٩/٧.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٧/٣.

قال الطبري:يقول:" هذا الذي لهم عند ربهم، جزاء من أحسن في الدنيا فأطاع الله فيها، وائتمر لأمره، وانتهى عما نهاه فيها عنه"(1).

القرآن

{لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥)} [الزمّر : ٣٥]

التفسير:

ليكفِّر الله عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال؛ بسبب ما كان منهم مِن توبة وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها، ويثيبهم الله على طاعتهم في الدنيا بأحسن ما كانوا يعملون، وهو الجنة.

قوله تعالى:{لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا} [الزمّر : ٣٥]، أي:" ليكفِّر الله عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال؛ بسبب ما كان منهم مِن توبة وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها"(2).

قال مقاتل:" يعني: يمحوها بالتوحيد"(3).

قال البغوي:" يسترها عليهم بالمغفرة"(4).

قال الطبري:يقول:" وجزى هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم، كي يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال، فيما بينهم وبين ربهم، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها"(5).

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما معنى إضافة: «الأسوأ» و«الأحسن» إلى الذي عملوا، وما معنى التفضيل فيهما؟

قلت: أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها، ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل، كقولك: الأشج أعدل بنى مروان. وأما التفضيل فإيذان بأن السيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة، هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية، والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن، لحسن إخلاصهم فيه، فلذلك ذكر سيئهم بالأسوإ وحسنهم بالأحسن"(6).

قال القشيري:" من لا يكون مؤمنا فليس من أهل هذه الجملة. ومن كان معه إيمان: فإذا كفّر عنه أسوأ ما عمله فأسوأ أعماله كبائره فإن غفرت يجزهم بأحسن أعمالهم"(7).

وقرئ: «أسواء الذي عملوا» جمع: «سوء»(8).

قوله تعالى:{وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الزمّر : ٣٥]، أي:" ويثيبهم الله على طاعتهم في الدنيا بأحسن ما كانوا يعملون، وهو الجنة"(9).

قال الطبري:" يقول: ويثيبهم ثوابهم {بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا} في الدنيا {يَعْمَلُونَ} مما يرضى الله عنهم دون أسوئها"(10).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٧/٣.
(٤) تفسير البغوي: ١٢٠/٧.
(٥) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢١-٢٩٣.
(٦) الكشاف: ١٢٨/٤.
(٧) لطائف الإشارات: ٢٨٢/٣.
(٨) انظر: الكشاف: ١٢٨/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢١-٢٩٣.

قال مقاتل:" {ويجزيهم} بالتوحيد {أجرهم}، يعني: جزاءهم {بأحسن الذي كانوا يعملون}"(١).

فوائد الآيات: [٣٢-٣٥]:

١- التنديد بالكذب على الله تعالى والتكذيب به، وبما جاء به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدين.

٢- بيان جزاء الكاذبين على الله ورسوله والمكذبين بما جاء به رسول الله عن الله من الشرع والدين.

٣- الترغيب في الصدق في الاعتقادات والأقوال والأعمال.

٤- فضل التقوى والإحسان وبيان جزائهما عند الله تعالى يوم القيامة.

القرآن

{أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦)} [الزمّر : ٣٦]

التفسير:

أليس الله بكاف عبده محمدًا وعيد المشركين وكيدهم من أن ينالوه بسوء؟ بلى إنه سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه مَن أراده بسوء، ويخوّفونك -أيها الرسول- بآلهتهم التي زعموا أنها ستؤذيك. ومن يخذله الله فيضله عن طريق الحق، فما له مِن هاد يهديه إليه.

سبب النزول:

قال الفراء:" وذلك أن قريشا قالت للنبي ﷺ: أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لعيبك إياها! فأنزل الله: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} محمدا ﷺ، فكيف يخوفونك بمن دونه"(٢).

قوله تعالى:{أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمّر : ٣٦]، أي:" أليس الله بكاف عبده محمدًا وعيد المشركين وكيدهم من أن ينالوه بسوء؟"(٣).

قال السعدي:" أي: أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، وامتثل أمره واجتنب نهيه، خصوصا أكمل الخلق عبودية لربه، وهو محمد ﷺ، فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من ناوأه بسوء"(٤).

قال مقاتل:" يعني النبي- ﷺ- يكفيه عدوه"(٥).

قال البيضاوي:" استفهام إنكار للنفي مبالغة في الإثبات، والعبد رسول الله ﷺ ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي «عباده»(٦)، وفسر بالأنبياء صلوات الله عليهم"(٧).

قال الزمخشري:" أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي، فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها"(٨).

قال الزجاج:" معنى: {بكاف عبده} يدل على النصر، وعلى أنه كقوله: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [التوبة : ٣٣/ الفتح: ٢٨، الصف: ٩] ، وهو مثل: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر : ٩٥]"(٩).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٧/٣.
(٢) معاني القرآن: ٤١٩/٢.
(٣) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(٤) تفسير السعدي: ٧٢٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٨/٣.
(٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ٤١٩/٢. وهي قراءة يحيى بن وثاب وأبي جعفر المدني.
(٧) تفسير البيضاوي: ٤٣/٥.
(٨) الكشاف: ١٢٩/٤.
(٩) معاني القرآن: ٣٥٤/٤.

قال الفراء:" والذين قالوا «عباده» قالوا: قد همت أمم الأنبياء بهم، ووعدوهم مثل هذا، فقالوا الشعيب {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} [هود : ٥٤]، فقال الله :«أليس الله بكاف عباده»، أي: محمدا عليه السلام والأنبياء قبله، وكل صواب"[١].

عن فضالة بن عبيد الأنصاري ؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :" طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به"[٢].

قوله تعالى:{وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [الزمّر : ٣٦]، أي:" ويخوِّفونك -أيها الرسول- بآلهتهم التي زعموا أنها ستؤذيك"[٣].

قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي- ﷺ-: إنا نخاف أن يصيبك من آلهتنا اللات والعزى ومناة جنون أو خبل"[٤].

قال السعدي:أي: " من الأصنام والأنداد أن تنالك بسوء، وهذا من غيهم وضلالهم"[٥].

عن السديّ: "{وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}، يقول: بآلهتهم التي كانوا يعبدون"[٦].

قال ابن زيد:" يخوّفونك بآلهتهم التي من دونه"[٧].

قال مجاهد:" يعني: يخوفونك بالأوثان التي يعبدون من دون الله عز وجل"[٨].

قال قتادة:" "بعث رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- خالد بن الوليد إلى شعب بسُقام ليكسر العزّى، فقال سادنها، وهو قيمها: يا خالد أنا أحذّركها، إن لها شدّة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشّم أنفها"[٩].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمّر : ٣٦]، أي:" ومن يخذله الله فيضله عن طريق الحق، فما له مِن هاد يهديه إليه"[١٠].

قال الطبري: يقول:" ومن يخذله الله فيضلَّه عن طريق الحق وسبيل الرشد، فما له سواه من مرشد ومسدّد إلى طريق الحقّ، ومُوفِّق للإيمان بالله، وتصديق رسوله، والعمل بطاعته"[١١].

القرآن

{وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧)} [الزمّر : ٣٧]

التفسير:

ومن يوفقه الله للإيمان به والعمل بكتابه واتباع رسوله فما له مِن مضل عن الحق الذي هو عليه. أليس الله بعزيز في انتقامه مِن كفرة خلقه، وممن عصاه؟

قوله تعالى:{وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ} [الزمّر : ٣٧]، أي:" ومن يوفقه الله للإيمان به والعمل بكتابه واتباع رسوله فما له مِن مضل عن الحق الذي هو عليه"[١٢].

قال الطبري:" يقول: ومن يوفِّقه الله للإيمان به، والعمل بكتابه، فما له من مضلّ، يقول: فما له من مزيغ يزيغه عن الحق الذي هو عليه إلى الارتداد إلى الكفر"[١].

---

(١) معاني القرآن: ٤١٩/٢-٤٢٠.

(٢)أخرجه ابن المبارك فى الزهد (١٩٤/١، رقم ٥٥٢) ، والترمذى (٥٧٦/٤، رقم ٢٣٤٩) وقال: حسن صحيح. والطبرانى (٣٠٥/١٨، رقم ٧٨٦) ، والحاكم (٩٠/١، رقم ٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن حبان (٤٨٠/٢، رقم ٧٠٥) ، وأخرجه أيضًا: أحمد (١٩/٦، رقم ٢٣٩٨٩).

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٨/٣.

(٥) تفسير السعدي: ٧٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢١-٢٩٥.

(٨) تفسير مجاهد: ٥٧٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢١.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(١١) تفسير الطبري :٢٩٥/٢١.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٦٢.

قال الواحدي:" من تولى الله هدايته لم يضله أحد"[٢].

قال السعدي:" لأنه تعالى الذي بيده الهداية والإضلال، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"[٣].

قوله تعالى:{أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ} [الزمّر : ٣٧]، أي:" أليس الله بعزيز في انتقامه مِن كفرة خلقه، وممن عصاه؟"[٤].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: أليس الله يا محمد بعزيز في انتقامه من كفرة خلقه، ذي انتقام من أعدائه الجاحدين وحدانيته"[٥].

قال الواحدي:" {عزيز}: غالب لا يمتنع عليه شيء، {ذي انتقام}: ممن عصاه وكفر به"[٦].

قال السعدي:" له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء، وبعزته يكفي عبده ويدفع عنه مكرهم. {ذِي انْتِقَامٍ} ممن عصاه، فاحذروا موجبات نقمته"[٧].

قال الزمخشري:" {بِعَزِيزٍ} بغالب منيع، {ذِي انْتِقامٍ} ينتقم من أعدائه، وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم، وينصرهم عليهم"[٨].

القرآن

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)} [الزمّر : ٣٨]

التفسير:

ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله: مَن خلق هذه السموات والأرض؟ ليقولُنَّ: خلقهنَّ الله، فهم يُقرُّون بالخالق. قل لهم: هل تستطيع هذه الآلهة التي تشركونها مع الله أن تُبْعِدَ عني أذى قدَّره الله عليَّ، أو تزيلَ مكروهًا لَحِق بي؟ وهل تستطيع أن تمنع نفعًا يسَّره الله لي، أو تحبس رحمة الله عني؟ إنهم سيقولون: لا تستطيع ذلك. قل لهم: حسبي الله وكافِيَّ، عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسبي، وسيكفيني كل ما أهمني.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزمّر : ٣٨]، أي:" ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله: مَن خلق هذه السموات والأرض؟ ليقولُنَّ: خلقهنَّ الله، فهم يُقرُّون بالخالق"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام: مَنْ خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الذي خلقه الله"[١٠].

قال عكرمة:" فإذا سئلوا عن الله وعن صفته، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولدًا، وأشركوا به"[١١].

---

(١) تفسير الطبري :٢٩٥/٢١.
(٢) التفسير الوسيط: ٥٨٢/٣.
(٣) تفسير السعدي: ٧٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(٥) تفسير الطبري :٢٩٥/٢١.
(٦) التفسير الوسيط: ٥٨٢/٣.
(٧) تفسير السعدي: ٧٢٤.
(٨) الكشاف: ١٢٩/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(١٠) تفسير الطبري :٢٩٥/٢١.
(١١) أخرجه الطبري(١٩٩٥٩):ص٢٨٧/١٦.

قوله تعالى:{قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الزمّر : ٣٨]، أي:" قل لهم يا محمد توبيخاً وتبكيتاً: أخبروني بعد أن تحققتم أن خالق العالم هو الله عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله"[١].

قال الطبري:" فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة"[٢].

قوله تعالى:{إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ} [الزمّر : ٣٨]، أي:"أخبروني هل تستطيع هذه الآلهة التي تشركونها مع الله أن تُبْعِدَ عني أذى قدَّره الله عليَّ، أو تزيلَ مكروهًا لَحِق بي؟"[٣].

قال الطبري:أي " {إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ} بشدة في معيشتي، هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟"[٤].

عن قتادة، قوله: "{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} حتى بلغ {كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ}، يعني: الأصنام"[٥].

قوله تعالى:{أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ} [الزمّر : ٣٨]، أي:" ولو أراد الله لي نفعاً من نعمة ورخاء، هل تستطيع هذه الآلهة أن تحبس رحمة الله عني؟"[٦].

قال الطبري:" يقول: إن أرادني برحمة أن يصيبني سعة في معيشتي، وكثرة مالي، ورخاء وعافية في بدني، هل هن ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه. والمعنى: فإنهم سيقولون لا "[٧].

قال الزمخشري:" فإن قلت. لم قيل: {كاشفات}، و{ممسكات}- على التأنيث- بعد قوله تعالى: {ويخوفونك بالذين من دونه}؟

قلت: أنثهن وكن إناثا وهن اللات والعزى ومناة. قال الله تعالى: { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثى}[النجم: ١٩-٢١] ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة، لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة، كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة، كأنه قال: الإناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز. وفيه تهكم أيضا"[٨].

قوله تعالى:{قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} [الزمّر : ٣٨]، أي:" قل لهم: حسبي الله وكافِيَّ، عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسبي، وسيكفيني كل ما أهمني"[٩].

قال الطبري:" فقل: حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كلّ شيء سواه، فإنه الكافي، وبيده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، على الله يتوكل من هو متوكل، وبه فليثق لا بغيره"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : الله كافيّ ، عليه توكلت وعليه يتوكل المتوكلون ، كما قال هود ، عليه السلام ، حين قال له قومه : { إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ

---

(١) صفوة التفاسير: ٧٤/٣.
(٢) تفسير الطبري :٢٩٥/٢١.
(٣) التفسير الميسر: ٧٤/٣.[بتصرف]
(٤) تفسير الطبري :٢٩٥/٢١.
(٥) اخرجه الطبري: ٢٩٦/٢١.
(٦) انظر: التفسير الميسر: ٤٦٢، وصفوة التفاسير: ٧٤/٣.
(٧) تفسير الطبري :٢٩٥/٢١-٢٩٦.
(٨) الكشاف: ١٣٠/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٩٦/٢١.

وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِي إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود : ٥٤ - ٥٦]"[١].

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم فرض المسألة في نفسه دونهم؟

قلت: لأنهم خوّفوه معرّة الأوثان وتخبيلها، فأمر بأن يقرّرهم أوّلا بأنّ خالق العالم هو الله وحده، ثم يقول لهم بعد التقرير: فإذا أرادنى خالق العالم الذي أقررتم به {بضرّ} من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل. أو {برحمة} من صحة أو غنى أو نحوهما، هل هؤلاء اللاتي خوّفتمونى إياهن {كاشفات} عنى {ضره} أو {ممسكات رحمته}، حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة، قال {حَسْبِيَ اللَّهُ} كافيا لمعرّة أوثانكم {عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}، وفيه تهكم"[٢].

عن ابن عباس، قال:" كنت رديف رسول الله ﷺ، فقال: «يا غلام، أو يا غليم، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟» فقلت: بلى. فقال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء، يعرفك في الشدة، وإذا سألت، فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا»"[٣].

عن ابن عباس - رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ- قال : "من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله"[٤].

القرآن

{قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠)} [الزمّر : ٣٩-٤٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لقومك المعاندين: اعملوا على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، حيث عبدتم مَن لا يستحق العبادة، وليس له من الأمر شيء، إني عامل على ما أُمرت به من التوجه لله وحده في أقوالي وأفعالي، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يهينه في الحياة الدنيا، ويحل عليه في الآخرة عذاب دائم، لا يحول عنه ولا يزول.

قوله تعالى:{قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ} [الزمّر : ٣٩]، أي:" قل -أيها الرسول- لقومك المعاندين: اعملوا على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، حيث عبدتم مَن لا يستحق العبادة، وليس له من الأمر شيء"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لمشركي قومك، الذي اتخذوا الأوثان والأصنام آلهة يعبدونها من دون الله اعملوا أيها القوم على تمكنكم من العمل الذي تعملون ومنازلكم"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٠٠/٧.

(٢) الكشاف: ١٢٩/٤.

(٣)أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٨٠٣):ص١٨/٥، والترمذي (٤/ ٦٦٧) كتاب صفة القيامة وقال: حديث حسن صحيح، وصححه أحمد شاكر في المسند (٣/ ٢٦٧١) وصححه الألباني في المشكاة (٣/ ١٤٥٩).

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٠١/٧، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢١٨/٣) من طرق عن أبي المقدام به ، ورواه ابن عدي في الكامل (٢٤١/٥) من طريق شيبان عن عيسى ابن ميمون عن محمد بن كعب القرظي به.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٢.

عن مجاهد، قوله: "{عَلَى مَكَانَتِكُمْ}، قال: على ناحيتكم"[2].
قال أبو عبيدة:" أي: على حيالكم وناحيتكم"[3].
قال مقاتل:" يعني على جديلتكم التي أنتم عليها"[4].
قال ابن كثير:" أي : على طريقتكم ، وهذا تهديد ووعيد"[5].
قال ابن قتيبة:" أي: على موضعكم. يقال: مكان ومكانة. ومنزل ومنزلة. وتسع وتسعة. ومتن ومتنة. وعماد وعمادة"[6].
قال الزمخشري:أي:" على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها. والمكانة بمعنى المكان، فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا. وحيث للزمان، وهما للمكان"[7].
قال الزجاج:" {على مكاناتكم} هذا اللفظ أمر على معنى الوعيد والتهدد، بعد أن أعلموا ما يجب أن يعملوا به، ثم قيل لهم: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} [الكهف : ٢٩]، وهذا كلام يستعمله الناس في التهدد والوعيد. تقول: متى أسأت إلى فلان انتقمت منك، ومتى أحسنت إليه أحسنت إليك فاعمل ما شئت واختر لنفسك، فخوطب العباد على قدر مخاطباتهم وعلمهم، وقوله على «مكاناتكم» و «مكانتكم» معناه: على ناحيتكم التي اخترتموها، وجهتكم التي تمكنتم - عند أنفسكم - في العلم بها"[8].
قوله تعالى:{إِنِّي عَامِلٌ} [الزمّر : ٣٩]، أي:" إني عامل على ما أُمرت به من التوجه لله وحده في أقوالي وأفعالي"[9].
قال مقاتل:" على جديلتي التي أمرت بها"[10].
قال الطبري: أي:" {إِنِّي عَامِلٌ} كذلك على تؤدة على عمل من سلف من أنبياء الله قبلي"[11].
قال ابن كثير:" أي : على طريقتي ومنهجي"[12].
قال الزجاج:" ولم يقل على جهتي، لأن في الكلام دليلا على ذلك"[13].
قال الزمخشري:" فإن قلت: حق الكلام: فإنى عامل على مكانتى. فلم حذف؟ قلت: للاختصار، ولما فيه من زيادة الوعيد، والإيذان بأنّ حاله لا تقف، وتزداد كل يوم قوّة وشدّة، لأنّ الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله"[14].
عن مجاهد: "{إِنِّي عَامِلٌ} كذلك على تؤدة على عمل من سلف من أنبياء الله قبلي"[15].
قوله تعالى:{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ} [الزمّر : ٣٩-٤٠]، أي:" فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يهينه في الحياة الدنيا"[16].

---

(١) تفسير الطبري :٢٩٦/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢١-٢٩٧.
(٣) مجاز القرآن: ٢٠٦/١.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٩/٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ١٠١/٧.
(٦) غريب القرآن: ١٦٠.
(٧) الكشاف: ١٣٠/٤.
(٨) معاني القرآن: ٣٥٥/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٩/٣.
(١١) تفسير الطبري: ٢٩٧/٢١.
(١٢) تفسير ابن كثير: ١٠١/٧.
(١٣) معاني القرآن: ٣٥٦/٤.
(١٤) الكشاف: ١٣٠/٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢١-٢٩٧.
(١٦) التفسير الميسر: ٤٦٢.

قال ابن كثير:" أي : ستعلمون غب ذلك ووباله {مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ } أي : في الدنيا"[١].

قال الطبري: {يُخْزِيهِ}، "يعني: يذله ويهينه"[٢].

عن مجاهد: "{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} إذا جاءكم بأس الله، من المحقّ منا من المبطل، والرشيد من الغويّ"[٣].

قال الزمخشري:" أى: عذاب مخز له، وهو يوم بدر"[٤].

قوله تعالى:{وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [الزمّر : ٤٠]، أي:" ويحل عليه في الآخرة عذاب دائم، لا يحول عنه ولا يزول"[٥].

قال الطبري: "يقول: وينزل عليه عذاب دائم لا يفارقه"[٦].

قال الزمخشري:أي: " وعذاب دائم وهو عذاب النار"[٧].

قال ابن كثير:" أي : دائم مستمر ، لا محيد له عنه. وذلك يوم القيامة"[٨].

فوائد الآيات: [٣٦-٤٠]:

١- تقرير كفاية الله وولايته لعباده المؤمنين وخاصة ساداتهم من الأنبياء والأولياء.
٢- تقرير مقتضى الولاية وهو النقمة من أعدائه تعالى لأوليائه وإن طال الزمن.
٣- تقرير التوحيد وإبطال التنديد.
٤- مظاهر ربوبية الله الموجبة لألوهيته.
٥- وجوب التوكل على الله واعتقاد كفايته لأوليائه.
٦- تقرير إنجاز الله وعده لرسوله والمؤمنين.

القرآن

{إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١)} [الزمّر : ٤١]

التفسير:

إنا أنزلنا عليك -أيها الرسول- القرآن بالحق هداية للعالمين، إلى طريق الرشاد، فمن اهتدى بنوره، وعمل بما فيه، واستقام على منهجه، فنفعُ ذلك يعود على نفسه، ومَن ضلَّ بعد ما تبين له الهدى، فإنما يعود ضرره على نفسه، ولن يضرَّ الله شيئا، وما أنت -أيها الرسول- عليهم بوكيل تحفظ أعمالهم، وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، ما عليك إلا البلاغ.

قوله تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ} [الزمّر : ٤١]، أي:" إنا أنزلنا عليك -أيها الرسول- القرآن بالحق هداية للعالمين، إلى طريق الرشاد"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: إنا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيانا للناس بالحقّ"[١٠].

قال سهل:" يعني: أنزله لهم ليهتدوا بالحق إلى الحق، ويستضيئوا بأنواره"[١١].

قال ابن كثير:" يعني : القرآن، لجميع الخلق من الإنس والجن لتنذرهم به"[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٠١/٧.
(٢) تفسير الطبري: ٢٩٧/٢١.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢١-٢٩٧.
(٤) الكشاف: ١٣٠/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(٦) تفسير الطبري: ٢٩٧/٢١.
(٧) الكشاف: ١٣٠/٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ١٠١/٧.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٩٧/٢١.
(١١) تفسير التستري:١٣٣.
(١٢) تفسير ابن كثير: ١٠٢/٧.

قال الزمخشري:" {لِلنَّاسِ}: لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه، ليبشروا وينذروا، فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية. ولا حاجة لي إلى ذلك فأنا الغني"(١).

قوله تعالى:{فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ} [الزمّر : ٤١]، أي:" فمن اهتدى بنوره، وعمل بما فيه، واستقام على منهجه، فنفعُ ذلك يعود على نفسه"(٢).

قال الطبري:" يقول: فمن عمل بما في الكتاب الذي أنزلناه إليه واتبعه فلنفسه، فإنما عمل بذلك لنفسه، وإياها بغى الخير لا غيرها، لأنه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة، والنجاة من النار"(٣).

قال الزمخشري:" فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه"(٤).

قوله تعالى:{وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} [الزمّر : ٤١]، أي:" ومَن ضلَّ بعد ما تبين له الهدى، فإنما يعود ضرره على نفسه، ولن يضرَّ الله شيئا"(٥).

قال الطبري:" يقول: ومن جار عن الكتاب الذي أنزلناه إليك، والبيان الذي بيَّناه لك، فضل عن قصد المحجة، وزال عن سواء السبيل، فإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك، لأنه يكسبها سخط الله، وأليم عقابه، والخزي الدائم"(٦).

قال الزمخشري:" ومن اختار الضلالة فقد ضرها"(٧).

قال القشيري:" من أحسن فإحسانه إلى نفسه اكتسبه، ومن أساء فبلاؤه على نفسه جلبه- والحقّ غنيّ عن التجمّل بطاعة من أقبل والتنقّص بزلّة من أعرض"(٨).

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الزمّر : ٤١]، أي:" وما أنت -أيها الرسول- عليهم بوكيل تحفظ أعمالهم، وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، ما عليك إلا البلاغ"(٩).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد على من أرسلتك إليه من الناس برقيب ترقب أعمالهم، وتحفظ عليهم أفعالهم، إنما أنت رسول، وإنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : بموكل أن يهتدوا ، { إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } [هود : ١٢] ، { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } [الرعد : ٤٠]"(١١).

عن قتادة، قوله: "{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}، أي: بحفيظ"(١٢).

قال الزمخشري:أي: "وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى، فإنّ التكليف مبنى على الاختيار دون الإجبار"(١٣).

قال الزجاج:" أي: ما أنت عليهم بحفيظ، ثم أخبر بأنه الحفيظ عليهم القدير، فقال:{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمّر : ٤٢]"(١٤).

القرآن

---

(١) الكشاف: ١٣٠/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٣) تفسير الطبري: ٢٩٧/٢١.
(٤) الكشاف: ١٣٠/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٦) تفسير الطبري: ٢٩٧/٢١.
(٧) الكشاف: ١٣٠/٤.
(٨) لطائف الإشارات: ٢٨٣/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٩٧/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ١٠٢/٧.
(١٢) اخرجه الطبري: ٢٩٧/٢١.
(١٣) الكشاف: ١٣٠/٤.
(١٤) معاني القرآن: ٣٥٦/٤.

{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)} [الزمّر : ٤٢]

التفسير:

الله -سبحانه وتعالى- هو الذي يقبض الأنفس حين موتها، وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت بانقضاء الأجل، ويقبض التي لم تمت في منامها، وهي الموتة الصغرى، فيحبس من هاتين النفسين النفس التي قضى عليها الموت، وهي نفس مَن مات، ويرسل النفس الأخرى إلى استكمال أجلها ورزقها، وذلك بإعادتها إلى جسم صاحبها، إن في قبض الله نفس الميت والنائم وإرساله نفس النائم، وحبسه نفس الميت لَدلائل واضحة على قدرة الله لمن تفكر وتدبر.

قوله تعالى:{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} [الزمّر : ٤٢]، أي:" الله -سبحانه وتعالى- هو الذي يقبض الأنفس حين موتها"(١).

قال القشيري:أي:" يقبض الأرواح حين موتها"(٢).

قال الطبري: يقول:" ومن الدلالة على أن الألوهة لله الواحد القهار خالصة دون كلّ ما سواه، أنه يميت ويحيي، ويفعل ما يشاء، ولا يقدر على ذلك شيء سواه، فجعل ذلك خبرا نبههم به على عظيم قُدرته، فقال: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} فيقبضها عند فناء أجلها، وانقضاء مدة حياتها"(٣).

قال الزمخشري:" توفيها: إماتتها، وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة درّاكة: من صحة أجزائها وسلامتها، لأنها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت"(٤).

قوله تعالى:{وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} [الزمّر : ٤٢]، أي:" ويقبض التي لم تمت في منامها"(٥).

قال الطبري: يقول:" ويتوفى أيضا التي لم تمت في منامها، كما التي ماتت عند مماتها"(٦).

قال الزمخشري:" يريد ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها، أى: يتوفاها حين تنام، تشبيها للنائمين بالموتى، ومنه قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ} [الأنعام : ٦٠]، حيث لا يميزون ولا يتصرفون، كما أنّ الموتى كذلك"(٧).

قال الزجاج:" أي: ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها، فالميتة المتوفاة وفاة الموت التي قد فارقتها النفس التي يكون بها الحياة، والحركة، والنفس التي تميز بها. والتي تتوفى في النوم نفس التمييز لا نفس الحياة، لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس. فهذا الفرق بين توفي نفس النائم في النوم ونفس الحي"(٨).

قال القشيري:" وقبض الله الأرواح في حال النوم وردت به الأخبار، وذلك على مراتب فإنّ روحا تقبض على الطهارة ترفع إلى العرش وتسجد لله تعالى، وتكون لها تعريفات، ومعها مخاطبات. والله أعلم"(٩).

قوله تعالى:{فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ} [الزمّر : ٤٢]، أي:" فيحبس من هاتين النفسين النفس التي قضى عليها الموت، وهي نفس مَن مات"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٢) لطائف الإشارات: ٢٨٣/٣.
(٣) تفسير الطبري: ٢٩٨/٢١.
(٤) الكشاف: ١٣١/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٦) تفسير الطبري: ٢٩٨/٢١.
(٧) الكشاف: ١٣١/٤.
(٨) معاني القرآن: ٣٥٦/٤.
(٩) لطائف الإشارات: ٢٨٣/٣.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٦٣.

قال الزمخشري:" أي: لا يردّها في وقتها حية"[1].

وقرئ: «قضى عليها الموت»، على البناء للمفعول[2].

قوله تعالى:{وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [الزمّر : ٤٢]، أي:" ويرسل النفس الأخرى إلى استكمال أجلها ورزقها، وذلك بإعادتها إلى جسم صاحبها"[3].

قال الطبري:" ذكر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى وذلك إلى انقضاء مدة حياتها"[4].

قال سعيد بن جبير:" يجمع بين أرواح الأحياء، وأرواح الأموات، فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويُرسل الأخرى إلى أجسادها"[5].

قال السدي:" تقبض الأرواح عند نيام النائم، فتقبض روحه في منامه، فتلقى الأرواح بعضها بعضا: أرواح الموتى وأرواح النيام، فتلتقي فتساءل، قال: فيخلي عن أرواح الأحياء، فترجع إلى أجسادها، وتريد الأخرى أن ترجع، فيحبس التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، قال: إلى بقية آجالها"[6].

قال ابن زيد:" فالنوم وفاة"[7].

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمّر : ٤٢]، أي:" إن في قبض الله نفس الميت والنائم وإرساله نفس النائم، وحبسه نفس الميت لَدلائل واضحة على قدرة الله لمن تفكر وتدبر"[8].

قال الطبري:يقول:" إن في قبض الله نفس النائم والميت وإرساله بعدُ نَفس هذا ترجع إلى جسمها، وحبسه لغيرها عن جسمها لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر، وبيانا له أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء، ويميت من شاء إذا شاء"[9].

قال البغوي:أي:" لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح، وإرسال ما يرسل منها"[10].

قال الزمخشري:" إِنَّ فِي ذلِكَ إن في توفى الأنفس مائتة ونائمة وإمساكها وإرسالها إلى أجل لآيات على قدرة الله وعلمه، لقوم يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون"[11].

قال السمعاني:" هذه الآية تدل على النائم قد خرجت الروح من جسده، ونحن نعلم قطعا أن الروح في جسده، ألا ترى أنه يتنفس ويرى الرؤيا، وذلك لا يكون إلا مع قيام الروح؟

والجواب عنه: أن النفس على وجهين:

أحدهما: النفس المميزة التي تكون لها إدراك الأشياء.

والآخر: هي النفس التي بها الحياة، وفي الخبر: «أن النبي قال: "كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تبعثون»"[12].

---

(١) الكشاف: ١٣١/٤.

(٢) انظر: الكشاف: ١٣١/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٣.

(٤) تفسير الطبري: ٢٩٨/٢١.

(٥) أخرجه الطبري :٢٩٨/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٩٨/٢١-٢٩٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٩٩/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٦٣.

(٩) تفسير الطبري :٢٩٩/٢١.

(١٠) تفسير البغوي: ١٢٢/٧.

(١١) الكشاف: ١٣١/٤.

(١٢) رواه البلاذري في أنساب الأشراف(٢٣٥):ص١١٨/١-١١٩. ولفظه:« والله، لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون»

ويقال: للإنسان نفس وروح، فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح، وهذا القول قريب من القول الأول"[1].

وعن علي - رضي الله عنه - أنه قال: «تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد؛ فبذلك ترى الرؤيا، وإذا نبه من النوم عادت الروح إلى جسده بأسرع من اللحظة»[2]، والله أعلم"[3].

قال البغوي:" ويقال: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله، فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها"[4].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"[5].

قال ابن كثير:" فيه دلالة على أنها تجتمع في الملأ الأعلى "[6].

قال سهل:" إذا توفى الله الأنفس أخرج الروح النوري من لطيف نفس الطبع الكثيف . و«التوفي» -في كتاب- الله على ثلاثة أوجه: أحدها: الموت، والآخر: النوم، والثالث: الرفع. فالموت ما ذكرنا، والنوم قوله: {وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها} [٤٢] يعني: يتوفى التي لم تمت في منامها، وقال: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ [الأنعام: ٦٠] يعني النوم، والرفع بعيسى عليه السلام: إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ [آل عمران: ٥٥]"[7].

القرآن

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣)} [الزمّر : ٤٣]

التفسير:

أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء، تشفع لهم عند الله في حاجاتهم؟ قل -أيها الرسول- لهم: أتتخذونها شفعاء كما تزعمون، ولو كانت الآلهة لا تملك شيئا، ولا تعقل عبادتكم لها؟

قوله تعالى:{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ} [الزمّر : ٤٣]، أي:" أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء، تشفع لهم عند الله في حاجاتهم؟"[8].

قال الطبري:يقول:" أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم"[9].

قال الزمخشري:" بل اتخذ قريش، -والهمزة للإنكار-من دون إذنه {شُفَعاءَ}، حين قالوا: {هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ}، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه"[10].

عن قتادة: "{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ}: الآلهة"[1].

---

(١) تفسير السمعاني: ٤/٤٧٠-٤٧١.
(٢) تفسير السمعاني: ٤/٤٧٠-٤٧١.
(٣) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤/٤٧١.
(٤) تفسير البغوي: ٧/١٢٢.
(٥)أخرجه البخاري في الدعوات، باب: التعوذ والقراءة عند المنام: ١١ / ١٢٥-١٢٦، ومسلم في الذكر والدعاء والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم: (٢٧١٤) ، ٤ / ٢٠٨٤، والبغوي في شرح السنة: ٥ / ٩٩.

(٦) تفسير ابن كثير: ٧/١٠٢.
(٧) تفسير التستري: ١٣٣.
(٨) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٩) تفسير الطبري :٢١/٢٩٩.
(١٠) الكشاف: ٤/١٣١.

قوله تعالى:{قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} [الزمّر : ٤٣]، أي:" قل -أيها الرسول- لهم: أتتخذونها شفعاء كما تزعمون، ولو كانت الآلهة لا تملك شيئا، ولا تعقل عبادتكم لها؟"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لهم: أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا، ولا يعقلون شيئا، قل لهم: إن تكونوا تعبدونها لذلك، وتشفع لكم عند الله، فأخلصوا عبادتكم لله، وأفردوه بالألوهة"(٣).

قال الزمخشري:" معناه: أيشفعون ولو كانوا {لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ}، أى: ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيأ قط، حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم"(٤).

عن قتادة: "{قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا}: الشفاعة"(٥).

القرآن

{قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)} [الزمّر : ٤٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: لله الشفاعة جميعًا، له ملك السموات والأرض وما فيهما، فالأمر كله لله وحده، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، فهو الذي يملك السموات والأرض ويتصرف فيهما، فالواجب أن تُطلب الشفاعة ممن يملكها، وأن تُخلص له العبادة، ولا تُطلب من هذه الآلهة التي لا تضر ولا تنفع، ثم إليه تُرجَعون بعد مماتكم للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} [الزمّر : ٤٤]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: لله الشفاعة جميعًا"(٦).

قال الطبري:أي:" فإن الشفاعة جميعا له، لا يشفع عنده إلا من أذن له، ورضي له قولا وأنتم متى أخلصتم له العبادة، فدعوتموه، وشفعكم"(٧).

قال الزمخشري:" أى: هو مالكها، فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين: أن يكون المشفوع له مرتضى، وأن يكون الشفيع مأذونا له. وهاهنا الشرطان مفقودان جميعا"(٨).

قال مجاهد:" لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه"(٩).

قوله تعالى:{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الزمّر : ٤٤]، أي:" له ملك السموات والأرض وما فيهما"(١٠).

قال الطبري:" يقول: له سلطان السموات والأرض ومُلكها، وما تعبدون أيها المشركون من دونه له، يقول: فاعبدوا الملك لا المملوك الذي لا يملك شيئا"(١١).

قال ابن كثير:" أي : هو المتصرف في جميع ذلك"(١٢).

قال الزمخشري:" تقرير لقوله تعالى: {لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً}، لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك، كان مالكا لها"(١٣).

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٣) تفسير الطبري :٢٩٩/٢١.
(٤) الكشاف: ١٣١/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٧) تفسير الطبري :٢٩٩/٢١-٣٠٠.
(٨) الكشاف: ١٣١/٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢١.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(١١) تفسير الطبري: ٣٠٠/٢١.
(١٢) تفسير ابن كثير: ١٠٢/٧.
(١٣) الكشاف: ١٣٢/٤.

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزمّر : ٤٤]، أي:" ثم إليه تُرجَعون بعد مماتكم للحساب والجزاء"(١).

قال الطبري:" يقول: ثم إلى الله مصيركم، وهو معاقبكم على إشراككم به، إن متم على شرككم"(٢).

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة ، فيحكم بينكم بعدله ، ويجزي كلا بعمله"(٣).

قال الزمخشري:" فإن قلت: بم يتصل قوله :{ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}؟

قلت: بما يليه، معناه: له ملك السماوات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة، فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له. فله ملك الدنيا والآخرة"(٤).

القرآن

{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)} [الزمّر : ٤٥]

التفسير:

وإذا ذُكِر الله وحده نفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات، وإذا ذُكِر الذين مِن دونه من الأصنام والأوثان والأولياء إذا هم يفرحون؛ لكون الشرك موافقًا لأهوائهم.

قوله تعالى:{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [الزمّر : ٤٥]، أي:" وإذا ذُكِر الله وحده نفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات"(٥).

قال الطبري: يقول:" وإذا أفرد الله جل ثناؤه بالذكر، فدعي وحده، وقيل: لا إله إلا الله، نفرت من توحيد الله قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات"(٦).

قال الزمخشري:" أى: إذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم، نفروا وانقبضوا.. و«الاشمئزاز»: أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه"(٧).

عن السديّ قوله: "{اشْمَأَزَّتْ}، قال: نفرت"(٨).

قال قتادة:" أي: نفرت قلوبهم واستكبرت"(٩).

عن مجاهد، قوله:"{اشْمَأَزَّتْ}: انقبضت، قال: وذلك يوم قرأ عليهم"النجم"عند باب الكعبة"(١٠).

قال الزجاج:" معنى {اشمأزت}: نفرت، وكانوا - أعني المشركين - إذا ذكر الله فقيل:«لا إله إلا الله»، نفروا من هذا، لأنهم كانوا يقولون: اللات والعزى، وهذه الأوثان آلهة"(١١).

قوله تعالى:{وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمّر : ٤٥]، أي:" وإذا ذُكِر الذين مِن دونه من الأصنام والأوثان والأولياء إذا هم يفرحون؛ لكون الشرك موافقًا لأهوائهم"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٢) تفسير الطبري: ٣٠٠/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ١٠٢/٧.
(٤) الكشاف: ١٣٢/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٦) تفسير الطبري :٣٠٠/٢١.
(٧) الكشاف: ١٣٢/٤.
(٨) اخرجه الطبري: ٣٠١/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢١.
(١٠) اخرجه الطبري: ٣٠١/٢١.
(١١) معاني القرآن: ٣٥٦/٤.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٦٣.

قال الطبري:" يقول: وإذا ذُكر الآلهة التي يدعونها من دون الله مع الله، فقيل: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتها لترتجى، إذ الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون"(١).

قال قتادة:" {وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}، الآلهة "(٢).

عن السديّ:"{وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}: أوثانهم"(٣).

قال الزمخشري:" {وَإِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} وهم آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر استبشروا، لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله إلى هو أهم فيها.. العامل في {إذا}: المفاجأة، تقديره وقت ذكر الذين من دونه، فاجئوا وقت الاستبشار"(٤).

فوائد الآيات: [٤١-٤٥]:

١- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحمله على الصبر والثبات في أصعب الظروف.

٢- مظاهر قدرة الله في الموت والحياة مما يقتضي الإيمان به وبلقائه وتوحيده.

٣- إبطال حجة المشركين في عبادة الأوثان من أجل الشفاعة لهم إذا الشفاعة كلها لله.

٤- بيان خطأ من يطلب الشفاعة من غير الله، إذ لا يملك الشفاعة إلا هو.

٥- بيان سفه المشركين وضلالهم في غضبهم عند سماع التوحيد، وفرحهم عند سماع الشرك.

القرآن

{قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦)} [الزمّر : ٤٦]

التفسير:

قل: اللهم يا خالق السموات والأرض ومبدعهما على غير مثال سبق، عالم السر والعلانية، أنت تفصل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك والإيمان بك وبرسولك، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم. وكان هذا مِن دعائه ﷺ، وهو تعليم للعباد بالالتجاء إلى الله تعالى، ودعائه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

قوله تعالى:{قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الزمّر : ٤٦]، أي:" قل: اللهم يا خالق السموات والأرض ومبدعهما على غير مثال سبق"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد، الله خالق السموات والأرض"(٦).

قال ابن كثير:" يقول تعالى بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة ، لهم في حبهم الشرك ، ونفرتهم عن التوحيد { قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} أي : ادع أنت الله وحده لا شريك له ، الذي خلق السموات والأرض وفطرها ، أي : جعلها على غير مثال سبق"(٧).

قال السديّ:" فاطر: قال خالق"(٨).

قوله تعالى:{عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الزمّر : ٤٦]، أي:" عالم السر والعلانية"(٩).

---

(١) تفسير الطبري: ٣٠١/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢١.

(٣) اخرجه الطبري: ٣٠١/٢١.

(٤) الكشاف: ١٣٢/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٣.

(٦) تفسير الطبري: ٣٠١/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٠٤/٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٦٣.

قال الطبري:" {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} الذي لا تراه الأبصار، ولا تحسه العيون والشهادة الذي تشهده أبصار خلقه، وتراه أعينهم"(١).

قال ابن كثير:" أي : السر والعلانية"(٢).

عن السديّ، قوله: "{عَالِمُ الْغَيْبِ}، قال: ما غاب عن العباد فهو يعلمه، {وَالشَّهَادَةِ} : ما عرف العباد وشهدوا، فهو يعلمه"(٣).

قوله تعالى:{أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمّر : ٤٦]، أي:" أنت تفصل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك والإيمان بك وبرسولك"(٤).

قال الطبري:" {أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ} فتفصل بينهم بالحق يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم {فِيمَا كَانُوا فِيهِ} في الدنيا {يَخْتَلِفُونَ} من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك، وغير ذلك من اختلافهم بينهم، فتقضي يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين الذين إذا ذكرت وحدك اشمأزّت قلوبهم، إذا ذكر مَنْ دونك استبشروا بالحقّ"(٥).

قال ابن كثير:" أي : في دنياهم، ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم ، وقيامهم من قبورهم"(٦).

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : "سألت عائشة -رضي الله عنها- بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"(٧).

عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : "من قال : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، إني أعهد إليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك ، فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل لي عندك عهدا تُوَفِّينيه يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد ، إلا قال الله ، عز وجل ، لملائكته يوم القيامة : إن عبدي قد عهد إلي عهدا فأوفوه إياه ، فيدخله الله الجنة"(٨).

عن أبي عبد الرحمن قال : "أخرج لنا عبد الله بن عمرو قرطاسا وقال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا يقول : "اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت رب كل شيء ، وإله كل شيء ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك ، والملائكة يشهدون ، أعوذ بك من الشيطان وشركه ، وأعوذ بك أن أقترف على نفسي إثما ، أو أجره إلى مسلم"(٩).

قال أبو عبد الرحمن : "كان رسول الله ﷺ يعلمه عبد الله بن عمرو أن يقول ذلك حين يريد أن ينام".

---

(١) تفسير الطبري: ٣٠١/٢١.
(٢) تفسير ابن كثير: ١٠٤/٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢١.
(٤) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٥) تفسير الطبري: ٣٠١/٢١.
(٦) تفسير ابن كثير: ١٠٤/٧.
(٧)صحيح مسلم برقم (٧٧٠).
(٨)المسند (٤١٢/١) قال الهيثمي في المجمع (١٧٤/١٠) : "رجاله رجال الصحيح".
قال سهيل : "فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عونا أخبر بكذا وكذا ؟ فقال : ما في أهلنا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها".
(٩)المسند (١٧١/٢).

قال القشيري في الآية:" علّمه- ﷺ- كيف يثنى عليه- سبحانه، وتشتمل الآية على الإشارة إلى بيان ما ينبغى من التنصّل والتذلّل، وابتغاء العفو والتفضّل، وتحقيق الالتجاء بحسن التوكل"[1].

القرآن

{وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧)} [الزمّر : ٤٧]

التفسير:

ولو أن لهؤلاء المشركين بالله ما في الأرض جميعا مِن مال وذخائر، ومثله معه مضاعفًا، لَبذلوه يوم القيامة؛ ليفتدوا به من سوء العذاب، ولو بذلوا وافتدوا به ما قُبِل منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئًا، وظهر لهم يومئذٍ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يحتسبون في الدنيا أنه نازل بهم.

قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمّر : ٤٧]، أي:" ولو أن لهؤلاء المشركين بالله ما في الأرض جميعا مِن مال وذخائر، ومثله معه مضاعفًا، لَبذلوه يوم القيامة؛ ليفتدوا به من سوء العذاب"[2].

قال الطبري: يقول:" ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة، وهم الذين ظلموا أنفسهم {مَا فِي الأرْضِ جَمِيعًا} في الدنيا من أموالها وزينتها {وَمِثْلَهُ مَعَهُ} مضاعفا، فقبل ذلك منهم عوضا من أنفسهم، لفدوا بذلك كله أنفسهم عوضا منها، لينجو من سوء عذاب الله، الذي هو معذّبهم به يومئذ"[3].

قال ابن كثير:" أي : ولو أن جميع ملك الأرض وضعفه معه { لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ } أي : الذي أوجبه الله لهم يوم القيامة ، ومع هذا لا يُتقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهبا ، كما قال في الآية الأخرى : { وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } أي : وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم"[4].

قال القشيري:" لا فتدوا به.. ولكن لا يقبل منهم، واليوم لو تصدّقوا بمثقال ذرة لقبل منهم. كما أنهم لو بكوا في الآخرة بالدماء لا يرحم بكاؤهم، ولكنهم بدمعة واحدة- اليوم- يمحى الكثير من دواوينهم"[5].

قوله تعالى:{وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمّر : ٤٧]، أي:" وظهر لهم يومئذٍ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يحتسبون في الدنيا أنه نازل بهم"[6].

قال الطبري: يقول: " يقول: وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه، الذي كان أعدّه لهم، ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعدّه لهم"[7].

قال ابن كثير:" أي : وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم"[8].

قال ابن قتيبة:" يعيرون أنهم عملوا في الدنيا أعمالا كانوا يظنون أنها تنفعهم، فلم تنفعهم مع شركهم"[9].

---

(١) لطائف الإشارات: ٢٨٥/٣.
(٢) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٣) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢١.
(٤) تفسير ابن كثير: ١٠٤/٧.
(٥) لطائف الإشارات: ٢٨٥/٣.
(٦) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٧) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢١.
(٨) تفسير ابن كثير: ١٠٤/٧.
(٩) غريب القرآن: ٤٠٦.

قال مجاهد: "عملوا أعمالا توهّموا أنها حسنات فإذا هي سيئات"(١).

قال النحاس:" قيل: عملوا أعمالا سيئة وتوهّموا أنهم يتوبون قبل الموت فأدركهم الموت، وقد كانوا ظنوا أنّهم ينجون بالتوبة فبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون، ويجوز أن يكونوا توهّموا أنهم يغفر لهم من غير توبة فبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون، من دخول النار"(٢).

قال الزمخشري:" وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدّته، وهو نظير قوله تعالى في الوعد {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ}، والمعنى: وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدءوا به نفوسهم. وقيل: عملوا أعمالا حسبوها حسنات، فإذا هي سيئات"(٣).

عن سفيان الثوري أنه قرأ هذه الآية، فقال: "ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء"(٤).

وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له، فقال: أخشى آية من كتاب الله، وتلاها، فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه"(٥).

قال القشيري:" في بعض الأخبار أن قوما من المسلمين من أصحاب الذنوب يؤمر بهم إلى النار فإذا وافوها يقول لهم مالك: من أنتم؟ إن الذين جاءوا قبلكم من أهل النار وجوهم كانت مسودّة، وعيونهم كانت مزرقّة.. وأنتم لستم بتلك الصفة، فيقولون: ونحن لم نتوقع أن نلقاك، وإنما انتظرنا شيئا آخر! قال تعالى: {وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ}"(٦).

القرآن

{وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨)} [الزمّر : ٤٨]

التفسير:

وظهر لهؤلاء المكذبين يوم الحساب جزاء سيئاتهم التي اقترفوها، حيث نسبوا إلى الله ما لا يليق به، وارتكبوا المعاصي في حياتهم، وأحاط بهم من كل جانب عذاب أليم؛ عقابًا لهم على استهزائهم بالإنذار بالعذاب الذي كان الرسول يَعِدُهم به، ولا يأبهون له.

قوله تعالى:{وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا} [الزمّر : ٤٨]، أي:" وظهر لهؤلاء المكذبين يوم الحساب جزاء سيئاتهم التي اقترفوها، حيث نسبوا إلى الله ما لا يليق به، وارتكبوا المعاصي في حياتهم"(٧).

قال الطبري :يقول:" وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة {سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا} من الأعمال في الدنيا، إذ أعطوا كتبهم بشمائلهم"(٨).

قال ابن كثير:" أي : وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم"(٩).

قال النحاس:" أي: عقاب سيّئات أو ذكر سيئات"(١٠).

قال الزمخشري:" أى: سيئات أعمالهم التي كسبوها. أو سيئات كسبهم، حين تعرض صحائفهم، وكانت خافية عليهم، كقوله تعالى أَحْصاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ أو أراد بالسيآت: أنواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا، فسماها سيئات، كما قال: {وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها}"(١١).

---

(١) رواه منصور عن مجاهد، كما في إعراب القرآن للنحاس: ١٢/٤.
(٢) إعراب القرآن: ١٢/٤.
(٣) الكشاف: ١٣٣/٤.
(٤) نقلا عن: الكشاف: ١٣٣/٤.
(٥) نقلا عن: الكشاف: ١٣٣/٤.
(٦) لطائف الإشارات: ٢٨٥/٣.
(٧) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٨) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢١.
(٩) تفسير ابن كثير: ١٠٤/٧.
(١٠) إعراب القرآن: ١٢/٤.
(١١) الكشاف: ١٣٣/٤.

قوله تعالى:{وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الزمّر : ٤٨]، أي:" وأحاط بهم من كل جانب عذاب أليم؛ عقابًا لهم على استهزائهم بالإنذار بالعذاب الذي كان الرسول يَعِدُهم به، ولا يأبهون له"(١).

قال الطبري :يقول:" ووجب عليهم حينئذ، فلزمهم عذاب الله الذي كان نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم، فكانوا به يسخرون، إنكارا أن يصيبهم ذلك، أو ينالهم تكذيبا منهم به، وأحاط ذلك بهم"(٢).

قال ابن كثير:" أي : وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا"(٣).

قال الزمخشري:" أى: " ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم"(٤).

فوائد الآيات: [٤٦-٤٨]:

١- مشروعية اللجوء إلى الله تعالى عند اشتداد الكرب وعظم الخلاف والدعاء بهذا الدعاء وهو "اللهم ربّ
جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم" إذ ثبتت السنة به. والآية ذكرت أصله.

٢- بيان عظم العذاب وشدته يوم القيامة وأن المرء لو يقبل منه فداء لافتدى منه بما في الأرض من أموال ومثله معه.

٣- التحذير من الاستهزاء بأخبار الله تعالى ووعده ووعيده.

القرآن

{فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩)} [الزمّر : ٤٩]

التفسير:

فإذا أصاب الإنسان شدة وضُرٌّ، طلب من ربه أن يُفرِّج عنه، فإذا كشفنا عنه ما أصابه وأعطيناه نعمة منا عاد بربه كافرًا، ولفضله منكرًا، وقال: إن الذي أوتيتُه إنما هو على علم من الله أني له أهل ومستحق، بل ذلك فتنة يبتلي الله بها عباده؛ لينظر مَن يشكره ممن يكفره، ولكن أكثرهم -لجهلهم وسوء ظنهم- لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم من الله، وامتحان لهم على شكر النعم.

قوله تعالى:{فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا} [الزمّر : ٤٩]، أي:" فإذا أصاب الإنسان شدة وضُرٌّ، طلب من ربه أن يُفرِّج عنه"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدّة دعانا مستغيثا بنا من جهة ما أصابه من الضرّ"(٦).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن الإنسان أنه في حال الضراء يَضْرَع إلى الله ، عز وجل ، وينيب إليه ويدعوه"(٧).

قوله تعالى:{ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ} [الزمّر : ٤٩]، أي:" فإذا كشفنا عنه ما أصابه وأعطيناه نعمة منا عاد بربه كافرًا، ولفضله منكرًا، وقال: إن الذي أوتيتُه إنما هو على علم من الله أني له أهل ومستحق"(٨).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٣.
(٢) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢١-٣٠٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ١٠٤/٧.
(٤) الكشاف: ١٣٣/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٦) تفسير الطبري :٣٠٣/٢١.
(٧) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٧.
(٨) التفسير الميسر: ٤٦٤.

قال الطبري:" يقول: ثم إذا أعطيناه فرجا مما كان فيه من الضرّ، بأن أبدلناه بالضرّ رخاء وسعة، وبالسقم صحة وعافية، فقال: إنما أعطيت الذي أعطيت من الرخاء والسعة في المعيشة، والصحة في البدن والعافية، على علم من الله بأني له أهل لشرفي ورضاه بعملي {عندي} يعني: فيما عندي، كما يقال: أنت محسن في هذا الأمر عندي: أي فيما أظنّ وأحسب"[١].

قال ابن كثير:" وإذا خوله منه نعمة بغى وطغى ، وقال : { إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ } أي : لما يعلم الله من استحقاقي له ، ولولا أني عند الله تعالى خصيص لما خَوَّلني هذا!"[٢].

عن مجاهد، قوله: "{إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا}، قال: أعطيناه"[٣].

قال الزجاج:أي:" أعطيناه ذلك تفضلا، {قال إنما} أعطيته على شرف وفضل يجب له به هذا الذي أعطيت، فقد علمت أني ساعطى هدى، وكل من أعطى على غير جزاء فقد خول"[٤].

عن قتادة، قوله: {عَلَى عِلْمٍ عندي}، أي: على خير عندي"[٥].

قال القشيري:" فى حال الضّرّ يتبرّءون من الاستحقاق والحول والقوة، فإذا كشف عنهم البلاء وقعوا فى مغاليطهم، وقالوا: إنما أوتينا هذا باستحقاق منّا"[٦].

قوله تعالى:{بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ} [الزمّر : ٤٩]، أي:" بل ذلك فتنة يبتلي الله بها عباده؛ لينظر مَن يشكره ممن يكفره"[٧].

قال مقاتل:" يعني: بل تلك النعمة بلاء ابتلي به"[٨].

قال يحيى بن سلام:أي:" بلية"[٩].

عن قتادة: "{بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ}، أي: بلاء"[١٠].

قال الزجاج:" أي: تلك العطية فتنة من الله وبلوى يبتلى بها العبد ليشكر أو يكفر"[١١].

قال ابن كثير:" أي : ليس الأمر كما زعموا ، بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه ، أيطيع أم يعصي ؟ مع علمنا المتقدم بذلك ، فهي فتنة أي : اختبار"[١٢].

قال الطبري: يقول:" بل عطيتنا إياهم تلك النعمة من بعد الضرّ الذي كانوا فيه فتنة لهم، يعني بلاء ابتليناهم به، واختبارا اختبرناهم به"[١٣].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمّر : ٤٩]، أي:" ولكن أكثرهم -لجهلهم وسوء ظنهم- لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم من الله، وامتحان لهم على شكر النعم"[١٤].

قال الطبري: " {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ} لجهلهم، وسوء رأيهم {لا يَعْلَمُونَ} لأي سبب أعطوا ذلك"[١٥].

قال السمعاني:" أي: لا يعلمون أن ما نعطي من النعمة اختبار وبلية"[١].

---

(١) تفسير الطبري :٣٠٣/٢١.
(٢) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٠٣/٢١.
(٤) معاني القرآن: ٣٥٧/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٠٣/٢١.
(٦) لطائف الإشارات: ٢٨٦/٣.
(٧) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٢/٣.
(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٦٠٩/٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢١.
(١١) معاني القرآن: ٣٥٧/٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٧.
(١٣) تفسير الطبري: ٣٠٤/٢١.
(١٤) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(١٥) تفسير الطبري: ٣٠٤/٢١.

قال ابن كثير:" فلهذا يقولون ما يقولون ، ويدعون ما يدعون"[2].

القرآن
{قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠)} [الزمّر : ٥٠]
التفسير:
قد قال مقالتهم هذه مَن قبلهم من الأمم الخالية المكذبة، فما أغنى عنهم حين جاءهم العذاب ما كانوا يكسبونه من الأموال والأولاد.

قوله تعالى:{قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [الزمّر : ٥٠]، أي:" قد قال مقالتهم هذه مَن قبلهم من الأمم الخالية المكذبة"[3].

قال مقاتل:" يقول: قد قالها قارون في القصص قبل أبي حذيفة"[4].

عن السديّ:"{قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، الأمم الماضية"[5].

قال الطبري: يقول:" قد قال هذه المقالة يعني قولهم: لنعمة الله التي خولهم وهم مشركون: أوتيناه على علم عندنا الذين من قبل مشركي قريش من الأمم الخالية لرسلها، تكذيبا منهم لهم، واستهزاء بهم"[6].

قال ابن كثير:" أي : قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى ، كثير ممن سلف من الأمم"[7].

قال السمعاني:" أي: قال هذه الكلمة الذين من قبلهم، وفي التفسير: أن المراد من هذا هو قارون، فإنه قال: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} [القصص : ٧٨]"[8].

قوله تعالى:{فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الزمّر : ٥٠]، أي:" فما أغنى عنهم حين جاءهم العذاب ما كانوا يكسبونه من الأموال والأولاد"[9].

قال الطبري: " يقول: فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله واستهزائهم بهم ما كانوا يكسبون من الأعمال، وذلك عبادتهم الأوثان. يقول: لم تنفعهم خدمتهم إياها، ولم تشفع آلهتهم لهم عند الله حينئذ، ولكنها أسلمتهم وتبرأت منهم"[10].

قال السمعاني:" أي: لم يغن عنهم ما اكتسبوا شيئا"[11].

قال ابن كثير:" أي : فما صح قولهم ولا منعهم جمعهم وما كانوا يكسبون"[12].

قال الزجاج:" يقول: فأحبطت أعمالهم"[13].

القرآن
{فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١)} [الزمّر : ٥١]
التفسير:

---

(١) تفسير السمعاني: ٤٧٣/٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٧.
(٣) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٢/٣.
(٥) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢١.
(٦) تفسير الطبري: ٣٠٤/٢١.
(٧) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٧.
(٨) تفسير السمعاني: ٤٧٣/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٠٤/٢١.
(١١) تفسير السمعاني: ٤٧٣/٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٧.
(١٣) معاني القرآن: ٣٥٧/٤.

فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال، فعوجلوا بالخزي في الحياة الدنيا، والذين ظلموا أنفسهم من قومك -أيها الرسول-، وقالوا هذه المقالة، سيصيبهم أيضًا وبال سيئات ما كسبوا، كما أصاب الذين من قبلهم، وما هم بفائتين الله ولا سابقيه.

قوله تعالى:{فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا} [الزمّر : ٥١]، أي:" فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال، فعوجلوا بالخزي في الحياة الدنيا"[١].

قال الطبري: " يقول: فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية، وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال، فعوجلوا بالخزي في دار الدنيا، وذلك كقارون الذي قال حين وعظ {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} فخسف الله به وبداره الأرض {فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ}"[٢].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا} [الزمّر : ٥١]، أي:" والذين ظلموا أنفسهم من قومك -أيها الرسول-، وقالوا هذه المقالة، سيصيبهم أيضًا وبال سيئات ما كسبوا، كما أصاب الذين من قبلهم"[٣].

قال الطبري:" يقول لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: والذين كفروا بالله يا محمد من قومك، وظلموا أنفسهم وقالوا هذه المقالة سيصيبهم أيضا وبال {سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا} كما أصاب الذين من قبلهم بقيلهموها"[٤].

قال السمعاني:" أي: يصيب الكفار من هذه الأمة من البلاء والعقوبة ما أصاب الأمم الماضية"[٥].

قال ابن كثير:"{وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ } أي : من المخاطبين { سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا } أي : كما أصاب أولئك"[٦].

عن السديّ :"{وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ}، قال: من أمة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٧].

قوله تعالى:{وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ} [الزمّر : ٥١]، أي:" وما هم بفائتين الله ولا سابقيه"[٨].

قال الطبري:" يقول: وما يفوتون ربهم ولا يسبقونه هربا في الأرض من عذابه إذا نزل بهم، ولكنه يصيبهم {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا} ففعل ذلك بهم، فأحلّ بهم خزيه في عاجل الدنيا فقتلهم بالسيف يوم بدر"[٩].

قال السمعاني:" أي: بفائتين ولا سابقين"[١٠].

قال الزجاج:" أي: إلى الله مرجعهم فيجازيهم باعمالهم"[١١].

قال ابن كثير:" كما قال تعالى مخبرا عن قارون أنه قال له قومه : { لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٢) تفسير الطبري: ٣٠٤/٢١-٣٠٥.
(٣) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٤) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢١.
(٥) تفسير السمعاني: ٤٧٤/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٧.
(٧) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢١.
(٨) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٩) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢١.
(١٠) تفسير السمعاني: ٤٧٤/٤.
(١١) معاني القرآن: ٣٥٧/٤.

الْمُجْرِمُونَ } [القصص : ٧٦ - ٧٨] ، وقال تعالى : { وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } [سبأ : ٣٥]"[١].

القرآن

{أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)} [الزمّر : ٥٢]

التفسير:

أو لم يعلم هؤلاء أن رزق الله للإنسان لا يدل على حسن حال صاحبه، فإن الله لبالغ حكمته يوسِّع الرزق لمن يشاء مِن عباده، صالحًا كان أو طالحًا، ويضيِّقه على مَن يشاء منهم؟ إن في ذلك التوسيع والتضييق في الرزق لَدلالات واضحات لقوم يُصدِّقون أمر الله ويعملون به.

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الزمّر : ٥٢]، أي:" أو لم يعلم هؤلاء أن رزق الله للإنسان لا يدل على حسن حال صاحبه، فإن الله لبالغ حكمته يوسِّع الرزق لمن يشاء مِن عباده، صالحًا كان أو طالحًا، ويضيِّقه على مَن يشاء منهم؟"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أولم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم، فقالوا: إنما أوتيناه على علم منا، أن الشدة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله، دون كل من سواه، يبسط الرزق لمن يشاء، فيوسعه عليه، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده، فيضيقه، وأن ذلك من حجج الله على عباده، ليعتبروا به ويتذكروا، ويعلموا أن الرغبة إليه والرهبة دون الآلهة والأنداد"[٣].

قال القشيري:" أو لم يروا كيف خالف بين أحوال الناس في الرزق: فمن موسّع عليه رزقه، ومن مضيّق عليه، وليس لواحد منهم شيء ممّا خصّ به من التقليل أو التكثير"[٤].

قال ابن كثير:" أي : يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين"[٥].

وفي بعض الأخبار: "أن الله يخير لعبده، فإن كان الخيرة له في التوسع وسع عليه، وإن كان الخيرة له في التضيق ضيق عليه"[٦].

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الزمّر : ٥٢]، أي:" إن في ذلك التوسيع والتضييق في الرزق لَدلالات واضحات لقوم يُصدِّقون أمر الله ويعملون به"[٧].

قال الطبري:" يقول: إن في بسط الله الرزق لمن يشاء، وتقتيره على من أراد لدلالات وعلامات {لِقَوْمٍ} يصدقون بالحقّ، فيقرّون به إذا تبينوه وعلموا حقيقته أن الذي يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواه،"[٨].

قال ابن كثير:{لَآيَاتٍ}" أي : لعبرا وحججا"[٩].

فوائد الآيات: [٤٩-٥٢]:

١- بيان تناقض أهل الكفر والجهل والضلال في كل حياتهم لأنهم يعيشون على ظلمة الجهل

٢- تقرير ما من مصيبة إلا بذنب جلي أو خفي كبير أو صغير، قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُم} [الشورى : ٣٠].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٧.
(٢) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٣) تفسير الطبري :٣٠٥/٢١.
(٤) لطائف الإشارات: ٢٨٦/٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٧.
(٦) نقلا عن تفسير السمعاني: ٤٧٤/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٨) تفسير الطبري :٣٠٥/٢١-٣٠٦.
(٩) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٧.

٣- بيان أن بسط الرزق وتضييقه على الأفراد أو الجماعات لا يعود إلى حب الله للعبد أو كرهه له، وإنما يعود لسنن التربية الإلهية وحكم التدبير لشؤون الخلق.
٤- أهل الإيمان هم الذين ينتفعون بالآيات والدلائل لأنهم أحياء يبصرون ويعقلون أما أهل الكفر فهم أموات لا يرون الآيات ولا يعقلونها.
٥- تهديد الله تعالى للظالمين ووعيده الشديد بأنه سيصيبهم كما أصاب غيرهم جزاء ظلمهم وكسبهم الفاسد.

القرآن

{قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)} [الزمّر : ٥٣]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لعبادي الذين تمادَوا في المعاصي، وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تَيْئسوا من رحمة الله؛ لكثرة ذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت، إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: "أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدا -صلى الله عليه وسلم-فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؟ فنزل: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلاَ يَزْنُونَ} [الفرقان: ٦٨] وَنَزَلَتْ {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر: ٥٣]". وهذا قول ابن عباس(١).

وقال مقاتل:" نزلت في مشركي مكة وذلك أن الله- عز وجل- أنزل في الفرقان {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ } [الفرقان : ٦٨]، الآية. فقال وحشي مولى المطعم بن عدي بن نوفل: إني قد فعلت هذه الخصال فكيف لي بالتوبة فنزلت فيه: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان : ٧٠]، فأسلم وحشي فقال مشركو مكة: قد قبل من وحشي توبته، وقد نزل فيه ولم ينزل فينا. فنزلت في مشركي مكة {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم} [الزمر : ٥٣]، يعني بالإسراف: الشرك والقتل والزنا فلا ذنب أعظم إسرافا من الشرك لا تقنطوا يقول لا تيأسوا من رحمة الله، لأنهم ظنوا ألا توبة لهم. {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } [الزمر : ٥٣]، يعني: الشرك والقتل والزنا الذي ذكر في سورة الفرقان، {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر : ٥٣]، لمن تاب منها ثم دعاهم إلى التوبة-"(٢).

الثاني: أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أنه من عبد الأوثان، ودعا مع الله إلها آخر، وقتل النفس التي حرّم الله لم يغفر له، فكيف نهاجر ونسلم، وقد عبدنا الآلهة، وقتلنا النفس التي حرم الله ونحن أهل الشرك؟ فأنزل الله: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا(٣).

قال السدي:" هؤلاء المشركون من أهل مكة، قالوا: كيف نجيبك وأنت تزعم أنه من زنى، أو قتل، أو أشرك بالرحمن كان هالكا من أهل النار؟ فكلّ هذه الأعمال قد عملناها، فأنزلت فيهم هذه الآية: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم}"(٤).

الثالث: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر من المسلمين، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذّبوا، فافتتنوا، كنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا، قوم أسلموا ثم

---

(١)رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير الزمر «باب قوله «يا عبادي» ... » ج ٦ ص ٣٣.
ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان «باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج» ج ١ ص ١١٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٣/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٦/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٠٧/٢١.

تركوا دينهم بعذاب عُذّبوه، فنزلت هؤلاء الآيات، وكان عمر بن الخطاب كاتبا، قال: فكتبها بيده ثم بعث بها إلى عَيَّاش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، إلى أولئك النفر، فأسلموا وهاجروا. وهذا قول ابن عمر[1].

قال ابن عمر:" كنا نقول: ما لمن افتتن من توبة، وكانوا يقولون: ما الله بقابل منا شيئا، تركنا الإسلام ببلاء أصابنا بعد معرفته، فلما قدم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم المدينة أنزل الله فيهم: {يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} ... الآية، قال عمر: فكتبتها بيدي، ثم بعثت بها إلى هشام بن العاص، قال هشام: فلما جاءتني جعلت أقرؤها ولا أفهمها، فوقع في نفسي أنها أنزلت فينا لما كنا نقول، فجلست على بعيري، ثم لحقت بالمدينة"[2].

الرابع: -وهو قول ابن زيد-أنه:" كان قوم مسخوطين في أهل الجاهلية، فلما بعث الله نبيه قالوا: لو أتينا محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فأمنا به واتبعناه، فقال بعضهم لبعض: كيف يقبلكم الله ورسوله في دينه؟ فقالوا: ألا نبعث إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم رجلا؟ فلما بعثوا، نزل القرآن: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) فقرأ حتى بلغ: (فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"[3].

الخامس: أنها نزلت في وحشي. قاله عطاء بن يسار[4].

عن عطاء بن يسار، قال: نزلت هذه الآيات الثلاث بالمدينة في وحشيّ وأصحابه: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} إلى قوله: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ}"[5].

قوله تعالى:{قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} [الزمّر : ٥٣]، أي:" قل -أيها الرسول- لعبادي الذين تمادَوا في المعاصي، وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تَيْئسوا من رحمة الله؛ لكثرة ذنوبكم"[6].

قال مجاهد، في قوله:{قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ}، قال: يعني: "من قتل الأنفس في الجاهلية"[7].

قال قتادة: "أصاب قوم في الشرك ذنوبا عظاما ، فكانوا يتخوفون أن لا تغفر ، فدعاهم الله بهذه الآية {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم}"[8].

قال ابن وهب:" أخبرني أبو صخر عن القرظي في هذه الآية: {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله}، يقول: هي للناس أجمعين. قال أبو صخر: وقال زيد بن أسلم: إنما هي للمشركين"[9].

قال الطبري:" عنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك، لأن الله عم بقوله {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} جميع المسرفين، فلم يخصص به مسرفا دون مسرف"[10].

قال ابن كثير:" هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها ، وإن كانت مهما كانت

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٩/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢١-٢٠٩.
(٣) أخرجه الطبري: ٣/٢١-٧-٣٠٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٧/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٠٧/٢١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٧) تفسير مجاهد: ٥٨٠.
(٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦٣٨):ص١٣٤/٣.
(٩) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب: ٧٢/٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٣١٠/٢١.

وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر. ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة؛ لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه"(١).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمّر : ٥٣]، أي:" إن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت"(٢).

قال الطبري:" يقول: إن الله يستر على الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها"(٣).

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمّر : ٥٣]، أي:" إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم"(٤).

قال الطبري:" {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} بهم، أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها"(٥).

قال سهل بن عبدالله:" أمهل الله تعالى عباده تفضلاً منه إلى آخر نفس، فقال لهم: «لا تقنطوا من رحمتي فلو رجعتم إلي في آخر نفسٍ قبلتكم» . قال: وهذه أبلغ آية في الإشفاق من الله تعالى إلى عباده، لعلمه بأنه ما حرمهم ما تفضل به على غيرهم، فرحمهم حتى أدخلهم في عين الكرم بالذكر القديم لهم.

وقد حكي عن جبريل عليه الصلاة والسلام أنه سمع إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول: يا كريم العفو. فقال له جبريل عليه السلام: يا إبراهيم، أتدري ما كرم عفوه؟ قال: لا يا جبريل. قال: إذا عفا عن سيئة جعلها حسنة»(٦) .

ثم قال سهل: اشهدوا علي أني من ديني أن لا أتبرأ من فساق أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم وفجارهم وقاتلهم وزانيهم وسارقهم، فإن الله تعالى لا يُدْرَك غاية كرمه وفضله وإحسانه بأمة محمد صلّى الله عليه وسلّم خاصة"(٧).

قال معمر :" وبلغني أن عمر بن الخطاب مر به ركب فأرسل إليهم يسألهم من هم؟ فقالوا: جئنا من الفج العميق ، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نؤم البيت العتيق ، قال: فرجع إليه الرسول فأخبره فقال عمر: إن لهؤلاء لنبأ ، ثم أرسل إليهم: أي آية في كتاب الله أحكم؟ قالوا: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} [الزلزلة: ٨] قال: فأي آية أعدل؟ قالوا: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى} [النحل: ٩٠] قال: فأي آية أعظم؟ فقالوا: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} [البقرة: ٢٥٥] قال: فأي آية أرجى؟ قالوا: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله} [الزمر: ٥٣] قال: فأي آية أخوف؟ قالوا: {من يعمل سوءا يجز به} [النساء: ١٢٣] قال: " سلهم أفيهم ابن أم عبد؟ قالوا: نعم "(٨).

قال الشعبي:"تجالس شتير بن شكل ومسروق فقال شتير: إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك، وإما أن أحدّث فتصدّقني فقال مسروق: لا بل حدث فأصدّقك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية فرجا في القرآن: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}، فقال مسروق: صدقت"(٩).

عن ابن سيرين، قال: "قال عليّ رضي الله عنه: أي آية في القرآن أوسع؟ فجعلوا يذكرون آيات من القرآن: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٠٧/٧.
(٢) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٣) تفسير الطبري: ٣١١/٢١.
(٤) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٥) تفسير الطبري: ٣١١/٢١.
(٦)شعب الإيمان ٥/ ٣٨٩ (رقم ٧٠٤٣) وقوت القلوب ١/ ٣٣٤، ٣٧٦.
(٧) تفسير التستري: ١٣٤.
(٨) اخرجه عبدالرزاق في التفسير(٣٦٧٣):ص٤٤٩/٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٠٨/٢١.

. ونحوها، فقال علي: ما في القرآن آية أوسع من: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} ... إلى آخر الآية"[1].

قال أبو الكنود: "دخل عبد الله المسجد، فإذا قاصّ يذكر النار والأغلال، قال: فجاء حتى قام على رأسه، فقال ما يذكر أتقنط الناس: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} ... الآية"[2].

عن أبي عبد الرحمن الجلائي، أنه سمع ثوبان مولى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقول: سمعت رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقول:"ما أُحِبُّ أَنَّ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيها بهذه الآية: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} " ... الآية، فقال رجل: يا رسول الله، ومن أشرك؟ فسكت النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ثم قال:"ألا وَمَنْ أَشْرَكَ، ألا ومَنْ أَشْرَكَ، ثلاث مرات"[3].

عن عمرو بن عَبَسة قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، شيخ كبير يدعم على عصا له ، فقال : يا رسول الله إن لي غدرات وفجرات ، فهل يغفر لي ؟ فقال : "ألست تشهد أن لا إله إلا الله ؟" قال : بلى ، وأشهد أنك رسول الله. فقال : "قد غفر لك غدراتك وفجراتك"[4].

عن أسماء بنت يزيد قالت : "سمعت رسول الله ﷺ يقرأ : { إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ } [هود : ٤٦] وسمعته يقول : " { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } ولا يبالي { إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }"[5].

قال ابن كثير:" هذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد : أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة ، ولا يقنطن (٤) عبد من رحمة الله ، وإن عظمت ذنوبه وكثرت ؛ فإن باب التوبة والرحمة واسع ، قال الله تعالى : { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ } [التوبة : ١٠٤] ، وقال تعالى : { وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء : ١١٠] ، وقال تعالى في حق المنافقين : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلا الَّذِينَ تَابُوا } [النساء : ١٤٦ ، ١٤٥] ، وقال { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [المائدة : ٧٣] ، ثم قال { أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المائدة : ٧٤] ، وقال { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا } [البروج : ١٠].
قال الحسن البصري : انظر (٥) إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة!.
والآيات في هذا كثيرة جدا"[6].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: " كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبا فسأله فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له"[7].

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما (١) [في] (٢) قوله : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } إلى آخر الآية ، قال : قد دعا الله إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ، ومن زعم أن عزيرا (٣) ابن الله ، ومن زعم أن الله فقير ، ومن زعم أن يد الله مغلولة

---

(١) اخرجه الطبري: ٣٠٩/٢١.
(٢) اخرجه الطبري: ٣٠٩/٢١.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٠٩/٢١-٣١٠.
(٤)المسند (٣٨٥/٤).
(٥)المسند (٤٥٤/٦) وسنن أبي داود برقم (٣٩٨٢) وسنن الترمذي برقم (٣٢٣٧).
(٦) تفسير ابن كثير: ١٠٧/٧.
(٧)رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٧٠) ومسلم برقم (٢٧٦٦).

، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة ، يقول الله تعالى لهؤلاء : { أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المائدة : ٧٤] ثم دعا إلى توبته من هو أعظم قولا من هؤلاء ، من قال : { أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى } [النازعات : ٢٤] ، وقال { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } [القصص : ٣٨]. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه"(١).

عن أخشن السدوسي قال : "دخلت على أنس بن مالك، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "والذي نفسي بيده ، لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ، ثم استغفرتم الله لغفر لكم ، والذي نفس محمد بيده ، لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون ، ثم يستغفرون الله فيغفر لهم"(٢).

عن أبي صِرْمة ، عن أبي أيوب الأنصاري ، رضي الله عنه ، أنه قال حين حضرته الوفاة : "قد كنت كتمت منكم شيئا سمعته من رسول الله ﷺ يقول : "لولا أنكم تذنبون ، لخلق الله قوما يذنبون فيغفر لهم"(٣).

عن ابن عباس قال : «قال رسول الله ﷺ : "كفارة الذنب الندامة" ، وقال رسول الله ﷺ : "لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ، فيغفر لهم"»(٤).

علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الله يحب العبد المفتن التواب"(٥).

عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : "إن إبليس - عليه لعائن الله - قال : يا رب ، إنك أخرجتني من الجنة من أجل آدم ، وإني لا أستطيعه إلا بسلطانك. قال : فأنت مسلط. قال : يا رب ، زدني. قال : لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله. قال : يا رب ، زدني. قال : أجعل صدورهم مساكن لكم ، وتجرون منهم مجرى الدم. قال : يا رب ، زدني. قال : أجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم في الأموال والأولاد ، وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا. فقال آدم -عليه السلام- يا رب ، قد سلطته علي ، وإني لا أمتنع منه إلا بك. قال : لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء. قال : يا رب ، زدني. قال : الحسنة عشر أو أزيد ، والسيئة واحدة أو أمحوها. قال : يا رب ، زدني. قال : باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد. قال : يا رب ، زدني. قال : { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }"(٦).

القرآن

{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤)} [الزمّر : ٥٤]

التفسير:

وارجعوا إلى ربكم -أيها الناس- بالطاعة والتوبة، واخضعوا له من قبل أن يقع بكم عقابه، ثم لا ينصركم أحد من دون الله.

قوله تعالى:{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} [الزمّر : ٥٤]، أي:" وارجعوا إلى ربكم -أيها الناس- بالطاعة والتوبة، واخضعوا له"(٧).

قال مقاتل:" يقول: وارجعوا من الذنوب إلى الله وأخلصوا له بالتوحيد"(٨).

---

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٠٨/٧.
(٢)المسند (٢٣٨/٣).
(٣)المسند (٤١٤/٥) وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٨) وسنن الترمذي برقم (٣٥٣٩).
(٤)المسند (٢٨٩/١).
(٥)زوائد عبد الله على المسند (٨٠/١).
(٦) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٠٩/٧.
(٧) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٣/٣.

قال الطبري:" وأقبلوا أيها الناس إلى ربكم بالتوبة، وارجعوا إليه بالطاعة له، واستجيبوا له إلى ما دعاكم إليه من توحيده، وإفراد الألوهة له، وإخلاص العبادة له، واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفي"[١].

قال ابن كثير:" استحث سبحانه وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة ، فقال: { وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} أي : ارجعوا إلى الله واستسلموا له"[٢].

قال قتادة: أي: أقبلوا إلى ربكم"[٣].

عن السديّ: "{وَأَنِيبُوا}، قال: أجيبوا"[٤].

قال ابن زيد:" الإنابة: الرجوع إلى الطاعة، والنزوع عما كانوا عليه، ألا تراه يقول: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ}"[٥].

قوله تعالى:{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [الزمّر : ٥٤]، أي:" من قبل أن يقع بكم عقابه، ثم لا ينصركم أحد من دون الله"[٦].

قال الطبري:أي:" من عنده على كفركم به، ثم لا ينصركم ناصر، فينقذكم من عذابه النازل بكم"[٧].

قال ابن كثير:" أي : بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة"[٨].

القرآن

{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥)} [الزمّر : ٥٥]

التفسير:

واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم، وهو القرآن العظيم، وكله حسن، فامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة، وأنتم لا تعلمون به.

قوله تعالى:{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [الزمّر : ٥٥]، أي:" واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم، وهو القرآن العظيم، وكله حسن، فامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه"[٩].

قال الطبري: يقول:" واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم في تنزيله، واجتنبوا ما نهاكم فيه عنه، وذلك هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، والقرآن كله حسن"[١٠].

قال ابن كثير:" وهو القرآن العظيم "[١١].

قال مقاتل:" من القرآن، يعني: ما ذكر من الطاعة من الحلال والحرام "[١٢].

عن السديّ: "{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}، يقول: ما أمرتم به في الكتاب"[١٣].

قوله تعالى:{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الزمّر : ٥٥]، أي:" من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة، وأنتم لا تعلمون به"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٣١١/٢١، ٣١٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ١١٠/٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٣١١/٢١.
(٤) أخرجه الطبري: ٣١١/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٧) تفسير الطبري: ٣١٢/٢١.
(٨) تفسير ابن كثير: ١١٠/٧.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٣١٢/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ١١٠/٧.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٣/٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢١.

قال الطبري:" يقول: من قبل أن يأتيكم عذاب الله فجأة وأنتم لا تعلمون به حتى يغشاكم فجأة"[٢].
قال ابن كثير:" أي : من حيث لا تعلمون ولا تشعرون "[٣].

القرآن
{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦)} [الزمّر : ٥٦]

التفسير:
وأطيعوا ربكم وتوبوا إليه حتى لا تندم نفس وتقول: يا حسرتا على ما ضيَّعت في الدنيا من العمل بما أمر الله به، وقصَّرت في طاعته وحقه، وإن كنت في الدنيا لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به.
قوله تعالى:{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} [الزمّر : ٥٦]، أي:" وأطيعوا ربكم وتوبوا إليه حتى لا تندم نفس وتقول: يا حسرتا على ما ضيَّعت في الدنيا من العمل بما أمر الله به، وقصَّرت في طاعته وحقه"[٤].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأنيبوا إلى ربكم أيها الناس، وأسلموا له، أن لا تقول نفس يوم القيامة: يا حسرتا على ما فرّطت في أمر الله"[٥].
قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل "[٦].
قال السمعاني: " معناه: واتبعوا طاعة الله حذرا وحذارا من أن تقول {نفس} يا ندامتا {على ما} ضيعت في ذات الله"[٧].
قال سهل بن عبدالله:" يعني" اشتغلت بعاجل الدنيا ولذة الهوى ومتابعة النفس، وضيعت في جنب الله، يعني في ذات الله القصد إليه، والاعتماد عليه بترك مراعاة حقوقه وملازمة خدمته"[٨].
قال الزمخشري:" الجنب: الجانب، يقال: أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته، وفلان لين الجنب والجانب، ثم قالوا: فرّط في جنبه وفي جانبه، يريدون في حقه"[٩].
قال مجاهد:" يعني: «ما ضيعت من أمر الله»"[١٠].
قال مقاتل:" يعني: في ذات الله، يعني: من ذكر الله"[١١].
قال أبو عبيدة:" {فِي جَنْبِ اللَّهِ} و«فى ذات الله» واحد"[١٢].
قوله تعالى:{وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ} [الزمّر : ٥٦]، أي:" وإن كنت في الدنيا لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به"[١٣].
قال السمعاني: "أي: من المستهزئين"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٢) تفسير الطبري: ٣١٢/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ١١٠/٧.
(٤) التفسير الميسر: ٤٦٤.
(٥) تفسير الطبري: ٣١٥/٢١.
(٦) تفسير ابن كثير: ١١٠/٧.
(٧) تفسير السمعاني: ٤٧٧/٤.
(٨) تفسير التستري: ١٣٥.
(٩) الكشاف: ١٣٧/٤.
(١٠) تفسير مجاهد: ٥٨٠.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٤/٣.
(١٢) مجاز القرآن: ١٩٠/٢.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٦٤.

قال ابن كثير:" أي : إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق"(٢).

عن ابن عباس، قوله: "{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ}، قال: أخبر الله ما العباد قائلوه قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه، قال: {وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}"(٣).

القرآن

{أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧)} [الزمَر : ٥٧]

التفسير:

أو تقول: لو أن الله أرشدني إلى دينه لكنت من المتقين الشرك والمعاصي.

قال الطبري:" وأن لا يقول نفس أخرى: لو أن الله هداني للحق، فوفقني للرشاد لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه"(٤).

قال النحاس:" قيل: معناه لو هداني إلى النجاة من النار، وردّني إلى التكليف. {لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} المعاصي، وقيل: لو أن الله هداني في الدنيا"(٥).

قال الزجاج:" أي: وكراهة أن تقول هذا القول الذي يؤدي إلى مثل هذه الحال التي الإنسان فيها في الدنيا، لأن الله قد بين طرق الهدى، والحي في نيته بمنزلة من قد بعث، لأن الله خلقه من نطفة وبلغه إلى أن ميز، فالحجة عليه"(٦).

عن البراء بن عازب، قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب، وهو يقول: «والله لولا الله ما اهتدينا، ولا صمنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، والمشركون قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا»(٧).

القرآن

{ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)} [الزمَر : ٥٨]

التفسير:

أو تقول حين ترى عقاب الله قد أحاط بها يوم الحساب: ليت لي رجعة إلى الحياة الدنيا، فأكون فيها من الذين أحسنوا بطاعة ربهم، والعمل بما أَمَرَتْهم به الرسل.

قال الطبري:" أو أن لا تقول أخرى حين ترى عذاب الله فتعاينه: لو أن لي رجعة إلى الدنيا {فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} الذين أحسنوا في طاعة ربهم، والعمل بما أمرتهم به الرسل"(٨).

قال ابن كثير:" أي : تود أن لو أعيدت إلى الدار فتحسن العمل "(٩).

عن قتادة: "{يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} ... الآية، قال: هذا قول صنف منهم {أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي} ... الآية، قال. هذا قول صنف آخر: {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ} الآية، يعني بقوله: {لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً} رجعة إلى الدنيا، قال: هذا صنف آخر"(١٠).

عن ابن عباس:" {فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}، يقول: من المهتدين، فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدروا على الهدى، وقال {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}، وقال: {وَنُقَلِّبُ

---

(١) تفسير السمعاني: ٤٧٧/٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ١١٠/٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٣١٦/٢١.
(٤) تفسير الطبري: ٣١٥/٢١.
(٥) إعراب القرآن: ١٤/٤.
(٦) معاني القرآن: ٣٥٩/٤.
(٧) رواه البخاري(٦٦٢٠):ص١٢٧/٨.
(٨) تفسير الطبري: ٣١٥/٢١-٣١٦.
(٩) تفسير ابن كثير: ١١٠/٧.
(١٠) أخرجه الطبري :٣١٦/٢١.

أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ} كما لم يؤمنوا به أول مرة، قال: ولو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى، كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا"(١).

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول : لو أن الله هداني ؟! فتكون عليه حسرة". قال : "وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول : لولا أن الله هداني!" قال : "فيكون له الشكر"(٢).

القرآن

{بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)} [الزمّر : ٥٩]

التفسير:

ما القول كما تقول، قد جاءتك آياتي الواضحة الدالة على الحق، فكذَّبت بها، واستكبرت عن قَبولها واتباعها، وكنت من الكافرين بالله ورسله.

قوله تعالى:{بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ} [الزمّر : ٥٩]، أي:" ما القول كما تقول، قد جاءتك آياتي الواضحة الدالة على الحق، فكذَّبت بها، واستكبرت عن قَبولها واتباعها"(٣).

قال مقاتل:" يعني: آيات القرآن، {فكذبت بها} أنها ليست من الله، {واستكبرت}، يعني: وتكبرت عن إيمان بها"(٤).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مكذبا للقائل: {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}، وللقائل: {لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}: ما القول كما تقولون: {بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ} -أيها المتمني على الله الرد إلى الدنيا لتكون فيها من المحسنين- حججي من بين رسول أرسلته إليك، وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير {فَكَذَبْتْ} بآياتي {وَاسْتَكْبَرْتَ} عن قبولها واتباعها"(٥).

قال النحاس:" أي: قد هديتك بالبيّنات"(٦).

قال الزجاج:" كأنه قيل: ما هديت، فقيل: {بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت}"(٧).

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف صح أن تقع بلى جوابا لغير منفي؟ قلت: {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدانِي} فيه معنى: ما هديت"(٨).

قال ابن كثير:" ولما تمنى أهل الجرائم العَودَ إلى الدنيا ، وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله ، قال الله سبحانه وتعالى:{ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ }، أي : قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا ، وقامت حججي عليك ، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها"(٩).

قال قتادة:" يقول الله ردًا لقولهم، وتكذيبا لهم، يعني لقول القائلين: {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي}، والصنف الآخر: {بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي} ... الآية"(١٠).

---

(١) أخرجه الطبري: ٣١٦/٢١.
(٢)المسند (٥١٢/٢).
(٣) التفسير الميسر: ٤٦٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٤/٣.
(٥) تفسير الطبري: ٣١٧/٢١.
(٦) إعراب القرآن: ١٤/٤.
(٧) معاني القرآن: ٣٥٩/٤-٣٦٠.
(٨) الكشاف: ١٣٨/٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ١١١/٧.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢١.

قوله تعالى:{وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [الزمّر : ٥٩]، أي:" وكنت من الكافرين بالله ورسله"(١).

قال الطبري:" يقول: وكنت ممن يعمل عمل الكافرين، ويستن بسنتهم، ويتبع منهاجهم"(٢).

قال ابن كثير:" وكنت من الكافرين بها ، الجاحدين لها"(٣).

فوائد الآيات: [٥٣-٥٩]:

١- بيان فضل الله ورحمته على عباده بقبول توبة العبد إن تاب مهما كانت ذنوبه.

٢- دعوة الله الرحيم إلى عباده المذنبين - بالإنابة إليه والإسلام الخالص له.

٣- تقرير البعث والجزاء بذكر ما يحدث فيه وما يجري في ساحته من أهوال.

٤- وجوب تعجيل التوبة والمبادرة بها قبل حلول العذاب في الدنيا أو الموت والموت أدهى وأمر حيث لا تقبل توبة بعد الموت أبداً.

٥- الترغيب في الأخذ بالعزائم وترك الرخص لغير ضرورة.

٦- إبطال مذهب الجبرية الذين يرون أنهم مجبورون على فعل المعاصي وغشيان الذنوب، كقول أحدهم لو أن الله هداني لفعلت كذا أو تركت كذا.

٧- فضل التقوى والإحسان وفضل المتقين والمحسنين.

القرآن

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)} [الزمّر : ٦٠]

التفسير:

ويوم القيامة ترى هؤلاء المكذبين الذين وصفوا ربهم بما لا يليق به، ونسبوا إليه الشريك والولد وجوههم مسودة. أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده وطاعته؟ بلى.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ} [الزمّر : ٦٠]، أي:" ويوم القيامة ترى هؤلاء المكذبين الذين وصفوا ربهم بما لا يليق به، ونسبوا إليه الشريك والولد وجوههم مسودة"(٤).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى} يا محمد هؤلاء {الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ} من قومك فزعموا أن له ولدا، وأن له شريكا، وعبدوا آلهة من دونه {وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ}"(٥).

قال القرطبي:" أي: مما أحاط بهم من غضب الله ونقمته"(٦).

قال ابن قتيبة:" الرؤية-هاهنا-: المعاينة"(٧).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه ، وتبيض فيه وجوه ، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف ، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، قال تعالى هاهنا : { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ } أي : في دعواهم له شريكا وولدا { وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ} أي : بكذبهم وافترائهم"(٨).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٥.
(٢) تفسير الطبري: ٣١٧/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ١١١/٧.
(٤) التفسير الميسر: ٤٦٥.
(٥) تفسير الطبري: ٣١٨/٢١.
(٦) تفسير القرطبي: ٢٧٤/١٥.
(٧) تأويل مشكل القرآن: ٢٧١.
(٨) تفسير ابن كثير: ١١١/٧.

قال ابن زيد في قوله: {وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار}، "فرأوا وجوههم مسودّة، وأعينهم مزرقّة، {قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين}"(١).

قال الأخفش:" {وجوههم مسودة} رفع على الابتداء. ونصب بعضهم فجعلها على البدل"(٢).

قوله تعالى:{أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمّر : ٦٠]، أي:" أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده وطاعته؟"(٣).

قال الطبري:" يقول: أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده، والانتهاء إلى طاعته فيما أمره ونهاه عنه"(٤).

قال ابن كثير:" أي : أليست جهنم كافية لها سجنا وموئلا لهم فيها دار الخزي والهوان ، بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق "(٥).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه جده، أن رسول لله-ﷺ- قال:«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»(٦).

عن عقبة بن عامر، قالرسول الله-ﷺ-:«ما من رجل يموت وفى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تحل له الجنة أن يريح ريحها أو يراها قال رجل إنى أحب الجَمَال حتى فى علاقة سوطى وشراك نعلى قال ليس ذلك الكبر إن الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر من سفه الحق وغمط الناس بعينيه»(٧).

وعن أبي ريحانة، قال رسول الله -ﷺ-:« إن الله لا يدخل شيئا من الكبر الجنة فقال قائل إنى أحب أن أتجمل بجلاز سوطى وشسع نعلى قال إن ذاك ليس من الكبر إن الله جميل يحب الجمال، إنما الكبر من سفه الحق وغمص الناس بعينه»(٨).

القرآن

{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١)} [الزمّر : ٦١]

التفسير:

وينجي الله من جهنم وعذابها الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه بفوزهم وتحقق أمنيتهم، وهي الظَّفَر بالجنة، لا يمسهم من عذاب جهنم شيء، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

قوله تعالى:{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ} [الزمّر : ٦١]، أي:" وينجي الله من جهنم وعذابها الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه بفوزهم وتحقق أمنيتهم، وهي الظَّفَر بالجنة"(٩).

---

(١) أخرجه الطبري(١٤٧٣٧):ص٤٦٧/١٢.

(٢) معاني القرآن: ٤٩٦/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٥.

(٤) تفسير الطبري: ٣١٩/٢١.

(٥) تفسير ابن كثير: ١١١/٧.

(٦)أخرجه أحمد (١٧٩/٢، رقم ٦٦٧٧) ، والترمذى (٦٥٥/٤، رقم ٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: الحميدى (٢٧٢/٢، رقم ٥٩٨) ، والبخارى فى الأدب المفرد (ص ١٩٦، رقم ٥٥٧).

(٧)أخرجه أحمد (١٥١/٤، رقم ١٧٤٠٧) قال الهيثمى (٩٨/١) : فى إسناده شهر عن رجل لم يسم.

(٨)أخرجه البغوى (٣٢١/٣، ترجمة ١٢٦١ ط. دار البيان بالكويت) . وأخرجه أيضًا أحمد (١٣٣/٤، رقم ١٧٢٤٥) ، والطبرانى فى الشاميين (١٤٢/٢، رقم ١٠٧١) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٧٩/٦، رقم ٨١٥٣) .

ومن غريب الحديث: "بجلاز": الجلاز: السير الذى يشد فى طرف السوط.

(٩) التفسير الميسر: ٤٦٥.

قال الطبري: يقول:" وينجي الله من جهنم وعذابها، الذين اتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا بفوزهم"(١).

قال ابن كثير:" أي : مما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله"(٢).

عن السدي، قوله:"{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ}، قال: بفضائلهم"(٣).

عن ابن زيد قوله: {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ}، قال: "بأعمالهم، قال: والآخرون يحملون أوزارهم يوم القيامة {وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ}"(٤).

وقرئ:«بمفازاتهم»(٥).

قوله تعالى:{لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ} [الزمّر : ٦١]، أي:" لا يمسهم من عذاب جهنم شيء"(٦).

شيء"(٦).

قال الطبري: يقول:" لا يمس المتقين من أذى جهنم شيء، وهو السوء الذي أخبر جل ثناؤه أنه لن يمسهم"(٧).

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة"(٨).

قوله تعالى:{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الزمّر : ٦١]، أي:" ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا"(٩).

قال الطبري: " يقول: ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا، إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : ولا يحزنهم الفزع الأكبر، بل هم آمنون من كل فَزَع، مزحزحون عن كل شر، مُؤمَلون كل خير"(١١).

عن البراء بن عازب، قال: «خرجنا مع النبي ﷺ، في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، كأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال:" استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين، أو ثلاثا"، ثم قال: "إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعنى بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول

---

(١) تفسير الطبري: ٣١٩/٢١.
(٢) تفسير ابن كثير: ١١١/٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٣١٩/٢١-٣٢٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٠/٢١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٦٥.
(٧) تفسير الطبري: ٣٢٠/٢١.
(٨) تفسير ابن كثير: ١١١/٧.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٥.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٢٠/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ١١١/٧.

هو رسول الله - ﷺ - فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى منادٍ فى السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجىء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى قال وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله - ﷺ - {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط} [الأعراف: ٤٠] فيقول الله اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق} [الحج: ٣١] فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى منادٍ من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجىء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة"»(١).

القرآن

{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)} [الزمّر : ٦٢]

التفسير:

الله تعالى هو خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها والمتصرف فيها، وهو على كل شيء حفيظ يدَبِّر جميع شؤون خلقه.

قوله تعالى:{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمّر : ٦٢]، أي:" الله تعالى هو خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها والمتصرف فيها"(٢).

قال الطبري: يقول: " الله الذي له الألوهة من كل خلقه الذي لا تصلح العبادة إلا له، خالق كل شيء، لا ما لا يقدر على خلق شيء"(٣).

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمّر : ٦٢]، أي:" وهو على كل شيء حفيظ يدَبِّر جميع شؤون خلقه"(١).

---

(١)أخرجه الطيالسى (ص ١٠٢، رقم ٧٥٣) ، وأحمد (٢٨٧/٤، رقم ١٨٥٥٧) ، وقال الهيثمى (٥٠/٣) : رجاله رجال الصحيح. وأبو داود (٢٣٩/٤، رقم ٤٧٥٣) ، والرويانى (٢٦٣/١، رقم ٣٩٢) ، وهناد (٢٠٥/١، رقم ٣٣٩) ، وابن خزيمة فى التوحيد (ص ١١٩) ، وأبو عوانة كما فى إتحاف المهرة (٤٥٩/٢، رقم ٢٠٦٣) ، وابن منده (٩٦٢/٢، رقم ١٠٦٤) ، وقال: هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء وهو ثابت على رسم الجماعة. والحاكم (٩٣/١ ٩٨، رقم ١٠٧، ١٠٩ ١١٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٥٥/١، رقم ٣٩٥) وقال: صحيح الإسناد.

.

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٥.

(٣) تفسير الطبري: ٣٢٠/٢١.

قال الطبري: "يقول: وهو على كل شيء قيم بالحفظ والكلاءة"[٢].
قال القرطبي:" أي: حافظ وقائم به"[٣].
قال ابن كثير-في الآية:" يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها والمتصرف فيها ، وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته "[٤].

القرآن

{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣)} [الزمّر : ٦٣]

التفسير:

لله مفاتيح خزائن السموات والأرض، يعطي منها خَلْقَه كيف يشاء. والذين جحدوا بآيات القرآن وما فيها من الدلائل الواضحة، أولئك هم الخاسرون في الدنيا بخِذْلانهم عن الإيمان، وفي الآخرة بخلودهم في النار.

قوله تعالى:{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الزمّر : ٦٣]، أي:" لله مفاتيح خزائن السموات والأرض، يعطي منها خَلْقَه كيف يشاء"[٥].

قال الطبري: يقول:" له مفاتيح خزائن السموات والأرض، يفتح منها على من يشاء، ويمسكها عمن أحب من خلقه"[٦].

قال الزجاج:" أي: مفاتيح السماوات، المعنى: ما كان من شيء من السماوات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه"[٧].

قال أبو عبيدة:" أي: المفاتيح، واحدها: مقليد وواحد الأقاليد: إقليد. وقال الأعشى[٨]:
فتى لو يجارى الشّمس ألقت قناعها ... أو القمر الساري لألقى المقالدا"[٩].

قال ابن قتيبة:" أي: مفاتيحها وخزائنها، واحدها: «إقليد»، يقال: هو فارسي معرب «إكليد»"[١٠].

وفي تفسير قوله تعالى:{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الزمّر : ٦٣]، قولان:
أحدهما : خزائن السموات والأرض، قاله السدي[١١].
الثاني : مفاتيح السموات والأرض، قاله ابن عباس[١٢]، ومجاهد[١٣]، وقتادة[١٤]، والضحاك[١٥].

قال مقاتل:" يعنى: مفاتيح، بلغة النبط، {مقاليد السماوات}: المطر .{والأرض}: يعني النبات "[١٦].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٥.
(٢) تفسير الطبري: ٣٢٠/٢١.
(٣) تفسير القرطبي: ٢٧٤/١٥.
(٤) تفسير ابن كثير: ١١١/٧.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٥.
(٦) تفسير الطبري: ٣٢١/٢١.
(٧) معاني القرآن: ٣٦١/٤.
(٨)ديوانه ص ٤٩، والكامل ص ٤٣٦ واللسان والتاج (ندى).
(٩) مجاز القرآن: ١٩١/٢.
(١٠) غريب القرآن: ٣٨٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢١.
(١٣) نقلا عن النكت والعيون: ١٩٥/٥، وتفسير ابن كثير: ١١٢/٧ .
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢١.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٥/٣.

قال ابن كثير:" المعنى على كلا القولين : أن أزمَّة الأمور بيده ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير"(١).

وقال ابن زيد:" المقاليد: المفاتيح، قال: له مفاتيح خزائن السموات والأرض"(٢).

وقال سهل:" بيده مفاتيح القلوب، يوفق من يشاء لطاعته وخدمته بالإخلاص، ويصرف من يشاء عن بابه"(٣).

وروي عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: "أنه سأل رسول الله ﷺ، عن تفسير له مقاليد السماوات والأرض فقال: «ما سألني، عنها أحد قبلك يا عثمان» قال: «تفسيرها: لا إله إلا الله، والله أكبر وسبحان الله وبحمده، أستغفر الله ولا قوة إلا بالله، الأول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها يا عثمان إذا أصبح عشر مرات أعطي خصلا ستا أما أولاهن: فيحرس من إبليس وجنوده، وأما الثانية فيعطى قنطارا من الأجر، وأما الثالثة: فترفع له درجة في الجنة، وأما الرابعة: فيتزوج من الحور العين، وأما الخامسة: فيحضره اثنا عشر ملكا، وأما السادسة: فيعطى من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور. وله مع هذا يا عثمان من الأجر كمن حج وتقبلت حجته، واعتمر فتقبلت عمرته، فإن مات من يومه طبع بطابع الشهداء»"(٤).

قال ابن كثير:" غريب جدا، وفي صحته نظر.. ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث يحيى بن حماد ، به مثله. وهو غريب ، وفيه نكارة شديدة ، والله أعلم "(٥).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [الزمّر : ٦٣]، أي:" والذين جحدوا بآيات القرآن وما فيها من الدلائل الواضحة، أولئك هم الخاسرون في الدنيا بخِذْلانهم عن الإيمان، وفي الآخرة بخلودهم في النار"(٦).

قال الطبري: يقول:" والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها، أولئك هم المغبونون حظوظهم من خير السموات التي بيده مفاتيحها، لأنهم حرموا ذلك كله في الآخرة بخلودهم في النار، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله عزّ وجلّ"(٧).

قال ابن كثير:"{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ } أي : حججه وبراهينه"(٨).

قال الزجاج:" أي: الذين يقولون: إن شيئا ليس مما خلق الله أو رزقه من السماوات والأرض فليس الله خالقه، {أولئك هم الخاسرون}"(٩).

القرآن

{قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤)} [الزمّر : ٦٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أفغير الله أيها الجاهلون بالله تأمرونِّي أن أعبد، ولا تصلح العبادة لشيء سواه؟

سبب نزول الآيات:[٦٤-٦٦]:

---

(١) تفسير ابن كثير: ١١٢/٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢١.

(٣) تفسير التستري: ١٣٥.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٠٥):ص٣٢٥٤/١٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ١١٢/٧.

ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٧٣) من طريق أبي عن شجاع بن مخلد عن يحيى بن حماد به ، وقال الهيثمي في المجمع (١١٥/١٠) : "رواه أبو يعلى في الكبير ، وفيه الأغلب بن تميم ، وهو ضعيف".

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٥.

(٧) تفسير الطبري: ٣٢١/٢١.

(٨) تفسير ابن كثير: ١١٢/٧.

(٩) معاني القرآن: ٣٦١/٤.

عن ابن عباس: "أن قريشا وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزّوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح. قال: "ما هي؟ " قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزي، ونعبد إلهك سنة، قال: "حتى أَنْظُرَ ما يأْتي مِنْ عِنْدِ رَبّي"، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: {قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ} السورة، وأنزل الله: {قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} ... إلى قوله: {فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}"[1].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركي قومك، الداعيك إلى عبادة الأوثان: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ} -أيها الجاهلون بالله- {تَأْمُرُونِّي} أن {أَعْبُدُ} ولا تصلح العبادة لشيء سواه"[2].

قال الزجاج:" المعنى: أفغير الله أعبد -أيها الجاهلون- فيما تأمرونني"[3].

قرأ ابن كثير وحده: «تَأْمُرُونِّيَ» بنون مشددة، والياء مفتوحة، وقرأ نافع وابن عامر: «تَأْمُرُونِيَ أَعْبُدُ»، بتخفيف النون وفتح الياء، وقرأ الباقون «تَأْمُرُونِّي» بالتشديد وسكون الياء[4].

القرآن

{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)} [الزمّر : ٦٥]

التفسير:

ولقد أوحي إليك -أيها الرسول- وإلى من قبلك من الرسل: لئن أشركت بالله غيره ليبطلنَّ عملك، ولتكوننَّ من الهالكين الخاسرين دينك وآخرتك؛ لأنه لا يُقبل مع الشرك عمل صالح.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمّر : ٦٥]، أي:" ولقد أوحي إليك -أيها الرسول- وإلى من قبلك من الرسل: لئن أشركت بالله غيره ليبطلنَّ عملك"[5].

قال الطبري: يقول:" ولقد أوحى إليك يا محمد ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسل: لئن أشركت بالله شيئا يا محمد، ليبطلنّ عملك، ولا تنال به ثوابا، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله"[6].

قوله تعالى:{وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمّر : ٦٥]، أي:" ولتكوننَّ من الهالكين الخاسرين دينك وآخرتك بسبب ذلك"[7].

قال الطبري: يقول:" ولتكونن من الهالكين بالإشراك بالله إن أشركت به شيئا"[8].

القرآن

{بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)} [الزمّر : ٦٦]

التفسير:

بل الله فاعبد -أيها النبي- مخلصًا له العبادة وحده لا شريك له، وكن من الشاكرين لله نعمه.

---

(١) اخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٤.
(٢) تفسير الطبري: ٣٢٢/٢١.
(٣) معاني القرآن: ٣٦١/٤.
(٤) انظر: معاني القرآءات للأزهري: ٣٤١/٢.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٥.
(٦) تفسير الطبري: ٣٢٢/٢١.
(٧) انظر: التفسير الميسر: ٤٦٥، وصفوة التفاسير: ٨٠/٣.
(٨) تفسير الطبري: ٣٢٢/٢١-٣٢٣.

قوله تعالى:{بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ} [الزمّر : ٦٦]، أي:" بل الله فاعبد -أيها النبي- مخلصًا له العبادة وحده لا شريك له"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: لا تعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته، بل الله فاعبد دون كلّ ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد"(٢).

قال ابن كثير:" أي : أخلص العبادة لله وحده ، لا شريك له ، أنت ومن معك ، أنت ومن اتبعك وصدقك"(٣).

قال الزجاج:" «الفاء» جاءت على معنى المجازاة، كأنه قال: قد تبينت فاعبد الله"(٤).

قوله تعالى:{وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمّر : ٦٦]، أي:" وكن من الشاكرين لله نعمه"(٥).

قال الطبري: يقول :"{وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} لله على نعمته عليك بما أنعم من الهداية لعبادته، والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان"(٦).

فوائد الآيات: [٦٠-٦٦]:

١- اسوداد الوجه يوم القيامة علامة الكفر والخلود في جهنم.

٢- ابيضاض الوجوه يوم القيامة علامة الإيمان والخلود في الجنة، قال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه} [آل عمران : ١٠٦].

٣- تقرير البعث والجزاء بوصف أحواله وما يدور فيه.

٤- بيد الله كل شيء فلا يصح أن يطلب شيء من غيره أبداً، ومن طلب شيئاً من غير الله فهو من أجهل الخلق.

٥- التنديد بالشرك وبيان خطورته إذ هو محبط للأعمال بالكلية.

٦- وجوب عبادة الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه ووجوب حمده وشكره إذ كل إنعام منه وكل إفضال له. فلله الحمد والمنة.

القرآن

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)} [الزمّر : ٦٧]

التفسير:

وما عظَّم هؤلاء المشركون اللهَ حق تعظيمه؛ إذ عبدوا معه غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسوَّوا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم، الذي من عظيم قدرته أن جميع الأرض في قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، تنزه وتعاظم سبحانه وتعالى عما يشرك به هؤلاء المشركون.

سبب النزول:

عن سعيد، قال:"أتى رهط من اليهود نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقالوا: يا محمد، هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضبا لربه، فجاءه جبريل فسكنه، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه، قال: يقول الله تبارك وتعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) فلما تلاها عليهم النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قالوا: صف لنا ربك، كيف خلقه، وكيف عضده، وكيف ذراعه؟ فغضب النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أشد من غضبه الأول، ثم ساورهم، فأتاه

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٥.

(٢) تفسير الطبري: ٣٢٣/٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ١١٢/٧-١١٣.

(٤) معاني القرآن: ٣٦١/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٥.

(٦) تفسير الطبري: ٣٢٣/٢١.

جبريل فقال مثل مقالته، وأتاه بجواب ما سألوه عنه: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}"(١).

وقال سعيد:" عن سعيد، قال: تكلمت اليهود في صفة الرب، فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا، فأنزل الله على نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} ثم بين للناس عظمته فقال: {وَالأرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون}، فجعل صفتهم التي وصفوا الله بها شركا"(٢).

قوله تعالى:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الزمّر : ٦٧]، أي:" وما عظَّم هؤلاء المشركون اللهَ حق تعظيمه؛ إذ عبدوا معه غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسوَّوا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم(٣).

قال السدي:" ما عظموا الله حقّ عظمته"(٤).

قال مقاتل:" نزلت في المشركين، يقول: وما عظموا الله حق عظمته"(٥).

قال أبو عبيدة:" أي: ما عرفوا الله حقّ معرفته"(٦).

قال ابن قتيبة:" أي: ما وصفوه حق صفته ولا عرفوه حق معرفته. يقال: قدرت الشيء وقدرته. وقدرت فيك كذا وكذا، وقدرته"(٧).

قال سهل:" أي: ما عرفوه حق معرفته في الأصل والفرع"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما عظَّم الله حقّ عظمته، هؤلاء المشركون بالله، الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان"(٩).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : وما قدر المشركون الله حق قدره ، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه ، القادر على كل شيء ، المالك لكل شيء ، وكل شيء تحت قهره وقدرته"(١٠).

قال السعدي:" يقول تعالى: وما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كل وجه، وأفعاله ليس عنده نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئا. فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم"(١١).

عن ابن عباس، قوله: "{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}، قال: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير، فقد قدر الله حقّ قدره، ومن لم يؤمن بذلك، فلم يقدر الله حقّ قدره"(١٢).

قوله تعالى:{وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمّر : ٦٧]، أي: الذي من عظيم قدرته أن جميع الأرض في قبضته يوم القيامة"(١٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضته في يوم القيامة"(١٤).

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢١.
(٢) أخرجه الطبري :٣٢٨/٢١-٣٢٩.
(٣) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢١-٣٢٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٥/٣.
(٦) مجاز القرآن: ٢٠٠/١.
(٧) غريب القرآن: ١٥٦.
(٨) تفسير التستري: ١٣٥.
(٩) تفسير الطبري: ٣٢٣/٢١.
(١٠) تفسير ابن كثير: ١١٣/٧.
(١١) تفسير السعدي: ٧٢٩.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢١.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(١٤) تفسير الطبري: ٣٢٤/٢١.

قال السعدي:أي:" الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن"(١).

عن ابن عباس، قوله: { الأرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}:" يقول: قد قبض الأرضين والسموات جميعا بيمينه. ألم تسمع أنه قال: {مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} يعنى: الأرض والسموات بيمينه جميعا، قال ابن عباس: وإنما يستعين بشماله المشغولة يمينه"(٢).

قال ابن عباس:" ما السموات السبع، والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم"(٣).

وقال الحسن:" كأنها جوزة بقضها وقضيضها"(٤).

قال الضحاك:"السموات والأرض مطويات بيمينه جميعا"(٥).

عن ابن عمر :" أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده ، يحركها يقبل بها ويدبر : "يمجد الرب نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم". فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا : لَيَخِرَّن به"(٦).

عن عبد الله بن مسعود قال : "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد : إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع. فيقول : أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } الآية"(٧).

عن ابن عباس، عن عائشة قالت:" سألت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، عن قوله (وَالأرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، فأين الناس يومئذ؟ قال:«عَلى الصّراطِ»"(٨).

قوله تعالى:{وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمّر : ٦٧]، أي:" والسموات مطويات بيمينه"(٩).

قال السعدي:أي:" وأن السماوات - على سعتها وعظمها - مطويات بيمينه، فلا عظمه حق عظمته من سوَّى به غيره، ولا أظلم منه"(١٠).

عن ربيعة الجُرْسي، قال: "{وَالأرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}، قال: ويده الأخرى خلو ليس فيها شيء"(١١).

قوله تعالى:{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمّر : ٦٧]، أي:" تنزه وتعاظم سبحانه وتعالى عما يشرك به هؤلاء المشركون"(١٢).

---

(١) تفسير السعدي: ٧٢٩.
(٢) اخرجه الطبري: ٣٢٤/٢١.
(٣) اخرجه الطبري: ٣٢٤/٢١.
(٤) اخرجه الطبري: ٣٢٤/٢١.
(٥) اخرجه الطبري: ٣٢٥/٢١.
(٦)المسند (٧٢/٢) وصحيح مسلم برقم (٢٧٨٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٧٦٨٩) وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٧٥).
(٧)صحيح البخاري برقم (٤٨١١). وانظر نحوه في صحيح البخاري برقم (٧٤١٤ ، ٧٤١٥ ، ٧٤٥١) والمسند (٤٢٩/١) وصحيح مسلم برقم (٢٧٨٦) وسنن الترمذي برقم (٣٢٣٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٥١).
(٨) أخرجه الطبري :٣٢٩/٢١.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٥.
(١٠) تفسير السعدي: ٧٢٩.
(١١) اخرجه الطبري: ٣٢٤/٢١.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٦٦.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة لله، وعلوا وارتفاعا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد، القائلون لك: اعبد الأوثان من دون الله، واسجد لآلهتنا"(١).

قال السعدي:"أي: تنزه وتعاظم عن شركهم به"(٢).

قال ابن كثير:" وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة ، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف"(٣).

عن عن أبي مالك الأشعري، قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الله تعالى يقول : ثلاث خلال غَيَّبْتُهُنَّ عن عبادي ، لو رآهن رجل ما عمل سوءًا أبدا : لو كشفت غطائي فرآني حتى نستيقن ويعلم كيف أفعل بخلقي إذا أتيتهم ، وقبضت السموات بيدي ، ثم قبضت الأرض والأرضين ، ثم قلت : أنا الملك ، من ذا الذي له الملك دوني ؟ ثم أريتهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير ، فيستيقنوها. وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ، ولكن عمدا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون ، وقد بينته لهم"(٤).

عن جرير قال : قال رسول الله ﷺ لنفر من أصحابه : "إني قارئ عليكم آيات من آخر سورة الزمر ، فمن بكى منكم وجبت له الجنة" ؟ فقرأها من عند قوله : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } ، إلى آخر السورة ، فمنا من بكى ، ومنا من لم يبك ، فقال الذين لم يبكوا : يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك ؟ فقال : "إني سأقرؤها عليكم فمن لم يبك فليتباك"(٥).

القرآن

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨)} [الزمّر : ٦٨]

التفسير:

ونُفِخ في «القرن» فمات كلُّ مَن في السموات والأرض، إلا مَن شاء الله عدم موته، ثم نفخ المَلَك فيه نفخة ثانية مؤذنًا بإحياء جميع الخلائق للحساب أمام ربهم، فإذا هم قيام من قبورهم ينظرون ماذا يفعل الله بهم؟

قوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [الزمّر : ٦٨]، أي:" ونُفِخ في «القرن» فمات كلُّ مَن في السموات والأرض، إلا مَن شاء الله عدم موته"(٦).

قال ابن كثير:" هذه النفخة هي الثانية ، وهي نفخة الصعق ، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض ، إلا من شاء الله كما هو مصرح به مفسرا في حديث الصور المشهور. ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت ، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخرا بالديمومة والبقاء ، ويقول : { لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ } [غافر : ١٦] ثلاث مرات. ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول : { لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } أي : الذي هو واحد وقد قهر كل شيء ، وحكم بالفناء على كل شيء"(٧).

عن السديّ :"{فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ}، قال: مات"(٨).

---

(١) تفسير السعدي: ٣٢٩/٢١.
(٢) تفسير السعدي: ٧٢٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ١١٣/٧.
(٤)المعجم الكبير(٣٤٤٧):ص ٢٩٤/٣، وفي إسناده : محمد بن إسماعيل بن عياش ، ضعيف ولم يسمع من أبيه.
أبيه.
(٥) اخرجه الطبراني في المعجم الكبير(٢٤٥٩):ص٣٤٨/٢. والبيهقي في الشعب(١٨٩٤):ص٤١٣/٣، وقال: وقال: "إسناده ضعيف". وقال ابن كثير:١١٥/٧:" هذا حديث غريب جدا".
وقال الهيثمي في المجمع (١٠١/٧) : "فيه بكر بن خنيس وهو متروك"
(٦) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٧) تفسير ابن كثير: ١١٧/٧.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٣٠/٢١.

قال سهل:" باطن الآية أن الملائكة إنَّما يؤمرون بالإمساك عن الذكر لا بالنفخة ولا بنزع عزرائيل، لأن الله أحياهم بذكره، كما أحيا بني آدم بأنفاسهم، قال الله تعالى: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لاَ يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: ٢٠] فإذا أمسك الذكر عنهم ماتوا "(١).

وفي «الصور» قولان:

أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه نفختان : إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض ، والثانية لنشر كل مَيْتٍ(٢).

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال إذ سئل عن الصور :"هو قرن يُنفخ فيه"(٣).

عن مجاهد، قوله: "{ونفخ في الصور}، قال: كهيئة البوق"(٤).

عن مجاهد، "{الصور}، البوق"(٥).

وعن مجاهد، قال:" هو القرن، صاحبه آخذ به، فقبض مجاهد قبضتين بكفيه على طف القرن، بين طرفيه، وبين قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار فبرك على ركبة يسراه مقعيا على قدمي عقبه تحت فخذه وإليته وأطراف أصابعه في التراب، قد نصب ركبته اليمنى ووضع قدمها في التراب"(٦).

وحكى ابن قتيبة: أن الصور: القرن، في لغة قوم من أهل اليمن، وأنشد(٧):

نحن نطحنا غداة الجمعين ... بالضابحات في غبار النقعين

نطحا شديدا لا كنطح الصورين(٨).

وأنشد الفراء(٩):

لَوْلا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ تُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُمْ ... وَلا خُرَاسَانَ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ

رجّحه البغوي(١٠)، وقال ابن الجوزي:"وهذا اختيار الجمهور"(١١).

والثاني: أن {الصور}، جمع:« صورة»، يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء والمراد نفخ الأرواح في صور الناس، وهذا قول قتادة(١٢)، وأبي عبيدة(١٣)، ومنه قول النابغة(١٤):

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ... ترى كلّ ملك دونها يتذبذب

عن قتادة، قوله: "{ونفخ في الصور}، أي: في الخلق"(١).

---

(١) تفسير التستري: ١٣٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري:١١/-٤٦٢ وما بعدها، وزاد المسير:٢/٤٤-٤٥.

(٣)حسن صحيح. أخرجه أبوداود ٤٧٤٢ والترمذي ٢٤٣٠ و ٣٢٤٤ والنسائي في«الكبرى» ١١٣١٢ و ١١٣٨١ و ١١٤٥٦ وأحمد ٢/ ١٦٢ و ١٩٢ والدارمي ٢/ ٣٢٥ وابن حبان ٧٣١٢ والحاكم ٢/ ٤٣٦ و ٥٠٦ و ٤/ ٥٦٠ وأبونعيم في«الحلية» ٧/ ٢٤٣ والمزي في«تهذيب الكمال» ٤/ ١٣٠ وابن المبارك في«الزهد» ١٥٩٩.

ورواه الحاكم في المستدرك ٤ : ٥٦٠ ، وقال : " حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي. وحسنه الترمذي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، و "القرن " ، البوق يتخذ من القرون ، ينفخ فيه.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٢٣):ص٢٩٢٩/٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٢٥):ص٢٩٢٩/٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٢٦):ص٢٩٢٩/٩.

(٧)الرجز في«غريب القرآن» : ٢٦ بدوننسبة.

(٨) انظر: غريب القرآن:٢٦.

(٩)لم أعرف قائله، والبيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء:٣٤٠/١، وتفسير الطبري: ٤٦٣/١١، نسب قريش قريش : ٣٤٥ ، المعرب للجواليقي : ٢٦٧ اللسان "صور".

(١٠)انظر: تفسير البغوي:١٥٧/٣.

(١١) زاد المسير:٤٥/٢.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.

(١٣) انظر: مجاز القرآن:١٩٦/١.

(١٤)ديوانه: ١٧، واللسان: ٦/ ٥٣،ومجاز القرآن: ٤،وتفسيرالطبري: ١/ ١٠٥،وتفسيرالقرطبي: ١/ ٦٥ والإتقا:ن ١/ ٨٩.

قال ابن قتيبة:" السورة في هذا البيت سورة المجد. وهي مستعارة من سورة البناء"[٢].
قال ثعلب: "الأجود أن يكون {الصور}: القرن، وظاهر القرآن يشهد أنه ينفخ في الصور مرتين"[٣].

وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصور قرن ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع. والثانية: نفخة الصعق. والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين»[٤].

قال ابن عباس: " يعني: بالصور : النفخة الأولى[٥] ، ألم تسمع أنه يقول : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى يعني الثانية فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [سورة الزمر : ٦٨]"[٦].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : «إن إسرافيلَ قد التقم الصور وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ»[٧]، وأنه قال : «الصور قرن ينفخ فيه»[٨]"[٩].

واختلف أهل التفسير في الذي عنى الله بالاستثناء في هذه الآية، على أقوال:
أحدها: عنى به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وملك الموت يقبض أرواحهم بعد ذلك. قاله السدي[١٠]، ورواه أنس عن النبي-ﷺ-[١١].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.
(٢) غريب القرآن:٣٤.
(٣) زاد المسير:٤٥/٢.
(٤)هو بعض حديث الصور المطول. أخرجه الطبراني في «الطوال» ٣٦، وأبو الشيخ في «العظمة» ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠، والبيهقي في «البعث» ٦٦٨ و ٦٦٩، والطبري ٢/ ٣٣٠ و ٣٣١ و ١٧/ ١١٠ و ٢٤/ ٣٠ و ٦١ و ٣٠/ ٢٦ و ٣١ و ٣٢ وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» ٢٩٩١ من طرق عن إسماعيل بن رافع، وهو واه، فرواه تارة عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة وتارة عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة وتارة عن محمد بن يزيد ابن أبي زيادة عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة. وأيا كان فمداره على إسماعيل بن رافع، ولم يتابعه على هذا الحديث بطوله أحد، وهو واه. جاء في الميزان ٨٧٢: ضعفة أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر اهـ.
باختصار. وقد اضطرب فيه كما سبق. وقد نص الحفاظ على وهن هذا الحديث بطوله فقال الحافظ في «المطالب العالية» ٢٩٩١: فيه ضعف ا. هـ. وقال البوصيري، في ١/ ٢١: تابعيه مجهول. وجاء في الفتح ١١/ ٣٦٨- ٣٦٩ عقب حديث ٦٥١٨ ما ملخصه: وأخرجه عبد بن حميد وأبي يعلى في «الكبير» وعلي بن معبد في «الطاعة والمعصية» ومداره على إسماعيل بن رافع، واضطرب في سنده مع ضعفه، وأخرجه إسماعيل بن أبي زياد الشامي أحد الضعفاء في «تفسيره» عن محمد بن عجلان عن محمد القرظي واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث بإسماعيل بن رافع، وخفي عليه أن الشامي أضعف منه، ولعله سرقه من إسماعيل فلزقه بابن عجلان وقد قال الدارقطني: يضع الحديث. وقد قال الحافظ ابن كثير: جمعه إسماعيل بن رافع من عدة آثار فساقه كله مساقا واحدا ا. هـ. وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع القاضي أبو بكر بن العربي في «سراجه» وتبعه القرطبي في «التذكرة» وقول عبد الحق في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي اهـ كلام الحافظ، وتكلم عليه أيضا ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ٢/ ٢٢٣ و ٢٢٤.
وخلاصة القول: أنه حديث ضعيف بهذا التمام، وبعض ألفاظه في الصحيحين وغيرهما وبعضه في الكتاب المعتبرة وبعضه الآخر منكر لا يتابع عليه انظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٩٠.
(٥) يعني: نفخة الصعق.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٤٣٣):٤٦٤/١١
(٧)رواه الترمذي في باب " ما جاء في الصور " ، وفي أول تفسير سورة الزمر وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٣٣٧ ، ثم قال : " رواه مسلم في صحيحه " ، ولم أستطع أن أعرف مكانه في صحيح مسلم.
(٨) سبقق تخريجه انظر: القول الأول.
(٩) تفسير الطبري:٤٦٣/١١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٠/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٣٠/٢١-٣٣١.

قال ابن فورك:" وقيل: {إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ}، أي: من الملائكة الذين ثبت الله قلوبهم"(١).

عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: {ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله}، فقيل: من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله؟ قال:"جبرائيل وميكائيل، وملك الموت، فإذا قبض أرواح الخلائق قال: يا ملك الموت من بقي؟ وهو أعلم، قال: يقول: سبحانك تباركت ربي ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وميكائيل وملك الموت، قال: يقول يا ملك الموت خذ نفس ميكائيل، قال: فيقع كالطود العظيم، قال: ثم يقول: يا ملك الموت من بقي؟ فيقول: سبحانك ربي يا ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وملك الموت، قال: فيقول: يا ملك الموت مت، قال: فيموت، قال: ثم يقول: يا جبريل من بقي؟ قال: فيقول جبريل: سبحانك ربي يا ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل، وهو من الله بالمكان الذي هو به، قال: فيقول يا جبريل لا بد من موتة، قال: فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، أنت الباقي وجبريل الميت الفاني: قال: ويأخذ روحه في الحلقة التي خلق منها، قال: فيقع على ميكائيل أن فضل خلقه على خلق ميكائيل كفضل الطود العظيم على الظرب من الظراب"(٢).

الثاني: انهم الشهداء. قاله سعيد بن جبير(٣)، ورواه ابو هريرة مرفوعا إلى النبي-ﷺ-(٤).

قال سعيد:" الشهداء ثنية الله حول العرش، متقلدين السيوف"(٥).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال : "سألت جبريل ، عليه السلام ، عن هذه الآية : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟ قال : هم الشهداء ، مقلدون أسيافهم حول عرشه ، تتلقاهم ملائكة يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير ، مَدُّ خطاها مد أبصار الرجال ، يسيرون في الجنة يقولون عند طول النزهة : انطلقوا بنا إلى ربنا ، عز وجل ، لننظر كيف يقضي بين خلقه ، يضحك إليهم إلهي ، وإذا ضحك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه"(٦).

الثالث : عنى بالاستثناء في الفزع: الشهداء، وفي الصعق: جبريل، وملك الموت، وحملة العرش. رواه أبو هريرة عن النبي-ﷺ-(٧).

عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ:"ينفخ في الصور ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين تبارك وتعالى، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، فتفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله"، قال أبو هريرة: يا رسول الله، فمن استثنى حين يقول: {ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله} قال:"أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فيقول: انفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم خامدون، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار تبارك وتعالى فيقول: يا رب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت، فيقول له وهو أعلم. فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقي حملة عرشك، وبقي جبريل وميكائيل، فيقول

---

(١) تفسير ابن فورك:٣٢٥/١.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٣٠/٢١-٣٣١.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢١.
(٤) كما سياتي تخريجه.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢١.
(٦) رواه ابو يعلى كما في تفسير ابن كثير: ١١٧/٧، وورواه الحاكم في المستدرك (٢٥٣/٢) من طريق أبي أسامة عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم بنحوه ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢١-٣٣٢.

الله له: اسكت إني كتبت الموت على من كان تحت عرشي، ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله وهو أعلم: فمن بقي؟ فيقول بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقي حملة عرشك، وبقيت أنا، فيقول الله: فليمت حملة العرش، فيموتون، ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور. فيقول: أي رب قد مات حملة عرشك، فيقول: من بقي؟ وهو أعلم، فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت أنا، قال: فيقول الله: أنت من خلقي خلقتك لما رأيت، فمت لا تحيى، فيموت"(١).

قال الطبري:" وهذا القول الذي روي في ذلك عن رسول الله ﷺ أولى بالصحة، لأن الصعقة في هذا الموضع: الموت. والشهداء وإن كانوا عند الله أحياء كما أخبر الله تعالى ذكره فإنهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك. وإنما عنى جل ثناؤه بالاستثناء في هذا الموضع، الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق، لا من الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل، وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من قد هلك، وذاق الموت قبل وقت نفخة الصعق، وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك، فذاق الموت من قبل ذلك، لأنه ممن لا يصعق في ذلك الوقت إذا كان الميت لا يجدد له موت آخر في تلك الحال"(٢).

قوله تعالى:{ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمّر : ٦٨]، أي:" ثم نفخ المَلَك فيه نفخة ثانية مؤذنًا بإحياء جميع الخلائق للحساب أمام ربهم، فإذا هم قيام من قبورهم ينظرون ماذا يفعل الله بهم"(٣).

قال الطبري:" ذكر لنا أنه يبعث في تلك الأربعين مطر يقال له مطر الحياة، حتى تطيب الأرض وتهتز، وتنبت أجساد الناس نبات البقل، ثم ينفخ فيه الثانية {فإذا هم قيام ينظرون}، يقول: فإذا من صعق عند النفخة التي قبلها وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتا قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم من الأرض أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم"(٤).

قال ابن كثير:" ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل ، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى ، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث، قال تعالى : { ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } أي : أحياء بعد ما كانوا عظاما ورفاتا ، صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة ، كما قال تعالى : { فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ } [النازعات : ١٤ ، ١٣] ، وقال تعالى : { يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا } [الإسراء : ٥٢] ، وقال تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ } [الروم : ٢٥]"(٥).

عن عكرمة في قوله: "{فصعق من في السماوات ومن في الأرض}، ... الآية، قال: الأولى من الدنيا، والأخيرة من الآخرة"(٦).

عن السدي: "{فإذا هم قيام ينظرون}، قال: حين يبعثون"(٧).

قال السمعاني:" أي: ينظرون ماذا يؤمر في حقهم"(٨).

عن ابي هريرة، عن النبي ﷺ قال : "بين النفختين أربعون". قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يوما ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبي ، قالوا : أربعون شهرا ؟ قال : أبيت ، ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجْبُ ذنبه فيه يركب الخلق"(٩).

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢١-٣٣٢.
(٢) تفسير الطبري: ٣٣٢/٢١.
(٣) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٤) تفسير الطبري: ٣٣٤/٢١.
(٥) تفسير ابن كثير: ١١٧/٧.
(٦) اخرجه الطبري: ٣٣٤/٢١.
(٧) اخرجه الطبري: ٣٣٤/٢١.
(٨) تفسير السمعاني: ٤٨١/٤.
(٩)صحيح البخاري برقم (٤٨١٤).

عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال : سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو : إنك تقول : الساعة تقوم إلى كذا وكذا ؟ قال : لقد هممت ألا أحدثكم شيئا ، إنما قلت : سترون بعد قليل أمرا عظيما. ثم قال عبد الله بن عمرو : قال رسول الله ﷺ : "يخرج الدجال في أمتي ، فيمكث فيهم أربعين - لا أدري أربعين يوما أو أربعين عاما أو أربعين شهرا أو أربعين ليلة - فيبعث الله عيسى ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود الثقفي ، فيظهر فيهلكه الله. ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام ، فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه". قال : سمعتها من رسول الله ﷺ : "ويبقى شرار الناس في خفة الطير ، وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفا ، ولا ينكرون منكرا". قال : "فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها ، وهم في ذلك دارة أرزاقهم ، حسن عيشهم. ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى له ، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه ، فيصعق ، ثم لا يبقى أحد إلا صعق. ثم يرسل الله - أو : ينزل الله مطرا كأنه الطل - أو الظل شك نعمان - فتنبت منه أجساد الناس. ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس ، هلموا إلى ربكم : { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ } [الصافات : ٢٤] ، قال : "ثم يقال : أخرجوا بعث النار". قال : "فيقال : كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيبا ، ويومئذ يكشف عن ساق"(١).

القرآن

{وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩)} [الزمّر : ٦٩]

التفسير:

وأضاءت الأرض يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء، ونشرت الملائكة صحيفة كل فرد، وجيء بالنبيين والشهود على الأمم؛ ليسأل الله النبيين عن التبليغ وعما أجابتهم به أممهم، كما تأتي أمة محمد ﷺ؛ لتشهد بتبليغ الرسل السابقين لأممهم إذا أنكرت هذا التبليغ، فتقوم الحجة على الأمم، وقضى ربُّ العالمين بين العباد بالعدل التام، وهم لا يُظلمون شيئًا بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

قوله تعالى:{وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا} [الزمّر : ٦٩]، أي:" وأضاءت الأرض يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأضاءت الأرض بنور ربها، وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه"(٣).

قال ابن كثير:" أي : أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق ، تبارك وتعالى ، للخلائق لفصل القضاء"(٤).

قال السعدي:" علم من هذا، أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة وتضمحل، وهو كذلك، فإن الله أخبر أن الشمس تكور، [ص:٧٣٠] والقمر يخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمة، فتشرق عند ذلك الأرض بنور ربها، عندما يتجلى وينزل للفصل بينهم، وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشئهم نشأة يَقْوَوْنَ على أن لا يحرقهم نوره، ويتمكنون أيضا من رؤيته، وإلا فنوره تعالى عظيم، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"(٥).

---

(١)المسند (١٦٦/٢) وصحيح مسلم برقم (٢٩٤٠).
(٢) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٣) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢١.
(٤) تفسير ابن كثير: ١١٨/٧.
(٥) تفسير السعدي: ٧٢٩.

قال سهل:" قلوب المؤمنين يوم القيامة تشرق بتوحيد سيدهم، والاقتداء بسنة نبيهم صلّى الله عليه وسلّم "[١].

قال ابن الجوزي:" المراد بالأرض: عرصات القيامة"[٢].

عن السدي: "{وأشرقت الأرض بنور ربها}، قال: أضاءت"[٣].

عن قتادة، قوله: "{وأشرقت الأرض بنور ربها}، قال: فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه"[٤].

قال السمعاني:" {وأشرقت الأرض بنور ربها} أي: بنور خالقها ومالكها، وعن الحسن: بعدل ربها، ويقال: يخلق الله نورا؛ فتشرق به أرض القيامة"[٥].

قوله تعالى:{وَوُضِعَ الْكِتَابُ} [الزمّر : ٦٩]، أي:" ونشرت الملائكة صحيفة كل فرد"[٦].

قال قتادة:" كتب أعمالهم"[٧].

وقال السدي:" الحساب"[٨].

قال الطبري:" يعني: كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم"[٩].

قال مقاتل:" الذي عملوا فى أيديهم ليقرؤه"[١٠].

قال السعدي:" أي: كتاب الأعمال وديوانه، وضع ونشر، ليقرأ ما فيه من الحسنات والسيئات، كما قال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} ويقال للعامل من تمام العدل والإنصاف: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}"[١١].

قوله تعالى:{وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ} [الزمّر : ٦٩]، أي:" وجيء بالنبيين والشهود على الأمم"[١٢].

قال مقاتل:" {وجيء بالنبيين} فشهدوا عليهم بالبلاغ، {والشهداء}، يعني: الحفظة من الملائكة فشهدوا عليهم بأعمالهم التي عملوها"[١٣].

قال الطبري:" يقول: وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم، وردت عليهم في الدنيا، حين أتتهم رسالة الله، والشهداء، يعني بالشهداء: أمة محمد ﷺ، ويستشهدهم ربهم على الرسل، فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم إلى أممها، إذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله"[١٤].

قال السعدي:" {وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ} ليسألوا عن التبليغ، وعن أممهم، ويشهدوا عليهم. {وَالشُّهَدَاءِ} من الملائكة، والأعضاء والأرض"[١٥].

---

(١) تفسير التستري: ١٣٥.
(٢) زاد المسير: ٢٦/٤.
(٣) اخرجه الطبري: ٣٣٥/٢١.
(٤) اخرجه الطبري: ٣٣٥/٢١.
(٥) تفسير السمعاني: ٤٨١/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٧) اخرجه الطبري: ٣٣٥/٢١.
(٨) اخرجه الطبري: ٣٣٥/٢١.
(٩) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢١.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٨/٣.
(١١) تفسير السعدي: ٧٢٩.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٨/٣.
(١٤) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢١.
(١٥) تفسير السعدي: ٧٢٩.

قال ابن كثير:" {وَالشُّهَدَاءِ}، أي : الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر"(١).

عن ابن عباس، قوله :"{وجيء بالنبيين والشهداء}، فإنهم ليشهدون للرسل بتبليغ الرسالة، وبتكذيب الأمم إياهم"(٢).

وعن السدي: "{وجيء بالنبيين والشهداء}: الذين استشهدوا في طاعة الله"(٣).

قوله تعالى:{وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الزمّر : ٦٩]، أي:" وقضى ربُّ العالمين بين العباد بالعدل التام، وهم لا يُظلمون شيئًا بنقص ثواب أو زيادة عقاب"(٤).

قال الطبري:" وقضي بين النبيين وأممها بالحق، وقضاؤه بينهم بالحق، أن لا يحمل على أحد ذنب غيره، ولا يعاقب نفسا إلا بما كسبت"(٥).

قال السمعاني:" {وقضى بينهم بالحق} أي: بالعدل، وقوله: {وهم لا يظلمون} أي: لا يزاد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم"(٦).

قال السعدي:" أي: العدل التام والقسط العظيم، لأنه حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة، ومن هو محيط بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، والحفظة الكرام، والذين لا يعصون ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه، وأعدل الشهداء قد شهدوا على ذلك الحكم، فحكم بذلك من يعلم مقادير الأعمال ومقادير استحقاقها للثواب والعقاب. فيحصل حكم يقر به الخلق، ويعترفون لله بالحمد والعدل، ويعرفون به من عظمته وعلمه وحكمته ورحمته ما لم يخطر بقلوبهم، ولا تعبر عنه ألسنتهم"(٧).

قال ابن كثير:" { وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ } أي : بالعدل { وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ } قال الله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء : ٤٧] ، وقال الله تعالى : { وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء : ٤٠]"(٨).

القرآن

{وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)} [الزمّر : ٧٠]

التفسير:

ووفَّى الله كلَّ نفس جزاء عملها من خير وشر، وهو سبحانه وتعالى أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية.

قوله تعالى:{وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ} [الزمّر : ٧٠]، أي:" ووفَّى الله كلَّ نفس جزاء عملها من خير وشر"(٩).

قال ابن كثير:" أي : من خير أو شر"(١٠).

قال الطبري:" ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر"(١١).

قوله تعالى:{وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ} [الزمّر : ٧٠]، أي:" وهو سبحانه وتعالى أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير: ١١٨/٧.
(٢) اخرجه الطبري: ٣٣٦/٢١.
(٣) اخرجه الطبري: ٣٣٦/٢١.
(٤) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٥) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢١.
(٦) تفسير السمعاني: ٤٨٢/٤.
(٧) تفسير السعدي: ٧٢٩.
(٨) تفسير ابن كثير: ١١٨/٧.
(٩) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(١٠) تفسير ابن كثير: ١١٨/٧.
(١١) تفسير الطبري: ٣٣٧/٢١.

قال الطبري:" وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية، ولا يعزب عنه علم شيء من ذلك، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة، فمثيب المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء"(٢).

قال مقاتل:" يقول الرب- تبارك وتعالى- أعلم بأعمالهم من النبيين والحفظة"(٣).

فوائد الآيات: [٦٧-٧٠]:

١- بيان مظاهر عظمة الرب تعالى التي يتنافى معها الشرك به عز وجل في عباداته.

٢- تقرير البعث والجزاء ببيان أحواله وما يجري فيه.

٣- بيان عدالة الله في قضائه بين عباده في عرصات القيامة.

٤- فضيلة هذه الأمة بقبولها شاهدة على الأمم التي سبقتها.

القرآن

{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)} [الزمّر : ٧١]

التفسير:

وسيق الذين كفروا بالله ورسله إلى جهنم جماعات، حتى إذا جاؤوها فتح الخزنة الموكَّلون بها أبوابها السبعة، وزجروهم قائلين: كيف تعصون الله وتجحدون أنه الإله الحق وحده؟ ألم يرسل إليكم رسلا منكم يتلون عليكم آيات ربكم، ويحذِّرونكم أهوال هذا اليوم؟ قالوا مقرين بذنبهم: بلى قد جاءت رسل ربنا بالحق، وحذَّرونا هذا اليوم، ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به.

قوله تعالى:{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا} [الزمّر : ٧١]،أي:" وسيق الذين كفروا بالله ورسله إلى جهنم جماعات"(٤).

قال الطبري:" يقول: وحشر الذين كفروا بالله إلى ناره التي أعدها لهم يوم القيامة جماعات، جماعة جماعة، وحزبا حزبا"(٥).

عن قتادة قوله: "{زمرا}، قال: جماعات"(٦).

قال ابن زيد:" كان سوق أولئك عنفا وتعبا ودفعا، ، وقرأ: {يوم يدعون إلى نار جهنم دعا}، قال: يدفعون دفعا، وقرأ: {فذلك الذي يدع اليتيم}. قال: يدفعه، وقرأ (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا "(٧).

قال أبو حيان:" السوق: يقتضي الحث على المسير بعنف، وهو الغالب فيه"(٨).

قال ابن كثير:" وإنما يساقون سوقا عنيفا بزجر وتهديد ووعيد ، كما قال تعالى : { يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا } [الطور : ١٣] أي : يدفعون إليها دفعا. هذا وهم عطاش ظماء ، كما قال في الآية الأخرى : { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا } [مريم : ٨٦ ، ٨٥]. وهم في تلك الحال صُمٌّ وبكم وعمي ، منهم من يمشي على وجهه ، { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } [الإسراء : ٩٧]"(٩).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٢) تفسير الطبري: ٣٣٧/٢١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٨/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٥) تفسير الطبري: ٣٣٧/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢١.

(٨) البحر المحيط: ٢٢٤/٩.

(٩) تفسير ابن كثير: ١١٨/٧.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمّر : ٧١]، أي:" حتى إذا وصلوا إليها فتحت أبواب جهنم فجأة لتستقبلهم"[١].
قال الطبري:" {أبوابها}: السبعة"[٢].
قال ابن كثير:" أي : بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعا ، لتعجل لهم العقوبة"[٣].
قال أبو حيان:" جواب {إذا}: {فتحت أبوابها}، ودل ذلك على أنه لا يفتح إلا إذا جاءت كسائر أبواب السجون، فإنها لا تزال مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فيفتح ثم يغلق عليهم"[٤].
قوله تعالى:{وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ} [الزمّر : ٧١]، أي:" وقال لهم خزنة جهنم تقريعاً وتوبيخاً: ألم يأتكم رسلٌ من البشر يتلون عليكم آيات ربكم"[٥].
قال أبو حيان:" وقال لهم خزنتها، على سبيل التقريع والتوبيخ: {ألم يأتكم رسل} من جنسكم، تفهمون ما ينبئونكم به، وسهل عليكم مراجعتهم، {يتلون عليكم آيات ربكم}، أي: الكتب المنزلة للتبشير والنذارة"[٦].
قال ابن كثير:" ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية - الذين هم غلاظ الأخلاق ، شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل - : { أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ } أي : من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم ، { يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ } أي : يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه"[٧].
قال الطبري:" {خزنتها}: قوامها، {آيات ربكم}: كتاب الله المنزل على رسله وحججه التي بعث بها رسله إلى أممهم"[٨].
قوله تعالى:{وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} [الزمّر : ٧١]، أي:" ويحذِّرونكم أهوال هذا اليوم؟"[٩].
قال الطبري:" يقول: وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا، وقد يحتمل أن يكون معناه: وينذرونكم مصيركم إلى هذا اليوم"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : ويحذرونكم من شر هذا اليوم؟"[١١].
قال أبو حيان:" وهو يوم القيامة، وما يلقى فيه المسمى من العذاب"[١٢].
قوله تعالى:{قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [الزمّر : ٧١]، أي:" قالوا مقرين بذنبهم: بلى قد جاءت رسل ربنا بالحق، وحذَّرونا هذا اليوم، ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به"[١٣].
قال الطبري:" يقول: قال الذين كفروا مجيبين لخزنة جهنم: بلى قد أتتنا الرسل منا، فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم، ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به علينا بكفرنا به"[١].

---

(١) صفوة التفاسير: ٨١/٣.
(٢) تفسير الطبري: ٣٣٧/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ١١٨/٧.
(٤) البحر المحيط: ٢٢٤/٩.
(٥) انظر: صفوة التفاسير: ٨١/٣، والتفسير الميسر: ٤٦٦.
(٦) البحر المحيط: ٢٢٤/٩.
(٧) تفسير ابن كثير: ١١٨/٧.
(٨) تفسير الطبري: ٣٣٧/٢١.
(٩) انظر: صفوة التفاسير: ٨١/٣، والتفسير الميسر: ٤٦٦.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٣٧/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ١١٨/٧.
(١٢) البحر المحيط: ٢٢٤/٩.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٦٦.

قال ابن كثير:" فيقول الكفار لهم : { بَلَى } أي : قد جاءونا وأنذرونا ، وأقاموا علينا الحجج والبراهين ، { وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} أي : ولكن كذبناهم وخالفناهم ، لما سبق إلينا من الشِّقْوة التي كنا نستحقها حيث عَدَلْنا عن الحق إلى الباطل ، كما قال تعالى مخبرا عنهم في الآية الأخرى : { كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نزلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملك : ٨ - ١٠] ، أي : رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة { فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملك : ١١] أي : بعدا لهم وخسارا"(٢).

قال أبو حيان:" أي: قد جاءتنا، وتلوا وأنذروا، وهذا اعتراف بقيام الحجة عليهم، ولكن حقت كلمة العذاب أي قوله تعالى: {لأملأن جهنم}. {على الكافرين}: وضع الظاهر موضع المضمر، أي: علينا، صرحوا بالوصف الموجب لهم العقاب"(٣).

عن قتادة، قوله: "{ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين}، بأعمالهم"(٤).

القرآن

{قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)} [الزمّر : ٧٢]

التفسير:

قيل للجاحدين أن الله هو الإله الحق إهانة لهم وإذلالا: ادخلوا أبواب جهنم ماكثين فيها أبدًا، فقَبُح مصير المتعالين على الإيمان بالله والعمل بشرعه.

قوله تعالى:{قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا} [الزمّر : ٧٢]، أي:" قيل للجاحدين أن الله هو الإله الحق إهانة لهم وإذلالا: ادخلوا أبواب جهنم ماكثين فيها أبدًا"(٥).

قال الطبري:" فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ: {ادخلوا أبواب جهنم} السبعة على قدر منازلكم فيها ماكثين فيها، لا ينقلون عنها إلى غيرها"(٦).

قال ابن كثير:" أي : كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ؛ ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين، بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم مستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به ؛ ولهذا قال جل وعلا { قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا } أي : ماكثين فيها لا خروج لكم منها ، ولا زوال لكم عنها"(٧).

قوله تعالى:{فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمّر : ٧٢]، أي:" فقَبُح مصير المتعالين على الإيمان بالله والعمل بشرعه"(٨).

قال الطبري:" يقول: فبئس مسكن المتكبرين على الله في الدنيا، أن يوحدوه ويفردوا له الألوهة، جهنم يوم القيامة"(٩).

قال ابن كثير:" أي : فبئس المصير وبئس المقيل لكم ، بسبب تكبركم في الدنيا ، وإبائكم عن اتباع الحق ، فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه ، فبئس الحال وبئس المآل"(١٠).

القرآن

---

(١) تفسير الطبري: ٢١/٣٣٧.
(٢) تفسير ابن كثير: ٧/١١٨-١١٩.
(٣) البحر المحيط: ٩/٢٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢١/٣٣٧.
(٥) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٦) تفسير الطبري: ٢١/٣٣٧-٣٣٨.
(٧) تفسير ابن كثير: ٧/١١٩.
(٨) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٩) تفسير الطبري: ٢١/٣٣٨.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٧/١١٩.

{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)} [الزمّر : ٧٣]

التفسير:

وسيق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته إلى الجنة جماعات، حتى إذا جاؤوها وشُفع لهم بدخولها، فتحت أبوابها، فترحّب بهم الملائكة الموكَّلون بالجنة، ويُحَيُّونهم بالبِشر والسرور؛ لطهارتهم من آثار المعاصي قائلين لهم: سلام عليكم، وسلمتم من كل آفة، طابت أحوالكم، فادخلوا الجنة خالدين فيها.

قوله تعالى:{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا} [الزمّر : ٧٣]، أي:" وسيق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته إلى الجنة جماعات"(١).

قال ابن زيد:" فهؤلاء وفد الله"(٢).

قال الطبري: يقول: " وحشر الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا، وأخلصوا له فيها الألوهة، وأفردوا له العبادة، فلم يشركوا في عبادتهم إياه شيئا {إلى الجنة} جماعات، فكان سوق هؤلاء إلى منازلهم من الجنة وفدا على نجائب من نجائب الجنة، وسوق الآخرين إلى النار دعا وورداً، كما قال الله"(٣).

قال ابن كثير:" وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا إلى الجنة { زُمَرًا } أي : جماعة بعد جماعة : المقربون ، ثم الأبرار ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم ، والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف ، كل زمرة تناسب بعضها بعضا"(٤).

قال أبو حيان:" عبّر عن الإسراع بهم إلى الجنة مكرمين بالسوق، والمسوق دوابهم، لأنهم لا يذهبون إليها إلا راكبين"(٥).

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق؟

قلت: المراد بسوق أهل النار: طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل. والمراد بسوق أهل الجنة: سوق مراكبهم، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحثها إسراعا بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرّم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين"(٦).

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَاَ} [الزمّر : ٧٣]، أي:" حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابُها"(٧).

قال ابن كثير:" أي : وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة ، وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم بالدخول ، فيقصدون ، آدم ، ثم نوحا ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم محمدا ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله ، عز وجل ، أن يأتي لفصل القضاء ، ليظهر شرف محمد ﷺ على سائر البشر في المواطن كلها"(٨).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢١.
(٣) تفسير الطبري: ٣٣٨/٢١.
(٤) تفسير ابن كثير: ١١٩/٧.
(٥) البحر المحيط: ٢٢٤/٩.
(٦) الكشاف: ١٤٧/٤.
(٧) صفوة التفاسير: ٨١/٣.
(٨) تفسير ابن كثير: ١١٩/٧.

عن أنس ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : " «أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»[١].

وقال رسول الله-ﷺ-:«آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد. قال : يقول : بك أُمِرْتُ ألا أفتح لأحد قبلك»[٢].

عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : «أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يمتخطون فيها ، ولا يتغوطون فيها. آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن. لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا»[٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : "أول زُمْرَة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على ضوء أشدُّ كوكب دُرِّي في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتْفلون ولا يمتخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعا في السماء"[٤].

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : "يدخل الجنة من أمتي زُمْرَة ، هم سبعون ألفا ، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر". فقام عُكَّاشة بن مِحْصَن فقال : يا رسول الله ادع الله ، أن يجعلني منهم : فقال : "اللهم اجعله منهم". ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم. فقال ﷺ : "سبقك بها عُكَّاشة"[٥].

عن سهل بن سعد ، أن رسول الله ﷺ قال : "ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا - أو : سبعمائة ألف - آخذٌ بعضهم ببعض ، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر"[٦].

عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : "وعدني ربي ، عز وجل ، أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا ، مع كل ألف سبعون ألفا ، ولا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حَثَيَات من حثيات ربي عز وجل"[٧].

عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : "من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله ، دعي من أبواب الجنة ، وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دُعِي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان" فقال أبو بكر ، رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ، ما على أحد من ضرورة دُعي ، من أيها دعي ، فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : "نعم ، وأرجو أن تكون منهم"[٨].

---

(١)صحيح مسلم برقم (١٩٦):ص١٨٨/١.

(٢)المسند (٣١٦/٢) وصحيح مسلم برقم (١٩٧).

(٣)المسند (٣١٦/٢) وصحيح البخاري برقم (٣٢٢٥) وصحيح مسلم برقم (٢٨٣٤).

(٤)مسند أبي يعلى (٤٧٠/١٠)، وأخرجه الشيخان من حديث جرير، انظر: صحيح البخاري برقم (٣٣٢٧) وصحيح مسلم برقم (٢٨٣٤)

(٥)صحيح البخاري برقم (٦٥٤٢) وصحيح مسلم برقم (٢١٥).

(٦)صحيح البخاري برقم (٦٥٥٤) وصحيح مسلم برقم (٢١٩).

(٧)المصنف لابن ابي شيبة (٤٧١/١١) ورواه الترمذي في السنن برقم (٢٤٣٧) من طريق إسماعيل بن عياش عياش به ، وقال : "هذا حديث حسن غريب".
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٦/١٧ ، ١٢٧)، عن عتبة بن عَبْدٍ السُّلمي : "ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفا".

(٨)المسند (٢٦٨/٢) وصحح البخاري برقم (٣٦٦٦) وصحيح مسلم برقم (١٠٢٧).

عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : "إن في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان ، لا يدخله إلا الصائمون"(١).

عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو : فيسبغ الوضوء - ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء"(٢).

عن معاذ ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "مفتاح الجنة : لا إله إلا الله"(٣).

وفي جواب {إذا} في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر : ٧٣]، ثلاثة وجوه(٤):

أحدها- قوله: {وفتحت} والواو زائدة. وهو رأي الكوفيين والأخفش(٥).

قال السمين:" وإنما جيء هنا بالواو دون التي قبلها؛ لأن أبواب السجون مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها، بخلاف أبواب السرور والفرح فإنها تفتح انتظارا لمن يدخلها"(٦).

الثاني- أن الجواب قوله: {وقال لهم خزنتها}، على زيادة الواو أيضا.

الثالث- أن الجواب محذوف.

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: الجواب متروك"(٧).

قال الزمخشري:" وإنما حذف، لأنه صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف، وحق موقعه ما بعد خالدين"(٨).

قال السمين:" يعني لأنه يجيء بعد متعلقات الشرط وما عطف عليه، والتقدير: اطمأنوا. وقدره المبرد: «سعدوا» . وعلى هذين الوجهين فتكون الجملة من قوله: و «فتحت» في محل نصب على الحال"(٩).

قال القشيري:" وإذا وافوا الجنة تكون الأبواب مفتّحة لئلا يصيبهم نصب الانتظار"(١٠).

قوله تعالى:{وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} [الزمّر : ٧٣]، أي:" وقال لهم حراس الجنة: سلامٌ عليكم أيها المتقون الأبرار"(١١).

قوله تعالى:{طِبْتُمْ} [الزمّر : ٧٣]، أي:" طهرتم من دنس المعاصي والذنوب"(١٢).

عن مجاهد :"{طبتم}، قال: كنتم طيبين في طاعة الله"(١٣).

قال الزمخشري:" {طِبْتُمْ} من دنس المعاصي، وطهرتم من خبث الخطايا"(١٤).

---

(١)صحيح البخاري برقم (١٨٩٦) وصحيح مسلم برقم (١١٥٢).
(٢)صحيح مسلم برقم (٢٣٤).
(٣) رواه الحسن بن عرفة كما في تفسير ابن كثير: ١٢٢/٧، ورواه أحمد في مسنده (٢٤٢/٥) من طريق إسماعيل بن عياش به ، وشهر بن حوشب فيه كلام ولم يسمع من معاذ.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٤١/٢١، والدر المصون: ٤٤٧/٩، والبحر المحيط: ٢٢٤/٩.
(٥) انظر: الدر المصون: ٤٤٧/٩.
(٦) محاسن التأويل: ٢٩٧/٨.
(٧) تفسير الطبري: ٣٤١/٢١.
(٨) الكشاف: ١٤٧/٤. وقال:" وقيل: حتى إذا جاؤها، جاؤها وفتحت أبوابها، أى: مع فتح أبوابها".
(٩) محاسن التأويل: ٢٩٧/٨.
(١٠) لطائف الإشارات: ٢٩٣/٣.
(١١) صفوة التفاسير: ٨٢/٣.
(١٢) صفوة التفاسير: ٨٢/٣.[بتصرف]
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢١.
(١٤) الكشاف: ١٤٧/٤.

قال ابن كثير:" أي : طابت أعمالكم وأقوالكم ، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم ، كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادى بين المسلمين في بعض الغزوات : «إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة». وفي رواية : "مؤمنة»(١)"(٢).

قال القشيري:" {طِبْتُمْ}، أي: أنهم يساقون إلى الجنة بلطف دون عنف"(٣).

قوله تعالى:{فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمّر : ٧٣]، أي:" فادخلوا الجنة خالدين فيها"(٤).

قال ابن كثير:" أي : ماكثين فيها أبدا ، لا يبغون عنها حولا "(٥).

قال الزمخشري:" جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة، فما هي إلا دار الطيبين ومثوى الطاهرين، لأنها دار طهرها الله من كل دنس، وطيبها من كل قذر، فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها، فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة، وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة، إلا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا، تنقى أنفسنا من درن الذنوب، وتميط وضر هذه القلوب"(٦).

قال علي بن ابي طالب-رضي الله عنه-:"حتى إذا انتهوا إلى بابها، إذا هم بشجرة يخرج من أصلها عينان، فعمدوا إلى إحداهما، فشربوا منها كأنما أمروا بها، فخرج ما في بطونهم من قذر أو أذى أو قذى، ثم عمدوا إلى الأخرى، فتوضئوا منها كأنما أمروا به، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تشعث رءوسهم بعدها أبدا ولن تبلى ثيابهم بعدها، ثم دخلوا الجنة، فتلقتهم الولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون، فيقولون: أبشر، أعد الله لك كذا، وأعد لك كذا وكذا، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه جندل اللؤلؤ الأحمر والأصفر والأخضر، يتلألأ كأنه البرق، فلولا أن الله قضى أن لا يذهب بصره لذهب، ثم يأتي بعضهم إلى بعض أزواجه، فيقول: أبشري قد قدم فلان بن فلان، فيسميه باسمه واسم أبيه، فتقول: أنت رأيته، أنت رأيته! فيستخفها الفرح حتى تقوم، فتجلس على أسكفة بابها، فيدخل فيتكئ على سريره، ويقرأ هذه الآية: {الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله} ... الآية"(٧).

القرآن

{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤)} [الزمّر : ٧٤]

التفسير:

وقال المؤمنون: الحمد لله الذي صدَقنا وعده الذي وعدَنا إياه على ألسنة رسله، وأورثَنا أرض الجنة نَنْزِل منها في أيِّ مكان شئنا، فنِعمَ ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم.

قوله تعالى:{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ} [الزمّر : ٧٤]، أي:" وقال المؤمنون: الحمد لله الذي صدَقنا وعده الذي وعدَنا إياه على ألسنة رسله"(٨).

قال الطبري:" يقول وقال الذين سيقوا زمرا ودخلوها: الشكر خالص لله الذي صدقنا وعده، الذي كان وعدناه في الدنيا على طاعته، فحققه بإنجازه لنا اليوم"(٩).

قال ابن كثير:" أي : يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر ، والعطاء العظيم ، والنعيم المقيم ، والملك الكبير ، يقولون عند ذلك : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ } أي :

---

(١)رواه النسائي في السنن (٢٣٤/٥) من حديث أبي هريرة.
(٢) تفسير ابن كثير: ١٢٢/٧.
(٣) لطائف الإشارات: ٢٩٣/٣.
(٤) صفوة التفاسير: ٨٢/٣.[بتصرف]
(٥) تفسير ابن كثير: ١٢٣/٧.
(٦) الكشاف: ١٤٧/٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢١-٣٣٩.
(٨) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٩) تفسير الطبري: ٣٤٢/٢١.

الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام ، كما دعوا في الدنيا : { رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ } [آل عمران : ١٩٤] ، { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } [الأعراف : ٤٣] ، { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ } [فاطر : ٣٥ ، ٣٤]"[(١)].

قوله تعالى:{وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ} [الزمّر : ٧٤]، أي:" وأورثَنا أرض الجنة"[(٢)].

قال الطبري:" يقول: وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا، فدخلوها، ميراثا لنا عنهم"[(٣)].

قال ابن كثير:" وهذه الآية كقوله : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } [الأنبياء : ١٠٥]"[(٤)].

عن قتادة، قوله: "{وأورثنا الأرض}، قال: أرض الجنة"[(٥)]. وروي عن السدي وابن زيد مثله[(٦)].

قال القشيري:" هؤلاء قوم مخصوصون، والذين هم قوم «الغرف» أقوام آخرون"[(٧)].

قوله تعالى:{نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ} [الزمّر : ٧٤]، أي:" نَنْزِل من الجنة في أيِّ مكان شئنا"[(٨)].

قال الطبري:" يقول: نتخذ من الجنة بيتا، ونسكن منها حيث نحب ونشتهي"[(٩)].

قال ابن كثير:" أي : أين شئنا حللنا" [(١٠)].

قال السدي:" ننزل منها حيث نشاء"[(١١)].

قال الزمخشري:" أطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن، تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه، وذهابه في إنفاقه طولا وعرضا"[(١٢)].

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما معنى قوله: {حَيْثُ نَشاءُ}، وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره؟

قلت: يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة، فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره"[(١٣)].

قوله تعالى:{فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [الزمّر : ٧٤]، أي:" فنِعم ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم"[(١٤)].

قال الطبري:" يقول: فنعم ثواب المطيعين لله، العاملين له في الدنيا الجنة لمن أعطاه الله إياها في الآخرة"[(١٥)].

قال ابن كثير:" فنعم الأجر أجرنا على عملنا"[(١٦)].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٢٣/٧.
(٢) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٣) تفسير الطبري: ٣٤٢/٢١.
(٤) تفسير ابن كثير: ١٢٣/٧.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢١.
(٦) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٧) لطائف الإشارات: ٢٩٣/٣.
(٨) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٩) تفسير الطبري: ٣٤٢/٢١.
(١٠) تفسير ابن كثير: ١٢٣/٧.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢١.
(١٢) الكشاف: ١٤٧/٤.
(١٣) الكشاف: ١٤٧/٤.
(١٤) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(١٥) تفسير الطبري: ٣٤٢/٢١.
(١٦) تفسير ابن كثير: ١٢٣/٧.

عن أنس في قصة المعراج قال النبي ﷺ : "أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك"(١).

عن أبي سعيد -رضي الله عنه-أن رسول الله ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة ؟ فقال : "دَرْمَكة بيضاءُ مِسْك خالص : فقال رسول الله ﷺ : «صدق»"(٢).

عن مسلمة بن جعفر البجلي قال : سمعت أبا معاذ البصري يقول : "إن عليا ، رضي الله عنه ، كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : "والذي نفسي ، بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يُسْتَقبلون - أو : يُؤْتون - بنوق لها أجنحة ، وعليها رحال الذهب ، شراك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر ، فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان ، فيشربون من إحداهما فيُغْسَل ما في بطونهم من دنس ، ويغتسلون من الأخرى ، فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا ، وتجري عليهم نضرة النعيم ، فينتهون - أو : فيأتون - باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ، فيضربون بالحلقة على الصفيحة، فيسمع لها طنين يا علي ، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل ، فتبعث قَيّمها فيفتح له ، فإذا رآه خَرّ له - قال مسلمة : أراه قال : ساجدًا - فيقول : ارفع رأسك ، فإنما أنا قَيمك ، وُكِّلْتُ بأمرك. فيتبعه ويقفو أثره ، فتستخف الحوراء العجلة ، فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ، ثم تقول : أنت حبي ، وأنا حبك ، وأنا الخالدة التي لا أموت ، وأنا الناعمة التي لا أبأس ، وأنا الراضية التي لا أسخط ، وأنا المقيمة التي لا أظعن". فيدخل بيتًا من أسّه إلى سقفه مائة ألف ذراع ، بناؤه على جندل اللؤلؤ ، طرائق أصفر وأخضر وأحمر ، ليس فيها طريقة تشاكل صاحبتها ، في البيت سبعون سريرا ، على كل سرير سبعون حَشْيَة ، على كل حشية سبعون زوجة ، على كل زوجة سبعون حلة ، يرى مُخّ ساقها من باطن الحُلَل ، يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه. الأنهار من تحتهم تَطّرد ، أنهار من ماء غير آسن - قال : صاف ، لا كدر فيه - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه - قال : لم يخرج من ضروع الماشية - وأنهار من خمر لذة للشاربين - قال : لم تعصرها الرجال بأقدامهم - وأنهار من عسل مصفى - قال : لم يخرج من بطون النحل. يستجني الثمار ، فإن شاء قائما ، وإن شاء قاعدا ، وإن شاء متكئا - ثم تلا { وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا } [الإنسان : ١٤] - فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض - قال : وربما قال : أخضر. قال : - فترفع أجنحتها ، فيأكل من جنوبها ، أي الألوان شاء ، ثم يطير فيذهب ، فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم ، تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون. ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت لأهل الأرض ، لأضاءت الشمس معها سوادًا في نور"(٣).

القرآن

{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)} [الزمّر : ٧٥]

التفسير:

وترى -أيها النبي- الملائكة محيطين بعرش الرحمن، ينزهون ربهم عن كل ما لا يليق به، وقضى الله سبحانه وتعالى بين الخلائق بالحق والعدل، فأسكن أهل الإيمان الجنة، وأهل الكفر النار، وقيل: الحمد لله رب العالمين على ما قضى به بين أهل الجنة وأهل النار، حَمْدَ فضل وإحسان، وحَمْدَ عدل وحكمة.

قوله تعالى:{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ} [الزمّر : ٧٥]، أي:" وترى -أيها النبي- الملائكة محيطين بعرش الرحمن"(٤).

---

(١) أخرجه مسلم(١٦٣):ص١٤٨/١. فانظر: الحديث بطوله هناك.

(٢)المنتخب برقم (٨٧٤) وصحيح مسلم برقم (٢٩٢٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٢٤/٧-١٢٥، وقال ابن كثير:" هذا حديث غريب ، وكأنه مرسل ، والله أعلم".

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٦.

قال الطبري:يقول:" وترى يا محمد الملائكة محدقين من حول عرش الرحمن، ويعني بالعرش: السرير"(١).

قال مقاتل:" يعني: تحت العرش"(٢).

قال ابو عبيدة:" أطافوا به بحفافيه"(٣).

قال السجستاني:" أي: مطيفين بحفافيه، أي: بجانبيه ومنه حف به الناس، أي: صاروا في جوانبه"(٤).

وقال ابن أبي زمنين:" أي: محدقين"(٥).

قال الواحدي:" محيطين محدقين به"(٦).

قال الأخفش:" {من} أدخلت ها هنا توكيدا - والله أعلم –"(٧).

عن قتادة، قوله: "{وترى الملائكة حافين من حول العرش}: محدقين"(٨).

قال السدي:" محدقين حول العرش، قال: العرش: السرير"(٩).

قوله تعالى:{يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} [الزمّر : ٧٥]، أي:" ينزهون ربهم عن كل ما لا يليق به"(١٠).

قال الزمخشري:" يقولون: سبحان الله والحمد لله، متلذذين لا متعبدين"(١١).

قال مقاتل:" يعني: يذكرونه بأمر ربهم"(١٢).

قال الواحدي:" يحمدون الله حيث أدخل الموحدين الجنة"(١٣).

قال الطبري:" يقول: يصلون حول عرش الله شكرا له، والعرب تدخل الباء أحيانا في التسبيح، وتحذفها أحيانا، فتقول: سبح بحمد الله، وسبح حمد الله، كما قال جل ثناؤه: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى : ١] ، وقال في موضع آخر: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة : ٧٤، ٩٦/ الحاقة: ٥٢] "(١٤).

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار ، وأنه نزل كُلا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لا يجور - أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول عرشه المجيد ، يسبحون بحمد ربهم ، ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور ، وقد فصل القضية ، وقضى الأمر ، وحكم بالعدل"(١٥).

قوله تعالى:{وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ} [الزمّر : ٧٥]، أي:" وقضى الله سبحانه وتعالى بين الخلائق بالحق والعدل"(١٦).

---

(١) تفسير الطبري: ٣٤٣/٢١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٩/٣.
(٣) مجاز القرآن: ١٩٢/٢.
(٤) غريب القرآن: ١٩٦.
(٥) تفسير ابن ابي زمنين: ١٢٤/٤.
(٦) التفسير الوسيط: ٥٩٥/٣.
(٧) معاني القرآن: ٤٩٧/٢.
(٨) اخرجه الطبري: ٣٤٣/٢١.
(٩) اخرجه الطبري: ٣٤٣/٢١.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(١١) الكشاف: ١٤٧/٤.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٩/٣.
(١٣) التفسير الوسيط: ٥٩٥/٣.
(١٤) تفسير الطبري: ٣٤٣/٢١.
(١٥) تفسير ابن كثير: ١٢٦/٧.
(١٦) التفسير الميسر: ٤٦٦.

قال الطبري:" يقول: وقضى الله بين النبيين الذين جيء بهم، والشهداء وأممها بالعدل، فأسكن أهل الإيمان بالله، وبما جاءت به رسله الجنة. وأهل الكفر به، ومما جاءت به رسله النار"[^1].

قال ابن كثير:" { وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ } أي : بين الخلائق {بِالْحَقِّ} "[^2].

قال القشيري:" وقضى بين أهل الجنة وأهل النار بالحقّ، لهؤلاء دركات ولأولئك درجات"[^3].

قوله تعالى:{وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزمّر : ٧٥]، أي:" وقيل: الحمد لله رب العالمين على ما قضى به بين أهل الجنة وأهل النار، حَمْدَ فضل وإحسان، وحَمْدَ عدل وحكمة"[^4].

قال الطبري:" يقول: وختمت خاتمة القضاء بينهم بالشكر للذي ابتدأ خلقهم الذي له الألوهية، وملك جميع ما في السموات والأرض من الخلق من ملك وجن وإنس، وغير ذلك من أصناف الخلق"[^5].

قال النحاس:" أي: يقول المؤمنون: الحمد لله الذي أثابنا فله الحمد على ما أثابنا من نعمه وإحسانه ونصرنا على من ظلمنا"[^6].

قال ابن أبي زمنين:" قاله المؤمنون؛ حمدوا الله على ما أعطاهم"[^7].

قال الواحدي:" أهل الجنة يقولون ذلك شكرا لله على إنجاز وعده حين تم وعد الله لهم"[^8].

قال ابن كثير:" أي : ونطق الكون أجمعه - ناطقه وبهيمه - لله رب العالمين ، بالحمد في حكمه وعدله ؛ ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه ، فدل على أن جميع المخلوقات شَهِدَت له بالحمد"[^9].

قال مقاتل:" افتتح الخلق بالحمد، وختم بالحمد"[^10].

قال قتادة: "فتح أول الخلق بالحمد لله، فقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وختم بالحمد، فقال: {وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين}"[^11].

قال الزمخشري: فإن قلت: قوله {وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ} من القائل ذلك؟

قلت: المقضى بينهم إما جميع العباد وإما الملائكة، كأنه قيل: وقضى بينهم بالحق، وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق، وإنزال كل منا منزلته التي هي حقه"[^12].

فوائد الآيات: [٦٨-٧٥]:

١- بيان إهانة أهل النار بسوقهم على أرجلهم بعنف وتأنيبهم وتوبيخهم.

٢- التنديد بالاستكبار عن عبادة الله تعالى، وعباده المؤمنين به، المتقين له.

٣- بيان إكرام الله تعالى لأوليائه إذ يحملون على نجائب رحالها من ذهب إلى الجنة، ويلقون فيها تحية وسلاماً. تحية احترام وإكرام، وسلام أمان من كل مكروه.

[^1]: تفسير الطبري: ٣٤٤/٢١.
[^2]: تفسير ابن كثير: ١٢٦/٧.
[^3]: لطائف الإشارات: ٢٩٣/٣.
[^4]: التفسير الميسر: ٤٦٦.
[^5]: تفسير الطبري: ٣٤٤/٢١.
[^6]: إعراب القرآن: ١٨/٤.
[^7]: تفسير ابن ابي زمنين: ١٢٤/٤.
[^8]: التفسير الوسيط: ٥٩٥/٣.
[^9]: تفسير ابن كثير: ١٢٦/٧.
[^10]: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٩/٣.
[^11]: أخرجه الطبري: ٣٤٤/٢١.
[^12]: الكشاف: ١٤٨/٤.

٤- بيان نهاية الموقف باستقرار أهل النار من الكفار والفجار في النار، واستقرار أهل الجنة من المؤمنين الأتقياء الأبرار في الجنة دار الأبرار.
٥- ختم كل عمل بالحمد لله فقد ابتدأ الله الخالق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وختم بالحمد، وقيل الحمد لله رب العالمين.

«آخر تفسير سورة (الزمّر)، والحمد لله وحده»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «غافر»

سورة «غافر»: هي السورة «الأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الزمّر»، وقبل «سورة فصلت»، وهي أول سور «آل حم» نزولاً[١].

وعدد آياتها خمس وثمانون فى عد الكوفة والشام، وأربع فى الحجاز، واثنتان فى البصرة. وكلماتها ألف ومائة وتسع وتسعون. وحروفها أربعة آلاف وتسعمائة وستون[٢].

والآيات المختلف فيها تسع: {حم (١)} [غافر : ١]، {كَاظِمِينَ } [غافر : ١٨]، {التَّلَاقِ} [غافر : ١٥]، {بَارِزُونَ } [غافر : ١٦]، {إِسْرَائِيلَ } [غافر : ٥٣] ، {فِي الْحَمِيمِ} [غافر : ٧٢]، {وَالْبَصِيرُ } [غافر : ٥٨]، {يُسْحَبُونَ} [غافر : ٧١]، {كُنْتُمْ تُشْرِكُون} [غافر : ٧٣]. ومجموع فواصل آياتها: «من علق وتر» [٣].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**
- **الإسم الاول:«سورة غافر»:**

وتسمى «سورة غافر»،{لذكر وصفه تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ} [غافر : ٣] في أولها. وبهذا الاسم اشتهرت في مصاحف المغرب .

- **الإسم الثاني:« سورة المؤمن»:**

وردت تسمية هذه السورة في السنة «حم المؤمن» كما في حديث الترمذي الآتي[٤]، وبذلك اشتهرت في مصاحف المشرق، وبهذا الاسم ترجمها البخاري في: «صحيحه»[٥] والترمذي في:«سننه»[٦]. ووجه التسمية أنها ذُكرت فيها قصة : مؤمن آل فرعون، ولم تذكر في سورة أخرى بوجه صريح.

ثانيا:- اسماؤها الإجتهادية:

- **الإسم الاول: «سورة الطول»:**

وتسمى أيضاً سورة «الطَّوْل» لقوله تعالى في أولها: {ذِي الطَّوْلِ} [غافر : ٣]، وقد تنوسي هذا الاسم.

- **الإسم الثاني: «سورة حم الأولى»:**

سمّاها بها الفيروزآبادي في كتابه البصائر[٧]، وعللّ تسميتها بهذا الاسم لكونها "أولى ذوات «حم»"[٨]، دون استناد إلى حديث في كلامه.

قال تاج القرآء:" وسميت هذه السورَ السبع :«حم» على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به، وهو أن كل واحدة استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب، مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام"[٩].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل العلم في مكان نزول السورة على اقوال:

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٧٦/٢٤.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٠٩.
(٣)انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤) سيأتي في فضائل السورة.
(٥) انظر: صحيح البخاري:١٢٦/٦.
(٦) انظر: سنن لترمذي: ٢٢٥/٥.
(٧)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٠٩.
(٨) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٩) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٠٣٧/٢.

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس(١)، ومسروق(٢)، وسمرة بن جندب(٣)، والحسن(٤)، وعطاء(٥)، وعكرمة(٦)، وجابر(٧).

قال ابن عباس:" أنزلت الحواميم السبع بمكة"(٨).

قال الشعبي:" أخبرني مسروق أن آل حم، إنما نزلت بمكة"(٩).

قال سمرة بن جندب:" نزلت الحواميم جميعا بمكة"(١٠).

الثاني: أنها مكية، إلا قوله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّك} [غافر : ٥٥]... الآية، لأن الصلوات نزلت بالمدينة. قاله الحسن(١١).

الثالث: أنها مكية، إلا قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبالِغِيه}[غافر: ٥٦]. وهذا قول أبي العالية(١٢).

عن أبي العالية، قال: "إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان، ويكون من أمره فعظموا امره، وقالوا: يصنع كذا ... فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبالِغِيه}، قال: لا يبلغ الذي يقول فاستعذ بالله فأمر نبيه- ﷺ- أن يتعوذ من فتنة الدجال لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس الدجال"(١٣).

الرابع: أنها مكية إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ال} [غافر : ٥٦] والتي بعدها. قاله ابن عباس-أيضا-(١٤)، وقتادة(١٥).

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"(١٦).

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع، وقد روي في بعض آياتها أنها مدنية، وهذا ضعيف، والأول أصح"(١٧).

قال ابن عاشور:"هي مكية بالاتفاق وعن الحسن استثناء قوله تعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [غافر : ٥٥]، لأنه كان يرى أنها نزلت في فرض الصلوات الخمس وأوقاتها، ويرى أن فرض صلوات خمس وأوقاتها ما وقع إلا في المدينة وإنما كان المفروض بمكة ركعتين كل يوم من غير توقيت، وهو من بناء ضعيف على ضعيف فإن الجمهور على أن الصلوات الخمس فرضت بمكة في أوقاتها على أنه لا يتعين أن يكون المراد بالتسبيح في تلك الآية الصلوات بل يحمل على ظاهر لفظه من كل قول ينزه به الله تعالى"(١٨).

وقال ابن عاشور:" وأشذ منه ما روي عن أبي العالية أن قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبالِغِيه}[غافر: ٥٦]، نزلت في

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والنحاس والبيهقي في الدلائل.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٢٢.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه والديلمي.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.
(٥) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه ابن الضريس والنحاس والبيهقي في الدلائل.
(٩) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢١.
(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه والديلمي.
(١١) انظر: الكشاف: ١٤٨/٤.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٤٤٠):ص٣٢٦٨/١٠.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٤٠):ص٣٢٦٨/١٠.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.
(١٦)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٠٩/١.
(١٧) المحرر الوجيز: ٥٤٥/٤.
(١٨) المحرر الوجيز: ٧٥/٢٤.

يهود من المدينة جادلوا النبيء ﷺ في أمر الدجال وزعموا أنه منهم. وقد جاء في أول السورة {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} [غافر : ٤]. والمراد بهم: المشركون"[١].

- **مناسبة سورة«غافر» مع سورة « الزمّر»:**

من وجه اتصال «سورة غافر» لما قبلها:

١- إنه ذكر في سابقتها ما يئول إليه حال الكافر وحال المؤمن، وذكر هنا أنه غافر الذنب، ليكون ذلك استدعاء للكافر إلى الإيمان والإقلاع عن الكفر.
٢- إنه ذكر في كل منهما أحوال يوم القيامة، وأحوال الكفار فيه وهم في المحشر وهم في النار[٢].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن مقصود السورة إجمالاً معالجة قضية الحق والباطل، وقضية الإيمان والكفر، وقضية الدعوة والتكذيب، وأخيراً قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين. وفي أثناء هذه القضية تلم السورة بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين، ونصر الله إياهم، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم مقيم.

وتفصيل هذه المقاصد التي اشتملت عليها هذه السورة جاءت وفق التالي:

١- ابتدأت السورة بما يقتضي تحدي المعاندين في صدق القرآن، كما اقتضاه الحرفان المقطعان في فاتحتها: {حم (١)} [غافر : ١]،وأُجري على اسم الله تعالى من صفاته ما فيه تعريض بدعوتهم إلى الإقلاع عما هم فيه، فكانت فاتحة السورة مثل ديباجة الخطبة، مشيرة إلى الغرض من تنزيلها.
٢- حملة العرش ومن حوله يعلنون إيمانهم بربهم، ويتوجهون إليه بالعبادة، ويستغفرون للذين آمنوا من أهل الأرض، ويدعون لهم بالمغفرة والنعيم والفلاح.
٣- بيان أن دلائل تنزيل هذا الكتاب من الله بينة، لا يجحدها إلا الكافرون من الاعتراف بها حسداً، وأن جدالهم تشغيب وتعنت، لا طائل من ورائه. وقد تكرر ذكر المجادلين في آيات الله خمس مرات في هذه السورة.
٤- تمثيل حال المجادلين بحال الأمم التي كذبت رسل الله بذكرهم إجمالاً، ثم التنبيه على آثار استئصالهم، وضرب المثل بقوم فرعون.
٥- تقرير أن الذين يجادلون في آيات الله بغير حجة ولا برهان، إنما يدفعهم إلى هذا كِبْرٌ في نفوسهم عن الحق، وهم أصغر وأضأل من هذا الكبر. ويوجه القلوب إلى هذا الوجود الكبير الذي خلقه الله، وهو أكبر من الناس جميعاً، لعل المتكبرين يتصاغرون أمام عظمة خلق الله، وتتفتح بصيرتهم، فلا يكونون عمياً.
٦- بيان أن الوجود كله مُسْلِمٌ مستسلم لله، وأنه لا يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا، فيشذون عن سائر الوجود بهذا الجدال.
٧- التذكير بمجيء الساعة، والتوجيه إلى دعاء الله، الذي يستجيب لدعاء من دعاه؛ فأما الذين يستكبرون، فسيدخلون جهنم أذلاء صغراء، وأمر الرسول ﷺ أن يبرأ من عبادة المستكبرين، ويعلن نهي ربه له عن آلهتهم، وأمره له بالإسلام ولاستسلام لرب العالمين.
٨- عرض مشهد الكافرين يوم القيامة، وهم ينادون من أرجاء الوجود المؤمن المسلم المستسلم، وهم في موقف الذلة والانكسار بعد التكبر والاستكبار، يقرون بذنبهم، ويعترفون بربهم، فلا ينفعهم الاعتراف والإقرار، إنما يُذَكَّرون بما كان منهم من شرك واستكبار.

---

(١) المحرر الوجيز: ٧٥/٢٤-٧٦.
(٢) انظر: تفسير المراغي:٤١/٢٤.

٩- عرض جانب من قصة موسى عليه السلام مع فرعون وهامان وقارون، تمثل موقف الطغيان من دعوة الحق. فيها ظهور رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، يدفع عن موسى ما هموا بقتله، ويصدع بكلمة الحق والإيمان في تلطف وحذر في أول الأمر، ثم في صراحة ووضوح في نهايته. يعرض في جدله مع فرعون حجج الحق وبراهينه قوية ناصعة، ويحذرهم يوم القيامة، ويمثل لهم بعض مشاهده في أسلوب مؤثر، ويذكرهم موقفهم وموقف الأجيال قبلهم من يوسف عليه السلام ورسالته.

١٠- حوار بين الضعفاء والذين استكبروا، وحوار لهم جميعاً مع خزنة جهنم، يطلبون فيه الخلاص. ولات حين خلاص! وفي ظل هذا المشهد يوجه الله رسوله ﷺ إلى الصبر والثقة بوعد الله الحق، والتوجه إلى ربه بالتسبيح والحمد والاستغفار.

١١- التنبيه على دلائل تفرد الله تعالى بالإلهية إجمالاً. وإبطال عبادة ما يعبدون من دون الله.

١٢- التذكير بنعم الله على الناس؛ ليزداد الشاكرون شكراً، وليشكره الذين أعرضوا عن شكره.

١٣- عرض مصارع الغابرين، الاستدلال على إمكان البعث، كما يتمثل في عرض مشاهد القيامة، مع بيان أن كل نفس مرت رحلة الامتحان في الحياة الدنيا، تُجزى يوم القيامة بما كسبت، دون أن تُظْلَم شيئاً، مع بيان أن الله سريع الحساب.

١٤- إنذار المجادلين والمعاندين بما يلقون من هول يوم البعث، وما يترقبهم من العذاب، وتوعدهم بأن لا نصير لهم يومئذ، وبأن كبراءهم يتبرؤون منهم. مع عرض مشهد من أحوال المعذبين في النار يوم القيامة، وهو مشهد مخيف لأهل العقول الواعية، الذين لم تنطمس بصائرهم بالأهواء، والشهوات، ووساوس الشياطين، وحب العاجلة، ومتاعات الأنفس فيها.

١٥- توجيه الرسول ﷺ، وكل حال رسالة دعوته من بعده أن ينذر المجادلين في آيات الله بغير علم عقاب الله يوم القيامة، ويبين لهم أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه يقضي بين عباده بالحق، وأن الذين يدعون من دونه من شركاء لا يقضون بشيء، وأن الله هو السميع لشكوى عباده، والمجيب لدعائهم، وأنه هو البصير بحركاتهم وسكناتهم.

١٦- تثبيت الله رسوله ﷺ بتحقيق نصر هذا الدين في حياته وبعد وفاته. وتوجيه الله رسوله إلى الصبر، والثقة بأن وعد الله حق، سواء أبقاه حتى يشهد بعض ما يعدهم، أو توفاه قبل أن يراه، فسيتم الوعد هناك.

١٧- الثناء على المؤمنين، ووصف كرامتهم، وثناء الملائكة عليهم.

١٨- تعرض السورة بعض آيات الله الكونية، التي يمروا الناس عليها غافلين، وبيان أن في الكون آيات قائمة، وبين أيديهم آيات قريبة، ولكنهم يغفلون عن تدبرها؛ يعرض الليل سكناً والنهار مبصراً، والأرض قراراً والسماء بناء. وتذكير الناس بأنفسهم، وقد صورهم فأحسن صورهم، ويوجههم إلى دعوة الله مخلصين له الدين.

١٩- عرض بعض آيات الله في كونه، ومننه على خلقه، ومنها مِنَّة الله على الخلق بالأنعام.

٢٠- تلويم المكذبين الكافرين، الذي يجادلون في آيات الله بالباطل؛ إذ لم يتعظوا بما شاهدوا في مواطن متعددة من الأرض آثار المهلكين السابقين، الذين كفروا بما جاءتهم به رسل ربهم من الحق، وفرحوا بما عندهم من علم دنيوي، فلما رأوا بأس الله نازل بهم آمنوا، فلم يك ينفعهم حينئذ إيمانهم، وأحاط بهم العذاب، الذي كانوا به يستهزئون ويكذبون، وأهلكم الله ضمن سنته التي يجريها في عباده الأولين والآخِرين. وبهذا المشهد تختم السورة أغراضها ومقاصدها(١).

فضائل السورة:

---

(١) انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي ﷺ إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي ﷺ: «أفلح الرويجل» مرتين"(١).
- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -ﷺ-: " من قرأ حم المؤمن إلى {إليه المصير} [غافر: ٣]، وآية الكرسي حين يصبح، حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح "(٢).
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الراآت إلى الطواسين مكان الإنجيل وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي»(٣).
- عن المهلب بن أبي صفرة، عمن سمع النبي ﷺ يقول: "إن بيتكم العدو، فقولوا: «حم لا ينصرون»"(٤).
- عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- مرفوعا:" الحواميم روضة من رياض الجنة"(٥).
- عن الخليل بن مرة -رضي الله عنه-أن رسول الله ﷺ قال:"الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني"(٦).
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن الحواميم"(٧).
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "الحواميم ديباج القرآن"(١). ورواه أنس بن مالك مرفوعا(٢).

---

(١)"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٢) أخرجه الترمذي(٢٨٧٩):ص١٥٧/٥، وقال:" ذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة المليكي من قبل حفظه".

و[حكم الألباني] : ضعيف، المشكاة (٢١٤٤ / التحقيق الثاني)، ضعيف الجامع الصغير (٥٧٦٩).

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) اخرجه الترمذي(١٦٨٢):ص٢٤٩/٣. إسناده صحيح.

وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٩٤٦٧) ، وأبو داود (٢٥٩٧) ، والترمذي (١٦٨٢) ، وابن الجارود في "المنتقى" (١٠٦٣) ، والحاكم ١٠٧/٢، والبيهقي في "السنن" ٣٦١/٦-٣٦٢.

وأخرجه احمد(١٦٦١٥):ص١٦٢/٢٧. بلفظ: «ما أراهم الليلة إلا سيبيتونكم فإن فعلوا فشعاركم: «حم لا ينصرون».

وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٨٨٦١) و (١٠٤٥٣) - وهو في "عمل اليوم والليلة" (٦١٧) - ، وفيه: «كان ذلك يوم الخندق».

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى الديلمي وابن مردويه.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد في فضائله.

- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:"إذا وقعت في الحواميم وقعت في روضات أتأنق فيهن"(٣).
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:"إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب. فقيل له: إن مثل الغيث الأول كمثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل: «آل حم»(٤) في القرآن"(٥).

فقوله: «حم لا ينصرون»: فإنه مع كونه علامة دعاء عليهم أيضا.

قال السندي: «فشعاركم»، أي: علامتكم التي تتميزون أنتم فيما بينكم بها من عدوكم(٦).

- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»(٧).
- عن أبي الدرداء -رضي الله عنه:"أنه بنى مسجدا فقيل له: ما هذا؟ فقال: لآل حم"(٨).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢٦٩/٧.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد ومحمد بن نصر وابن المنذر.

(٤) قال ابن عاشور:" السور المفتتحة بكلمة حم سبع سور مرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول ويدعى مجموعها «آل حم» جعلوا لها اسم (آل) لتآخيها في فواتحها. فكأنها أسرة واحدة وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف (ويقال لغير المقصود تشريفه أهل فلان) قال الكميت:

قرأنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا فقيه ومعرب

يريد قول الله تعالى في سورة «حم عسق» قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى [الشورى: ٢٣] على تأويل غير ابن عباس فلذلك عززه بقوله: تأولها منا فقيه ومعرب". [التحرير والتنوير:٧٦/٢٤].

والبيت هو ٢٩ من يائيته فى الهاشميات وهو فى الكتاب ٢/ ٢٨ والطبري ٢٤/ ٢٤ والشنتمرى ٢/ ٣٠ والقرطبي ١/ ٢٨٨.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧-٢٦٩، وعزاه إلى محمد بن نصر وحميد بن زنجويه.

(٦) انظر: مسند احمد: ١٦٣/٢٧.ط. الرسالة. أفاده المحقق.

(٧) مسند ابن ابي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.

إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

(٨) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر والحاكم.

القرآن

{حم (١)} [غافر : ١]

التفسير:

{حم} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

وقد اختلف أهل التفسير في معنى قوله: {حم (١)} [غافر : ١]، على أقوال:

أحدها : أنه اسم من أسماء الله أقسم به ، قاله ابن عباس[١].

الثاني : أنه حرف هجاء من أسماء الله تعالى ، قاله السدي[٢].

الثالث : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة[٣].

الرابع : أنها حروف مقطعة من اسم الله الذي هو الرحمن الرحيم، وهو الحاء والميم منه، رواه عكرمة عن ابن عباس[٤].

قال ابن عباس:" «الر»، و«حم»، و«ن»: حروف الرحمن مقطعة"[٥].

الخامس : هو محمد -ﷺ-، قاله جعفر بن محمد[٦].

السادس : أنه فواتح الله تعالى بها القرآن ، قاله مجاهد[٧].

السابع: أن يكون معناه: حُم أمر الله. أي: قرب ، قال الشاعر[٨]:

قد حُمّ يومي فسر قوم ... قومٌ بهم غفلة ونوم

قال الماوردي:"ومنه سميت الحمى، لأنها تقرب منه المنية"[٩].

فعلى هذا يحتمل وجهين[١٠]:

أحدهما : أنه يريد به قرب قيام الساعة لقول النبي-ﷺ- : «بعثت في آخرها ألفاً»[١١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١، و الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٤٥/٢١.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٨):ص١٩٢١/٦، و(١٠٦٣٤):ص١٩٩٤/٦، و(١٧١٢٦):ص٣٠٣٠/٩. و(١٧١٢٦):ص٣٠٣٠/٩.

(٨) الشعر غير منسوب في النكت والعيون: ١٤٢/٥، وتفسير القطربي: ٢٨٩/١٥.

(٩) النكت والعيون: ١٤٢/٥.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٤٢/٥، وتفسير القرطبي: ٢٨٩/١٥.

(١١)هذا جزء من حديث طويل رواه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" ١/ ٢٠٠ (١٤٢) مختصرا، والطبراني في "الكبير" ٨/ ٣٠٢ - ٣٠٤ (٨١٤٦)، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٧/ ٣٦ - ٣٨، والديلمي في "مسند الفردوس" ٢/ ٢٣٢ من طريق سليمان بن عطاء، عن مسلمة بن عبد الله الجهني، عن عمه أبي مشجعة بن ربعي، عن ابن زمل - رضي الله عنه - .. الحديث.

وفيه: سليمان بن عطاء، قال عنه أبو حاتم في "المجروحين": شيخ يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني، عن عمه أبي مشجعة بن ربعي بأشياء موضوعة لا تشبه حديث الثقات، فلست أدري التخليط فيها منه أو من مسلمة بن عبد الله. اهـ ١/ ٣٢٥، وقال الحافظ في "النتائج": هذا حديث غريب، قال ابن السكن: هو حديث طويل في تعبير الرؤيا، وهو منكلر. قال البخاري: سليمان بن عطاء منكر الحديث. اهـ وقال الحافظ أيضا: وأبو مشجعة لا يعرف اسمه ولا حاله، انظر: ٣/ ١٣٢، وقال في "الفتح": سنده ضعيف جدا. انظر: ١١/ ٣٥١، وابن زمل: اختلف في اسمه فقيل: الضحاك، وقيل: عبد الله، وقيل: عبد الرحمن. واختلف في صحبته أيضا فقيل: إنه صحابي، وقيل: إنه تابعي ولعل هذا هو الأقرب إلى الصواب، انظر: "أسد الغابة" ٣/ ٤٧ (٢٥٥٢)، ٣/ ٢٤٦ (٢٩٥٠)، "الإصابة" ٢/ ٣١١.

ونص الحديث كما رواه الطبراني في المعجم الكبير(٨١٤٦):ص٣٠٢/٨-٣٠٤:« عن ابن زمل الجهني قال: " كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح قال وهو ثان رجله: سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، إنه كان توابا " سبعين مرة ثم يقول: سبعين بسبعمائة «لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة ثم يستقبل الناس بوجهه وكان يعجبه الرؤيا فيقول: «هل رأى أحد منكم شيئا؟» قال ابن زمل: فقلت: أنا يا نبي الله، قال: «خيرا تلقاه، وشرا توقاه، وخيرا لنا وشرا على أعدائنا، والحمد لله رب العالمين، اقصص رؤياك» . فقلت: رأيت جميع

الثاني : أنه يريد به قرب نصره لأوليائه وانتقامة من أعدائه يوم بدر(١).
الثامن: أنه اسم. حكاه أبو عبيدة عن بعض العرب(٢)، وأنشد قول شريح بن أوفى العبسي(٣):
يُذَكِّرُنِي حَامِيم والرُّمْحُ شَاجِرٌ ... فَهَلاَّ تَلاَ حَامِيمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ
وقول الكميت بن زيد الأسديّ (٤):
وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حامِيمَ آيَةً ... تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ
قال أبو حيان:" أعربا حاميم، ومنعت الصرف للعلمية، أو العلمية وشبه العجمة، لأن فاعيل ليس من أوزان أبنية العرب، وإنما وجد ذلك في العجم، نحو: قابيل وهابيل"(٥).
قال أبو عبيدة:" قال يونس: ومن قال هذا القول فهو منكسر عليه لأن السورة حم ساكنة الحروف فخرجت مخرج التهجي وهذه أسماء سور خرجن متحركات وإذا سمّيت سورة بشىء من هذه الأحرف المجزومة دخله الإعراب"(٦).

الناس على طريق رحب سهل لاحب، والناس على الجادة منطلقين، فبينا هم كذلك إذ أشفى ذلك [ص:٣٠٣] الطريق على مرج لم تر عيناي مثله يرف رفيفا، ويقطر نداه فيه من أنواع الكلأ، وكأني بالرعلة الأولى حتى أشفوا على المرج كبروا، ثم ركبوا رواحلهم في الطريق، فمنهم المرتع، ومنهم الآخذ الضغث، ومضوا على ذلك. قال: ثم قدم عظم الناس، فلما أشفوا على المرج كبروا، فقالوا: خير المنزل، فكأني أنظر إليهم يميلون يمينا وشمالا، فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى آتي أقصى المرج، فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات، وأنت في أعلاها درجة، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل أقنى، إذا هو تكلم يسمو، فيفرع الرجال طولا، وإذا عن يسارك رجل تار ربعة أحمر كثير خيلان الوجه، كأنما حمم شعره بالماء، إذا هو تكلم أصغيتم له إكراما، وإذا أمامك شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها كلكم تؤمونه تريدونه، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف، وإذا أنت يا رسول الله، كأنك تتقيها، قال: فانتقع لون رسول الله ﷺ ساعة، ثم سري عنه فقال: «أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب، فذلك ما حملتم عليه من الهدى وأنتم عليه، وأما المرج الذي رأيت، فالدنيا وعصارة عيشها مضيت أنا وأصحابي لم نتعلق بها شيئا، ولم نردها ولم تردنا، ثم جاءت الرعلة الثانية بعدنا، وهم أكثر منا ضعافا فمنهم المرتع، ومنهم الآخذ الضغث ونحوه على ذلك، ثم جاء عظم الناس، فمالوا في المرج يمينا وشمالا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، أما أنت فمضيت على طريقة صالحة، فلم تزل عليها حتى تلقاني، وأما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلى درجة، فالدنيا سبعة آلاف سنة وأنا في آخرها ألفا، وأما الرجل الذي رأيت على يميني الآدم الشثل، فذلك موسى عليه السلام إذا هو تكلم يعلو الرجال بفضل صلاح الله إياه، والذي رأيت عن يساري التار الربعة الكبير خيلان الوجه، فكأنما حمم شعره بالماء، فذاك عيسى ابن مريم نكرمه لإكرام الله إياه، وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقا ووجها، فذلك أبونا إبراهيم عليه السلام كلنا نؤمه ونقتدي به، وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أتقيها فهي الساعة علينا تقوم لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتي» . قال: فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعدها إلا أن يجيء الرجل فيحدثه بها متبرعا».
»
(١) انظر: النكت والعيون: ١٤٢/٥.
(٢) انظر: مجاز القرآن: ١٩٣/٢.
(٣)البيت لشريح بن أوفى العبسي، كما قال أبو عبيد في مجاز القرآن:١٩٣/٣، وكما في (اللسان: حمم)، وتفسير الطبري: ٣٤٨/٢١.
وقد اختلفوا فى عزو هذا البيت اختلافا قديما. قال ابن حجر: ... وحكى أيضا عن ابن إسحاق أن الشعر المذكور للأشتر النخعي قال وهو الذي قتل محمد بن طلحة وذكر أبو مخنف أنه لمدلج بن كعب السعدي ويقال كعب بن مدلج ... ويقال إن الشعر لشداد ابن معاوية العبسي ... هكذا يطول الخلاف وانظره فى فتح الباري (٨/ ٤٢٥-٤٢٦) .
وانظر البيت فى معجم المرزباني ص ٢٧٠، والاقتضاب ص ٤٣٩ والجواليقي ص ٣٥٩ وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٩٠ وشواهد المغني ص ١٩ وشواهد الكشاف ص ٢٦١ وانظر الخبر معه واسم قائله فى طبقات ابن سعد ٥/ ٣٩ والمعارف لابن قتيبة ص ١١٩ والمروج للمسعودى ٤/ ٣٢٤، وابن الأثير، الكامل ٣/ ٢٠٠٥.
(٤)البيت هو ٢٩ من يائيته فى الهاشميات وهو فى الكتاب: ٢/ ٢٨، وتفسير الطبري٣٤٨/٢١، والشنتمرى ٢/ ٣٠، وتفسير القرطبي: ١/ ٢٨٨.
وآل حاميم، وذوات حاميم: السور التي أولها«حم». نص الحريري في درة الغواص، على أنه يقال: آل حاميم، وذوات حاميم، وآل طسم، ولا يقال: حواميم ولا طواسيم. اهـ.
(٥) البحر المحيط: ٢٣٢/٩.
(٦) مجاز القرآن: ١٩٤/٢.

قال أبو عبيدة:" {حم}: مجازها مجاز أوائل السور"[1].

قال الطبري:" والقول في ذلك عندي نظير القول في أخواتها، وقد بيَّنا ذلك، في قوله: {الم}، ففي ذلك كفاية عن إعادته في هذا الموضع، إذ كان القول في حم، وجميع ما جاء في القرآن على هذا الوجه، أعني حروف التهجي قولا واحدا"[2].

قال أبو حيان:" تقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة في أول البقرة، وقد زادوا في حاميم أقوالا هنا، وهي مروية عن السلف، غنينا عن ذكرها، لاضطرابها وعدم الدليل على صحة شيء منها"[3].

القرآن

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢)} [غافر : ٢]

التفسير:

تنزيل القرآن على النبي محمد ﷺ من عند الله -عزَّ وجل- العزيز الذي قهر بعزته كل مخلوق، العليم بكل شيء.

قال الطبري:" يقول الله تعالى ذكره: من الله العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بما يعملون من الأعمال وغيرها تنزيل هذا الكتاب"[4].

قال ابن كثير:" أي : تنزيل هذا الكتاب - وهو القرآن - من الله ذي العزة والعلم ، فلا يرام جنابه ، ولا يخفى عليه الذر وإن تكاثف حجابه"[5].

قال مقاتل:" يقول: قضي تنزيل الكتاب من الله {العزيز} في ملكه، {العليم} بخلقه"[6].

قال السعدي:" يخبر تعالى عن كتابه العظيم وبأنه صادر ومنزل من الله، المألوه المعبود، لكماله وانفراده بأفعاله، {الْعَزِيزِ} الذي قهر بعزته كل مخلوق {الْعَلِيمِ} بكل شيء"[7].

القرآن

{غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣)} [غافر : ٣]

التفسير:

غافر الذنب للمذنبين، وقابل التوب من التائبين، شديد العقاب على مَن تجرَّأ على الذنوب، ولم يتب منها، وهو سبحانه وتعالى صاحب الإنعام والتفضُّل على عباده الطائعين، لا معبود تصلح العبادة له سواه، إليه مصير جميع الخلائق يوم الحساب، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} [غافر : ٣]، أي:" غافر الذنب للمذنبين، وقابل التوب من التائبين"[8].

قال ابن كثير:" أي : يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخَضَع لديه"[9].

قال السعدي:" {غَافِرِ الذَّنْبِ} للمذنبين {وَقَابِلِ التَّوْبِ} من التائبين"[10].

---

(١) مجاز القرآن: ١٩٣/٢.
(٢) تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١-٣٤٩.
(٣) البحر المحيط: ٢٣٢/٩.
(٤) تفسير الطبري: ٣٤٩/٢١.
(٥) تفسير ابن كثير: ١٢٧/٧.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٥/٣.
(٧) تفسير السعدي: ٧٣١.
(٨) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(٩) تفسير ابن كثير: ١٢٧/٧.
(١٠) تفسير السعدي: ٧٣١.

قال سهل:" {غافِرِ الذَّنْبِ}، أي: ساتر الذنب على من يشاء، {وَقابِلِ التَّوْبِ} عمن تاب وأخلص العمل له بالعلم"[1].

قال النسفي:" {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْب} لمن قال لا إله إلا الله"[2].

وقال مقاتل:" {غَافِرِ الذَّنْبِ}، يعني: من الشرك"[3].

قال القشيري:" يقال: غافر الذنب لمن أصرّ واجترم، وقابل التوب لمن أقرّ وندم، شديد العقاب لمن جحد وعند، ذى الطول لمن عرف ووحد"[4].

قال زكريا الأنصاري:"{غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْب}: صفتان لله - تعالى -، والإضافة محضة؛ لأنه - تعالى - لم يزل غافر الذنب، وقابل التوب"[5].

قوله تعالى:{شَدِيدِ الْعِقَابِ} [غافر : ٣]، أي:" شديد العقاب على مَن تجرَّأ على الذنوب، ولم يتب منها"[6].

قال مقاتل:" لمن لم يتب من الشرك "[7].

قال النسفي:" لمن لا يقول لا إله إلا الله"[8].

قال السعدي:" على من تجرأ على الذنوب ولم يتب منها"[9].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له، فلا تتكلوا على سعة رحمته، ولكن كونوا منه على حذر، باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، فإنه كما أن لا يؤيس أهل الإجرام والآثام من عفوه، وقبول توبة من تاب منهم من جرمه، كذلك لا يؤمنهم من عقابه وانتقامه منهم بما استحلوا من محارمه، وركبوا من معاصيه"[10].

قال ابن كثير:" أي : لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ، وعتا عن أوامر الله ، وبغى وقد اجتمع في هذه الآية الرجاء والخوف. وهذه كقوله تعالى : { نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الألِيمُ } [الحجر : ٤٩ ، ٥٠] يقرن هذين الوصفين كثيرًا في مواضع متعددة من القرآن ؛ ليبقى العبد بين الرجاء والخوف"[11].

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: " لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع في الجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من الجنة أحد، خلق الله مائة رحمة، فوضع رحمة واحدة بين خلقه يتراحمون بها، وعند الله تسعة وتسعون رحمة "[12].

قوله تعالى:{ذِي الطَّوْلِ} [غافر : ٣]، أي:" وهو سبحانه وتعالى صاحب الإنعام والتفضُّل على عباده الطائعين"[13].

---

(١) تفسير التستري: ١٣٦.
(٢) تفسير النسفي: ١٩٧/٣.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٥/٣.
(٤) لطائف الإشارات: ٢٩٥/٣.
(٥) .
(٦) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٥/٣.
(٨) تفسير النسفي: ١٩٧/٣.
(٩) تفسير السعدي: ٧٣١.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٥٠/٢١-٣٥١.
(١١) تفسير ابن كثير: ١٢٧/٧.
(١٢) أخرجه احمد(٨٤١٥):ص١٣٩/١٤، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٤٩٧، وأخرج الشطر الأول منه -وهو إلى قوله: "ما قنط من الجنة أحد"- الترمذي (٣٥٤٢) ، وابن حبان (٣٤٥). قال الترمذي: هذا حديث حسن.
وأخرج الشطر الثاني منه مسلم (٢٧٥٢) (١٨) ، وأبو يعلى (٦٥٠٩)، والترمذي (٣٥٤١)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٦٧.

قال أبو عبيدة:أي:" ذى التفضل، تقول العرب للرجل: إنه لذو طول على قومه أي ذو فضل عليهم"[١].

قال الزجاج:" معناه: ذي الغنى والفضل والقدرة. تقول: لفلان على فلان طول. إذا كان له عليه فضل"[٢].

قال الطبري:" يقول: ذي الفضل والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه؛ يقال منه: إن فلانا لذو طول على أصحابه، إذا كان ذا فضل عليهم"[٣].

قال السعدي:" أي: التفضل والإحسان الشامل"[٤].

قال ابن كثير:" المعنى: أنه المتفضل على عباده ، المتطول عليهم بما هو فيه من المنن والأنعام ، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ، { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } [إبراهيم : ٣٤]"[٥].

قال سهل:" {ذِي الطَّوْلِ}: ذي الغنى عن الكل"[٦].

عن مجاهد، قوله:"{ذِي الطَّوْلِ}: الغنى"[٧].

قال ابن عباس:" يقول: ذي السعة والغنى"[٨].

قال قتادة:" أي: ذي النعم"[٩].

قال القرطبي:"أي: ذي المن"[١٠].

قال ابن قتيبة:" {الطَّوْلُ}: التفضُّل. يقال: طُل عليّ برحمتك؛ أي تفضَّل"[١١].

قال البيضاوي:" الطول: الفضل بترك العقاب المستحق"[١٢].

قال مقاتل:" يعني: ذي الغنى عمن لا يوحده"[١٣].

وقال ابن زيد:" الطول القدرة، ذاك الطول"[١٤].

قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [غافر : ٣]، أي:" لا معبود تصلح العبادة له سواه"[١٥].

قال الطبري:" يقول: لا معبود تصلح له العبادة إلا الله العزيز العليم، الذي صفته ما وصف جلّ ثناؤه، فلا تعبدوا شيئا سواه"[١٦].

قال ابن كثير:" أي : لا نظير له في جميع صفاته ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه"[١٧].

قال السعدي:" فلما قرر ما قرر من كماله وكان ذلك موجبًا لأن يكون وحده، المألوه الذي تخلص له الأعمال قال: {لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ}"[١٨].

قوله تعالى:{إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [غافر : ٣]، أي:" إليه مصير جميع الخلائق يوم الحساب، فيجازي كلا بما يستحق"[١].

---

(١) مجاز القرآن: ١٩٤/٢.
(٢) معاني القرآن: ٣٦٦/٤.
(٣) تفسير الطبري: ٣٥١/٢١.
(٤) تفسير السعدي: ٧٣١.
(٥) تفسير ابن كثير: ١٢٨/٧.
(٦) تفسير التستري: ١٣٦.
(٧) اخرجه الطبري: ٣٥١/٢١.
(٨) اخرجه الطبري: ٣٥١/٢١.
(٩) اخرجه الطبري: ٣٥١/٢١.
(١٠) تفسير القرطبي: ٢٩٢/١٥.
(١١) غريب القرآن: ٣٨٥. وانظر: اللسان: ٣/٥.
(١٢) تفسير البيضاوي: ٥١/٥.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٥/٣.
(١٤) اخرجه الطبري: ٣٥١/٢١.
(١٥) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(١٦) تفسير الطبري: ٣٥١/٢١.
(١٧) تفسير ابن كثير: ١٢٨/٧.
(١٨) تفسير السعدي: ٧٣١.

قال الطبري: يقول: " إلى الله مصيركم ومرجعكم أيها الناس، فإياه فاعبدوا، فإنه لا ينفعكم شيء عبدتموه عند ذلك سواه"(٢).

قال ابن كثير:" أي : المرجع والمآب، فيجازي كل عامل بعمله، {وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [الرعد : ٤١]"(٣).

قال القشيري:" وإذا كان إليه المصير فقد طاب إليه المسير"(٤).

قال السعدي:" ووجه المناسبة بذكر نزول القرآن من الله الموصوف بهذه الأوصاف[{غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ}]: أن هذه الأوصاف مستلزمة لجميع ما يشتمل عليه القرآن، من المعاني. فإن القرآن: إما إخبار عن أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، وهذه أسماء، وأوصاف، وأفعال. وإما إخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة، فهي من تعليم العليم لعباده. وإما إخبار عن نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وما يوصل إلى ذلك، من الأوامر، فذلك يدل عليه قوله: {ذِي الطَّوْلِ}. وإما إخبار عن نقمه الشديدة، وعما يوجبها ويقتضيها من المعاصي، فذلك يدل عليه قوله: {شَدِيدِ الْعِقَابِ} وإما دعوة للمذنبين إلى التوبة والإنابة، والاستغفار، فذلك يدل عليه قوله: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ} وإما إخبار بأنه وحده المألوه المعبود، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على ذلك، والحث عليه، والنهي عن عبادة ما سوى الله، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على فسادها والترهيب منها، فذلك يدل عليه قوله تعالى: {لا إِلَهَ إلا هُوَ} وإما إخبار عن حكمه الجزائي العدل، وثواب المحسنين، وعقاب العاصين، فهذا يدل عليه قوله: {إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} فهذا جميع ما يشتمل عليه القرآن من المطالب العاليات"(٥).

قال أبو بكر بن عياش : سمعت أبا إسحاق السَّبِيعي يقول : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال : يا أمير المؤمنين إني قَتَلْتُ ، فهل لي من توبة ؟ فقرأ عليه { حم. تَنزيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ } وقال : اعمل ولا تيأس"(٦).

قال ثابت البناني: "كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة ، فدخلت حائطًا أصلي ركعتين فافتتحت : {حم} المؤمن ، حتى بلغت : {لا إِلَهَ إلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مُقَطَّعات يمنية فقال : إذا قلت : {غَافِرِ الذَّنْبِ} فقل : "يا غافر الذنب ، اغفر لي ذنبي وإذا قلت : {وَقَابِلِ التَّوْبِ} ، فقل : "يا قابل التوب ، اقبل توبتي". وإذا قلت : {شَدِيدُ الْعِقَابِ} ، فقل : "يا شديد العقاب ، لا تعاقبني". قال : فالتفت فلم أر أحدًا ، فخرجت إلى الباب فقلت : مَرّ بكم رجل عليه مقطعات يمنية ؟ قالوا : ما رأينا أحدًا فكانوا يُرَون أنه إلياس"(٧).

عن الحسن، قال: "بلغ عمر بن الخطاب عن رجل شيء كرهه، قال: فكتب إليه، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان: " أما بعد {حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ} [غافر: ٢] الآية، فلما أتاه الكتاب، قال: {حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [غافر: ١] ، أي: «العليم بما أصنع» ، {غَافِرِ الذَّنْبِ} [غافر: ٣] أي: «إن استغفرت غفر لي» . {وَقَابِلِ التَّوْبِ} [غافر: ٣] أي: «إن تبت تاب علي وقبل توبتي» ، {شَدِيدِ الْعِقَابِ} [غافر: ٣]، أي: «إن لم أفعل ليعاقبني» ، {ذِي الطَّوْلِ} [غافر: ٣] أي: «ذي الأيادي

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(٢) تفسير الطبري: ٣٥١/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ١٢٨/٧.
(٤) لطائف الإشارات: ٢٩٥/٣.
(٥) تفسير السعدي: ٧٣١.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٥٠/٢١، وابن ابي حاتم(١٨٤١٥):ص٣٢٦٣/١٠.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤١٧):ص٣٢٦٣/١٠.

والنعم علي» ، {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [غافر: ٣] أي: «إليه مصيري لا بد من الرجوع إليه» . قال: «فحسنت توبته» وقال: «صدق الله ونصح عمر»[١].

عن يزيد بن الأصم قال: "كان رجل من أهل الشام ذو بأس، وكان يفد إلى عمر بن الخطاب ففقده عمر فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين يتابع في هذا الشراب قال: فدعا عمر كاتبه فقال: اكتب «من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير» ثم قال لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يقبل بقلبه، وأن يتوب الله عليه، فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرؤه ويردده ويقول غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي"[٢].

القرآن

{مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤)} [غافر : ٤]

التفسير:

ما يخاصم في آيات القرآن وأدلته على وحدانية الله، ويقابلها بالباطل إلا الجاحدون الذين جحدوا أنه الإله الحق المستحق للعبادة وحده، فلا يغررك -أيها الرسول- ترددهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب، ونعيم الدنيا وزهرتها.

سبب النزول:

عن أبي مالك رضي الله، عنه في قوله:" {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا}، ونزلت في الحراث بن قيس السلمي"[٣].

قوله تعالى:{مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} [غافر : ٤]، أي:" ما يخاصم في آيات القرآن وأدلته على وحدانية الله، ويقابلها بالباطل إلا الجاحدون الذين جحدوا أنه الإله الحق المستحق للعبادة وحده"[٤].

قال الطبري: يقول:" ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها، إلا الذين جحدوا توحيده"[٥].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان { إِلا الَّذِينَ كَفَرُوا}، أي : الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه"[٦].

قال سهل:" {مَا يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ}، يعني: في الذات والقدرة والقرآن والسنة بهوى النفس، كما قال: {وَجادَلُوا بِالْباطِلِ}، أي: بالهوى من غير هدى من الله، كما قال: {فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} [آل عمران: ٦٦] { إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} وابتدعوا غير الحق"[٧].

قال السعدي:" يخبر تبارك وتعالى أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل"[٨].

قال الزمخشري:" سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر: والمراد: الجدال بالباطل، من الطعن فيها، والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله، وقد دلّ على ذلك وَجادَلُوا بِالْباطِلِ

---

(١) تفسير مجاهد: ٥٨٢.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤١٦):ص١٠/٣٢٦٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٢١):ص١٠/٣٢٦٤.
(٤) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(٥) تفسير الطبري: ٢١/٣٥٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٧/١٢٩.
(٧) تفسير التستري: ١٣٦.
(٨) تفسير السعدي: ٧٣١.

لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها، ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها، فأعظم جهاد في سبيل الله"[١].

قال القشيري:" إذا ظهر البرهان واتّضح البيان استسلمت الألباب الصاحية للاستجابة والإيمان، فأمّا أهل الكفر فلهم على الجمود إصرار، وشؤم شركهم يحول بينهم وبين الإنصاف"[٢].

قوله تعالى:{فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ} [غافر : ٤]، أي:" فلا يغررك -أيها الرسول- ترددهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب، ونعيم الدنيا وزهرتها"[٣].

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: فلا يخدعك يا محمد تصرفهم في البلاد وبقاؤهم ومكثهم فيها، مع كفرهم بربهم، فتحسب أنهم إنما أمهلوا وتقلبوا، فتصرّفوا في البلاد مع كفرهم بالله، ولم يعاجلوا بالنقمة والعذاب على كفرهم لأنهم على شيء من الحق فإنا لم نمهلهم لذلك، ولكن ليبلغ الكتاب أجله، ولتحقّ عليهم كلمة العذاب، عذاب ربك"[٤].

قال الزجاج:" أي: فلا تغررك سلامتهم بعد كفرهم حتى إنهم، يتصرفون كيف شاءوا، فإن عاقبة كفرهم العذاب والهلاك"[٥].

قال ابن قتيبة:" أي: تصرفهم في البلاد للتجارة وما يكسبون، ومثله: {لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ}[٦]"[٧].

قال السجستاني:{تقلبهم فِي الْبِلَاد}: تصرفهم فيها للتجارة، أي: فلا يغررك تصرفهم، وأمنهم وخروجهم من بلد إلى بلد، فإن الله جل وعز محيط بهم"[٨].

قال ابن عطية:" {تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ}، عبارة عن تمتعهم بالمساكن والمزارع والأسفار وغير ذلك"[٩].

قال ابن كثير:" أي : في أموالهم ونعيمها وزهرتها، كما قال : { لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } [آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧] ، وقال تعالى : { نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ } [لقمان : ٢٤]"[١٠].

عن قتادة: "{فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ}: أسفارهم فيها، ومجيئهم وذهابهم"[١١]، وفي رواية: إقبالهم ، وإدبارهم ، وتقلبهم في أسفارهم"[١٢].

قال السعدي:" لا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدنيوية، ويظن أن إعطاء الله إياه في الدنيا دليل على محبته له وأنه على الحق، ولهذا قال: {فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ}، أي: ترددهم فيها بأنواع التجارات والمكاسب، بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق، وينظر إلى الحقائق الشرعية ويزن بها الناس، ولا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم ولا عقل له"[١٣].

قال الزمخشري:" فإن قلت: من أين تسبب لقوله: {فَلا يَغْرُرْكَ} ما قبله؟

---

(١) الكشاف: ١٥٠/٤.
(٢) لطائف الإشارات: ٢٩٥/٣.
(٣) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(٤) تفسير الطبري: ٣٥٢/٢١.
(٥) معاني القرآن: ٣٦٦/٤.
(٦)سورة آل عمران ١٩٦-١٩٧..
(٧) غريب القرآن: ٣٨٥.
(٨) غريب القرآن: ١٥٤.
(٩) المحرر الوجيز: ٥٤٧/٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ١٢٩/٧.
(١١) أخرجه الطبري :٣٥٢/٢١.
(١٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦٥٢):١٣٩/٣.
(١٣) تفسير السعدي: ٧٣١.

قلت: من حيث إنهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر، والكافر لا أحد أشقى منه عند الله: وجب على من تحقق ذلك أن لا نرجح أحوالهم في عينه، ولا يغره إقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة، وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن، ولهم الأموال يتجرون فيها ويتربحون، فانّ مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال، ووراءه شقاوة الأبد"(١).

قال الماتريدي:" معلوم أن رسول الله - ﷺ - لا يغره تقلبهم في البلاد، لكنه ذكر الخطاب له، وأراد به غيره؛ لما يحتمل أن يظن قوم أن أهل الكفر لما كانوا فيه من التقلب في البلاد والسعة في عيشهم وأن أهل الإيمان في ضيق وشدة وخوف - أن أولئك على الحق وهؤلاء على الباطل، فجائز أن يظن ظان ما ذكرنا، فأخبر الله - عز وجل - أن الأمن والسعة، ليس بدليل على كون صاحبه على الحق، ولا الضيق والشدة بدليل على كون صاحبه على الباطل، ولكن محنة: امتحنهم مرة بالسعة والأمن، ومرة بالضيق والخوف؛ دليل ذلك: وجود الحالين جميعا في كل فريق مع اختلاف مذاهبهم، وتضاد أقاويلهم.

ويحتمل أن يكون المراد منه أهل مكة، أي: لا يغررهم تقلبهم في البلاد وأمنهم وسعتهم بعد ما نزل بأهل الآفاق والنواحي أنهم على الحق، وأن ذلك إنما يدفع عنهم لمكانهم، وإنما يدفع ذلك عنهم، ويكونون على أمن؛ لمكان كونهم بقرب من البيت؛ لحرمته وشرفه"(٢).

وقرئ: «فلا يغرّك»(٣).

القرآن

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)} [غافر : ٥]

التفسير:

كذَّبت قبل هؤلاء الكفار قومُ نوح ومَن تلاهم من الأمم التي أعلنت حربها على الرسل كعاد وثمود، حيث عزموا على إيذائهم وتجمَّعوا عليهم بالتعذيب أو القتل، وهمَّت كل أمة من هذه الأمم المكذبة برسولهم ليقتلوه، وخاصموا بالباطل؛ ليبطلوا بجدالهم الحق فعاقَبْتُهم، فكيف كان عقابي إياهم عبرة للخلق، وعظة لمن يأتي بعدهم؟

قوله تعالى:{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ} [غافر : ٥]، أي:" كذَّب قبل كفار مكة أقوام كثيرون، منهم قوم نوح والأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم ولم يقبلوا ما جاءوا به من عند الله كقوم عاد وثمود وفرعون وأمثالهم"(٤).

قال ابن كثير:" ثم قال تعالى مسليًا لنبيه محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه ، بأن له أسوة من سلف من الأنبياء ؛ فإنه قد كذبهم أممهم وخالفوهم ، وما آمن بهم منهم إلا قليل، فقال : { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ } وهو أول رسول بَعَثه الله ينهى عن عبادة الأوثان، { وَالأحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ } أي : من كل أمة"(٥).

قال الطبري: " ثم قصّ على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قصص الأمم المكذّبة رسلها، وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسله على مثل الذي عليه قومه الذين أرسل إليهم، وإنه أحلّ بهم من نقمته عند بلوغهم أمدهم بعد إعذار رسله إليهم، وإنذارهم بأسه ما قد ذكر في كتابه إعلاما منه بذلك نبيه، أن سنته في قومه الذين سلكوا سبيل أولئك في تكذيبه وجداله سنته من إحلال نقمته بهم، وسطوته بهم، فقال تعالى ذكره: كذبت قبل قومك المكذبين لرسالتك إليهم

---

(١) الكشاف: ١٥٠/٤.
(٢) تأويلات أهل السنة: ٤/٩-٥.
(٣) انظر: الكشاف: ١٥٠/٤.
(٤) صفوة التفاسير: ٨٦/٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ١٢٩/٧.

رسولا المجادليك بالباطل قوم نوح والأحزاب من بعدهم، وهم الأمم الذين تحزبوا وتجمعوا على رسلهم بالتكذيب لها، كعاد وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مَدْيَن وأشباههم"(١).

قال الماتريدي:" ذكر هذا لتصبير رسوله على تكذيب قومه إياه بالباطل؛ يقول: لست أنت بأول من كذبه قومه، ولا بأول من جادله قومه بباطل، لم يزل الأمم المتقدمة يكذبون رسلهم، ويجادلونهم بالباطل؛ فصبروا على ذلك؛ فاصبر أنت على تكذيب قومك، ومجادلتهم إياك بالباطل كما صبر أولئك كقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف : ٣٥]"(٢).

قال الزمخشري:" {الْأَحْزَابُ}: الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب"(٣).

قال ابن عطية:" {وَالْأَحْزابُ}: يريد بهم عادا وثمود أو أهل مدين وغيرهم"(٤).

قال السمعاني:" وهم الذين تحدثوا على الأنبياء"(٥).

قوله تعالى:{وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ} [غافر : ٥]، أي:" وهمت كل أمةٍ من الأمم المكذبين أن يقتلوا رسولهم ويبطشوا به"(٦).

قال قتادة:" أي: ليقتلوه"(٧).

قال الزجاج:" أي: ليتمكنوا منه فيقتلوه"(٨).

قال الأزهري: "ليأخذوه فيتمكنوا من قتله"(٩).

قال الطبري: يقول: " وهمت كل أمة من هذه الأمم المكذّبة رسلها، المتحزّبة على أنبيائها، برسولهم الذي أرسل إليهم ليأخذوه فيقتلوه"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : حرصوا على قتله بكل ممكن ، ومنهم من قتل رسوله"(١١).

قال ابن قتيبة:" أي: ليُهلكوه. من قوله:{فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}، ويقال: ليحبسوه ويعذبوه. ويقال للأسير: أخيذٌ"(١٢).

قال السمعاني:" أي: ليقتلوه. ويقال: ليأسروه، والعرب تسمي الأسير: أخيذا"(١٣).

قال الزمخشري:أي: " ليتمكنوا منه، ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل. ويقال للأسير: أخيذ"(١٤).

قال الماتريدي:" لكن الله تعالى بفضله عصم رسله عما هم أولئك الكفرة بهم من القتل والمجادلة بالباطل، وفي ذلك آية من آيات الرسالة لهم حيث حفظهم عما هموا بهم وكادوا بلا أعوان وأنصار كانوا للرسل مع كثرة أولئك الكفرة"(١٥).

---

(١) تفسير الطبري: ٣٥٢/٢١.
(٢) تأويلات أهل السنة: ٥/٩.
(٣) الكشاف: ١٥٠/٤-١٥١.
(٤) المحرر الوجيز: ٥٤٧/٤.
(٥) تفسير السمعاني: ٦/٥.
(٦) صفوة التفاسير: ٨٦/٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢١.
(٨) معاني القرآن: ٣٦٦/٤.
(٩) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٧/٥.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢١.
(١١) تفسير ابن كثير: ١٢٩/٧.
(١٢) غريب القرآن: ٣٨٥. وانظر: اللسان: ٣/٥.
(١٣) تفسير السمعاني: ٦/٥-٧.
(١٤) الكشاف: ١٥١/٤.
(١٥) تأويلات أهل السنة: ٥/٩.

قال السعدي:" وهذا أبلغ ما يكون الرسل الذين هم قادة أهل الخير الذين معهم الحق الصرف الذي لا شك فيه ولا اشتباه، هموا بقتلهم، فهل بعد هذا البغي والضلال والشقاء إلا العذاب العظيم الذي لا يخرجون منه؟"(١).

قوله تعالى:{وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ} [غافر : ٥]، أي:" وخاصموا بالباطل؛ ليبطلوا بجدالهم الحق"(٢).

قال الزجاج:" أي: ليدفعوا به الحق"(٣).

قال ابن كثير:" أي : مَاحَلُوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلي"(٤).

قال الطبري: " يقول: وخاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة ليبطلوا بجدالهم إياه وخصومتهم له الحق الذي جاءهم به من عند الله، من الدخول في طاعته، والإقرار بتوحيده، والبراءة من عبادة ما سواه، كما يخاصمك كفار قومك يا محمد بالباطل"(٥).

قال السمعاني:" الجدال: هو فتل الخصم عما هو عليه بحق أو باطل، وأما المناظرة لا تكون إلا بين محقين، أو بين محق ومبطل، والجدال قد يكون بين المبطلين"(٦).

عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال : "من أعان باطلا ليدحض بباطله حقًّا ، فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله"(٧).

قال الماتريدي:" أهل الكفر هم الذين كانوا يجادلون في دفع آيات الله والطعن فيها، فأما أهل الإيمان بها كانوا يفرحون بنزولها ويزدادون بذلك إيمانا؛ كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ} [الرعد : ٣٦]، وكقوله: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [الأنفال : ٢]، ونحو ذلك من الآيات، كانوا يستسلمون لها ويقبلونها، ويستقبلون لها بالتعظيم والتبجيل"(٨).

قوله تعالى:{فَأَخَذْتُهُمْ} [غافر : ٥]، أي:" فأهلكتهم إهلاكاً مريعاً"(٩).

قال السمعاني:" أي: أخذتهم بالعقوبة"(١٠).

قال السعدي:" أي: بسبب تكذيبهم وتحزبهم"(١١).

قال ابن كثير:" أي : أهلكتهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام"(١٢).

قال الطبري: يقول:" فأخذت الذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب من عندي"(١٣).

قال الزجاج:" أي: جعلت جزاءهم على إرادة أخذ الرسل أن أخذتهم فعاقبتهم"(١٤).

قال الزمخشري:" {فَأَخَذْتُهُمْ}، يعنى: أنهم قصدوا أخذه، فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم"(١٥).

---

(١) تفسير السعدي: ٧٣١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(٣) معاني القرآن: ٣٦٦/٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ١٢٩/٧.
(٥) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢١.
(٦) تفسير السمعاني: ٧/٥.
(٧)المعجم الكبير (٢١٥/١١) ورواه الحاكم في المستدرك (١٠٠/٤) من طريق علي بن عبد العزيز به موقوفا موقوفا وقال : "صحيح الإسناد" وتعقبه الذهبي بقوله : "فيه حنش الرحبي وهو ضعيف".
(٨) تأويلات أهل السنة: ٤/٩.
(٩) صفوة التفاسير: ٨٦/٣.
(١٠) تفسير السمعاني: ٧/٥.
(١١) تفسير السعدي: ٧٣١.
(١٢) تفسير ابن كثير: ١٢٩/٧.
(١٣) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢١.
(١٤) معاني القرآن: ٣٦٧/٤.
(١٥) الكشاف: ١٥١/٤.

قوله تعالى:{فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر : ٥]، أي:" فكيف كان عقابي إياهم عبرة للخلق، وعظة لمن يأتي بعدهم؟"(١).

قال الطبري: يقول:" فكيف كان عقابي إياهم، الم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة، ولمن بعدهم عظة؟ وأجعل ديارهم ومساكنهم منهم خلاء، وللوحوش ثواء"(٢).

قال الزجاج:" أي: إنهم يجتازون بالأمكنة التي أهلك فيها القوم فيرون آثار الهلاك"(٣).

قال ابن كثير:" أي : فكيف بلغك عذابي لهم، ونكالي بهم؟ قد كان شديدًا موجعًا مؤلمًا"(٤).

قال القرطبي:" أي: أليس وجدوه حقا"(٥).

قال الزمخشري:أي:" فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك. وهذا تقرير فيه معنى التعجيب"(٦).

قال ابن عطية:" تعجيب وتعظيم، وليس باستفهام عن كيفية وقوع الأمر"(٧).

قال السعدي:" كان أشد العقاب وأفظعه، ما هو إلا صيحة أو حاصب ينزل عليهم أو يأمر الأرض أن تأخذهم، أو البحر أن يغرقهم فإذا هم خامدون"(٨).

عن قتادة، قوله: {فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}، قال:" شديد والله"(٩).

القرآن

{وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦)} [غافر : ٦]

التفسير:

وكما حق العقاب على الأمم السابقة التي كذَّبت رسلها، حق على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} [غافر : ٦]، أي:" وكذلك وجبت كلمة العذاب على هؤلاء المكذبين من قومك، كما وجبت لمن سبقهم من الكفار"(١٠).

قال الطبري: يقول:" وكما حق على الأمم التي كذبت رسلها التي قصصت عليك يا محمد قصصها عذابي، وحل بها عقابي بتكذيبهم رسلهم، وجدالهم إياهم بالباطل، ليدحضوا به الحق، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك، الذين يجادلون في آيات الله"(١١).

قال الزجاج:" أي: ومثل ذلك حقت كلمة ربك - يعني به، قوله: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّم} [الأعراف : ١٨/ هود: ١١٩/ السجدة: ١٣/ ص: ٨٥]"(١٢).

قال السمعاني:" أي: وجب حكم ربك على الذين كفروا"(١٣).

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: سبقت، ووجبت كلمة ربك، على الذين كفروا بالعذاب"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(٢) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢١.
(٣) معاني القرآن: ٣٦٧/٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ١٢٩/٧.
(٥) تفسير القرطبي: ٢٩٣/١٥.
(٦) الكشاف: ١٥١/٤.
(٧) المحرر الوجيز: ٥٤٧/٤.
(٨) تفسير السعدي: ٧٣١.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢١.
(١٠) صفوة التفاسير: ٨٦/٣-٨٧.
(١١) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢١.
(١٢) معاني القرآن: ٣٦٧/٤.
(١٣) تفسير السمعاني: ٧/٥.
(١٤) بحر العلوم: ١٩٨/٣.

قال السعدي:" أي: كما حقت على أولئك، حقت عليهم كلمة الضلال التي نشأت عنها كلمة العذاب"[١].

قال العز بن عبدالسلام:" {حَقَّت} وجب عذاب ربك، أو صدق وعده"[٢].

قال النحاس:" {حَقَّتْ}: وجبت ولزمت، لأنه مأخوذ من الحقّ، لأنه اللازم"[٣].

وقرئ: «كلمات»[٤].

قوله تعالى:{أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ} [غافر : ٦]، أي:" لأنهم أهل النار"[٥].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: يصيرون إليها"[٦].

قال العز بن عبدالسلام:" جعلهم لها أصحاباً لملازمتهم لها"[٧].

قال أبو السعود:" أي: لأنهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التي هي عذاب النار وملازموها أبدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول ﷺ كدأب من قبلهم من الأمم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقا وأحق استيجابا"[٨].

قال الشوكاني:" جملة :«أنهم أصحاب النار» للتعليل، أي: لأجل أنهم مستحقون للنار"[٩].

قال الأخفش:" أي: لأنهم أو بأنهم. وليس {أنهم} في موضع مفعول"[١٠].

قال الطبري:" قوله: {أنهم}: ترجمة عن الكلمة، بمعنى: وكذلك حقّ عليهم عذاب النار، الذي وعد الله أهل الكفر به"[١١].

قال مقاتل:" حين قال لإبليس: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص : ٨٥]"[١٢].

قال الزمخشري:" {أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ}: في محل الرفع بدل من {كَلِمَةُ رَبِّكَ}، أى: مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار. ومعناه: كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل، كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة، أو في محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل. و{الذين كفروا}: قريش، ومعناه. كما وجب إهلاك أولئك الأمم، كذلك وجب إهلاك هؤلاء، لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار"[١٣].

فوائد الآيات:[١-٦]:

١- تقرير أن القرآن الكريم مصدر تنزيله هو الله تعالى إذ هو الذي أوحاه ونزله على رسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبذلك تقررت نبوة الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- بيان عظمة الرب تعالى المتجلية في أسمائه العزيز العليم الحكيم ذي الطول غافر الذنب قابل التوب لا إله إلا هو.

٣- تقرير التوحيد والبعث والجزاء.

٤- تقرير مبدأ أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، وأن بطشه شديد.

---

(١) تفسير السعدي: ٧٣١.
(٢) تفسير العز بن عبدالسلام: ١٠٩/٣.
(٣) إعراب القرآن: ٢٠/٤. ونقله القرطبي بتمامه: ٢٩٣/١٥.
(٤) انظر: الكشاف: ١٥١/٤.
(٥) صفوة التفاسير: ٨٧/٣.
(٦) بحر العلوم: ١٩٨/٣.
(٧) تفسير العز بن عبدالسلام: ١٠٩/٣.
(٨) تفسير أبي السعود: ٢٦٦/٧.
(٩) فتح القدير: ٥٥٢/٤.
(١٠) معاني القرآن: ٤٩٩/٢.
(١١) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٦/٣.
(١٣) الكشاف: ١٥١/٤.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الثلاثون من التفسير، ويليه الجزء الواحد والثلاثون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٧) من سورة «غافر».